مدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين

٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م إلي ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م

دراسة سياسية وحضارية

د. جمال أحمد طه

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب بسوهاج

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس: ٥٣٥٤٤٣٨ - الإسكندرية

مدينة فاس في عصري المرابطين
والموحدين
د. جمال أحمد طه
طباعة: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
ش ملك حفنى قبلى السكة الحديد
بجوار مساكن دربالة بلوك رقم (٣)
الرقم البريدى: ٢١٤١١ - إسكندرية
رقم الإيـداع: ١٥٨١٧/ ٢٠٠١
الترقم الدولى: 8 - 197 - 327 - 977

بسم الله الرحمن الرحيم

(وقل ربي زدني علما)

إهــداء

إلى روح الإمام إدريس بن إدريس الـذى أسس مدينـة فـاس المعقـل السياسـى والفكـرى للحضـارة العربيـة الإسـلامية فـى المغـرب الأقصى .. وإلى روح والـدى الذى روى فى نفسى بذور الخير والحب والتسامح، وعلمنى العطـاء، فإليهما فى مثواهمـا الأخير .. وإلى والدتـى التى علمتنى الأبجدية دون أن تتعلم، وأعطت دون انتظار لمقابل.

تحية إجلال وتقدير

... (اللهم إنك تعلم إني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا سمعة ولا مكابرة، وإنما أردت ببنائها أن تعبد بها ويتلى بها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم ما أبقيت الدنيا)

المقدمـــــة

"بسم الله الرحمن الرحيم"

مقدمــــة

تكتسب مدينة فاس أهمية خاصة فى التاريخ الإسلامى بصفة عامة، وتاريخ المغرب الأقصى بصفة خاصة، ليس من موقعها كمدينة أسسها الإمام إدريس الثانى فحسب، لكن لأهميتها فى العصرين المرابطى والموحدى، حيث كان لها أثر كبير فى مجرى التطورات السياسية المهمة سواء فى المغرب أو الأندلس، وإذا أضفنا إلى ذلك الخلفية التاريخية للمدينة منذ نهاية القرن الثانى الهجرى كعاصمة للمغرب الأقصى لأدركنا أهمية الدور الذى شغلته فاس فى هذه المنطقة عبر فترة اضطرابات هزت هذه المنطقة الواسعة وأفضت بها إلى منعطف تاريخى حاسم، سقطت معه المفاهيم القبلية القديمة وموازين الصراع التقليدى المسيطر على المدينة قبيل هذين العصرين.

ولابد من الاعتراف أن دراسات كثيرة جرت حول تاريخ مدينة فاس منذ تأسيسها إلى قبيل دخول المرابطين المدينة، ولكن الأبحاث المتصلة بتاريخ فاس فى عصرى المرابطين والموحدين لم تحظ بالاهتمام الذى يتفق وتلك المدينة، ولم تأخذ هذه الدراسات الطابع التخصصى للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية لهذه المدينة على نحو متكافئ مع تلك الفترة الدقيقة الفاصلة فى تاريخ المغرب الأقصى. ومن ثم جاء اختيارى لدراسة هذا الموضوع، حيث حرص كل من المرابطين والموحدين على أن يسود مدينة فاس الاستقرار والأمان، وعملوا على رعاية العلوم والآداب، فتألقت الحياة العلمية والأدبية فى هذين العصرين تألقا تشهد به الأعداد الكبيرة من العلماء الذين أنجبتهم فاس، كما شهدت المدينة توسعا عمرانيا ممثلا فى المنشآت الجليلة التى أقيمت فى هذين العصرين مثل المساجد والفنادق والحمامات، كما شهدت منشآت ذات نشاط اقتصادى مثل دور الصناعة والأسواق، فازدهرت تجارتها، ولقد لعب هذا كله دورا هاما فى ارتفاع شأن المدينة، وبروز دورها فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية، مما جعل منها موضوعا جديرا بالبحث والدراسة.

فعندما قامت دولة المرابطين عام ٤٤٨ - ٥٤٠هـ/ ١٠٥٦ - ١١٤٥م على يد مؤسسها يوسف بن تاشفين لفتت أهمية فاس نظر هذا المؤسس باعتبارها الإقليم

الذى إذا سيطر عليه فاتح استطاع أن يسطر على أقاليم المغرب الأقصى كله دون عناء، فدخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس عام ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م وأفلح المرابطون فى القضاء على الإمارة الزناتية المسيطرة على منطقة فاس والجهات المحيطة بها، تلك الإمارة التى تدهورت على يديها أوضاع المدينة وشمل الخراب كل مناحى الحياة فيها، لكن ازدهرت مدينة فاس على أيدى المرابطين، وأصبحت بحق العاصمة الثانية للمغرب - بعد مراكش التى أسسها المرابطون - حيث أمر يوسف بن تاشفين ببناء المساجد فى شوارع فاس وأزقتها، كما أمر ببناء الحمامات والفنادق والأرجاء والأسواق، وبدأ المرابطون فى زيادة الأراضى المزروعة وإدخال المحاصيل الزراعية، والاهتمام بالصناعات وتأمين طرق المدينة، واستجلاب الخبرات الفنية لها.

وظلت مدينة فاس خاضعة للمرابطين إلى أن ظهر الموحدون الذين بدأوا سلسلة من الحملات الناجحة قام بها المهدى بن تومرت على معاقل المرابطين، تلك الحملات التى عملت على هدم أركان دولتهم، وحسم الموحدون الأمر بقيادة عبد المؤمن بن على بإسقاط عاصمة المرابطين مراكش عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م وحاصروا مدينة فاس التى ظل أهلها يقاومون حتى عمد عبد المؤمن بن على إلى وسيلة لإرغام أهل فاس على التسليم، فأستسلمت المدينة له، ودخلها فى الرابع عشر من ذى القعدة عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م.

واهتم الموحدون بفاس اهتماما خاصا، واعتنوا بأمرها حتى بلغت فى عهدهم درجة عالية من الانتعاش العمرانى والاقتصادى لم تبلغه مدينة أخرى من مدن المغرب، لاسيما فى زمن المنصور الموحدى وولده الناصر، حيث شيدت الأسوار بالمدينة، وشهدت المدينة تطورا زراعيا، فأدخلت حاصلات زراعية جديدة، وراجت صناعتها وحرفها وانتشرت الأسواق بالمدينة وارتبطت بالطرق التجارية.

وقد استمر ازدهار فاس عمرانيا واقتصاديا خلال عصر الموحدين الذى يعتبر امتدادا للفترة المرابطية، ورافق هذا الازدهار تحولات كبيرة فى حياة سكانها الاجتماعية، فدخلوا المدينة على نطاق واسع، واكتسبوا المعارف والخبرات الفنية، فهو ازدهار لم تشهده هذه المدينة من قبل، حيث تألقت تألقا جعلها من المدن الهامة بالمغرب الإسلامى، فكانت عن جدارة واستحقاق إحدى كبريات مدن المغرب.

وكانت كبرى المشاكل الأساسية التى واجهتنى فى إعداد هذا البحث ندرة المصادر والوثائق التى تمكننى من كشف النقاب عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية بمدينة فاس فى عصرى المرابطين والموحدين، ومن ثم الوقوف على الأوضاع الاقتصادية والفئات الاجتماعية وهى المحرك الأساسى لهذا التاريخ، وسبب ذلك يعزى دون شك إلى أن معظم هذه الوثائق والمصادر قد عفى عليها الدهر أو تم طمسها تحت تأثير خلافات مذهبية أو حزازات سياسية وهذا ما فعله الموحدون بالمصادر والكتب التى ألفت فى عصر الدولة المرابطية؛ وإذا كانت هذه المعضلة تعد من المسلمات التى اعترف بها كل من عرك هذا الميدان، فإن المشكلة تتعاظم وتزداد حدتها بالنسبة للحديث عن العناصر السكانية فى مدينة فاس والتى تباينت فيما بينها بين عرب وبربر وأهل ذمة وعناصر أخرى، وعن الفئات الاجتماعية لاسيما العامة منها والتى تهمش كطبقة اجتماعية - رغم خطورة دورها - فى دائرة الإهمال والنسيان بالنسبة لمؤلفينا من أهل التاريخ. فكل المصادر التى نستقى منها معلوماتنا لم تحفل فى الغالب سوى بالخلفاء والأمراء وحاشيتهم ووصف بلاطهم أو ذكر مناقبهم، ومن ثم كنت الصعوبة فى هذه الدراسة فرحت أستنطق كتب الفقه والتراجم والفهارس والبرامج والطبقات، وكتب الأدب والجغرافية لعلى أجد فيها بغيتى.

والواقع أن هناك عدة أهداف أساسية حاولت من خلال بحثى أن أصل إليها كان من أهمها إبراز دور فاس السياسى وأهميته فى العصرين المرابطى والموحدى، وإجلاء الصورة الحضارية لمدينة فاس سواء على الصعيد الاجتماعى أو الاقتصادى أو الثقافى، متبعا فى ذلك المنهج العلمى القائم على تحليل النصوص واستنباط الحقائق والنتائج التى بنيت عليها دعائم رسالتى، مستعينا فى ذلك بالرسائل الرسمية والوثائق التى تخص الفترتين المرابطية والموحدية والمخطوطات والمؤلفات التاريخية وكتب التراجم والفهارس والبرامج والأدب والجغرافية وكتب الفقه، إلى جانب الدراسات العربية والأجنبية التى تعرضت من قريب أو بعيد لموضوع الدراسة.

وقسمت بحثى إلى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وذيلته بقائمة بالمخطوطات والمصادر والمراجع العربية والأجنبية التى أطلعت عليها.

فمهدت لهذه الدراسة بفصل خصصته لنشأة مدينة فاس منذ التأسيس حتى قيام دولة المرابطين أوضحت فيه تأسيس فاس وتخطيطها على يد الإمام إدريس بن

إدريس، متناولا في هذا الفصل تاريخ فاس منذ إنشائها حتى دخولها في طاعة المرابطين.

أما الفصل الثاني، فأفردته لدراسة التاريخ السياسي لمدينة فاس في العصرين المرابطي والموحدي، متناولا الحديث عن كيفية دخول المرابطين فاس وفتحهم لها عام ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م وانهائهم للإمارة الزناتية التي كانت تسيطر على المدينة، متعرضا فيه لتوحيد فاس وتنظيمها على عهد المرابطين، والاضطرابات والفتن التي حدثت بفاس ضد دولة المرابطين، كما تناول هذا الفصل أيضا حصار الموحدين لمدينة فاس وفتحهم لها عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م، وأوضحت من خلاله الدور السياسي الذي قام به أمراء فاس تجاه دولتي المرابطين والموحدين، وختمت هذا الفصل بمحاولات بني مرين للسيطرة على فاس بدءا من عام ٦١٣هـ/ ١٢١٦م.

وخصصت الفصل الثالث لدراسة الحياة الاجتماعية بمدينة فاس في العصرين المرابطي والموحدي، تناولت فيه سكان المدينة من بربر وعرب وأندلسيين وعبيد. كما تناول هذا الفصل الطبقات الاجتماعية بالمدينة، ومكانة المرأة في المجتمع الفاسي والعادات والتقاليد التي سادت المجتمع الفاسي، إلى جانب دراسة الاحتفالات ومظاهر التسلية، وطعام أهل المدينة وزيهم، ووصف دورهم.

وفي الفصل الرابع عالجت مظاهر الحياة الاقتصادية في مدينة فاس في العصرين المرابطي والموحدي. ففي مجال الزراعة تناول هذا الفصل سياسة الدولتين الزراعية في المدينة وحاصلاتها الزراعية، ومدى اهتمام الدولتين بزراعة البساتين، موضحا الثروة الحيوانية التي تبعت العمليات الزراعية.

وفي مجال الصناعة تناول هذا الفصل صناعات النسيج والورق، وطحن الغلال، كما أوضحت الصناعات الجلدية والخشبية وصناعة الزيوت والصابون وصناعة ماء الورد، وصناعة السكة، والصناعات الفخارية والزجاجية.

أما في مجال التجارة فقد أوضحت في هذا الفصل سياسة الدولتين الضريبية وقيسارية وأسواق فاس وتنظيمها وإدارتها وطرق التجارة من عملة ومكاييل وموازين كما أوضحت تجارة فاس الداخلية وتجاراتها الخارجية مع الأندلس والسودان والمشرق.

أما الفصل الخامس والأخير فخصصته لدراسة الحياة الفكرية والعلمية بمدينة فاس في هذين العصرين، متناولا أهم عوامل نمو الحياة الفكرية والعلمية بالمدينة، والمعلمين وطرق التعليم والمؤسسات التعليمية بالمدينة ثم تناول هذا

الفصل ميادين الحركة الفكرية والعلمية بمدينة فاس من علوم نقلية وعلوم عقلية، فأوضحت فى العلوم النقلية علم القراءات والتجويد والتفسير وعلم الحديث وعلم أصول الفقه وعلم اللغة العربية والنحو والعلوم الأدبية من نثر وشعر، وعلم الكلام، وعلم التاريخ والتراجم والفهارس والوثائق، وعلم التصوف.

أما العلوم العقلية فتناول هذا الفصل علم الحساب والهندسة والطب وعلم الكيمياء. وختمت هذا الفصل بالحديث عن الدور الذى قامت به مدينة فاس فى نشر الثقافة الإسلامية فى بلاد المغرب والأندلس والمشرق.

وفى الخاتمة أوجزت ما انتهيت إليه من نتائج تمخضت عن هذه الدراسة.

ولا يسعنى إلا أن أتقدم بخالص شكرى وتقديرى وعرفانى بالجميل إلى أستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد الطوخى أستاذ التاريخ الإسلامى ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب بسوهاج - جامعة أسيوط - الذى رعى خطوات هذا البحث فى جميع مراحله فكان تشجيعه أكبر عون لى على إنجاز هذه الدراسة فى الصورة التى أقدمها. فما جاء فى هذا البحث من فضل فإليه يعود، وما فيه من تقصير فإلى ينسب.

كما أتقدم بخالص شكرى وتقديرى إلى الدكتور محمد محمود أبو زيد مدرس التاريخ الإسلامى بكلية الآداب بسوهاج على معاونته الصادقة وتشجيعه المستمر لى وتوجيهاته السديدة فله خير الجزاء.

ويعلم الله كم تكبدت من عناء وكم من جهد بذلت.

وأسأله التوفيق والسداد

دراسة لأهم المصادر

إن دراسة تاريخ مدينة من المدن فى العصر الإسلامى يتطلب من الباحث الرجوع إلى مصادر متنوعة مثل المصادر التاريخية والجغرافية وكتب التراجم والبرامج والفهارس، وكتب السير والفقه والأدب، لأن المعلومات التى تتناول تاريخ المدينة السياسى والحضارى مبعثرة بين ثنايا تلك المصادر، وليس هناك مصنف واحد يجمع مثل هذه المعلومات خاصة إذا كان بعض مصادر تلك الفترة مفقود مما يضطر الباحث للرجوع إلى بعض المصادر المتأخرة عله يجد فيها شيئا يخدم بحثه.

وفى الفترة الزمنية لموضوع دراستى، فقدت كتب كثيرة كان قد صنفها رجال فى المغرب عاشوا فى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى أو تأخر تاريخ وفاة بعضهم إلى القرن السابع/ الثالث عشر الميلادى، مثل تاريخ القاضى عياض المتوفى عام ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م[١]. كما فقد كتاب خاص بتاريخ الدولة المرابطية وهو كتاب "الأنوار الجلية فى الأخبار المرابطية" لابن الصيرفى المتوفى عام ٥٥٧هـ/ ١١٦١م[٢]، وكتاب تاريخ خاص بدولة الموحدين صنفه ابن سمرة المتوفى عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م[٣]. وكتاب القاضى يوسف بن عمر عن دولة الموحدين أيضا[٤].

أما الكتب المفقوده الخاصة بتاريخ مدينة فاس فمنها تاريخ فاس لأبى القاسم بن جنون، والمقباس فى أخبار المغرب وفاس لعبد الملك بن الوراق الذى عاش فى القرن السادس الهجرى، والمقتبس فى أخبار المغرب وفاس والأندلس لمحمد بن حماد السبتى، وكتاب المستفاد بمناقب الصالحين والعباد من أهل فاس وما والاها من البلاد لمحمد بن عبد الكريم الفندلاوى المتوفى عام ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م.[٥]

كذلك فقد كتاب "المسهب" لأبى محمد عبد الله بن إبراهيم الحجارى المتوفى فى منتصف القرن السادس[٦]، وكتاب خاص بتاريخ قبيلة صهاجة أسمه "النبذ المحتاجة من تاريخ صنهاجة" لابن حماد المتوفى عام ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م[٧].

كما ضاعت بعض الكتب الجغرافية مثل كتاب جغرافية ابن فاطمة الذى عاش فى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى[٨]. وفقدت أيضا بعض كتب البرامج مثل برنامج ابن الملجوم المتوفى عام ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م، وبرنامج ابن القطان المتوفى عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م، وكتاب تراجم ابن فرتون المتوفى عام ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م.[٩]

ومن هنا كان على الباحث أن يحاول جمع مادة بحثه من مختلف المصادر سواء كانت معاصرة أو متأخرة مخطوطة أم مطبوعة، لاسيما وأن كثيرًا من مصادر القرن السادس أو ما كتب بعده وصلت إلينا غير كاملة.

وصنفت المصادر فى مجموعات حسب طبيعة كل مصدر، وبينت الطريقة التي استفدت بها من كل مجموعة.

أولاً: الرسائل الرسمية المرابطية والموحدية:

اعتنى الأستاذ ليفى بروفنسال والدكتور حسين مؤنس والدكتور محمود على مكى، بنشر الرسائل الرسمية المرابطية والموحدية، فنشر بروفنسال سبعًا وثلاثين رسالة موحدية صادرة عن الخلفاء الموحدين[١٠] وحقق الدكتور حسين مؤنس رسالتين موحدتين أخريين.[١١] كما حقق اثنين وعشرين رسالة من الرسائل المرابطية[١٢]. كما قام الدكتور محمود على مكى بتحقيق مجموعة وثائق عن الفترة المرابطية فحقق إحدى وعشرين رسالة.[١٣] ونشر الأستاذ عبد القادر زمامة نصوص رسمية جديدة تتعلق بتاريخ الموحدين.[١٤]

وقد اختصت الرسائل المرابطية جميعها بالأندلس، وما وصلنا منها يعتبر ضئيلا جدا بالمقارنة بما عرف عن المرابطين من الاهتمام بالرسائل الرسمية إذ كانوا يتخذونها وسيلة للدعاية السياسية ويبعثون بها إلى الولايات فى كل مناسبة، ولذا لم أستفد من الرسائل المرابطية المنشورة على طول البحث.

أما عن الرسائل الموحدية فقد شملت المغرب والأندلس، وتركزت الرسائل المغربية الموحدية على مخاطبة الطلبة والشيوخ والأعيان، وقد استفدت بصفة خاصة من الرسالة الحادية عشر. فى فصل الحياة السياسية بمدينة فاس، حيث قدمت تلك الرسالة معلومات قيمة عن التمرد الذى قام به أخوه المهدى ابن تومرت ضد الخليفة عبد المؤمن بن على، وكيفية إنهاء الخلافة الموحدية لهذا التمرد[١٥]، كما استفدت من الرسائل الصادرة عن الخلافة الموحدية إلى طلبة فاس[١٦].

ثانيا: كتب التاريخ:

من المؤلفات التاريخية التى استفاد منها الباحث، كتاب أخبار المهدى للبيذق، المتوفى فى منتصف القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى[١٧]. وهو كتاب من الكتب القليلة التى ألفت فى بداية العصر الموحدى، وهو كتاب قيم جدا من الناحية التاريخية، وترجع أهميته إلى كون مؤلفه شارك بنفسه فى صنع الوقائع التي وصفها، لأنه أحد تلاميذ المهدى بن تومرت مؤسس دولة الموحدين، ورفيق

من رفاق خليفته عبد المؤمن بن على، وترجع أهمية هذا الكتاب أيضًا أن مؤلفه كان شاهد عيان وأسهم فى تفويض أركان الدولة المرابطية وتأسيس الدولة الموحدية، فهو شارك فى تأييد حركة المهدى بقلمه، مثلما شارك فى النضال عنها فى ميادين الحروب بحد سيفه(١٨).

واستفاد الباحث من كتاب أخبار المهدى فى الفصل الخاص بالتاريخ السياسى لمدينة فاس، فهو علاوة على الأخبار التى أوردها عن كيفية إنهاء الدولة المرابطية، أفدت منه فى روايته عن الطريقة التى تم للموحدين بها حصار مدينة فاس، ومراسلات الجيانى عامل المدينة من قبل المرابطين، للموحدين ومساعدته لهم على تمكينهم من المدينة.

كتاب المن بالإمامة، لابن صاحب الصلاة، المتوفى عام ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م(١٩)

عاش ابن صاحب الصلاة فى ظل دولة الموحدين، وصحب مواكب خلفائهم، ونظرًا للقيمة التى ينعم بها كتاب المن بالإمامة فقد كان مرجعًا لكثير من المؤرخين، حيث استقى صاحب الكتاب معلوماته من الرواه الذين تحدثوا إليه، كما أن الكثير من معلومات الكتاب قد شاهدها ابن صاحب الصلاة بنفسه، ولذلك نجده بين الحين والآخر يقول: قال المؤلف، كما أن هناك بعضًا آخر من المعلومات التى نقلها عن بعض المؤلفين لمعروفين مثل ابن حيان. أو من بعض الوثائق الرسمية لدولة الموحدين مما استأثر به عن سائر المؤرخين.(٢٠) وقد استفدت من هذا الكتاب فى الفصل السياسى الذى خصصته لتاريخ فاس فى العصرين المرابطى والموحدى كما أمدنى ابن صاحب الصلاة بمعلومات ولو أنها قليلة عن بعض النواحى الاقتصادية والاجتماعية والفكرية.

*** كتاب نظم الجمان لابن القطان، توفى فى منتصف القرن السابع الهجرى(٢١)**

غطى كتاب نظم الجمان الأخبار المغربية من عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م إلى سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٩م، وهى فترة الثورة الموحدية، وقد استفدت منه فى معرفة الأحداث السياسية فى تلك الفترة، وكما اهتم ابن القطان بالمظاهر الاقتصادية فى المدن المغربية، ولذا كانت أفادتى منه فى الحياة الاقتصادية بمدينة فاس فى العصر المرابطى.

* **كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعبد الواحد المراكشي المتوفى عام ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م[٢٢]**

ويعد كتاب المعجب مصدرًا أساسيًا عن دولة الموحدين، ولا يمكن لباحث الاستغناء عنه، وأوجز المراكشي روايات كثيرة عن تاريخ المغرب قبل عصر الموحدين، وقد أفادني هذا الكتاب في كثير من مواضع الدراسة، حيث رسم لنا عبد الواحد المراكشي الطرق التجارية التي تربط فاس مع المشرق، كما استفدت منه في الفصل الخاص بالحياة العلمية والفكرية.

- **كتاب البيان المغرب، لابن عذارى المراكشي المتوفى ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م[٢٣]:**

يعد كتاب البيان المغرب من الكتب الهامة عن تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ويهمنا من هذا الكتاب الجزء الرابع، الذي يعد مصدرًا من مصادر تاريخ المرابطين، وهو لا يشمل تاريخ المرابطين كله، فقد سقطت منه الفترة ما بين عام ٤٦٩هـ/ حتى عام ٤٩٥هـ من ١٠٧٦ حتى ١١٠١م، وقد حاول إحسان عباس استكمال هذا النقص عن طريق الملاحق التي وضعها في نهاية الجزء، ولهذا الجزء أهمية خاصة لما حواه من معلومات قيمة تتعلق بأحوال المرابطين السياسية والحضارية منذ النشأة حتى بداية سقوط الدولة. كما جاءت استفادتي من الجزء الخامس الخاص بالموحدين استفادة عظيمة حيث اعتمد ابن عذارى على الروايات المعاصرة للأحداث، كما أكثر النقل من ابن صاحب الصلاة وابن عبد الملك الوراق وأورد عددًا من الرسائل الرسمية لاسيما الموحدية منها، فأستفدت منه في الفصل الخاص بالحياة السياسية حيث انفرد ابن عذارى من بين المؤرخين بتوضيح إعراج الخلفاء الموحدين على مدينة فاس والإقامة فيها في كثير من الأحيان، واستقبال سفرائهم بها، كما أمدني ابن عذارى بمعلومات عن الحياة العلمية والأدبية بمدينة فاس في العصرين المرابطي والموحدي.

كتاب جمع تواريخ فاس، لمؤلف مجهول[٢٤]

جاءت معلومات هذا الكتاب مختصرة جدًا، ولكن بالرغم من هذا فقد استفدت منها في الفصل الأول الذى خصص لتأسيس فاس وتاريخها حتى عصر المرابطين، كما أمدني هذا الكتاب بمعلومات قيمة عن تاريخ المدينة في الفترة التي سبقت الدولة المرابطية.

كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس لعلى بن أبى زرع المتوفى عام ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م(٢٥)

موضوع القرطاس هو تاريخ المغرب عموما وتاريخ مدينة فاس خصوصا، كما يدل عليه اسمه، بداية من الدولة الإدريسية إلى سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٥م وطريقة ابن أبى زرع فى الكتابة ليست طريقة الحوليات التى جرى عليها أغلب المؤرخين فى العصر الإسلامى، ولكنها طريقة من يؤرخ للدول، فهو يذكر الدولة ونسبها وتشعب قبائلها ومراحل تأسيسها، ثم يذكر فى نهاية الكلام عن كل دولة ما حدث فى أيامها من أحداث اجتماعية واقتصادية وظواهر طبيعية، ووفيات الأعيان منها، ورخاء الأسعار، وغلوها، وانتشار الأوبئة والمجاعات ونزول الأمطار وظهور النجوم. ويعتبر كتاب الأنيس المطرب على ما فيه من أخطاء من أهم مراجع المؤلفين المغاربة منذ تأليفه نظرا لشموله ووفرة أخباره.(٢٦) فقد نقل منه الجزنائى فى جنى زهرة الآس، وابن خلدون فى تاريخه وغير هؤلاء، وكان الأنيس المطرب من أهم الكتب التى استفدت منها فى هذا البحث، لاسيما فى فترة تأسيس المدينة، فقد ذكر ابن أبى زرع مراحل تأسيس فاس وأبوابها وبناء جامعها، كما أمدنى بمعلومات وفيرة عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى عاشتها فاس قبيل دخول المرابطين، أما عن العصر المرابطى فقد جاءت استفادتى منه جليلة حيث ذكر سيطرة المرابطين على المدينة واهتمامهم بها وإصلاحاتهم فيها. أما عن العصر الموحدى فقد أفدت منه بمعلومات وفيرة عن حصار الموحدين لفاس ودخولهم إياها، أما من الناحية الاقتصادية فى العصرين المرابطى والموحدى فقد أمدنى ابن أبى زرع بمعلومات وفيرة، وانفرد من بين المؤرخين السابقين له بتعداد مرافق مدينة فاس فى العصر الموحدى، كما جاءت استفادتى منه فى الحياة الاجتماعية، حيث ذكر بين ثنايا حديثه بعضا من القبائل التى كانت تقطن مدينة فاس فى هذين العصرين.

كتاب جنى زهرة الآس فى بناء مدينة فاس، لعلى الجزنائى من أهل القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى:(٢٧)

قصر الجزنائى مؤلفه هذا على تاريخ بناء مدينة فاس وذكر أسوارها وقناطرها، ووصف جامعيها دون استطراد إلى ذكر الدول والملوك وما واكب أيامهم وصاحب عهودهم من وقائع وأحداث، ولكن الذى يؤسف له أننا لا نعلم كثيرا ولا قليلا عن شخصية المؤلف، وإذا كان العلماء والمؤرخون الذين أشاروا إلى الكتاب أو

نقلوا عنه مجمعين على أنه من تأليف ابن الحسن على الجزنائى، فإن أى واحد منهم لم يكلف نفسه عناء التعريف بأبى الحسن هذا والإشارة إلى شأنه وسنتى ولادته ومماته، فهو فى تعاسة الحظ وسوء الطالع يشابه معاصرة ابن أبى زرع الذى أرخ مثله للناس ولم يؤرخ له أحد من الناس، ولكن يلاحظ أن الجزنائى بربرى ينتمى إلى قبيلة كزناته الزناتية الشهيرة المستقرة شمال تازه، ولكن نسبته إلى هذه القبيلة لا تفيد أنه ولد بها قبل انتقاله إلى فاس، فقد تكون أسرته انتقلت إليها واستقرت بها قبل ولادته بأجيال محتفظة بنسبتها إلى قبيلتها الأصلية، والجزنائى من أهل القرن الثامن الهجرى، وممن عاصر الأحداث والفوضى التى عمت بالمغرب بعد نكبة السلطان أبى الحسن المرينى بالقيروان ويقف الكتاب عند سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م. ولا شك فى أن المؤلف ألف جنى زهرة الآس حوالى هذا التاريخ.[٢٨]

ويحتوى جنى زهرة الآس على مقدمة وقسمين، قسم خُصص لذكر المغرب والثناء عليه وبيان شرفه وفتح المغرب ومجئ إدريس الأول إليه وتأسيس إدريس الثانى لفاس، أما القسم الثانى فقد خُصص لذكر من أدار فاس بالأسوار وزاد فيها الزيادات وإحصاء ما بها من المساكن والمتاجر والمرافق العمومية، وذكر جامعها، والحق أن هذا القسم مفيد جدًا، ولا يشوبه إلا الإيجاز فى وصف جامع الأندلس والمدينة على العموم بالنسبة للأطناب الذى وصف به جامع القرويين.

وبالرغم من هذا جاءت معلومات جنى زهرة الآس فى أغلبها تكرارًا لما أورده ابن أبى زرع فى كتابه الأنيس، ولذا خيب هذا الكتاب ظن الباحث فيه، فقد أغفل الجزنائى العديد من المنشآت والمؤسسات المهمة من بروج وحصون وقلاع ومؤسسات ومنشآت مهمة كقصبة الموحدين، فالجزنائى الذى برهن على مقدرة فائقة وهو يصف لنا جامع القرويين ومرافقه كان أحرى به أن يصف لنا مبانى فاس ومنشآتها، ولكن فى الواقع أنه زاد عمن كتبوا عن فاس زيادات كثيرة، وخاصة فى العصر المرينى.

الحلل الموشية فى الأخبار المراكشية، لمؤلف مجهول من كتاب القرن الثامن الهجرى:[٣٠]

صنف هذا الكتاب فى سنو ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م ويتناول صاحب الكتاب تاريخ المغرب والأندلس فى عصرى المرابطين والموحدين بالتفصيل إلى حد ما، رغم أن أسم الكتاب يوحى بأنه مختص بتاريخ مدينة مراكش فقط. وقد اعتمد صاحبه على مصادر معاصرة، ذكر أسماء صاحبها منهم الصيرفى المتوفى عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م،

وابن القطان صاحب نظم الجمان ومنهم الجغرافى عبد الله البكرى، كما اعتمد فى عصر الموحدين على أبى بكر الصنهاجى الملقب بالبيذق، وعلى ابن صاحب الصلاة، وكتاب الحلل الموشية من الكتب الهامة التى لا يمكن الاستغناء عنها فى تاريخ دولتى المرابطين والموحدين ويمتاز بدقة أخباره التاريخية وصحتها خاصة فيما يختص بقيام دولة المرابطين كما يمتاز بمعالجته للنظام الحربى وأساليب القتال[31]. وقد استفدت من هذا الكتاب فى الفصل الخاص بالحياة السياسية بمدينة فاس، فهو من أهم الكتب التى أعانتنى على إلقاء الضوء على حصار الموحدين لمدينة فاس ودخولهم إياها.

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، المعروف بتاريخ ابن خلدون المتوفى ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م[32]

وقد عالج ابن خلدون تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى معالجة تفصيلية لاسيما فى القرنين السادس والسابع الهجريين، وقد كانت مقدمة ابن خلدون من أهم ما اعتمدت عليه من مصادر فى هذه الدراسة، لما ظهر فيها من إشارات كثيرة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية فى مدينة فاس خلال عصرى المرابطين والموحدين. كما جاءت استفادتى من الجزء السادس بالغة الأهمية حيث أمدنى بالكثير من المعلومات عن الحياة السياسية فى عصرى المرابطين والموحدين، كما أن هذا الجزء ضم معلومات مهمة عن مواطن العرب والبربر فى مدينة فاس ومن ثم فقد أفادنى إيما إفادة فى فصل الحياة الاجتماعية بمدينة فاس.

كتب التراجم والفهارس والبرامج:

ويقصد بكتب البرامج، الكتب التى سجل فيها العالم ما قرأه من مؤلفات فى مختلف العلوم، من عنوان الكتاب واسم مؤلفه والشيخ الذى قرأ عليه، وكتب البرامج تعتبر وثيقة هامة تجلو ثقافة العصر الذى ألفت فيه ومادتها، وتتضمن أساليب التعليم وطرائق الأخذ والرواية، وتبين جانبا خطيرا من جوانب الحياة الاجتماعية والثقافية فى تلك العصور.

ويلاحظ أن كتب الفهارس والتراجم والبرامج العامة لمعاصرة كانت تتبع منهجا واحدا فهى تذكر اسمر المترجم له وكنيته ونسبه، وبلده الذى ولد فيه أو الذى كان منه أصله إذا ما هاجر من بلد مولده إلى آخر. وتبين شيوخه وعلومه ومن أخذ عنه، ثم تختم الترجمة بتاريخ الوفاة ومكانها ما كان ذلك ميسورا.[33] وهذه هى طريقة القاضى عياض المتوفى عام ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م فى كتابة الغنية (فهرس شيوخ

القاضي عياض[٣٤]) وابن بشكوال المتوفى عام ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م فـي كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم[٣٥]. وأحمد بن عمير الضبي المتوفى ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م في بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس[٣٦]. ولا تختلف كتب التراجم المشرقية عن نظيرتها المغربية ما كتبه السلفي المتوفى عام ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م في معجمه[٣٧]، وشمس الدين محمد بن الجزري في كتابه غاية النهاية في طبقات القراء[٣٨].

وقد رجعت إلى العديد من كتب التراجم والفهارس والبرامج، منها ما هو عام ومنها ما هو خاص. فمن كتب التراجم العامة، التكملة لكتاب الصلة، والمعجم في أصحاب القاضي ابن على الصدفي، لابن الآبار المتوفى ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م[٣٩] والذيل والتكملة لكتابي الموصلة والصلة لابن عبد الملك المراكشي المتوفى ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م[٤٠]. وصلة الصلة البشكوالية في تراجم علماء الأندلس لأبي جعفر أحمد بن الزبير المتوفى عام ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م.[٤١] وسير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م[٤٢]. وكتاب أنس الفقير وعز الحقير لابن قنفذ القسطيني المتوفى ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م[٤٣].

أما النوع الثاني فهو ما اختص بتراجم قوم دون غيرهم مثل كتاب مفاخر البربر لمؤلف مجهول صنفه في سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م[٤٤].

والنوع الثالث من هذه الكتب يختص بتاريخ وأخبار مدينة واحدة مثل عنوان الدراية للغبريني ت٧١٤هـ/ ١٣١٤م[٤٥]، والإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب المتوفى ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م[٤٦]، وكتاب بيوتات فاس الكبرى لاسماعيل بن الأحمر ت٨٠٧هـ.[٤٧] وهو كتاب مفيد للباحثين في تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ويتناول التعريف ببعض البيوتات الفاسية النبيهة وأنسابها والإشارات الخفيفة إلى مشاهير كل بيت منها. وكتاب جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس لابن القاضي المكناسي ٩٦٠ - ١٠٢٥هـ/ ١٥٠٣ - ١٦١٦م[٤٨]. وقد خص ابن القاضي مدينة فاس بالاهتمام الكبير والعناية الفائقة حيث أطلعنا على الكثير من معالمها التاريخية وخططها ومساجدها وعمرانها بالإضافة إلى تراجم أعلامها الذين نشأوا فيها أو حكموها أو حلوا بها وبذلك كان ابن القاضي مؤرخ فاس منذ نشأتها إلى أوائل القرن الحادي عشر/ السابع عشر الميلادي، وكتاب جذوة الاقتباس مرأه ينعكس على صفحاتها اهتمام ابن القاضي بمسقط رأسه، وما بذله من جهد لجمع هذه المعلومات التي ما تزال مرجعا هاما في تاريخ المدينة[٤٩].

وكتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لأبي عبد الله محمد بن أحمد الملقب بابن مريم[٥٠]. والإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام،العباس إبراهيم المراكشي[٥١]. وأتحاف أعلام الناس بجمال حاضره مكناس لعبد الرحمن بن زيدان[٥٢]. وسلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء بمدينة فاس لمحمد جعفر الكتاني[٥٣]. وتميزت هذه الكتب المتأخرة بما نقلته عن مصادر مفقوده، وأيضا بتراجمها المستفيضة، لأن مصنفيها غالبا ما كانوا يعتمدون على كتب التاريخ والوثائق أو "التقاييد" ولهذا أفادتني في إمدادي بإشارات عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية بمدينة فاس، كما وضحت لي دور مدينة فاس العلمي في المدن المغربية المجاورة.

أما النوع الرابع من كتب التراجم، فهو ما اختص بتراجم شخصيات علمية معينة مثل ما اختص بتراجم القضاه ككتاب تاريخ قضاة الأندلس المسمى المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا لأبي الحسن النباهي كان حيا ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م[٥٤]، وبرنامج التجيبي لأبي القاسم بن يوسف التجيبي السبتي ت ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م[٥٥]. وبرنامج شيوخ الرعيني لأبي الحسن علي الرعيني المتوفى ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م.[٥٦] وكتاب غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين بن محمد الجزري[٥٧]. والديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب لابن فرحون المالكي ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م[٥٨]. ومنها ما اختص بتراجم النحاه مثل بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاه للسيوطي ٩١١هـ/ ١٥٠٥م[٥٩].

كما أن هناك نوعا من هذه الكتب تناول تراجم المتصوفة، ومنها كتاب التشوف إلى رجال التصوف لابن الزيات التادلي ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م[٦٠]. وكان لهذا الكتاب فائدة عظيمة في هذه الدراسة، وذلك لأن ابن الزيات كثيرا ما كان يذكر مهن من يترجم لهم وثرواتهم كما أنه أشار إلى بعض أسعار السلع في العصرين المرابطي والموحدي، هذا إلى جانب أنه المصدر الوحيد الذي تناول المتصوفة في القرن السادس الهجري. والروض العاطر الأنفاس في أخبار الصالحين من أهل فاس لأبي محمد بن عيشون الشراط المتوفى ١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م[٦١]. الذي أمدنا بمعلومات وفيرة عن المتصوفة في مدينة فاس، وطعامهم وملبسهم. وكذلك مخطوط المعزى في مناقب سيدي أبو يعزى لأحمد بن أبي القاسم بن محمد الهروى التادلي، المتوفى ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م.[٦٢] وأفدت من هذا المخطوط في الدور الذي قام به المتصوفة في الحياة السياسية بمدينة فاس في هذين العصرين.

كتب الأدب:

قدمت المصادر الأدبية معلومات جليلة تميط اللثام عن الحياة العلمية، لاسيما فيما يخص الأدب بمدينة فاس. وكان من أهم هذه الكتب المطرب من أشعار أهل المغرب لأبى الخطاب عمر بن حسين بن دحية ت٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م[٦٣].

وقيمة هذا الكتاب ترجع إلى أنه وثيقة أدبية لدارسى الأدب فى تلك الفترة كما أنه يعرج فى حديثه فى بعض الأحيان على بعض الأخبار التى تتعلق بالمغرب. وكتاب الغصون اليانعة فى شعراء المائة السابعة لابن سعيد المغربى المتوفى ٦٨٥هـ/ ١٢٥٩م[٦٤]. الذى أمدنى بمعلومات وفيره عن بعض شعراء فاس فى العصر الموحدى. وكذلك كتاب زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر لابن بحر بن صفوان بن إدريس التجيبى المتوفى عام ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م[٦٥]. وترجمت هذه الكتب لبعض شعراء مدينة فاس كما ترجمت لآخرين جعلوا من فاس وطنا لهم ودار مقام، وقدمت بعضا من فنون شعرهم.

كتب الجغرافية والرحلات:

تكشف الكتب الجغرافية المعاصرة لفترة الدراسة موضوع البحث عن أوجه النشاط الاجتماعى والاقتصادى بمدينة فاس، نظرا لما تتضمنه من معلومات عن الصناعات الزراعية والطرق التجارية وعناصر السكان وأعمالهم وحياتهم.

وكان من أهم الكتب الجغرافية التى رجعت إليها، كتاب المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب لأبى عبد الله البكرى المتوفى عام ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م[٦٦] فقد ذكر البكرى وصفا لمدينة فاس فى بداية العصر المرابطى، وبعض الطرق التى تربط تلك المدينة بالمدن المغربية الأخرى، كما أمدنى بمعلومات عن المكاييل والموازين التى كان يستخدمها أهالى فاس فى بيعهم وشرائهم، هذا إلى جانب أنه ذكر تاريخ المدينة منذ تأسيسها وأبوابها وبعض ملامحها الرئيسية وكان البكرى أول من انفرد بتعداد حمامات فاس فى العصر المرابطى، ومن ثم كانت إفادتى من هذا كبيرة.

كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار لمؤلف مجهول من كتاب القرن السادس الهجرى[٦٧]:

ويفهم مما جاء فى هذا الكتاب أن مؤلفه قد عاش فى عصر يعقوب المنصور، وتدل التفصيلات التى يمدنا بها عن فاس ومراكش ومكناسة عن معلوماته الغزيرة عن هذه المدن، فلا شك أنه عاش فيها، إن لم يكن أصله منها، فهو لا يكتفى بالوصف الدقيق للعواصم المغربية فى دولة الموحدين على عهده ولا بالأعمال الإنشائية التى

تمت على عهد يعقوب المنصور وسلفه، بل يقترح خططا عمرانية أخرى تهدف إلى نشر الرخاء فى هذه المناطق، ويحتوى على معلوماته دقيقة وأخبار عامة، فهو مصدر لمعلومات متنوعة خاصة ما يخص منها مدينة فاس(٦٨).

وفى الفصل الخاص بالحياة الاقتصادية بمدينة فاس أفدت كثيرا من كتاب الجغرافية المنسوب لأبى عبد الله محمد الزهرى المتوفى حدود عام ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م(٦٩). كما أمدنى كتاب الجغرافية لابن سعيد المغربى(٧٠) بمعلومات عن الحياة الاقتصادية بمدينة فاس فى العصر الموحدى.

وجاءت الفائدة جليلة من كتابات ابن فضل الله العمرى فى وصفه للمغرب أيام السلطان أبى الحسن المرينى وهو مقتبس من كتاب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار(٧١). فمن بين المواضع التى تناولها هذا الوصف مدينة فاس العتيقة (موضوع الدراسة) الذى أمدنى بمعلومات ندر أن نعثر على كثير منها لو لم يدونها ابن فضل الله العمرى فى مسالكه.(٧٢) ويزيد من أهمية هذه المعلومات أن ابن فضل الله العمرى استقى كثيرا منها من مصدرين مهمين علاوة على مشاهدته الشخصية. المصدر الأول مشافهة السلالجى أحد سكان فاس الذى كان معاصرا لما دونه ابن فضل الله العمرى، وبالرغم من ذلك لم يتساهل ابن فضل الله العمرى فى النقل عن المحدث بل نراه يقول: "اعتمدت فى ذلك على تحقيق معرفتى له فيما رأيته بالمشاهدة وفيما لم أره بالنقل ممن يعرف أحوال المملكة المنقول عن أخبارها، ومما أراه بعينى أو أسمعه بأذنى". والمصدر الثانى لابن فضل الله العمرى "كتاب المغرب فى حلى المغرب" لابن سعيد المغربى المتوفى ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م فإن كثيرا مما ذكره فى وصف فاس العتيقة منقول من الجزء الخاص بالمغرب وهو أحد أجزاء كتاب المغرب فى حلى المغرب، وتظهر أهمية هذه المقتطفات عظيمة جدا إذا علمنا أن الجزء الخاص بالمغرب مفقود إلى الآن(٧٣). لذا جاءت الفائدة عظيمة فى وصف الحياة الاقتصادية والاجتماعية بمدينة فاس.

كما استفدت أيضا من مصدرين مهمين عن وصف المدن وتاريخها، أحدهما مشرقى المؤلف، ألف فى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى، ونعنى به كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموى(٧٤). والآخر أندلسى ونعنى به كتاب "الروض المعطار فى خبر الأقطار" لابن عبد المنعم الحميرى المتوفى فى القرن الثامن الهجرى(٧٥). وفى التعريف بالمواقع التى وردت فى متن الرسالة.

ولكي أتمكن من رسم صورة واضحة لحضارة فاس في هذين العصرين اضطررت للرجوع إلى كتب الرحلات المتأخرة عن فترة الدراسة مثل كتاب "وصف أفريقيا" لجان ليون الأفريقي المتوفي ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م[٢٦] ولد ليون في غرناطة عام ٨٩٥هـ/ ١٤٧٩م، وقيل غير ذلك، وقام برحلات طويلة في أقطار الإسلام وغرب أفريقيا، وسجل مشاهداته في هذا الكتاب النفيس، وقد غادرت أسرة ليون غرناطة إلى فاس حيث اتصلت بحكامها، وهناك أتم الحسن الوزان "ليون" دراسته في مدارسها، وفي جامع القرويين بالذات إلى جانب توليه بعض الأعمال الحكومية بها، وقد أفاض ليون في وصف فاس التي سماها المدينة الكبرى، وجاء وصفه لها دقيقا للغاية ولعل السبب في هذه الإفاضة أن المؤلف عرف فاس أكثر من غيرها.[٢٧]

والواقع أن ليون الأفريقي بالإضافة إلى مشاهداته في فاس نراه يستقي بعضا من معلوماته ممن كتبوا قبله أمثال ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار، كما أنه بحكم توليه بعض الأعمال الإدارية في فاس تمكن من الإطلاع على بعض الكتب والتقاليد المهمة الخاصة بتاريخ فاس، لذا أمدنا ليون الأفريقي بمعلومات انفرد بها عن باقي المصادر الأخرى التي أطلعت عليها، حيث ذكر قيسارية وأسواق فاس في شئ من التفصيل، كذلك أنواع المتاجر والسلع في كل سوق، لذا جاءت الفائدة منه كبيرة في الفصل الخاص بالحياة الاقتصادية.

ولا يقل كتاب "أفريقيا" لمارمول كرفخال[٢٨]. أهمية وفائدة عن كتاب وصف أفريقيا. فهذا الكتاب يعد من المؤلفات المهمة التي كتبت في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي عن أفريقيا عامة، والمغرب الأقصى بصفة أخص، ويحتل هذا الكتاب الدرجة الثانية بعد وصف أفريقيا، حيث تعاصر هذان المؤلفان ولم يفصل بين كتابيهما سوى أربعين عاما[٢٩]. فكتاب أفريقيا يفيد الباحثين في جغرافية أفريقية وتاريخها، وينفرد مارمول بما سجله من مشاهدات وصف بها بعض المواقع التي لم يصفها غيره.

كتب الفقه:

كانت لكتب الفقه فائدة كبرى بالنسبة لهذا البحث فإنه لا يمكن أن نفسر أي ظاهرة من تاريخ المغرب الإسلامي بغير أن نضع نصب أعيننا الأوضاع الفقهية فيها. والحقيقة أن هناك طائفة من كتب الفقه المالكي المغربي تستحق عناية خاصة، تلك هي كتب الفتاوى التي جمع مؤلفوها ما أجاب به كبار الفقهاء على أسئلة وجهت إليهم في مشاكل معينة ولهذه الفتاوى قيمة عظيمة بغير شك لا من الناحية

الدينية فحسب، بل إنها تلقى ضوءا باهرا على كثير من دقائق الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وهناك نوعان من كتب الفقه كانا ذا فائدة كبيرة فى توضيح الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى مدينة فاس فى هذين العصرين، وهما مصنفات النوازل وكتب الحسبة.

أما النوازل فهى عبارة عن القضايا التى رفعت إلى رجال القضاء والفتوى للنظر فيها، وعادة ما تذكر القضية كما حدثت بأشخاصها، ووقائعها مع ذكر من رفعت إليه، وكثير من هذه النوازل كانت تتعلق بالقضايا الدينية والاقتصادية والاجتماعية، فأفدت منها فى الفصل الخاص بالحياة الاقتصادية كما أفدت منها فائدة جليلة فى فصل الحياة الاجتماعية.

ولعلنا لا نسرف إذا قلنا أن أضخم مجموعة حفظت لنا كثيرا من هذا التراث التشريعى العظيم هى التى صنفها أبو العباس أحمد بن يحيى التلمسانى الونشريسى ٨٣٤ - ٩١٤هـ/ ١٤٣٠ - ١٥٠٨م بعنوان "المعيار المغرب والجامع المعرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب"[٨٠] ولد الونشريسى بجبال ونشريس، ثم خرج إلى فاس، ولقى بها من حفاوة فقهائها وإقبال طلبتها عليه الشئ الكثير، فشارك فى كثير من فنون العلم. وبالرغم من أن هذا الكتاب يعد متأخرا عن فترة الدراسة، إلا أنه له أهمية خاصة لأن المفتون فى المعيار كما قال المؤلف فى المقدمة - هم من متقدمى الفقهاء ومتأخريهم - يعنى فقهاء المالكية فى المغرب الإسلامى من تلاميذ الإمام مالك إلى شيوخ الونشريسى، وهناك أهمية ثانية نعول عليها فى الاعتماد على هذا المصدر، وهى أن الونشريسى فى جملة من أخذ عنه بمدينة فاس محمد بن محمد الغرديسى التغلبى، صاحب المكتبة العظيمة التى حوت من نفائس كتب المغرب والأندلس الشئ الكثير، لاسيما كتب الفقه المالكى من أصول وفروع، وشروح وحواشى وتعاليق ونوازل وقواعد ووثائق، وقد شغل آل الغرديس بفاس أكثر من سبعة قرون إذ عمل علماؤهم مع أمراء مغراوة، كما عرف منهم آخرون مع المرابطين والموحدين والمرينيين، ففتح محمد الغرديس أبواب مكتبته فى وجه شيخه الونشريسى ليختار منها ما يشاء فكانت مؤلفات هذه المكتبة المصدر الأساسى للمعيار فيما يتعلق بنوازل المغرب الأقصى والأندلس، خاصة مدينة فاس.[٨١]

وللمعيار جانب آخر قلما يلتفت إليه وهو الجانب الاجتماعى والتاريخى فقد حوى كثير من إشارات عن أحوال المجتمع الإسلامى فى هذه المنطقة، من عادات

فـى الأفـراح وأنـواع الملبوسـات والأطعمـة، وحـالات معينـة فـى الحـرب والسـلم والعمران، الأمر الذى يجعل منه مصدرا للمؤرخ مثلما هو مصدر للفقه.

وذكر الونشريسى فى معياره نوازل كـل مدينـة مـن مـدن المغرب والأندلس فكان من الميسور الرجوع إلى ذلك، ولكن تكمن الصعوبة فى المعيار فـى عـدم ذكـر تاريخ وقوع هذه النوازل، لذا كـانت طريقتى فـى الاستفادة من هـذا المصـدر فيمـا يخص نوازل فاس فى العصرين المرابطى والموحـدى، أن أرجـع إلى ترجمة الفقيه الذى رفعت إليه القضية، فإن كان ممن عـاش فـى هذيـن العصريـن قيدتها، وإن كـان متقدما أو متـأخرا تركتها، وذلك للوصـول بقدر المستطاع إلى نقل الصـورة الحقيقة التى كانت فى هذين العصرين.

أما ثانى الكتب الفقهية أهمية فكان كتاب "المدخل" لابن الحـاج المتوفـى ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م[٨٢]، الذى يمكن أن نعده ضمـن كتـب الفقه التـى اختصـت بمعالجـة الحياة الاجتماعية وجزء كبير مـن هـذا الكتـاب يمكـن إدراجه ضمـن كتـب الحسبة. وتتجلى أهميتـه فـى مقارنـة ابـن الحـاج بيـن مـا كـانت عليـه الحيـاة الاجتماعيـة والاقتصادية فى المغرب الإسلامى ومصر آنذاك، نـاقلا فـى بعض سـطور كتابه فتـاوى بعض فقهاء فـاس حـول بعض المظـاهر الاجتماعيـة التى بدأت تظـهر فـى الشـارع الفاسي فى ذلك الوقـت، ومـن هنـا كـانت الفـائدة مـن هـذا الكتـاب لتوضيحـه بعـض المظاهر الاجتماعية بفاس.

أما كتب الحسـبة فـأهم مـا وصـل إلينـا منها ثـلاث رسـائل ترجـع إلى النصـف الأول من القرن السـادس الهجرى، وهى رسالة ابن عبدون، وابن عبد الرؤوف، وابـن عثمان الجرسيفى[٨٣]. ولكـن كتـب الحسـبة هـذه تختـص بـالأندلس دون المغـرب، ويغلـب عليـها الجـانب النظـرى فيمـا يجـب أن تكـون عليـه الحيـاتين الاقتصاديـة والاجتماعية، وينقصها بذلك الجانب التطبيقى.

الدراسات الحديثة:

لا يمكـن أن نغفـل أهميـة الدراسـات الحديثـة التـى أمدتنـى بالكثـير مـن المعلومـات عـن مدينـة فـاس فـى هذيـن العصري، ومـن هـذه الكتـب الاستقصاء فـى أخبار المغرب الأقصى للناصرى السلاوى[٨٤]. وهو كتاب عام فى تاريخ المغـرب، ومـن هذه الكتب ما اقتصر علـى تـاريخ مدينـة فـاس مثل كتـاب الأزهـار العـاطرة الأنفـاس بذكر خطب المغرب وتاريخ مدينة فاس لمحمد بن جعفر الكتـانى[٨٥] وكتـاب بيوتـات فاس فى القديم والحديث لعبد السلام بـن سـوده.[٨٦] حيث اعتمـد ابـن سـوده علـى

مجموعة من التقاليد الخاصة بأسر من يترجم لهم، ويحتفظ هذا الكتاب بفائدة لصعوبة الرجوع إلى بعض مصادره.

كما أفدت من الدراسات التى تناولت تاريخ مدينة فاس فى مرحلة التأسيس مثل الدراسة التى قام بها الأستاذ ليفى بروفنسال عن تأسيس مدينة فاس.(٨٧) وما كتبه الدكتور سعد زغلول عبد الحميد عن مدينة فاس فى عصر الأدارسة فى كتابه تاريخ المغرب العربى(٨٨). وأيضا ما كتبه الدكتور السيد عبد العزيز سالم عن مدينة فاس فى كتابه تاريخ المغرب العربى فى العصر الإسلامى(٨٩) وأيضا الدراسة التى قام بها إسماعيل العربى عن دولة الأدارسة(٩٠).

وأفدت أيضا من الدراسات التى اهتمت بالتاريخ السياسى فى العصرين المرابطى والموحدى، ومن هذه الدراسات ما كتبه الدكتور عبد الهادى شعيره عن "المرابطين وتاريخهم السياسى"(٩١).

ومن هذه الدراسات ما أشار إلى جانب التاريخ السياسى وإلى بعض مظاهر الحضارة مثل ما كتبه الدكتور حسن أحمد محمود عن قيام دولة المرابطين(٩٢).

ومن الدراسات ما اختص بدراسة نوع معين من النشاط، مثل ما كتبه عز الدين موسى، عن النشاط الاقتصادى بالمغرب الإسلامى فى القرن السادس.(٩٣) وما كتبه عبد العزيز العلوى عن صناعة النسيج فى المغرب فى العصر الوسيط.(٩٤) وما كتبه أيضا عبد القادر زمامة عن صناعة فاس التقليدية.(٩٥)

وأيضا من الدراسات الحديثة، ما اختص بدراسة الحضارة بالمغرب الإسلامى والأندلس بصفة عامة فى عصرى المرابطين والموحدين، مثل ما كتبه الدكتور حسن على حسن(٩٦). ومحمد المنونى عن العلوم والآداب والفنون فى عهد الموحدين.(٩٧) وهما فى الحقيقة من أكثر الكتب التى استفدت منها وإن كانت المعلومات التى أوردها محمد المنونى تفتقر إلى التحليل والدراسة.

ومن هذه الدراسات أيضا ما اختص بفئة معينة مثل كتاب الطب والأطباء بالمغرب لعبد العزيز بن عبد الله(٩٨). وكتاب الأدب المغربى لمحمد بن تاويت ومحمد الصادق(٩٩).

إن هذه المصادر والدراسات الحديثة وغيرها مما سوف نورده فى نهاية البحث قد يسرت إبراز هذه الصورة السياسية والحضارية لمدينة فاس فى عصرى المرابطين والموحدين، ولئن تحكمت المادة المتيسرة فى عدم وضوح الصورة حينا أو غياب بعض الجزئيات أحيانا أخرى.

الهوامش

١- عبد السلام بن سوده: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٦٥، جـ٢ ص٢٧٢، عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٣ ص١٣.

٢- ابن الآبار القضاعى: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق كوديرا، مدريد، ١٨٨٨، ١٨٨٩، جـ٢ ص٧٢٣، ابن الزبير: صلة الصلة، تحقيق ليفى بروفنسال، الرباط، المطبعة الاقتصادية، ١٩٣٧، ص١٨٢، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص١٣.

٣- عبد السلام بن سوده: المرجع السابق، جـ١ ص١٣٥ - ١٣٦، عز الدين موسى، نفس المرجع والصفحة.

٤- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٢، ص٢٠٨.

٥- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢٧٠، على الجزنائى: جنى زهرة الآس فى بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بين بن منصور، الرباط ١٩٦٧، ص٧ - ٨.

٦- ابن سعيد المغربى: المغرب فى حلى المغرب، تحقيق دكتور شوقى ضيف، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ، جـ٢ ص٣٥ وانظر عنه كذلك الحاشية بنفس الصفحة، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص١٣.

٧- عبد السلام بن سوده: المرجع السابق، جـ١ ص١٦٧، عز الدين موسى نفس المرجع والصفحة.

٨- محمد المنونى: العلوم والفنون والآداب، تطوان، المطبعة المهدية، ١٩٥٠، ص٨٩.

٩- ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الإعلام مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٣م، جـ١ ص١١٨، ٢٦٣، جـ٢ ص٤٧١.

١٠- ليفى بروفنسال: مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة الموحدية، الرباط، معهد العلوم العليا المغربية، ١٩٤١،

_evi Provencal: Unrecuell De Lettres Officielles Almohdes etude Eiplomatique et Historique, Hesperis, Anne 1931 p. 1 – 70.

11- حسين مؤنس: عقد بيعة بولاية العهد لأبى عبد الله الخليفة الناصر الموحدى، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٠، المجلد الأول، العدد الثانى ١٤٧ - ١٧٣.

١٢- حسين مؤنس: الثغر الأعلى الأندلس فى عهد المرابطين، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، العدد الحادى عشر، العدد الثانى، ص٩١ - ١٤٤، وسبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٥٤، المجلد الثانى العدد ١ - ٢، ص٥٥ - ٨٤، ونصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين، مجلة المعهد المصرى، مدريد، ١٩٥٥، المجلد الأول، العدد الأول ص١٧.

١٣- محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة من عهد المرابطين، صحيفة الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٥٩ - ١٩٦٠، المجلد السابع والثامن، ص١٠٩ - ١٩٨.

١٤- عبد القادر زمامة: اكتشاف نص جديد يتعلق بتاريخ الموحدين، مجلة كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، العدد الرابع والخامس، ١٩٨٠ - ١٩٨١.

١٥- ليفى بروفنسال: مجموع رسائل موحدية، ص٣٨ - ٤٧.

١٦- انظر ليفى بروفنسال: مجموعة رسائل موحدية، الرسالة الحادية والعشرون ص١١٣ - ١٢١، الرسالة الخامسة والثلاثون ص٢٢٨ - ٢٤١.

١٧- البيذق: أخبار المهدى بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧١.

١٨- البيذق: المصدر السابق، مقدمة المحقق.

١٩- ابن صاحب الصلاة: (محمد بن أحمد بن إبراهيم الباجى) تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين، السفر الثانى، تحقيق عبد الهادى التازى، بيروت، دار الأندلس، ١٩٦٤.

٢٠- انظر مقدمة كتاب المن، ص٤٣، ٤٦.

٢١- ابن القطان: نظم الجمان فى ترتيب ما سلف من أخبار الزمان تحقيق محمود على مكى، تطوان، المطبعة المهدية، بدون تاريخ.

٢٢- تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٦٣.

٢٣- يقع هذا الكتاب فى خمسة أجزاء اعتمدنا فيها على الأربعة الأجزاء الأولى التى حققها الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، الطبعة الثانية ١٩٨٠،

والتى تخص تاريخ المغرب حتى العصر المرابطى، أما الجزء الخامس فهو خاص بتاريخ الموحدين حققه محمد بن تاويت، ومحمد إبراهيم الكتانى، ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الثقافة للنشر، ١٩٨٥، بيروت، دار الغرب الإسلامى، ١٩٨٥م.

٢٤- طبع هذا الكتاب بمدينة بالرم، مطاع برنارد وبرزى، بدون تاريخ.

٢٥- الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٢.

٢٦- الأنيس المطرب، ص٨.

٢٧- تحقيق عبد الوهاب بن منصور، فاس، ١٩٦٧.

٢٨- انظر عبد الوهاب بن منصور فى تقديمه لجنى زهرة الآس ص: ب، ج.

٢٩- نفسه، ص: و، ز.

٣٠- ينسب هذا الكتاب إلى عدد من رجال القرن الثامن الهجرى، انظر دليل مؤرخ المغرب الأقصى، جـ١ ص٥٥. وقام بتحقيق هذا الكتاب د/ سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، دار الرشاد، ١٩٧٩.

٣١- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، بدون تاريخ، ص٢٤.

٣٢- طبعة بولاق، ١٨٨٢م.

٣٣- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص٢٠ - ٢١.

٣٤- تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٨.

٣٥- جزءان اعتنى بنشرهما عزت العطار الحسينى، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٥٥.

٣٦- مجريط، مطبعة روخس، ١٩٨٤.

٣٧- أخبار وتراجم أندلسية، مستخرجة من معجم السلفى، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٣.

٣٨- نشره برجشترايز، مصر، مطبعة السعادة، ١٩٢٣.

٣٩- ابن الآبار القضاعى: التكملة لكتاب الصلة، ثلاثة أجزاء نشرها عزت العطار، القاهرة، مطبعة الخانجى، ١٩٥٦، والمعجم فى أصحاب القاضى ابن على الصدفى، مجريط، مطبعة روخس، ١٨٨٥.

٤٠- بيروت، دار الثقافة، بدون تاريخ، السفر الأول، تحقيق محمد بن شريفه، السفر الرابع والخامس، تحقيق إحسان عباس.

٤١- الجزء السابع، صححه ليفي بروفنسال، الرباط، مطبوعات معهد العلوم المغربية، المطبعة الجديدة، ١٩٣٧.
٤٢- ٢٣ جزءا تحقيق شعيب الارنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤.
٤٣- حققه ليفي بروفنسال، رباط الفتح، المطبعة الجديدة، ١٩٣٤.
٤٤- مجهول: نبذ تاريخه في أخبار البربر في القرون الوسطى، منتخبة من كتاب مفاخر البربر، حققه ليفي بروفنسال، رباط الفتح، المطبعة الجديدة، ١٩٣٤.
٤٥- أبو العباس أحمد الغبريني: عنوان الدراسة فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة، ببجاية، بيروت، منشورات لجنة التأليف، ١٩٦٩.
٤٦- تحقيق عبد الله عنان، ٤ أجزاء، القاهرة، مطبعة الخانجي، الجزء الأول، ١٩٧٣، الجزء الثاني ١٩٧٤، الجزء الثالث، ١٩٧٥، الجزء الرابع ١٩٧٧.
٤٧- الرباط، دار المنصور، ١٩٧٢.
٤٨- جزءان، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٣.
٤٩- عبد القادر زمامة: أبو العباس ابن القاضي مؤرخ فاس، مجلة البحث العلمي السنة السادسة، العدد ١٤ - ١٥، عام ١٩٦٩.
٥٠- الجزائر، مطبعة الثعالبة، ١٩٠٨.
٥١- فاس، المطبعة الجديدة، ١٩٣٦.
٥٢- الرباط، المطبعة الوطنية، ١٩٢٩.
٥٣- طبعة حجرية، فاس، ١٣١٠هـ.
٥٤- حققه ليفي بروفنسال، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٩٤٨م.
٥٥- حققه عبد الحفيظ منصور، تونس الدار العربية للكتاب، ١٩٨١م.
٥٦- حققه إبراهيم شبوح، دمشق، مطبوعات مديرية إحياء التراث، ١٩٦٢.
٥٧- نشره برجشتراير، مصر، مطبعة السعادة، ١٩٢٣م.
٥٨- حقق الأجزاء الثلاثة الأولى منه مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف، ١٩٣٩م.
٥٩- حققه محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث، ١٩٧٢.
٦٠- حققه أودلف فور، الرباط، ١٩٥٨م.
٦١- مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٨٥٢، تاريخ تيمور، ميكروفيلم رقم ١٣٣٦٦.
٦٢- مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١٢٤٩، تاريخ تيمور، ميكروفيلم رقم ٢٧٧٠٣.

٦٣- تحقيق إبراهيم الابيارى وآخرون، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥٤.
٦٤- تحقيق إبراهيم الابيارى، مصر، دار المعارف، بدون تاريخ.
٦٥- تعليق عبد القادر محداد، بيروت، دار الرائد العربى، ١٩٧٠.
٦٦- تشرع دى سلان، الجزائر، ١٩١١، وذكر عز الدين موسى أن القسم الأندلسى من هذا الكتاب مفقود، انظر النشاط الاقتصادى، ص٢٥، ولكن هذا القسم ليس مفقود كما ادعى عز الدين موسى، فقد حققه د. عبد الرحمن على الحجى تحت عنوان: جغرافية الأندلس وأوروبا، بيروت دار الرشاد للطباعة، ١٩٦٨.
٦٧- نشره دكتور سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨.
٦٨- انظر مقدمة الكتاب.
٦٩- حققه محمد الحاج صادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ.
٧٠- حققه اسماعيل العربى، بيروت، منشورات المكتب التجارى، ١٩٧٠.
٧١- مقتبس من الباب العاشر من كتاب مسالك الأبصار، نشرها محمد المنونى لأول مرة فى مجلة البحث العلمى، الرباط، جامعة محمد الخامس، العدد الأول، السنة الأولى ١٩٦٤.
٧٢- نقل القلقشندى من هذه المعلومات فى الجزء الخامس عن كتابه، صبح الأعشى فى صناعة الانشا.
٧٣- محمد المنونى، وصف المغرب أيام السلطان أبى الحسن المرينى ص١٣١، ١٣٢.
٧٤- بيروت، دار صادر.
٧٥- تحقيق د. إحسان عباس، بيروت مطابع هيدليرخ، الطبعة الثانية، ١٩٨٤.
٧٦- الحسن الوزان "ليون الأفريقى" وصف أفريقيا، ترجمة الدكتور عبد الرحمن حميدة، الرياض، ١٩٧٨، ١٩٧٩.
٧٧- سامى الصفار: كتاب وصف أفريقيا، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض المجلد الثامن، ١٩٨١، ص٤٤١ - ٤٤٢.
٧٨- ترجمة عن الفرنسية، محمد حجى، ومحمد زنيبر وآخرون، الرباط، اللجنة الحديثة للتأليف والنشر، مكتبة المعارف، ١٩٨٤م.
٧٩- انظر مقدمة الكتاب، ص٣.

٨٠- أخرجه جماعة من العلماء بأشراف الدكتور/ محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١.
٨١-الونشريس: المعيار، انظر مقدمة الناشر.
٨٢- محمد بن محمد العبدري الفاسي: المدخل: القاهرة، دار الحديث ١٩٨١.
٨٣- نشرها الأستاذ ليفي بروفنسال بعنوان ثلاث رسائل أندلسية في أدب الحسبة والمحتسب، القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٥٥.
٨٤- طبعة القاهرة، ١٩٥٠أ.
٨٥- فاس، المطبعة الحجرية، ١٣١٤هـ.
٨٦- مجلة البحث العلمي، السنة السادسة، عدد ١٤ - ١٥، عام ١٩٦٩، وعدد ٢٢ - ٢٣، السنة الحادية عشر، عام ١٩٧٤.
٨٧- ليفي بروفنسال: الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة الدكتور الأستاذ عبد العزيز سالم، والأستاذ محمد صلاح الدين القاهرة، مطبعة نهضة مصر، بدون تاريخ.
٨٨- الجزء الثاني، الإسكندرية، منشأة المعارف، بدون تاريخ.
٨٩- الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، بدون تاريخ.
٩٠- بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣.
٩١- القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة.
٩٢- القاهرة، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.
٩٣- القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٣.
٩٤- مقال بمجلة كلية الآداب بفاس، جامعة محمد بن عبد الله، العدد ٢ سنة ١٩٨٥ - ١٩٨٦.
٩٥- مقال بمجلة كلية الآداب بفاس، جامعة محمد بن عبد الله، العدد الرابع والخامس، ١٩٨٠ - ١٩٨١.
٩٦- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية بالمغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين، القاهرة، مكتبة الخانجي ١٩٨٠.
٩٧- بدون تاريخ ومكان.
٩٨- الرباط، ١٩٦٠.
٩٩- بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٠.

الفصل الأول

مدينة فاس منذ التأسيس حتى دخولها في طاعة المرابطين

(١٩٢هـ ٤٥٥م/ ٨٠٨هـ ١٠٦٣م)

بعد الهزيمة التى منى بها العلويون فى موقعة فخ[1]، تمكن الإمام إدريس ابن عبد الله من الفرار إلى بلاد المغرب التى وصلها فى شهر ربيع الأول سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م، حيث نزل مدينة أوليلى[2]. فاجتمعت إليه قبائل البربر وبايعوه على القيام بأمرهم[3]. واستطاع الإمام إدريس بن عبد الله أن يقيم إمارة بالمغرب الأقصى[4]. ولكنه سرعان ما توفى بمدينة أوليلى عام ١٧٥هـ/ ٧٩١م. تاركًا زوجته البربرية حاملاً، فوضعت له بعد شهرين من وفاته طفلاً سمى بإدريس على اسم أبيه[5] "فكفله المولى راشد وبذل له الجهد فى تأديبه وتدريبه وتعليمه، إلى أن بلغ إحدى عشر سنة، فأخذ له البيعة من قبائل البربر، حيث بويع له بجامع مدينة أوليلى فى يوم الجمعة غرة شهر ربيع الأول عام ١٨٦هـ/ ٨٠٢م"[6]. وأسرع الناس نحو الإمام إدريس بن إدريس من كل مكان، ووفدوا عليه من سائر البلدان، وكان ممن وفد عليه نحو الخمسمائة من أفريقية والأندلس من القيسية والأزد، وبنى يحصب وغيرهم، فسر الإمام إدريس بن إدريس بوفادتهم، وأجزل صلاتهم وقربهم، وجعلهم بطانته دون البربر، واستوزر منهم عمير بن مصعب الأزدى الملقب بالملجوم[7]. "ولما رأى الإمام إدريس بن إدريس أن الأمر قد استقر له، وعظم ملكه وكثرت حاشيته، وضاقت بهم مدينة أوليلى، عزم على الانتقال منها، وأراد أن يبنى مدينة لنفسه يسكنها. هو وخاصته وجنوده ووجوه أهل دولته"[8].

وهذا يوضح لنا أن الإمام إدريس بن إدريس وضع الاعتبار السياسى الذى يفرض عليه الخروج من محيط مدينة أوليلى الضيق، التى لم تتسع لهؤلاء العرب وغيرهم ممن يقصدون العاصمة .. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن تشيد العواصم وتعميرها .. كان دائمًا من تقاليد الأسر الحاكمة فى الإسلام[9].

أولاً: تأسيس فاس[10] على يد الإمام إدريس بن إدريس:

فى عام ١٩٠هـ/ ٨٠٥ - ٨٠٦م "ركب الإمام إدريس بن إدريس مع خاصة من قومه إلى أن بلغ جبل زالغ[11]، فعزم على أن يبنى به مدينة، فظهر له أن الهوام تسكن به زمن الفيض، فانتقل لوادى سبو[12]، وعزم أيضًا أن يبنى به مدينة فظهر له أن المدود تصل إليها زمن المطر"[13]. وبذلك ظل تحديد موقع تلك المدينة مثار جدل وصعوبة[14].

وفى شهر المحرم من عام ١٩١هـ/ نوفمبر ٨٠٦م "خرج الإمام إدريس يختار لنفسه موضعًا يبنى فيه ما قدم عزم عليه، فوصل إلى وادى سبو حيث حمة خولان[15]. فأعجبه الموضع لقربه من الماء، فعزم على أن يبنى به المدينة، وشرع فى حفر الأساس، وعمل الجير وقطع الخشب، وابتدأ البناء، ثم نظر لوادى سبو، وكثرة ما يأتى به من المدود العظيمة زمن الشتاء، فخاف على الناس الهلكة، فرفع يده عنها، ورجع إلى مدينة أوليلى"[16].

وكانت المحاولة الثالثة عندما طلب الإمام إدريس الثانى من وزيره عمير بن مصعب الأزدى أن يتخير موضعًا لمدينته الجديدة، فسار عمير فى جماعة من قومه لينظر ما طلب، فأخترق النواحى، حتى وصل إلى العيون التى يخرج منها نهر فاس، فرأى عيونًا كثيرة .. فأستطاب الماء، ثم سار مع مسيل الوادى، حتى وصل إلى موضع مدينة فاس، فنظر إلى ما بين العدوتين، فرأى غضة ملتفه بالأشجار مطردة العيون والأنهار فى موضع خيام يسكنها قوم من زناتة، فرجع عمير إلى الإمام إدريس، وأعلمه بما رآه من الأرض، وما استحسنه من كثرة الماء وطيب التربة، ورطوبة واعتدال الهواء فعجب الإمام إدريس ما رأى من ذلك.. فسأل عن أصحاب الأرض، فقيل له قوم من زواغة يعرفون ببنى برغش وبنى الخير، فبعث إليهم، واشترى منهم موضع المدينة .. وذلك فى سنة ١٩١هـ/ ٨٠٦ - ٨٠٧م، وشرع الإمام فى البناء[١٧]. وهكذا تم الاتفاق بين الإمام إدريس الثانى ووزيره على اختيار الموضع المناسب لإقامة المدينة بصفة نهائية[١٨].

ثانيا: تخطيط المدينة:

لم يكن العرب يقيمون المدن اعتباطا، إنما يمارسون ذلك بعد أن يرسموا خطتها التى على أساسها تنشأ، ويمكن أن نعد مدينة فاس نموذجا جيدا لتخطيط المدن الإسلامية التى أنشأها العرب فى الأقطار المختلفة، فهى تجمع بين الأغراض المدنية، حيث الوحدات العمرانية المختلفة التى تؤدى الوظائف العديدة للسكان إلى جانب التحصينات العسكرية، وتمدنا المصادر المهتمة بتاريخ فاس بتفصيلات مطولة عن تلك التحصينات، وعن الأعمال المدنية التى شيدت بها تأسيسها.

كان المسجد أول ما يختط من تكوينات معمارية، وهو من وجهة نظر فقهية من المميزات الحضرية للمدينة الإسلامية[١٩]. حيث يقام فى أكثر أجزاء المدينة سهولة فى الوصول، مما يشكل وظيفيا وعمرانيا نواة المدينة. "فما أن أسس الإمام إدريس الثانى عدوة الأندلس حتى بنى بها جامعا برحبة البئر وهو المعروف بجامع الأشياخ، وأقام فيه الخطبة، وبعد أن أسس عدوى القرويين، أخذ فى بناء جامعها، وهو المسجد المعروف بجامع الشرفاء، وأقام فيه الخطبة أيضا"[٢٠]، ثم ضرب الإمام أخبيته وقبابه[٢١] بالموضع المعروف بجرواوة[٢٢]. من عدوة الأندلس وأدار عليه حائطا من الخشب، وعندما انتقل من عدوة الأندلس إلى عدوة القرويين، اختط داره بالموضع المعروف بالمقرمده، وأخذ فى بناء داره المعروفة بدار القيطون[٢٣].

ومن أجل الإسراع بإنجاز مهمة بناء المدينة فقد أشرك الإمام إدريس المواطنين فى مهمة البناء، وحثهم على ذلك قائلا: "من ابتنى موضعا وغرسه فهو له هبة، فأبتنى الناس الديار، واغترسوا الثمار فكثرت العمارة"[٢٤].

ولا يمكن أن تقام تلك الوحدات العمرانية بدون استعمال مواد البناء المتعددة وقد ساعد على سرعة عمران المدينة كثرة الأشجار التى وفرت للناس كل ما يلزمهم من الخشب للبناء[٢٥] "حيث كان الرجل يختط مكان داره وبستانه ويقطع منه الخشب ويبنى به دون أن يحتاج إلى خشب غيره"[٢٦].

ثم قام الإمام إدريس الثانى بتقسيم الأراضى المحيطة بالمدينة مما يلى الأسوار مباشرة على قبائل العرب والبربر[٢٧]. فأنزل القبائل كل بناحية فنزلت العرب القيسية بإزاء الأسوار الجنوبية من عدوة القرويين من باب أفريقية إلى باب الحديد، ونزلت الأزد بجوارهم، ونزل الحصيبيون على الجهة المقابلة للقيسية أى بإزاء الأسوار الشمالية[٢٨]. ويجعل ابن أبى زرع هؤلاء العرب ثلاثمائة بيت من أهل القيروان، كانوا أول من نزل بالعدوة مع الإمام إدريس بن إدريس، فسميت بهم، ونسبت إليهم[٢٩]، أما قبائل البربر من صنهاجه ولواته وأشيخان فلم تحدد المصادر مواضعها، واكتفت بالقول أن كل قبيلة نزلت بناحيتها[٣٠]. ومن ذلك نرى أن فاسًا العربية كانت تقع فى عدوة القرويين حيث أنزل الإمام العرب معه[٣١].

وإلى جانب المسلمين من العرب والبربر، حوت المدينة أيضًا أعدادًا من اليهود[٣٢]. حيث أنزل الإمام إدريس الثانى بعدوة القرويين بناحية أغلان إلى باب حصن سعدون خلق كثير من اليهود وغيرهم، فبنوا البساتين والحوانيت والرباع ورتبهم الإمام أحسن ترتيب فى الإسكان[٣٣].

أما عدوة الأندلس فأنزل الإمام إدريس بها جميع أجناده وقواده وجعل خيله وغنمه وأبله بأيدى ثقاته بها، ولم ينزل معه بعدوه القرويين غير موالية وحشمه وسائر رعيته من التجار والسوقة[٣٤]. وهكذا جعل إدريس الثانى عدوة الأندلس سكنًا لجندة البربر، ومناخًا للدواب وخيول الفرسان، أما حاشيته وخاصته من العرب فأستقرت معه بالقرويين.[٣٥]

ثم خصص الأراضى المجاورة للمسجد لتكون أسواقًا حسب تخصصها حيث بنى القيسارية[٣٦]. وهى سوق المدينة المركزى، كما أقيمت الأسواق والحوانيت حول الجامع من كل جانب[٣٧]. ورتب الإمام إدريس الأسواق أحسن ترتيب، وجعل كل سوق يختص بنوع لا يباع فيه سواه[٣٨].

وبعد أن أسس الإمام إدريس الثانى عدوة الأندلس فى غرة ربيع الأول عام ١٩٢هـ ٤ يناير ٨٠٨م أدار السور عليها مبتدئًا من جهة القبلة، وعندما أسس عدوة القرويين أدار عليهما السور وابتدأه من رأس عين علون[٣٩]. وتميزت أسوار مدينة فاس بالمناعة والإرتفاع[٤٠] حيث كانت تمثل حزامًا دفاعيًا حول المدينة[٤١].

وفتحت فى هذه الأسوار بعض الأبواب، ففى عدوة الأندلس، تذكر المصادر ستة أبواب لهذه العدوة زمن التأسيس هى: باب القبلة، باب الفوارة، باب

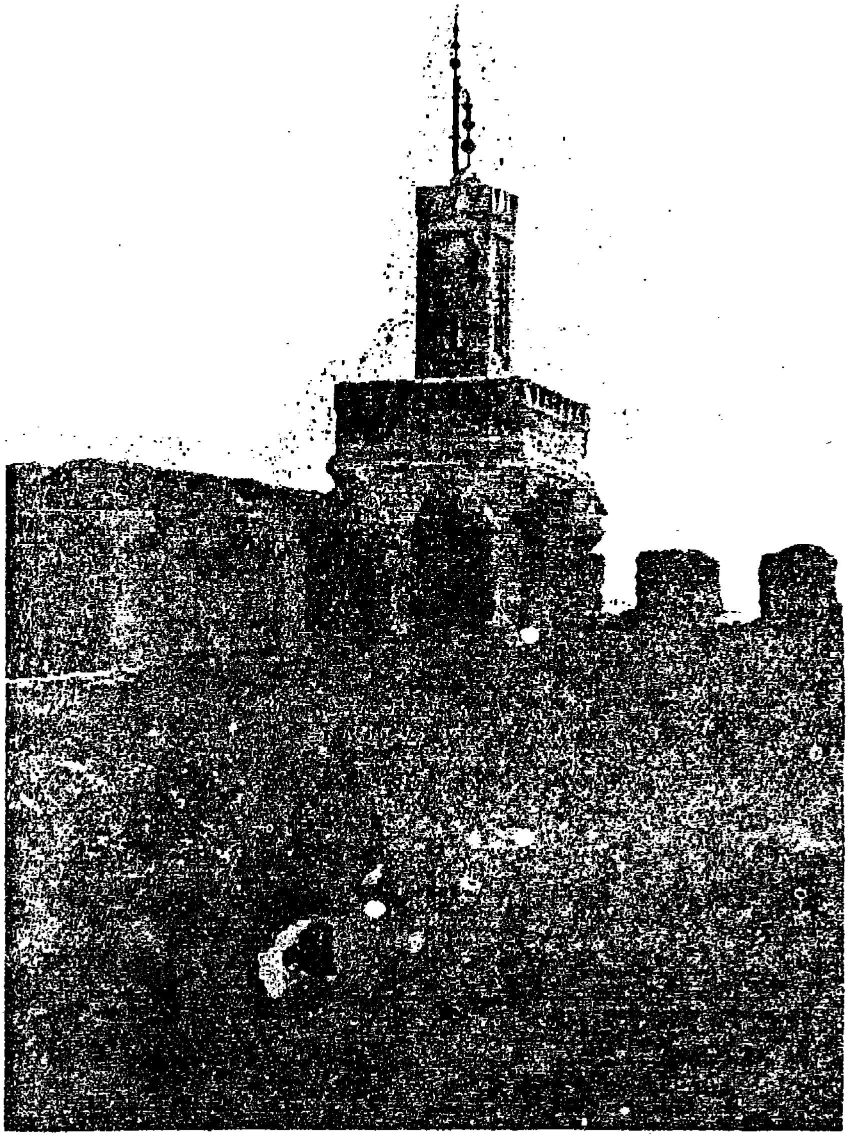

مثال من أسوار فاس وصوامعها العتيقة

نقلا عن الجزنائي : جنى زهرة الاس

المخيفة، باب الشيبوبة، باب أبى سفيان، باب الكنيسة[٤٢]. كذلك فتحت فى أسوار عدوة القرويين ستة أبواب هى: باب أفريقية، باب الفرس، باب الفيصل، باب الفرج، باب الحديد، وباب القلعة[٤٣]. ويذكر كل من ابن أبى زرع وابن القاضى المكناسى. ابواب عدوة القرويين فى شئ من الاختلاف اليسير، حيث اتفقا على أن أبواب المدينة هى: باب أفريقية، باب حصن سعدون، باب الفرس، باب الفيصل، باب الفرج، وباب القلعة.[٤٤]

وكان الهدف من فتح الأبواب بسور المدينة تنظيم الاتصال مع مختلف الجهات الخارجة عن نطاق السور[٤٥]. مثال ذلك أن باب الفيصل بعدوة القرويين وباب الشيبوبة بعدوة الأندلس كانا ينظمان حركة الاتصال بين العدوتين، أما باب الفوارة بعدوة الأندلس فكان ينظم عملية الاتصال بمدينة سجلماسة[٤٥]، كما ينظم باب أبى سفيان بنفس العدوة حركة الاتصال مع بلاد غمارة

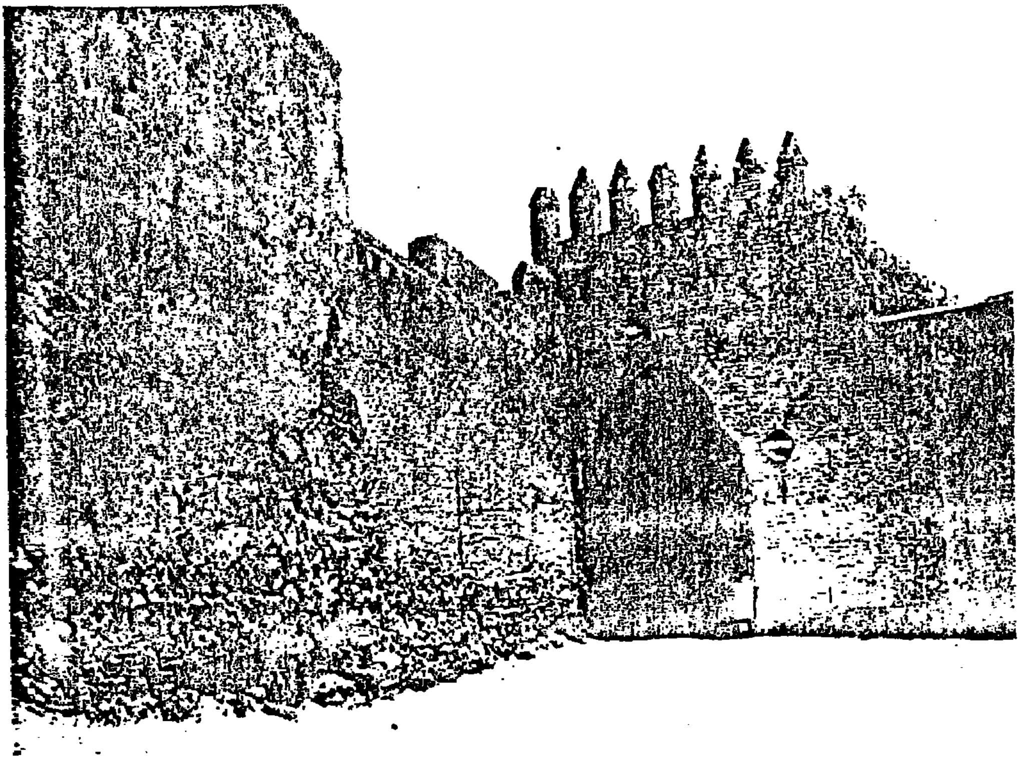

بـاب الحديد

نقلاً عن الجزنائي : جنى زهرة الآس

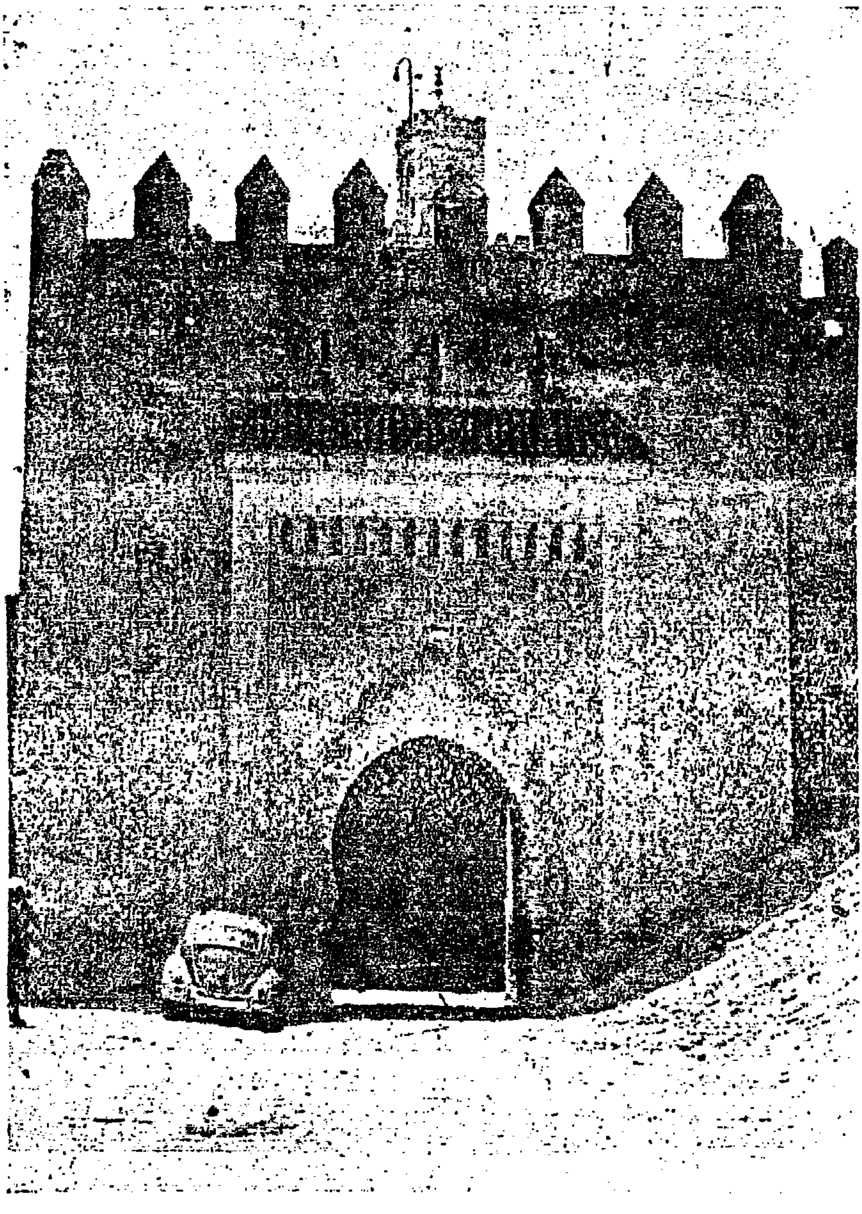

باب عجيسة (الكيسة) الشهير

نقلا عن الجزنائي : جنى زهـرة الاس

والريف[٤٦] في حين كان باب الكنيسة يؤدى إلى مدينة تلمسان[٤٧].

مما سبق يتضح أن مدينة فاس كانت عبارة عن مدينتين مستقلتين تم تأسيسهما على يد الإمام إدريس الثانى فى فترة استغرقت ما يقرب من عام كامل، ففى يوم الخميس غرة شهر ربيع الأول عام ١٩٢هـ/ ٤ يناير ٨٠٨م أسس عدوة الأندلس، وبعدها بسنه أسس عدوة القرويين فى غرة ربيع الآخر عام ١٩٣هـ/ ٨٠٩م[٤٨].

لكن هذه الروايات السابقة التى تعزو تأسيس فاس على يد إدريس الثانى، كانت محلاً لدراسة قام بها المستشرق الفرنسى المعروف الأستاذ "ليفى بروفنسال" ونشر نتيجة أبحاثه فى كتيب عرض فيه نظرية مؤداها أن إدريس الأول، وليس إدريس الثانى هو الذى أسس مدينة فاس، وأن بناء المدينة حدث فى سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٩م فى الموضع الذى تقوم عليه عدوة الأندلس، وأن إدريس بن إدريس أسس عدوة القرويين فى سنة ١٩٢هـ/ ٨٠٨م فى غرب مدينة أبيه على الضفة اليسرى من وادى فاس[٤٩]. واستند الأستاذ ليفى بروفنسال فى ذلك إلى بعض الروايات الجانبية التى وردت فى المصادر التى لا تعالج تاريخ مدينة فاس، أو تاريخ المغرب نفسه[٥٠]. ويذكر ليفى بروفنسال إنه من المحقق وقوع لبس بين إنشاء مدينة فاس وإنشاء مدينة "العالية" وأن هذا اللبس قد ظهر منذ أن أطلق اسم فاس على المدينتين معًا، ومما زاد هذا اللبس تشابه اسم المؤسسين، ويعتقد أن أساس هذا اللبس التاريخى يرجع إلى خطأ يسير فى القراءة بين رقمى سبعين وتسعين، وهو خطأ أدى إلى تحريف سنة ١٧٢هـ إلى سنة ١٩٢هـ[٥١].

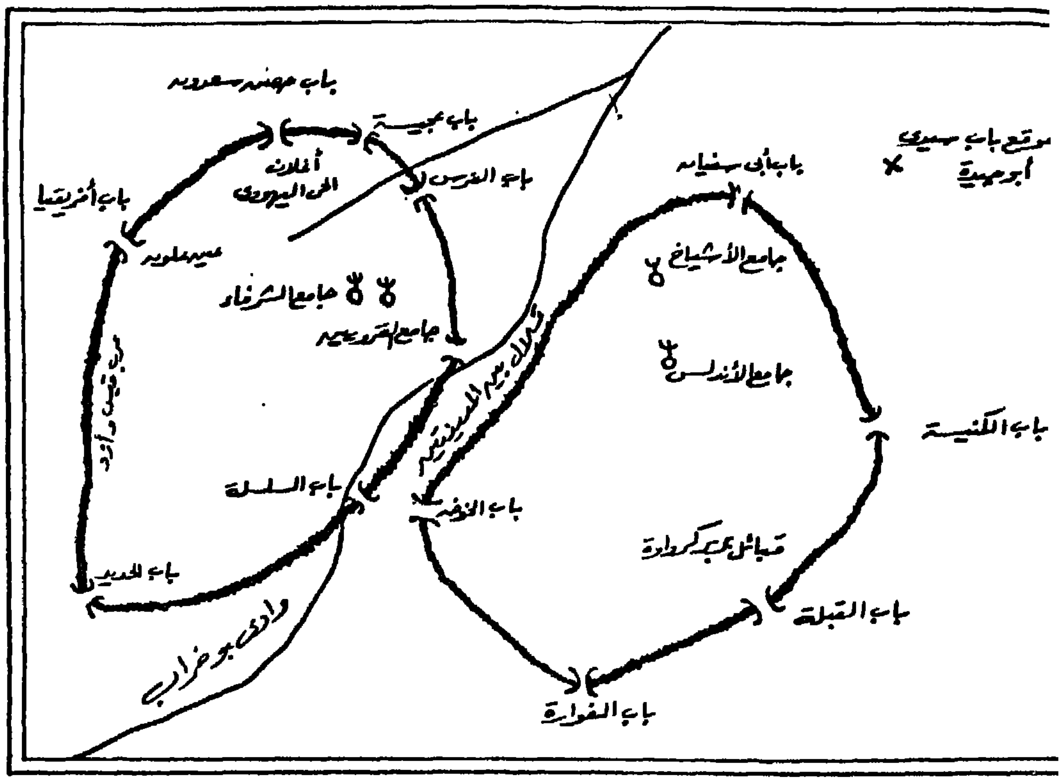

المدينتان الأصليتان حسب هـ. كابار

نقلاً عن روجيه لوطورنو : فاس قبل الحماية جا ص٧

والذى دفع بروفنسال إلى تبنى هذا الرأى هو وجود عملة مضروبة فى فاس ترجع إلى سنتى ١٨٥هـ وسنة ١٨٩هـ، أى قبل سنة ١٩٢هـ وهو التاريخ المتواتر لبناء فاس، بينما تحمل النقود التى ضربها إدريس الثانى اسم مدينة "العالية" وليس اسم فاس[٥٢].

ويذهب تراس إلى أن إدريس الأول قد أقام فى سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٩هـ على نفس حى الأندلسيين مدينة صغيرة للبربر .. وفى عام ١٩٣هـ/ ٨٠٩م أقام إدريس الثانى على الشاطئ الآخر حى القرويين الحالى، حيث كان للأمير قصره الذى أعطاه اسم "العاليه"[٥٣].

وأيد نظرية بروفنسال هذه كثير من المستشرقين، فعلق "روجيه لوطورنو"[٥٤] على هذه النظرية بقوله: إن هذه النظرية تستند على دلائل حقيقية لا يشوبها سوى عيب واحد - حسب البعض - وهو التضارب مع رواية الأنيس المطرب .. ولذلك يبدو من المعقول الأنتردد فى الانحياز إلى استنتاجات بروفنسال، وقبول الترتيب التاريخى الذى يفترضه.

كما أيد هذه النظرية بعض المؤرخين العرب[٥٥]. فى حين عارضها إسماعيل العربى[٥٦] بشده مناقشًا جميع الأخبار والروايات التى تتصل بالموضوع، مبينًا نواحى القوة والضعف فيها، مستبعدًا تمامًا الرأى القائل بأن إدريس الأول قد بنى مدينة فاس فى شهر رمضان عام ١٧٢هـ.

وإسماعيل العربى وإن استطاع أن يناقش النصوص التاريخية التى اعتمد عليها بروفنسال فى إثبات نظريته ويقدم لنا وجهة نظرة سليمة، إلا أنه لم يستطع أن يقدم دليلاً قويًا فى مسألة الدراهم التى اعتمد عليها بروفنسال، وأنهى اعتراضه على نظرية بروفنسال مفترضًا ضرورة صياغة أخرى للقضية، حيث لم يتمكن بسبب نقص المعلومات فى المرحلة الحالية من إثبات سبب اعتراضه[٥٧].

ويميل الباحث إلى الأخذ برأى الدكتور سعد زغلول عبد الحميد[٥٨] الذى يأخذ برأى بروفنسال - رغم أنه ليس نهائيًا - فعلى فرض أن إدريس الأول بنى قرية فاس الأولى - وهذا أمر صعب خلال فترة إمامته القصيرة - فإن ذلك لا يقلل من أصالة وعظمة العمل الذى قام به إدريس الثانى بأنى فاس الحقيقية.

وقد تمتعت فاس بموقعها الجغرافى الممتاز وسط المدن والمراكز المختلفة فى المغرب، حيث تتقاطع فيها خطوط الاتصال بين الشرق والغرب والشمال والجنوب فهى تقع عند ملتقى طريقين رئيسيين حددتهما طبيعة الأرض هناك، فى

أقصى المضيق الجبلى الذى تحرس تازا مدخله الشرقى[٥٩]. كما أنها تقع في النهاية الغربية لسهل السايس الغنى على موضع فى وادى فاس، ويشق فى وسطها نهر سبو الكثير الماء[٦٠]. وتحيط مدينة فاس مرتفعات وجبال من كل جهة باستثناء الجهة الجنوبية، وسجل ابن فضل الله العمرى هذه الحقيقة بقوله: "تكتنف الجبال مدينة فاس"[٦١]. ففى شرقها جبل مديونه الذى يمتد إلى الجنوب، ويتصل هذا الجبل بجنوبه بجبال درن، وفى شمالها يقع جبل زرهون وزالغ، وتقع جبال غماره فى الغرب من فاس[٦٢].

وتدخل مدينة فاس ضمن المنطقة التى تقع بين خطى عرض ٢٨ درجة، ٣٦ درجة شمالاً، وخطى طول ١٢ درجة و١١ درجة غربًا، وهى تتأثر إلى حد كبير بمؤثرات مناخ البحر المتوسط، الذى تتمثل فيه ثلاث صفات رئيسية وهى سقوط الأمطار في فصل الشتاء ودفئه، وجفاف فصل الصيف، وارتفاع درجة حرارته، ووجود نسبة عالية من ساعات النهار المشمسة[٦٣]، وتميزت فاس باعتدال حرها وبردها، كما يعتدل مناخها في فصلى الخريف والربيع.[٦٤]

ثالثًا: تاريخ مدينة فاس منذ إنشائها حتى محاولات المرابطين الاستيلاء عليها:

فاس فى عصر الأدارسة:

لم تلبث عدوة الأندلس بفاس أن نمى عمرانها، وذلك عندما وصل أهل ضاحية الربض من مدينة قرطبة فى حوالى ٢٠٢هـ/ ٨١٧م[٦٥]. بعد أن أوقع بهم الإمام الحكم بن هشام وأجلاهم عن الأندلس ، فنزل أغلبهم مدينة فاس، بعدوة الأندلس منها، وشرعوا فى البناء، فسميت بهم[٦٦]. وكان لهؤلاء الأندلسيين أثر كبير في تنمية هذه العدوة، فأعطوها طابعًا جديدًا لمدينة منظمة لم يكن لها من قبل، فنمت هذه العدوة على النمط الأندلسى[٦٧].

وتذكر المصادر أن مدينة فاس نمت بسرعة حيث عمرت الأرض بالزراعة وكثرت الخيرات، وزادت العمارات، وقصدها الناس من جميع البلاد، مثل التجار وأهل الصناعات[٦٨]. وقد شارك هؤلاء المهاجرون من الأندلس ومن القيروان فى بناء فاس، بفضل ما حمله هؤلاء من تراث أهل الأندلس الشامى الأصل، ومن تراث أهل أفريقية الذى ظهرت فيه مؤثرات مصر والشام والعراق[٦٩].

ولكن تمدن العاصمة الإدريسية كان محدودا فى ذلك الوقت، فصحيح أن إدريس بن إدريس عاش عشرين عاما بعد أن وضع حجر الأساس لمدينته العربية إذ توفى فى

عام ٢١٣هـ/ ٨٢٨م، وأن تلك المدة كانت كافية لكى تتسع المدينة وتكبر، ولكنها لم تكن كافية بالصورة التى تصفها بها المصادر[٧٠].

وبعد وفاة الإمام إدريس بن إدريس تولى الإمامه بعده ابنه محمد الذى قسم دولة الأدارسة بين أخوته، وأقام هو بمدينة فاس، إلى أن توفى فى عام ٢٢١هـ/ ٨٣٦ - ٧٣٨م، فبويع لابنه على بالولاية من بعده، وفى أيام على بن محمد تمتعت فاس بالأمن، حتى توفى فى شهر رجب ٢٣٤هـ/ فبراير ٨٤٨م[٧١]. وقام بأمر الأدارسة من بعده يحيى بن محمد بن إدريس الذى كثرت فى عهده العمارة بالمدينة، حيث اهتم بتزويد عاصمته بالمبانى ذات المنافع العامة، فبنى بها الحمامات والفنادق التى أقيمت لخدمة الوافدين على المدينة من التجار وغيرهم[٧٢]، وبلغت المدينة أوجهًا من حيث البناء والعمران[٧٣].

وعندما توفى يحيى بن محمد ولى بعده ابنه يحيى بن يحيى بن محمد، فى تاريخ لا تحدده لنا المصادر[٧٤]. وأساء هذا الأمير السيرة ولم يهتد بهدى آبائه فمات ندامة على سقطه حدثت منه[٧٥]. فبايع أهل فاس بالولاية لعلى بن عمر بن إدريس الذى لم يستقر له الأمر حيث خرج عليه عبد الرازق الفهرى الخارجى الذى تمكن من الاستيلاء على عدوة الأندلس، فى حيث امتنعت عليه عدوة القرويين، حيث بعث أهلها إلى يحيى بن القاسم بن إدريس المعروف بالعوام، فولوه على أنفسهم، وحارب يحيى بن القاسم عبد الرازق الفهرى وتمكن من إخراجه من عدوة الأندلس، فبايعه أهلها، وظل يحيى بن القاسم أميرًا على فاس وأعمالها إلى أن قتل سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٤ - ٩٠٥م[٧٦] فتولى بعده يحيى بن إدريس جميع أعمال المغرب، وحكم يحيى مدينة فاس من عام ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م إلى سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م[٧٧].

الصراع بين الدولة الأموية فى الأندلس والدولة الفاطمية فى المغرب حول فاس:

وفى عام ٣٠٥هـ/ ٩٠٤ - ٩٠٥م امتدت أنظار الدولة الفاطمية بالمغرب إلى ملك الأدارسة بفاس، حيث تقدم مصالة بن حبوس قائد عبيد الله الشيعى إلى مدينة فاس، فحاصرها مدة، إلى أن صالحه أميرها يحيى بن إدريس بمال، وكتب له بالبيعة لعبيد الله الشيعى صاحب أفريقية، ورجع مصالة إلى القيروان[٧٨].

ثم أعاد قائد الفاطميين - مصالة بن حبوس - الكرة مرة ثانية حيث قام فى عام ٣٠٩هـ/ ٩٢١م بالإغارة على فاس ونجح فى دخولها، وقبض على أميرها يحيى بن إدريس، وقدم عليها عاملا من قبل الفاطميين يدعى ريحان المكناسى الذى ظل

عاملاً عليها مدة ثلاثة أعوام إلى أن قام عليه بها الحسن بن محمد بن القاسم ابن إدريس ونجح فى إخراجه منها(٧٩).

وفى عام ٣١١هـ/ ٩٢٣م خرج الحسن بن محمد بن القاسم من فاس لقتال موسى ابن أبى العافية(٨٠). واستطاع أن يوقع بعسكر ابن أبى العافية هزيمة نكراء، ولكن عند رجوع الأمير الإدريسى إلى مدينته، غدر به عامله على المدينة، حامد بن حمدان الذى استطاع أن يحكم لموسى بن أبى العافية على عدوتى فاس معًا(٨١). وبذلك وقعت مدينة فاس تحت سيطرة موسى بن أبى العافية، الذى ملك عدوتى فاس عام ٣١٣هـ/ ٩٢٥م وبايعه أهلها واستقام له الأمر فيها(٨٢).

وبعد أن أصبح موسى بن أبى العافية أميرًا على فاس، عمل على التحالف مع الدولة الأموية بالأندلس، فبايع لعبد الرحمن الناصر خليفة الأندلس، وقام بدعوته وخطب له على جميع منابر عمله. أقلق هذا التحالف الفاطميين بالمغرب، فوجه عبيد الله المهدى أحد قواده وهو حميد بن يصلى المكناسى فى سنة ٣٢١هـ/ ٣٣٣م ومعه حامد بن حمدان الهمذانى فى جيش كثيف لقتال موسى بن أبى العافية، فكانت بينهما حروب كثيرة انهزم فيها ابن أبى العافية ودخل حميد بن يصلى فاس وولى علها حامد بن حمدان ، وذلك فى سنة ٣٢١هـ/ ٣٣٣م، وبذلك عادت مدينة فاس إلى سيطرة الفاطميين مرة أخرى، وقد ظل عامل الفاطميين على فاس إلى أن ثار عليه أحمد بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن أبى سهل الذى قتل حامد وبعث برأسه وولده إلى موسى بن أبى العافية، فبعث بهم موسى إلى الخليفة الأموى الناصر لدين الله بقرطبة، وأصبح أحمد بن أبى بكر عاملاً على فاس لموسى بن أبى العافية(٨٣).

وهكذا عادت الدعوة فى فاس إلى الخليفة عبد الرحمن الناصرى(٨٤). ومنذ ذلك الوقت أصبحت فاس على مسرح الرهان، حيث تنافس على امتلاكها الفاطميون والأمويون. وأرسل الخليفة الفاطمى أبو القاسم عبيد الله المهدى قائده ميسور الفتى إلى المغرب فى عام ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م ليعيد مدينة فاس لحوزة الفاطميين، فتقدم ميسور وحاصر مدينة فاس أيامًا إلى أن خرج إليه أحمد بن أبى بكر عاملها مبايعًا، ولكن ميسور قبض عليه وشخصه للمهدية، وهنا امتنع أهل مدينة فاس وسدوا مدينتهم فى وجه ميسور الفتى، ولم يمكنوه من دخولها، وقدموا على أنفسهم الحسن ابن القاسم اللواتى، فحاصرهم ميسور مدة حتى رغبوا إلى السلم، مشتطرين على

أنفسهم الطاعة والأتاوة، مبايعين لأبى القاسم المهدى، فتقبل ميسور منهم ذلك، وأقر الحسن بن القاسم اللواتى على ولاية فاس[٨٥].

استمر الحسن اللواتى عاملا على فاس حتى عام ٣٤١هـ/ ٩٥٢م، حيث ثار عليه أحمد بن أبى بكر - بعد أن أطلق الفاطميون سراحه، فتخلى الحسن اللواتى له عند مدينة فاس[٨٦]. وعادت الدعوة فى فاس للأمويين بالأندلس حيث بايع أهلها الخليفة الناصر لدين الله، فولى عليهم محمد بن أبى الخير أميرا على عدوتى فاس، الذى استخلف عليهما ابن عمه أحمد بن أبى بكر بن عثمان الزناتى وارتحل هو إلى الأندلس[٨٧].

غضب المعز لدين الله الفاطمى لخروج فاس عن طاعته وانضوائها تحت لواء الخلافة الأموية بالأندلس، فأرسل قائده جوهرا الصقلى للإغارة على المغرب ونشر دعوته هناك[٨٨]. وقام جوهر بحصار مدينة فاس عام ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م، حيث جرت وقائع عظيمة مدة ثلاثة عشر يوما، انتهت بوقوع أمير فاس أحمد بن أبى بكر أسيرا، ونهب جوهر المدينة وسبى أهلها، وهدم سورها، وكان الحادث فيها عظيما، وذلك فى ٢٠ رمضان عام ٣٤٩هـ/ ١٣ نوفمبر ٩٦٠م[٨٩]. ورجع جوهر الصقلى إلى القيروان بعد أن طرد عامل الأمويين من فاس وقطع عنها دعوتهم وردها إلى الفاطميين[٩٠].

ظل النفوذ الفاطمى قائما بفاس حتى أرسل الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦هـ/ ٩٦١ - ٩٧٦م) قائده غالب[٩١]. إلى المغرب سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م الذى تكمن من الاستيلاء على فاس، واستعمل عليها محمد على بن قشوش فى عدوة القرويين، وعبد الكريم بن ثعلبة فى عدوة الأندلس، وبذلك عادت فاس إلى حكم بنى أمية.[٩٢]

ولكن لم تمض سوى ست سنوات، حتى زحف بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى إلى المغرب عام ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م[٩٣]. ونزل على مدينة فاس، وقتل عامليها واستعمل عليهما محمد بن عامر المكناسى، وبذلك عاد النفوذ الفاطمى إلى فاس حتى سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م[٩٤]. حيث أرسل المنصور بن أبى عامر صاحب الأندلس ابن عمه عسكلاجة - أبا الحكم عمرو بن عبد الله - فزحف من الأندلس إلى مدينة فاس حيث دخل عدوة الأندلس منها، وخطب لبنى أمية، فى حين بقى محمد بن عامر عامل الفاطميين بعدوة القرويين إلى سنة ٣٧٦هـ/ ٩٧٦م حيث دخلها "أبو بياش" من قبل الأمويين فقتل عاملها محمد بن عامر وخطب بهما أيضا لبنى أمية[٩٥].

فى عام ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م استطاع زيرى بن عطية المغراوى[٩٦]. أن يستولى على مدينة فاس، واستقام له الأمر فيها، وقوى سلطانه، فأسكن عشيرته فى أنحائها

وبالقرب منها، وفي عام ٣٨٢هـ/ ٩٢٢م استدعى المنصور بن أبي عامر، زيرى ابن عطية إلى الأندلس، فرحل زيرى إليها مستخلفا ابنه المعز على المغرب[٩٧]. وفي هذه الأثناء انتهز الأمير يدو بن يعلى زعيم بني يفرن[٩٨]. فرصة غياب زيرى بن عطية بالأندلس، وتوجه إلى مدينة فاس فدخل عدوة الأندلس منها وملكها، واتصل خبر سقوط عدوة الأندلس في يد يدو بن يعلى، بزيرى بن عطية أثناء قفوله من الأندلس فأسرع نحوه مستنفرا قبيلة مغراوة لاسترداد فاس، ودارت الحرب سجالا بين الفريقين هلك فيها خلق كثير من القبيلتين مغراوة وبني يفرن، حتى تمكن الأمير زيرى بن عطية من هزيمة يدو بن يعلى، ودخول المدينة عنوة، حيث قتله ومثل به وبعث برأسه للمنصور بن أبي عامر، وذلك في عام ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م.[٩٩]

واستمرت علاقة زيرى بن عطية بالمنصور بن أبي عامر حسنة، إلى أن ساء ما بينهما في عام ٣٨٦هـ/ ٩٩٦ - ٩٩٧م، وذلك عندما ألغى زيرى بن عطية ذكر المنصور بن أبي عامر من الخطبة، وأقتصر على ذكر خليفته هشام، ولما وصل خبر ذلك إلى المنصور أرسل جيشا عظيما بقيادة مولاه واضح لمحاربته، إلا أن زيرى تمكن من هزيمة جيش واضح الذي فر إلى طنجة مستصرخا المنصور، طالبا منه أن يمده بالخيل والأموال والرجال، فأرسل إليه المنصور ابنه عبد الملك في جمع من عسكر الأندلس وقوادها، واستطاع هذا الجيش إنزال الهزيمة بجموع زناته بقيادة زيرى ابن عطية الذي فر إلى مدينة فاس في شرزمة من أصحابه وبني عمه، ولكن أغلق أهل فاس أبواب مدينتهم في وجهة، في حين تمكن عبد الملك بن المنصور من دخول فاس في سنة ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م فأستقبله أهلها مستبشرين به فأحسن لقاءهم[١٠٠].

وأقام عبد الملك بن المنصور مدة ستة أشهر بفاس فرأى الناس من عدله وفضله مالم يروه من قبل، ثم صرفه والده عنها إلى الأندلس، وبعث إليه عوضًا عنه عيسى ابن سعيد صاحب الشرطة الذي قام عليها واليًا إلى شهر صفر من عام ٣٨٩هـ/ ٩٩٨ - ٩٩٩م حيث عزله المنصور عنها، وولاها واضحًا الفتى[١٠١].

هذا وكان زيرى بن عطية قد اتجه إلى الصحراء هاربًا بعد أن سد أهل فاس ميدنتهم في وجهة، فنزل بلاد صنهاجة، حيث وجد أهلها قد اختلفوا على ملكهم باديس بن منصور بن بلكين بعد وفاة أبيه، فبعث زيرى إلى قبائل زناته، فأتى منهم خلق كثير من مغراوة وغيرهم، حيث اغتنم زيرى الفرصة، وزحف بهم إلى صنهاجة، وتمكن من هزيمة الجيوش الصنهاجة إلى أن توفي في عام ٣٩١هـ

١٠٠٠م[١٠٢]. فبايعت قبائل زناته ابنه المعز، الذى قام بملك أبيه، وضبط أمر زناته وصالح المنصور بن أبى عامر، وقام بدعوته ورجع إلى طاعته، وعندما توفى المنصور بايع لابنه عبد الملك المظفر أيضًا، ودعى له على منابره، فعزل المظفر واضحًا الفتى عن ولاية فاس وسائر أعمال المغرب، وعهد بها فى سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م إلى المعز بن زيرى، مشترطًا عليه أن يرسل إليه خيلاً فى كل سنة وأن يسمله ولده معنصر رهينة[١٠٣].

ونعمت مدينة فاس فى عهد المعز بن زيرى بالرخاء والأمن إلى أن توفى فى جمادى الأولى سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م[١٠٤]. فخلفه ابنه حمامه بن المعز[١٠٥] الذى قام بأمر قبائل زناته واستوطن مدينة فاس[١٠٦]. وكانت الخلافة الأموية فى قرطبة قد انقرضت فى هذه السنة، مما أدى إلى استفحال أمر الدولة المغراوية بفاس والمغرب واستقلالها بالأمر.[١٠٧]

صراع القوى الداخلية للسيطرة على فاس:

ولكن لم تكد مدينة فاس تنعم بالاستقرار حتى قام ثائر من ثوار بنى يفرن وهو تميم بن زيرى اليفرنى[١٠٨] الذى زحف إلى مدينة فاس فى جموع قبائل بنى يفرن، ومن إنضم إليهم من زناته، فخرج إليه حمامه بن المعز من فاس فى جموع قبائل مغراوة، حيث كانت بينهم حرب شديدة إنهزم فيها حمامة بن المعز وفر إلى مدينة وجدة[١٠٩]. وتمكن تميم اليفرنى من دخول مدينة فاس فى جمادى الآخرة عام ٤٢٤هـ/ ١٠٣٣م، حيث قتل بها كثيرًا من اليهود، وأخذ أموالهم وسبى نساءهم[١١٠].

وأقام تميم اليفرنى بمدينة فاس قرابة السبعة أعوام، وفى خلال ذلك حاول حمامة بن المعز أن يجمع قواته ويعيد الكرة لاسترداد فاس فخرج من مدينة وجدة إلى تنس[١١١]، واستجاش بقبائل مغراوة، حيث اجتمعوا عليه فزحف بهم إلى مدينة فاس ويبدو أن هذه الجيوش المغراوية كانت كبيرة، حيث فر تميم اليفرنى من فاس إلى مدينة شالة[١١٢]. دون مقاومة تذكر، وذلك فى عام ٤٣١هـ/ ١٠٣٩م، وأقام حمامه بن المعز على ملك مدينة فاس، وكثير من أعمال المغرب، إلى أن توفى فى عام ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م[١١٣].

هكذا تطلعت القوى الخارجية من الفاطميين والأمويين، والقوى المحلية متمثلة فى قبائل مكناسة ومغراوة وبنى يفرن للاستيلاء على مدينة فاس.

وخلف حمامة بن المعز ابنه دوناس على حكم مدينة فاس، وجميع ما كان بيد أبيه من أعمال المغرب ومدنه، وفي أيامه عظمت مدينة فاس، وعمرت بالبناء، حيث أدار دوناس السور على الأرباض وبنى المساجد والحمامات والفنادق فقصدها الناس من جميع النواحي[١١٤].

وبعد وفاة دوناس بمدينة فاس في شهر شوال عام ٤٥٢هـ/ ١٠٦١م خلفه ابنية الفتوح وعجيسة حيث استوطن الفتوح عدوة الأندلس، بينما ولي أخاه عدوة القرويين وبدأ الأميران عهديهما بتحصين المدينة، حيث بنى، حيث بنى الفتوح بعدوة الأندلس قصبة منيعة، وفتح بها بابًا سماه باسمه، كذلك بنى عجيسة قصبة مثلها وبابًا بعدوة القرويين[١١٥].

لكن لم تنعم المدينة بحكم هذين الأميرين، إذ سرعان ما دبت العداوة بينهما، حيث نازع عجيسة أخاه الفتوح الأمر، وامتنع عليه بعدوة القرويين، فسار الفتوح لقتاله، ودارت رحى الحرب بين العدوتين، تلك الحرب التي لم يكن لأهل عدوتي فاس فيها شغل إلا القتال، إلى أن ظفر الفتوح بأخيه عجيسة فقتله، وذلك في عام ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م وظل الفتوح أميرًا على عدوتي فاس إلى أن حاصر المرابطون المدينة[١١٦].

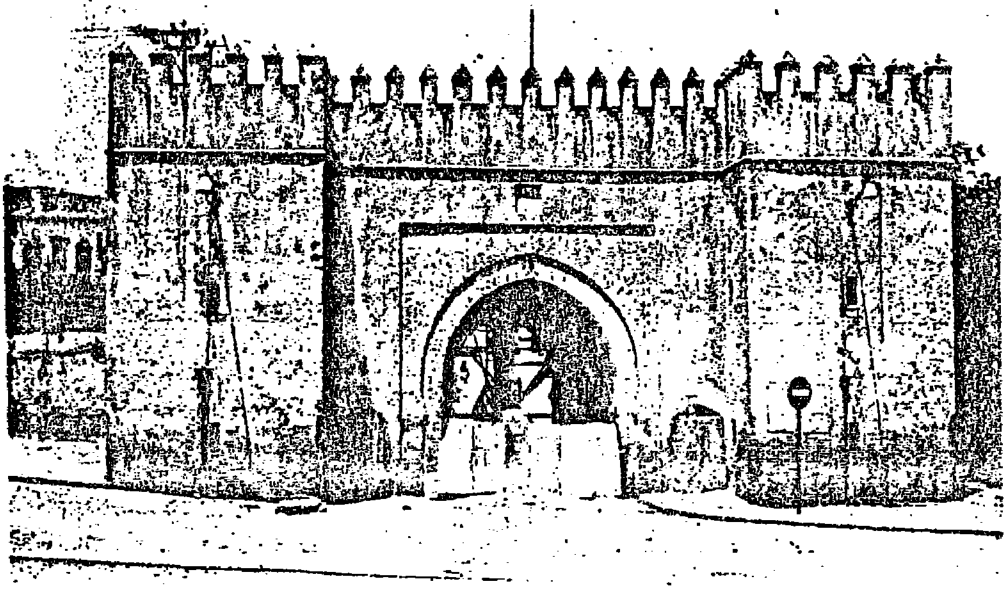

باب فتوح أكبر أبواب عدوة الأندلس

نقلا عن الجزنائي : جنى زهـــرة الآس

وخلال سنوات تلك الحروب بلغت الفوضى والاضطرابات زروتها بمدينة فاس "فكثر الخوف، وقويت الفتن، واشتدت المجاعة فقلت الأسعار"(١١٧). وبذلك تدهورت الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى مدينة فاس فى آخر حكم الزناتين، وقبيل دخول المرابطين المدينة، ويصور لنا المؤرخون مدى تدهور تلك الأوضاع بصور غريبة حيث "عدمت الأقوات فى مدينة فاس وأعمالها أيام الفتوح بن دوناس، وابن عمه معنصر، إلى أن بلغ سعر الدقيق بفاس وغيرها أوقية بدرهم"(١١٨). "وكان رؤساء مغراوة وبنى يفرن يدخلون على الناس فى ديارهم فيأخذون ما يجدون فيها من الطعام ويتعرضون لنسائهم وصبيانهم، ويأخذون أموال التجار، فلا يقدر أحد أن يصدهم عن ذلك، وكان عبيدهم يصعدون على جبل العرض، فينظرون إلى الديار التى بالمدينة فأى دار رأوا فيها دخانًا قصدوا إليها فدخلوها، وأخذوا ما بها من الطعام، وفى أيام جورهم اشتد الجوع بالمغرب، فاتخذ أهل فاس المطامير فى بيوتهم وديارهم للخزن والطحن والطبيخ لئلا يسمعون دوى الرحى، كما اتخذوا غرفًا لا أدراج لها فإذا كان الليل طلع الرجل فيها بسلم هو وعياله وأولاده، ثم رفع السلم لئلا يدخل عليه فجأة(١١٩).

الهوامش

١- وقعة فخ: كانت هذه الوقعة عام ١٦٩هـ/ ٧٨٥م عندما خرج العلويون من مكة بزعامة الحسين بن على بن الحسن بن الحسن ضد الخليفة العباسى الهادى، حيث بايع العلويون له بالخلافة فى المدينة، ثم سار إلى مكة، فالتقى مع الجيش العباسى بقيادة سليمان بن المنصور بفخ، وهو وادى فى طريق مكة يبعد عنها حوالى ثلاثة أميال، فانهزم العلويون وكان قد اشترك فى القتال مع الحسين عماه إدريس بن عبد الله بن الحسين، ويحيى اللذان نجحا فى الإفلات، واتجه إدريس إلى بلاد المغرب، فى حين فر يحيى إلى بلاد المشرق. عن أحداث وقعة فخ. انظر الطبرى: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩، جـ٨ ص١٩٢ - ٢٠٤.

٢- أوليلى: تقع غرب مدينة فاس بطرف جبل زرهون، وهى مدينة قديمة، انظر: البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب، نشر دى سلان، الجزائر، ١٩١١، ص١١٨، الحميرى: الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق د/ إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٤، ص٦٠٩ - ٦١٠. ويرى الأستاذ ليفى بروفنسال أن كلمة وليلى تقرب جدًا من الاسم اللاتينى Volubillis إلا أنه يجب تفضيل كلمة وليلة المكتوبة على جميع العملة المضروبة فى هذه المنطقة، أنظر الإسلام فى المغرب والأندلس، ترجمة د/ السيد عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين، القاهرة، مطبعة نهضة مصر، بدون تاريخ، ص٧ حاشية.

٣- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، طبعة بولاق، ١٢٨٤هـ، جـ٤ ص١٢، لسان الدين بن الخطيب: أعمال الإعلام، القسم الثالث (تاريخ المغرب فى العصر الوسيط) تحقيق د/ أحمد مختار العبادى، ومحمد إبراهيم الكتانى، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٦٤، ص١٩١.

٤- ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٧ ص٢٥، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، بدون تاريخ، ص٣٨٤.

٥- مجهول: رسالة فى ذكر من أسس فارس، مخطوط بدار الكتب المصرية، ميكروفيلم رقم ١٠٨٨، ورقة ١٩، البكرى: المصدر السابق ص١٢٢، وقد اختلفت آراء المؤرخين فى وفاة إدريس بن عبد الله، فنجد ابن الأبار يجعلها فى سنة ١٧٤هـ/ ٧٩٠م، انظر الحلة السيراء، تحقيق دكتور/ حسين مؤنس القاهرة، دار

المعارف ١٩٨٥، جـ١، ص٥٥. ويجعلها ابن القاضى المكناسى فى شهر ربيع الأول عام ١٧٦هـ/ ٧٩٢م أو سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م. انظر: جذوة الاقتباس فيمن حل من الإعلام مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٣م، جـ١ ص٢٣، فى حين ينقل محمد جعفر الكتانى عن كتاب الأنوار الجلية أن وفاة الإمام إدريس بن عبد الله كانت أول ربيع الآخر عام ١٧٧هـ/ ٧٩٣م، انظر الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر الخطب، وتاريخ مدينة فاس، فاس، المطبعة الحجرية، ١٣١٤هـ، ص٣٧.

٦- مجهول: رسالة فى ذكر من أسس فاس، ورقة ١٩ - ٢٠، مجهول: جمع تواريخ فاس طبع بمدينة بالروم، مطابع برنارد وبرزى، بدون تاريخ، ص٣، وتذكر بعض المصادر أن بيعة الإمام إدريس\ابن إدريس كانت يوم الجمعة غرة ربيع الأول عام ١٨٨هـ/ ٨٠٤م. انظر على بن أبى زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس. الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٢، ص٢٧، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤ ص١٣.

٧- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢٩، الجزنائى: جنى زهرة الآس فى بناء مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٦٧ ص١٨، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤ ص١٣.

٨- مجهول: رسالة فى ذكر من أسس فاس، ورقة ٢١ - ٢٢، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢٩، السيوطى، كتاب فى نسب بعض الصحابة والأشراف الإدريسيين وغيرهم من ملوك لمتونه والموحدين، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم ٥٥١، ورقة ٢٩.

٩- إسماعيل العربى: دولة الأدارسة، بيروت، دار الغرب الإسلامى، ١٩٨٣، ص٧٧ - ٧٨، انظر كذلك:

Henriterrasse: Histoire du Maroc des Origines a l' etablissement du protectorat francais, casablanea 1949. P. 116.

١٠- من المفيد أن نعرض لآراء المؤرخين الذين بحثوا فى أصل تسمية فاس، فيرى بعضهم أن الإمام إدريس بن إدريس لما شرع فى بنائها كان يعمل فيها بيديه مع الصناع والفعلة، فصنع له بعض خدمته فأسًا من ذهب وفضة، فكان إدريس يعمل بها، فسميت فاس لأجل ذلك. ويقال أنه عندما شرع فى البناء وجد فى الحفير فأسًا كبيرًا، فسميت به المدينة. انظر، مخطوط رسالة فى ذكر من أسس فاس،

ورق ٣٠ – ٣١، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٥، الجزنائي: المصدر السابق، ص٢٣.

وقيل إن الإمام إدريس لما شرع في البناء، قيل له كيف تسميها؟ قال سموها باسم أول رجل يطلع عليكم، فمر بهم رجل فسألوه عن اسمه وكان الثغ قال: اسمي فارس، فأسقط الراء من اسمه لأجل اللثغة، فقال الإمام إدريس سموها كما نطق: فقالوا فاس، وقيل غير ذلك، انظر الأنيس المطرب، ص٤٥.

وتذكرت بعض الروايات أنه قيل للإمام إدريس كيف تسميها، فقال نسميها باسم مدينة "ساف" التي كانت قبلها في موضعها الذي أخبرني به الراهب، ولكن أقلبوا اسمها، فقلبوه فأتى منه فاس، فسميت بذلك. ويرجع ابن أبي زرع هذا الرأي بقوله هذا أصح ما يكون في تسميتها، انظر رسالة في ذكر من أسس فاس ورقة ٣١، الأنيس المطرب، ص٤٥، جنى زهرة الآس، ص٢٤.

ويتضح فيما سبق عرضه إدخال الأسطورة والخيال على أسباب التسمية، ويظهر هذا من خلال قولهم يقال وقيل.

كذلك تضاربت آراء المؤرخين المحدثين أيضًا في تفسير كلمة فاس، وعللوها بتعليلات متنوعة، فذهب عبد الله العمراني مع أحد الباحثين الأسبان إلى أن كلمة فات Phut وكلمة لوبيم Lubim الواردتين في التوراة، ما هما في الواقع إلا كلمتا "فاس" و "ليبيا" ويتسآل العمراني هل نستخلص من ذلك أن اسم المدينة غير مشتق من شئ، وأن المدينة عريقة في القدم. انظر عبد الله العمراني: فاس وجامعتها، مجلة البحث العلمي، العدد الثامن، سنة ١٩٦٦ ص١٧٨. في حين ذهب محمد الفاسي أن فاس أصلها لفظة "أسيف" التي معناها النهر وتجمع على "أسافين" ومنه "ساف" التي قبلت وأعطت فاس.

انظر، محمد الفاسي: أصول الإعلام الجغرافية، مجلة البينة، العدد الأول، السنة الأولى ١٩٦٢، ص٥٢.

١١- زالغ: جبل يطل على فاس من الجهة الشمالية، حيث يبدأ من نهر سبو في اتجاه الشرق، انظر ليون الأفريقي: وصف أفريقيا، ترجمة د/ عبد الرحمن حميدة، الرياض ١٩٧٨ – ١٧٩٧م، ص٢٩٤.

١٢- سبو: من أشهر أنهار بلاد المغرب، يمر على مدينة فاس، انظر الزهري: كتاب الجغرافيا: تحقيق محمد الحاج صادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية بدون تاريخ، ص١٤٠.

١٣- مجهول: رسالة فى ذكر من أسس فاس، ورقة ٢٢، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢٩ - ٣٠، الجزنائى: المصدر السابق، ص١٨.

14- Terrasse: Op. Cit, tome I, p; 117.

١٥- حمة خولان: الحمة هى كل عين فيها ماء حار ينبع منها ويستشفى به، وحمة خولان هى الحمة التى تعرف بسيدى حرازم، تقع على بعد ١٥ كم إلى الجنوب الشرقى من مدينة فاس، تنبع منها مياه غنية بالغاز الكربونى تبلغ حرارتها ٣٥ درجة، انظر عبد الوهاب بن منصور، فى تحقيقه لجنى زهرة الأس، ص٣٦.

١٦- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٣٠، الجزنائى: المصدر السابق، ص١٨، السلاوى: الاستقصاء فى أخبار المغرب الأقصى، القاهرة، ١٩٥٠، جـ١ ص٧٢ - ٧٣، Terrasse: Op. Cit, Tome I, p. 117.

١٧- مجهول: رسالة فى ذكر من أسس فاس، ورقة ٢٢ - ٢٣، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٣٠ - ٣١، الجزنائى: المصدر السابق، ص١٨ - ١٩، السلاوى: المرجع السابق، جـ١ ص٧٢ - ٧٣.

١٨- إبراهيم بركات: المغرب عبر التاريخ، الدار البيضاء، دار السلمى للنشر، ١٩٦٠، جـ١ ص١٢٦.

١٩- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، الكويت، عالم المعرفة، عدد ١٣، ١٩٨٨، ص١١٣.

٢٠- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية رقم ١٠٥٥ تاريخ، ورقة ٢، البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص١١٥، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٣٨.

٢١- الأخبية والقباب: الأخبية نوع من الأبنية (هى البيوت) والخباء: ما يعمل من صوف أو وبر، وقد يكون من شعر، ويكون على عمودين أو ثلاث وما فوق ذلك. أما القباب: فمن قبأ الطعام أى جمع أكله، ومن الشراب امتلأ، والقباة حشيشة ترعى. انظر الفيروز أبادى، القاموس المحيط، ص٦١.

٢٢- جراوة: قبيلة زناتية شهيرة لم يبق لها اليوم وجود بهذا الاسم، ولكن الأراضى التى كانت تسكن بها عند مجئ الإمام إدريس إلى فاس ما زالت تعرف بها. انظر عبد الوهاب بن منصور فى تحقيقه لجنى زهرة الأس، ص١٩.

٢٣-مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ٢، مجهول: رسالة فى ذكر من أسس فاس، ورقة ٣٢ - ٣٣. البكرى: المصدر السابق، ص١١٥، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٣٨، الجزنائى: المصدر السابق، ص١٩.

٢٤- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ٣، مجهول: قصة البلديين من أهل فاس، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم ١٨٩٣ تاريخ، ورق ٤٦٧، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٣٩، الجزنائى: المصدر السابق، ص٢٦.

٢٥- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربى، الإسكندرية: منشأة المعارف بدون تاريخ، جـ٢ ص٤٤٨.

٢٦- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورق ٣، ابن أبى زرع: المصدر السابق ص٣٩.

٢٧- سعد زغلول: المرجع السابق، جـ٢، ص٤٤٩.

٢٨- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٤٥ - ٤٦، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٣٧.

٢٩- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٤٧، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ١ ص٣٨.

٣٠- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٤٦، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ١، ص٣٧، سعد زغلول: المرجع السابق، جـ٢ ص٤٤٩.

٣١- سعد زغلول: المرجع السابق، جـ٢، ص٤٥٢.

٣٢- ليفى بروفنسال: الإسلام فى المغرب والأندلس، ص٣٩، سعد زغلول: المرجع السابق، جـ٢ ص٤٥٣.

٣٣- مجهول: قصة البلديين، ورقة ٤٦٧، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٤٦.

٣٤- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٤٦.

٣٥- ليفى بروفنسال: المرجع السابق، ص٤٠.

٣٦- القيسارية: يتفق معظم الباحثين على أن مدلول كلمة القيسارية تعنى السوق المعمارية فى المدينة الإسلامية، ترجع إلى الأصل اللاتينىّ Caesarea بمعنى "السوق الامبراطورى أو القيصرى" التى تقيمها الدولة، ويكون خاضعًا لإدارتها بخلاف الفندق الذى يقيمه الأفراد وتؤول ملكيته إليهم، فى حين يفسرها بعض الدارسين بأنها "سوق التجار" ويرى بعض الباحثين أنها اشتقاق من كلمة القصر العربية، والقيسارية مؤسسة تجارية عامة متسعة النطاق، تختلف نوعًا ما من مدينة إلى أخرى، وتتكون فى بعض الأحيان من فناء مركزى فسيح تحيط به أروقة

مسقوفة تقام فيها الحوانيت والمصانع الصغيرة، والمخازن ومنازل الغرباء من التجار، وأحيانًا تتخذ شكل شارع مسقوف بقبوات من الأجر أو بمعروشات العنب أو بأسقف الخشب أو يترك مكشوفًا، وتتوزع على جانبيه حوانيت الباعة .. وقد تكون ساحة في وسط المدينة تتوزع حولها المنشآت التجارية. انظر دكتور/ أحمد محمد الطوخي: القيساريات الإسلامية في مصر والمغرب والأندلس، فصله من مجلة كلية الآداب، جامعة إسكندرية، العدد ٢٨، عام ١٩٨١، ص٦٧ – ٦٩. وما أشار إليه من مصادر.

٣٧– مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ٢، مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس ورقة ٣٢ – ٣٣، البكري: المصدر السابق، ص١١٥، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٣٨.

٣٨– مجهول: قصة البلديين، ورقة ٤٦٧ – ٤٦٨.

٣٩– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٣٨ – ٤٠، الجزنائي: المصدر السابق ص٢٥ ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص٣٢، وعين علون: عين شهيرة بفاس أسفل عقبة الشرايين وإليها ينسب الشارع الممتد منها إلى العطارين، وذكر المؤرخون أنها كانت عينًا تحيط بها الأشجار البرية، وكان الناس قبل بناء المدينة يتحاشونها بسبب وجود عبد أسود اسمه علون يقطع الطريق بها، فلما انتهى إلى الإمام إدريس خبر علون هذا أمر بالقبض عليه، وقام بصلبه على شجرة كانت على رأس العين، فسميت العين باسمه منذ ذلك الحين. انظر الجزنائي: جنى زهرة الأس ص٢٥، ص١١٢ – ١١٣.

٤٠– ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٤٢.

٤١– فنان عبد القادر: أسوار مدينة فاس، أصالة أم حاجز، مجلة كلية الآداب بفاس العدد الخاص، سنة ١٩٨٥، ص٨٨.

٤٢– مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس، وورقة ٣٢، ابن ابي زرع: المصدر السابق ص٤٠ – ٤١، ويجعل البكري لعدوة الأندلس ستة أبواب ولكن مع اختلاف مسمى تلك الأبواب، انظر المغرب في ذكر أفريقية والمغرب، ص١١٦، في حين يجعلهم ابن القاضي في جذوة الاقتباس خمسة أبواب، ذاكرًا الأبواب الأنفة الذكر عدا باب المخيفة، انظر جـ١ ص٣٤ – ٣٥.

٤٣– الأنيس المطرب، ص٣٩ – ٤٠، جذوة الاقتباس، جـ١ ص٣٣. ويرى الأستاذ ليفي بروفنسال في مقاله الذي عقده للملاحظات على أسماء الأبواب وجعل

عنوانه ملاحظات على أسماء المواقع الأسبانية والمغربية. أنه ليس من الضروري أن يكون هناك اسم واحد لأحد أبواب أي مدينة، إذ ربما تعدد اسم باب من الأبواب التي أقيمت على حين يطلق عليه أسماء عدة في وقت واحد، فالباب الواحد يمكن أن يكون له اسم رسمي واسم شعبي في وقت واحد. انظر: الإسلام في المغرب والأندلس، ص٥٦.

٤٤- فنان عبد القادر: المرجع السابق، ص٨٩.

٤٥- سلجماسة: مدينة بالمغرب الأقصى في أول الصحراء بنيت عام ١٤٠م، بينها وبين فاس ثلاثة عشر مرحلة، وهي مدينة سهلية مبنية على نهرين، حولها أرباض كثيرة، تشتهر بكثرة الفواكه ويربطها طريق تجاري ببلاد السودان وغانة. انظر البكري: المصدر السابق، ص١٤٨ – ١٤٩.

٤٦- غمارة والريف: نسبة إلى جبل غمارة المعروف في شمال المغرب الأقصى، وغمارة شعب من البربر البرانس سموا باسم والدهم غمارة بن مصمودة، وتزعم العامة أنهم عرب غمروا في الجبال فسموا غمار. انظر ابن خلدون: تاريخ بن خلدون جـ٦ ص٢١.

٤٧- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص١٥، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٤٠، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص٣٤. أما تلمسان فهي قاعدة بلاد المغرب الأوسط، وهي مدينة عظيمة قديمة فيها آثار الأول بينها وبين وهران مرحلتان، وكانت تلمسان دار مملكة زناته، ويقطن حولها كثير من قبائل البربر، وهي كثيرة الخصب والرخاء، يقصدها كثير من التجار ومنها يسافرون إلى مدينة سجلماسة وبين فاس وتلمسان مسيرة ثمانية أيام. انظر البكري: المصدر السابق، ص٧٦ – ٧٧، الزهري، كتاب الجغرافيا، ص٥١، الحميري: الروض المعطار، ص١٣٥ – ١٣٦.

٤٨- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ٢، مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس، ورقة ٣٢ – ٣٣، البكري: المصدر السابق، ص١١٥، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٣٨، الجزنائي: المصدر السابق، ص٢٤ – ٢٥، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: جـ٤ ص٢١٣.

Terrasse: Histoire du Maroc, Tome, I p. 117.

٤٩- ليفي بروفنسال: المرجع السابق، ص٢٧، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص٤٠٦ – ٤٠٧، إسماعيل العربي، دولة الأدارسة، ص٨٧.

٥٠- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، جـ٢، ص٤٥٠.
٥١- ليفي بروفنسال: المرجع السابق، ص٢٩ - ٣٠، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص٤١٥.
٥٢- ليفي بروفنسال: المرجع السابق، ص١٥ - ١٩، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص٤٠٧، سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، جـ٢، ص٤٥٠ - ٤٥١.
53- Terrasse: Op. Cit, Tome I, pp. 117 – 118.
٥٤- فاس قبل الحماية، ترجمة دكتور/ محمد صبحي، د/ محمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦، جـ١ ص٦٢.
٥٥- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص٤٠٦ - ٤١٥، عبد الله العمراني في مقال له بعنوان فاس وجامعتها، مجلة البحث العلمي، العدد ٨، عام ١٩٦٦، ص١٨٦، ١٨٧.
٥٦- دولة الأدارسة، ص٩٠.
٥٧- إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص١٠٢.
٥٨- المرجع السابق، جـ٢ ص٤٥١.
٥٩- ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الجزء الخاص بوصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، نشره الأستاذ محمد المنوني، مجلة البحث العلمي، العدد الأول، سنة ١٩٦٤، ص٤١، روجيه لوطورنو: فاس في عصر بني مرين، ترجمة د/ نقولا زيادة، بيروت: مؤسسة مرتكلين للنشر، ١٩٦٧، ص١٥، وعند تقدير المسافات بين فاس وغيرها من المدن المغربية، انظر الإدريسي وصف أفريقيا الشمالية، مأخوذه من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، اعتنى بتصحيحه هنري بيبرس الجزائر، ١٩٥٧، ص٥١، ٥٣، ١١٠، الزهري: كتاب الجغرافيا، ص٥١.
٦٠- الزهري: المصدر السابق، ص١٤٠، عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة ١٩٦٣، ص٤٤٩، حسان عوض، جغرافية المدن المغربية، مطبوعات المركز الجامعي، بدون تاريخ، ص٦٣.
٦١- ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ص١٤١.

٦٢- ابن سعيد المغربي: كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط، تطوان، ١٩٥٨، ص٢٥٧، الزهري: المصدر السابق، ص١١٥، ويطلق الزهري على جبل مديونه اسم جبل غياشه، عماد الدين إسماعيل: تقويم البلدان، باريس دار الطباعة السلطانية، ١٨٥٠م، ص٦٦.

٦٣- يسرى الجوهري: شمال أفريقية، الإسكندرية، الهيئة العامة للتأليف والنشر، بدون تاريخ، ص١٨٥ - ١٨٦، ص٢٠١.

٦٤- الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص٣٦.

٦٥- سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، جـ٢ ص٤٥٢، وانظر
Terrasse: Histoire du Maroc, Tome I, p. 118.
الذي يجعل تاريخ وصولهم عام ٨١٤م.

٦٦- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٧، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس جـ١ ص٣٨. هذا وتذكر المصادر أن هؤلاء الأندلسيين هم سكان ربض شقنده الذين ثاروا ضد الحكم الربضي أمير الأندلس، ولما كان مصير هذه الثورة الفشل اضطر عدد كبير منهم إلى مغادرة الأندلس، حيث اتجه بعضهم إلى دولة الأدارسة التي رحبت بهم، فنزلوا فيما عرف بعدوة الأندلسيين، بينما لجأ البعض إلى الإسكندرية حيث نزلوها في أوائل عهد الخليفة العباسي المأمون، حيث أسسوا هناك إمارة أندلسية مستقلة عن الخلافة العباسية، دامت أكثر من عشر سنوات، حتى تمكن المأمون من إرسال حيث بقيادة عبد الله بن طاهر بن الحسين الذي قام بإخراجهم من الإسكندرية، فلجأوا إلى جزيرة اقريطلش. انظر د/ أحمد محمد الطوخي: مصر والأندلس، الإسكندرية، مركز الدلتا للطباعة ١٩٨٨، ص٢٠، هامش وما ورد به من مصادر.

٦٧- ليفي بروفنسال: للمرجع السابق ص٢٨، سعد زغلول: المرجع السابق، جـ٢، ص٤٥٢.

٦٨- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٥٠، الجزنائي: المصدر السابق، ص٢٦، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص٤٨.

٦٩- سعد زغلول: نفس المرجع، جـ٢ ص٥١١.

٧٠- سعد زغلول: نفس المرجع، جـ٢ ص٤٥٣، وتذكر بعض المصادر أن وفاة إدريس الثاني كانت بفاس عام ٢١٣هـ وهو ابن ست وثلاثين عامًا، ثم تورد هذه المصادر بعد ذلك رواية البرنسي الذي يحدد وفاة إدريس بمدينة أوليلي في جمادى

الآخر سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م وعمره يومئذ ثمان وثلاثون سنة. انظر مجهول: جمع تواريخ فاس، ص٤، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٥٠، ابن القاضي المكناسي: جذرة الاقتباس، جـ١ ص٤١، ويرى الدكتور سعد زغلول عبد الحميد أن رواية البرنسي هي أقرب للحقيقة من حيث التاريخ، وهي تتفق مع الرواية التي أوردها البكري. انظر البكري: المغرب، ص١١٦، سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، جـ٢ ص٤٥٦.

٧١- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص٥، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٥١، ٥٣، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٤ص١٤ - ١٥.

٧٢- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ١١ - ١٢، مجهول: جمع تواريخ فاس، ص١٥، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٥٣ - ٥٤، ابن خلدون: المصدر السابق، ص١٥.

٧٣- عبد الهادي التازي: جامع القرويين، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢، جـ١ ص٤٩.

٧٤- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص٥، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٧٧، سعد زغلول: المرجع السابق، جـ٢ ص٤٦٧.

٧٥- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص٥، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٧٧ - ٧٨ السلاوي: الاستقصا، جـ١ ص٧٨.

٧٦- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص٦، ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص٧٨ - ٧٩، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ٢ ص٥٥٥، السلاوي: المرجع السابق، جـ١ ص٧٨.

٧٧- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص٦، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٨٠، سعد زغلول: المرجع السابق، جـ٢ ص٤٧٨.

٧٨- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٨٠، ابن أبي دينار القيرواني: المؤنس في أخبار أفريقية وتونس تحقيق محمد شمام، تونس، المكتبة العتيقة، الطبعة الثالثة ١٩٦٧، ص١٠٣، Terrasse: Op. Cit, TomeI, p. 126 .

٧٩- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص٧، ابن أبي زراع: المصدر السابق، ٨١ - ٨٢ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦، ص٢٢٦، ويجعل ابن خلدون خروج عامل الفاطميين على فاس في عام ٣١٣هـ، انظر كذلك

Terrasse: Op. Cit, Tome I, p. 126.

٨٠- موسى بن أبى العافية: هو زعيم مكناسة إحدى بطون زناته، وأميرها بنواحى مليلة وتازا وتسول، استفحل أمره وعظم سلطانه وتغلب على كثير من قبائل البربر وكانت بينه وبين الأدارسة بالمغرب فتن وحروب كثيرة، وكان موسى بن أبى العافيه مرة يوالى الدولة الفاطمية بالمغرب فتن وحروب كثيرة، وكان موسى بن أبى العافية مرة يوالى الدولة الفاطمية بالمغرب، ومرة يوالى الأمويين بالأندلس، واستطاع أن يستولى على فاس وبعض أعمال المغرب، وأجلى الأدارسة عن مناطق نفوذهم حتى الجأهم إلى حصنهم بقلعة حجر النسر مما يلى مدينة البصرة. انظر ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦، ص١٣٤ – ١٣٥.

٨١- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص٨، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٨٢، السلاوى: الاستقصا، جـ١ ص٨٠، عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٦٨، جـ١ ص١٢٠.

٨٢- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٨٣.

٨٣- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص٩، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٨٥، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦، ص١٣٥، السلاوى: المرجع السابق، جـ١ ص٨٢.

٨٤- السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، ص٤١٩.

٨٥- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٨٥ – ٨٦، ابن خلدون: المصدر السابق جـ٦ ص١٣٥، السلاوى، المرجع السابق، جـ١ ص٨٢،

Terrasse: Historie du Maroc, TomeI, p. 185, L. Goluin: Le Magrib Central al' epoque Des Zirides, Paris, 1957, p. 69.

٨٦- مجهول: جمع وتواريخ فاس، ص١٠.

٨٧- ابن أبى زرع: المصدر السابق، جـ٤، ص٨٨، السلاوى: المرجع السابق، جـ١ ص٨٥.

٨٨- ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤ ص٤٦، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص٤٢٠.

٨٩- مجهول: نبذ تاريخه جامعة لأخبار المغرب الأقصى فى القرون الوسطى، تحقيق ليفى بروفنسال، رباط الفتح، المطبعة الجديدة، ١٩٣٤، ص٥، ابن أبى زرع: الانبيس المطرب، ص٩٠، السلاوى: المرجع السابق، جـ١، ص٨٦.

٩٠- ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٤، ص٤٧.

٩١- غالب: هو القائد غالب بن عبد الرحمن الناصرى من أشهر قواد الأمويين فى الأندلس كان فى غاية الحزم والنجدة والشهامة والدهاء والإقدام، وجهة الحكم المستنصر إلى المغرب لمحاربة الفاطميين عام ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م فانتصر على الفاطميين نهائيًا وطردهم من المغرب الأقصى. انظر ابن حيان: المقتبس فى أخبار الأندلس، تحقيق عبد الرحمن على الحجى، بيروت، دار الثقافة ١٩٨٣. ص٢١، ٦٩، ١٧٤، ابن عذارى المراكشى: البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، الطبعة الثانية ١٩٨٠، جـ٢، ص٣٤٦، ابن القاضى: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٠٤ - ٥٠٥.

٩٢- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص١٢، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٩٢، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص٢١٨، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص٤٢١.

٩٣- ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص١٥٦، وبلكين بن زيرى بن مناد، هو زعيم قبائل صنهاجة الذى اختاره الخليفة المعز لدين الله الفاطمى لولاية أمر أفريقية والمغرب والقيام بأمر الفاطميين بالمغرب بعد رحيلهم إلى مصر، لما له من رسوخ قدم وغناء وتشييع للفاطميين، حيث أطلق المعز لدين الله يد بلكين بن زيرى فى الجيش، والمال والأعمال. انظر ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص١٥٥.

٩٤- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٩٢، ص١٠١.

٩٥- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٠١ - ١٠٢،

Terrasse, Op. Cit, Tome I, p. 188.

٩٦- زيرى بن عطية المغراوى: كان أميرًا على بن خزر من مغراوة إحدى بطون زناته كانت محلاتهم تقع بالمغرب الأوسط، وهو الذى مهد لقبائل زناته سيطرتهم على فاس والمغرب الأقصى حيث توارث بنية الملك إلى بداية دولة المرابطين. انظر: ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٧ ص٢٤، ٢٨.

٩٧- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٠٢ - ١٠٣، لسان الدين بن الخطيب: أعمال الإعلام، القسم الثالث، ص١٥٥ - ١٥٧.

٩٨- يدوين يعلى: زعيم بنى يفرن بسلاكان قد لحق بالمغرب الأقصى بعد أن أوقع جوهر الصقلى بأبيه عام ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م حيث تفرقت جموع بنى يفرن، فأستقر بدون بمدينة سلا، وكان يدو هذا من أمراء زناته كثير الاضطراب على الأمويين

بالأندلس، والمراوغة لهم بالطاعة، وكان المنصور بن أبى عامر يضرب بينه وبين فرينة زيرى ابن عطية.
انظر لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ص١٦٤ - ١٦٥، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٧، ص٢٠.

٩٩- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٠٤ - ١٠٥، لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ص١٥٨، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٧ ص٢١، السلاوى الاستقصا، جـ١ ص٩٢.

١٠٠- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٠٥ - ١٠٨، لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ص١٥٨، ويجعل لسان الدين بن الخطيب دخول عبد الملك فاس عام ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٧ ص٣٢ - ٣٣، السلاوى: المرجع السابق، جـ١ ص٩٢.

١٠١- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٠٧، لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ص١٥٩ - ١٦٠.

١٠٢- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٠٧ - ١٠٨.

١٠٣- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٠٨، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون: جـ٧، ص٣٣ - ٣٤ ويجعل لسان الدين بن الخطيب ولاية المعز بن زيرى فى عام ٣٩٧هـ/ ١٠٠٦م. انظر إعلام الإعلام، القسم الثالث، ص١٦٠.

١٠٤- مجهول: نبذ تاريخية فى مفاخر البربر، ص٤٢، ويجعل وفاة المعز بن زيرى فى عام ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م. ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٠٨، ابن القاضى المكناسى: جذوه الاقتباس جـ١ ص٣٧٧، السلاوى: المرجع السابق جـ١ ص٩٥.

١٠٥- تذكر أغلب المصادر التاريخية أن حمامه هو ابن المعز بن زيرى بن عطية، انظر نبذ تاريخية ص٤٢، لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ص١٦١، ولكن ابن أبى زرع وابن خلدون يجعلاه ابن عمه، ويفندا رواية المؤرخين، ويذكران أنها ليست صحيحة، حيث وقع اللبس بسبب الاتفاق فى الأسماء فنشأ الغلط، انظر الأنيس المطرب، ص١٠٨ - ١٠٩، تاريخ ابن خلدون، جـ٧ ص٣٥.
ويعلق سنوسى إبراهيم على ذلك بقوله: إن قول ابن زرع مردود عليه لأنه كان للمعز ولدين هما حمامه ومعنصر، كما ذكر صاحب مفاخر البربر نقلاً عن ابن حيان وعبد الملك بن الوراق، وقد عاصر ابن حيان الفترة وكان أقرب للأحداث، ذلك إلى جانب أنه ليس هناك سابقة ولا لاحقة فى تاريخ الإمارات الزناتية

عنوانه ملاحظات على أسماء المواقع الأسبانية والمغربية. أنه ليس من الضروري أن يكون هناك اسم واحد لأحد أبواب أي مدينة، إذ ربما تعدد اسم باب من الأبواب التي أقيمت على حين يطلق عليه أسماء عدة في وقت واحد، فالباب الواحد يمكن أن يكون له اسم رسمي واسم شعبي في وقت واحد. انظر: الإسلام في المغرب والأندلس، ص٥٦.

٤٤- فنان عبد القادر: المرجع السابق، ص٨٩.

٤٥- سلجماسة: مدينة بالمغرب الأقصى في أول الصحراء بنيت عام ١٤٠م، بينها وبين فاس ثلاثة عشر مرحلة، وهي مدينة سهلية مبنية على نهرين، حولها أرباض كثيرة، تشتهر بكثرة الفواكه ويربطها طريق تجاري ببلاد السودان وغانة. انظر البكري: المصدر السابق، ص١٤٨ - ١٤٩.

٤٦- غمارة والريف: نسبة إلى جبل غمارة المعروف في شمال المغرب الأقصى، وغمارة شعب من البربر البرانس سموا باسم والدهم غمارة بن مصمودة، وتزعم العامة أنهم عرب غمروا في الجبال فسموا غمار. انظر ابن خلدون: تاريخ بن خلدون جـ٦ ص٢١.

٤٧- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص١٥، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٤٠، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص٣٤. أما تلمسان فهي قاعدة بلاد المغرب الأوسط، وهي مدينة عظيمة قديمة فيها آثار الأول بينها وبين وهران مرحلتان، وكانت تلمسان دار مملكة زناته، ويقطن حولها كثير من قبائل البربر، وهي كثيرة الخصب والرخاء، يقصدها كثير من التجار ومنها يسافرون إلى مدينة سجلماسة وبين فاس وتلمسان مسيرة ثمانية أيام. انظر البكري: المصدر السابق، ص٧٦ - ٧٧، الزهري، كتاب الجغرافيا، ص٥١، الحميري: الروض المعطار، ص١٣٥ - ١٣٦.

٤٨- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ٢، مجهول: رسالة في ذكر من أسس فاس، ورقة ٣٢ - ٣٣، البكري: المصدر السابق، ص١١٥، ابن أبي زرع: المصدر السابق،

انتزعها منهم موسى بن أبى العافية سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م، ثم صارت عاصمة لبنى يفرن فى أواخر القرن الرابع الهجرى، وفى بداية دولة المرابطين خربت شالة بسبب الحرب بين برغواطه والمرابطين، وحاول بنو مرين تجديد بناء مدينة شالة فأداروا عليها الأسوار وبنو بها مدارس ومساجد، كما اتخذوا بها مدافن لملوكهم وأعيانهم. انظر الإدريسى: وصف أفريقيا الشمالية، عن كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، ص١٧، لسان الدين بن الخطيب: أعمال الإعلام، القسم الثالث ص١٨٤، عبد الوهاب بن منصور: فى تحقيقه لجنى زهرة الأس، ص١٣، وانظر:

Henri Basset et Lévi Provencal: Chelia, Une Nécrapole Merenide, Paris, 1922, p; 157.

١١٣- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص٢٠، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١١، لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ص١٦١، ابن خلدون: المصدر السابق جـ٧ ص٢١.

١١٤- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص٢٠، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١١١، الجزنائى: جنى زهرة الآس، ص٤٠، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٧ ص٣٥، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق جـ١ ص١٩٤.

١١٥- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص٢٠، الجزنائى: المصدر السابق، ص٤٠ - ٤١، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٧، ص٣٥، ظل الباب الذى فتحه عجيسة بعدوة القرويين على حاله حتى أيام الخليفة الموحدى الناصر بن يعقوب المنصور الذى أمر بإعادة بناء سور مدينة فاس الذى كان جده الخليفة عبد المؤمن بن على قد هدمه أثناء فتحه لمدينة فاس، وصنع فى هذا السور بابا كبيرا فوق باب عجية القديم، ثم أمر بتغير اسم الباب فأسقط الناس حرف العين من عجيسة، وجعلوا الألف واللام عوضا عنها فقالوا باب الجيسة. قيل أن الذى أمر بتغيير الاسم الأمير فتوح عندما ظفر بأخيه عجيسة.

انظر الجزنائى: المصدر السابق، ص١٠٥ - ١٠٦.

١١٦- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص١١١ - ١١٢، الجزنائى: المصدر السابق، ص٤١، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٧ ص٣٥، ابن القاضى المكناسى جذوة الاقتباس، جـ١ ص٤٩.

١١٧- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص٢٠، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١١٢، الجزنائى، المصدر السابق، ص٤١، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ١ ص١١٤.

١١٨- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١١٣ - ١١٤.

١١٩- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص٢١، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١١٤. حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، القاهرة، دار الفكر العربى، بدون تاريخ، ص٨٩.

الفصل الثانى

الحياة السياسية بمدينة فاس فى عصرى المرابطين والموحدين

(٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م إلى ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩)

أولاً: الحياة السياسية بفاس في عصر المرابطين:

شهد المغرب الأقصى خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين فترة مزدهرة حتى أصبحت بحق من أخصب فتراته فى العصر الإسلامى، حيث نشأت على أرضه أضخم دولتين عرفتهما هذه المنطقة خلال تاريخه الإسلامى، هما دولتا المرابطين والموحدين[1]. وينتمى المرابطون إلى قبائل كدالة ولمتونة وجدالة ولمطة ومسوفه، وهذه القبائل منتسبة إلى صنهاجة الجنوب الضاربة فى الصحراء[2] وقد انتهت رئاسة تلك القبائل إلى يحيى بن إبراهيم الكدالى الذى ارتحل إلى المشرق من أجل الحج فى عام ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥ - ١٠٣٦[3]، فلما قضى حجة قفل إلى بلاده، فمر فى طريق عودته بالقيروان، حيث أتيح ليحيى سماع عالمها وفقيهها أبا عمران الفاسى[4]. وتأثر يحيى بن إبراهيم بتعاليم هذا الفقيه، فرغب أن يبعث معه من طلبته من يثق فيه قائلاً: "فينا أقوام يحرصون على تعاليم القرآن وطلب العلم، ويرغبون فى التفقه فى الدين لو وجدوا إلى ذلك سبيلاً، فعسى يا سيدنا أن تنظر لنا من طلبتك من يتوجه معنا إلى بلادنا ليعلمنا ديننا"[5]. فوجد من الفقيه أبا عمران قبولاً واستجابة، حيث كتب الشيخ أبو عمران إلى وجاج بن زللو اللمطى[6] من أهل السوق الأقصى كتابًا ليرسل من طلبته من يبعثه مع يحيى ابن إبراهيم الكدالى إلى بلاد الصحراء[7].

وما إن وصل يحيى بن إبراهيم بكتابه إلى وجاج بن زللو بمدينة نفيس[8] فى عام ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م حتى انتدب له عبد الله بن ياسين الجزولى وكان موصوفًا بالعلم والخير من حذاق طلبته من أهل الدين الورع والسياسة، فخرج مع يحيى بن إبراهيم إلى بلاد الصحراء[9]. موافقًا على هذه المهمة الشاقة[10]. فتلقنهم قبائل كدالة ولمتونه وفرحوا بقدومهما، فشرع الفقيه عبد الله بن ياسين يعلمهم القرآن ويقيم لهم دروس الدين ويسوسهم بآداب الشرع، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ومشتدًا عليهم فى إقامة الحدود.[11] ولكن كان اشتداده فى تطبيق أحكام الدين وإقامة الحدود، أن استصعبت هذه القبائل عمله، وتركوا الأخذ عنه. ثم عزم ابن ياسين على الرحيل عنهم إلى جزيرة فى البحر ومعه سبعة نفر من كدالة حيث ابتنى رباطه هناك فكثر عليه الواردون، فلم تمر إلا مدة يسيرة حتى اجتمع عليه من التلاميذ نحو ألف رجل[12].

واكتسب رباطه شهرة عظيمة كمركز للجهاد وللأتباع الجدد.[13] وأطلق عبد الله بن ياسين على أتباعه اسم المرابطين[14]. نسبة إلى رباطه الذى تلقوا فيه

تكوينهم الروحى والحربى، كما عرفوا أيضًا بالملثمين لاتخاذهم لثامًا يستر الوجه كله، فلا تبدو إلا محاجر العينين، كما عرفوا أيضًا باللمتونيين نسبة إلى قبيلة لمتونة التى كانت تتولى الرئاسة على سائر قبائل صنهاجة[١٥].

واستطاع عبد الله بن ياسين فى أمد وجيز أن يؤلف جيشًا محاربًا جعل على قيادته صاحبة يحيى بن عمر، وعندئذ شرع فى نشر تعاليمه بين قبائل صنهاجة، ولكن توفى يحيى بن عمر سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م فقدم مكانه أخاه أبو بكر بن عمر، حيث قلده أمر الحرب والجهاد وذلك فى المحرم ٤٤٨هـ/ مارس ١٠٥٦م[١٦]. وخضعت أكثر قبائل الصحراء مثل كداله ولمتونه وجدالة ومسوفة للمرابطين، فقويت شوكتهم، واستولوا على مضارب تلك القبائل بالصحراء، وما وراءها من بلاد المصامدة والقبلة والسوس بعد حروب كثيرة[١٧].

وبعد أن تم للمرابطين بسط سيادتهم على الصحراء واطمأنوا من ناحية الجنوب بدأت جموعهم تطرق أبواب المغرب، حيث اتجهت أنظار ابن ياسين إليه ليضع حدًا للمظالم التى كانت منتشرة ببعض المدن المغربية[١٨]. فأمر عبد الله بن ياسين أتباعه بالخروج من الصحراء إلى بلاد سجلماسة ودرعه[١٩] وأهلهما يومئذ تحت طاعة أمراء مغراوة وزناته .. فغزاهم فى جيش كثيف حتى غلبوا عليهم، ودخل المرابطون المدينتين[٢٠]. ثم تدفق المرابطون فى موجات كاسحة إلى الواحات المغربية الواقعة بين نهر درعة الأوسط وتافيليت[٢١]. إلا أن زناتة لم تحتمل غزو صنهاجة فثارت تافيليت، وخرجت سجلماسة على المرابطين، فأعلن عبد الله ياسين الجهاد وسار لقتال زناته[٢٢]. ففتح المرابطون بجيش فى مقدمته يوسف ابن تاشفين اللمتونى مدينة ماسة[٢٣] وتارودانت[٢٤]. قاعدة بلاد السوس، وبعث أبو بكر بن عمر، ابن عمه يوسف بن تاشقين إلى واحات درعة فنجح فى استردادها فيما بين عامى ٤٤٨ - ٤٤٩هـ/ ١٠٥٦ - ١٠٥٧م[٢٥]. ثم اتجه المرابطون نحو أغمات[٢٦]، فدخلوا المدينة وما يليها سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م، ومال المرابطون غربًا إلى إقليم تامسنا[٢٧]، لمحاربة برغواطه[٢٨]، حيث غزاهم عبد الله بن ياسين مع أبى بكر بن عمر فى جمع عظيم، فقاتلهم قتالاً شديدًا، واستشهد ابن ياسين فى جهادهم وذلك فى عام ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م[٢٩].

وبعد ذلك نازل أبو بكر بن عمر مدينة لواته[٣٠] وافتتحها عام ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م غير أن هذه الفتوحات لم يكتب لها الاستمرار، فقد حدث فى هذه السنة شقاق بين لمتونة ومسوفة ببلاد الصحراء، فخشى أبو بكر بن عمر أن تفترق كلمتهم،

وتنشت جموعهم فرأى ضرورة التوجه إلى الصحراء ليصلح بين القبلتين ويربأ الصدع، فأستخلف ابن عمه يوسف ابن تاشفين فى قيادة جيوش المرابطين، وولاه بلاد المغرب مكانه نيابه عنه، وقسم الجيش حيث ترك له الثلث من لمتونة، وشرع هو فى التوجه إلى بلاد الصحراء(٣١).

ثم انطلق المرابطون إلى شمال الأطلس الكبير، تحت قيادة رئيسهم يوسف بن تاشفين الذي غزا المغرب الأقصى ثم المغرب الأوسط(٣٢) فكشفت قيادته للمرابطين عن عظمته(٣٣). وأصبح يوسف بن تاشفين أميرًا على البلاد منذ عام ٤٥٣هـ/١٠٦١م وكانت عزيمته قوية ونظره بعيد، فاختط مدينة مراكش(٣٤) عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م لتكون عاصمة لملكه، ثم أنشأ جيشًا كبيرًا من قبائل صنهاجة وزناتة والمصادمة وزحف بهم من مراكش لفتح ما تبقى من حواضر المغرب(٣٥). فكان اتجاه المرابطين نحو الشمال هو الذى حدد مستقبل دولتهم، حيث فتحوا فى تاريخ المغرب على الخصوص وتاريخ العالم الإسلامى على العموم صفحة جديدة(٣٦).

محاولات المرابطين لفتح فاس:

نجح المرابطون فى القضاء على الإمارات الزناتية فى إقليم الجنوب ولم يبق أمامهم لتعلوا كلمتهم وتتم لهم الغلبة على الشعب الزناتى إلا أن يقضوا على الإمارة المسيطرة على منطقة فاس، والجهات المحيطة بها(٣٧) حيث كانت تحكم هذه المنطقة قبائل زناته وهى قبائل مذمومة سيئة السيرة على غاية من الظلم ونهاية من الجور والتعدى(٣٨). وكانت مدينة فاس ما زال يسيطر على الفتوح بن دوناس بعد تغلبه على أخيه عجيسة(٣٩).

أدرك المرابطون أهمية هذا الإقليم الذى إذا سيطر عليه فاتح استطاع أن يسيطر على أقاليم المغرب الأقصى كلها دون عناء(٤٠). وأعد ابن تاشفين جيشه إعدادًا حسنًا يتناسب مع أهمية الدور الذى سيقوم به فى هذه المرحلة، وقدر المرابطون خطورة اتجاههم نحو الشمال وصعوبته حيث سيواجهون خصمًا عنيدًا طالما نازعهم العداء من قبل، ذلك الخصم هو قبائل زناته بحشودها الجرارة الذين وقفوا يتربصون لذلك الحلف الذى قام فى الصحراء يريدون الإجهاز عليه، وإنهاء دعوته التى تتهدد ديارهم وملكهم(٤١). لذلك عنى المرابطون بالجيش عناية فائقة، وأمعنوا فى تنظيمه وتسليحه(٤٢). ففى عام ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م جند يوسف بن تاشفين الأجناد واستكثر القواد، واتخذ كثيرًا من الطبول، وأخرج العمال وكتب العهود، كما جعل

فى جيشة الاغزاز والرماة، كل ذلك إرهابًا لقبائل المغرب، فكمل له من الجيش فى تلك السنة ما يزيد عن مائة ألف فارس، فخرج بهم من مراكش قاصدًا مدينة فاس[٤٣].

كان ابن تاشفين يدرك أن مدينة فاس من المعاقل الحصينة التى يتطلب فتحها مثل هذه الأعداد الغفيرة، وبالفعل تلقته القبائل الفاسية من زواغة ولماية ولواته وصدينة وسدارته ومفيلة وبهلولة ومديونه فى خلق عظيم وعدد كثير، فكانت بينهم وبينه حرب عظيمة انهزموا فيها وانحصروا بمدينة صدينة[٤٤]. فدخل عليهم بالسيف وهدم سورها وخربها وقتل بها ما يزيد على أربعة آلاف رجل، وفتح استيلاء يوسف بن تاشفين على مدينة صدينة الطريق إلى مدينة فاس التى ارتحل إليها يوسف لأن قلوب المرابطين لم تكن لتطمئن وعدوهم جاثم بمدينة فاس، خاصة وأن الوادى الذى تقع فيه كان مركز الثقل فى المغرب الأقصى كله، كما أن من يسيطر على فاس يستطيع دون عناء إذا توفرت له القوة أن يتحكم فى السهول الشمالية كلها، لذلك قرر المرابطون التقدم صوب فاس مهما كلفهم ذلك من تضحيات[٤٥].

وهنا خيم الخوف والذعر على المغراوين بفاس حين توجه إليها يوسف بن تاشفين لحصارها[٤٦]. فخشى الفتوح بن دوناس عاقبة الأمر فرحل متخليًا عن ملك مدينة فاس لابن عمه معنصر بن حماد الذى بايعته قبائل مغراوة بفاس[٤٧]. وازداد هذا الخوف عندما تحالف صاحب مكناسة[٤٨] (مهدى بن يوسف الكزنائى) الذى كان عدوًا لمعنصر المغراوى صاحب فاس مع يوسف بن تاشفين[٤٩]. وسوف يكون لهذا التحالف أثره فى تسهيل مهمة الاستيلاء على مدينة فاس[٥٠]. ومن ثم بدأ الصراع بين يوسف بن تاشفين وبين الفرع الأكبر من زناته وهو الذى يحكم فاس. فى هذه الأثناء دب النزاع بين فاس ومكناسة، واستنجدت مكناسة بيوسف بن تاشفين، وكان أمير فاس يحارب على طريقة زناته حرب كروفر، فيفر من المرابطين ثم يعود فارًا على حين غره، وكان أمير فاس يعتمد أيضًا على حلف بينه وبين صاحب سبته وطنجة[٥١]. الحاجب سكوت البرغواطى[٥٢]. وعلى قربة من منازل مغراوية فى الريف وتازا[٥٣] ونكور[٥٤] وتلمسان[٥٥].

ويبدو أن المرابطين قد جمعوا بين نظامى الكر والفر، ونظام الزحف فى حروبهم الأولى ضد أمراء المغرب، وكان هذا نظامًا أملته عليهم طبيعة المرحلة التى ظهروا فيها وطبيعة الأرض التى يحاربون عليها[٥٦] وقد دخل المرابطون حرب فاس بأسلوب الكر والفر، واستخدم فيها يوسف ابن تاشفين طريقة جديدة فى الحرب

وهى أسلوب التقرى[٥٧] حيث تقرى منازلها، وفتح جميع الحصون المحيطة بها"[٥٨] وهو أسلوب طبقة ابن تاشفين على فاس وما حولها من حصون صغيرة وكبيرة، وعلى المشارف الجنوبية لجبال غمارة[٥٩]. ثم وجه إلى فاس فنازلها بعد أن فتح جميع أحوازها وذلك آخر سنة ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م، ثم أقام يوسف على فاس أيامًا، فظفر بعاملها بكار بن إبراهيم، فقتله، وارتحل عنها إلى مدينة صفرو[٦٠] فدخلها عنوة[٦١]. ثم رجع ابن تاشفين بعد ذلك إلى مدينة فاس فحاصرها حتى فتحها صلحًا، وهو الفتح الأول وذلك عام ٤٥٥هـ/ ١٠٦٢م، وأقام يوسف أيامًا بفاس واستخلف عليها عاملاً من لمتونة وخرج هو إلى بلاد غمارة[٦٢]. وكان الفتح الأول لفاس فتحًا مشروطًا، وهو يختلف عن فتح العنوة، ففتح الصلح يتضمن قيودًا لصالح البلد المفتوح تحد من تصرفات الفاتح، بينما يخلو فتح العنوة منها[٦٣]. ورغم صمت المصادر التاريخية عن الأسباب التى دفعت بابن تاشفين لقبوله فتح فاس صلحًا، فإن هذا يجعلنا ظن أنه لقى من مقاومة الزناتيين بفاس ما أضطره إلى قبول الصلح، كما أن ابن تاشفين اكتفى بفتح الصلح كى يوجه جيوشه إلى مشارف غمارة.[٦٤]

وبالرغم من انعقاد هذا الصلح فإن فاس لم تستسلم ليوسف بن تاشفين الاستسلام النهائى.[٦٥] حيث استغل تميم بن معنصر - بعد مهلك معنصر المغراوى - خروج يوسف بن تاشفين إلى بلاد غماره وبعده عن فاس، فدخل تميم المدينة، وقتل عامل يوسف الذى كان بها، ومثل بالمرابطين حرقًا وصلبًا، وثارت زناته بفاس ضد المرابطين فأزعجوهم، وتولى أمر المدينة تميم بن معنصر فى عام ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م[٦٦]. وهكذا تمكن تميم من استرداد فاس، وطرد أعداءه ملحقًا أول هزيمة بيوسف بن تاشفين[٦٧]. ولم يكن فى إمكان يوسف بن تاشفين أن يعود إلى فاس، وهو لم يثبت أقدامه بعد فى جهات غمارة[٦٨].

وعلى أثر سقوط فاس طلب يوسف من حليفه "مهدى الكزنائى" أن يتجهز لقتال مغراوة، فخرج مهدى من مكناسة واتجه نحو فاس، وخاف تميم بن معنصر أن يتقوى المرابطون عليه إذا وصل حليفهم الكزنائى، فتقدم فى أجناد مغراوة وقبائل زناته نحو مكناسة قاصدًا صاحبها الكزنائى، حيث لحق به فى بعض الطريق، فكان بينهما قتال شديد تمكن فيه تميم من هزيمة الكزنائى، وفض جموعه، وقتله وبعث برأسه إلى الحاجب سكوت البرغواطى[٦٩].

وهكذا أصبحت مدن المغرب الشمالية فى قبضة تميم، ونال ما أراده من عدوة الكزنائى ثم أخذ تميم يعمل على تطهير فاس من كل من يشتم منه الميل إلى

المرابطين(٧٠). وعندئذ بعث أهل مكناسة إلى يوسف بن تاشفين يستصرخونه ويستغيثون به ضد صاحب فاس، واعطوه بلادهم، وبذلوا له الطاعة، ولم تطل فرحة تميم بالنصر، فقد تدارك المرابطون الأمر فى سرعة وثبات، فلم يكد تميم بن معنصر يستقل بأمره حتى وجه ابن تاشفين عساكرة لحصار فاس التى قامت بحصار المدينة وتضييق الخناق عليها، وقطع الموارد عنها، فلما رأى صاحب فاس أن الأمر قد اشتد عليه وانقطعت عنه المواد والموارد، وعدمت الأقوات بفاس، جمع جيشا عظيما من مغراوة وبنى يفرن وخرج إلى قتال المرابطين، ولكنه يبدو أن حصار المرابطين للمدينة قد أتى ثماره، فكانت الهزيمة على تميم حيث قُتل وقُتل معه خلق كثير(٧١). ودخل ابن تاشفين مدينة فاس هذه المرة عنوة فقتل بها من زناته ما يزيد عن عشرين ألفًا وذلك عام ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م(٧٢).

وكان على قبائل زناته بفاس أن تعمل على صد الخطر المرابطى وفعلاً التفت زناته حول بيت زناتى أخر كانت له الرئاسة قبل بيت زيرى هو بيت موسى ابن أبى العافية(٧٣). حيث اجتمعت زناته بعد مقتل تميم على القاسم بن محمد بن عبد الرحمن من ولد موسى بن أبى العافية، الذين كانوا ملوكًا بتازا وتسول(٧٤)، وزحفوا إلى عساكر المرابطين حيث التقوا معهم فى وادى سيمر(٧٥)، فكان بينهم قتال شديد انهزم فيه المرابطون، وقتل جماعة من فرسانهم، وفى هذه الأثناء كان يوسف بن تاشفين يحاصر قلعة فازاز(٧٦) حيث وصلته أنباء خبر هزيمة المرابطين، فأرتحل عن القلعة تاركًا جيشًا من المرابطين محاصرًا لها(٧٧). وهكذا نجحت زناته فى حربها ضد المرابطين هذه المرة، كما نجحت فى المرة الأولى، بل انتصر جيش القاسم بن أبى العافية على جيش المرابطين، الذين أصبح موقفهم فى غاية الصعوبة، وكادت تضيع جميع جهودهم التى بذلت فى فتح فاس، كما خشوا أن تنتشر أخبار تلك الهزائم، وتتآلب القبائل التى حالفت المرابطين، فأضطر قائدهم أن يعود مرة أخرى إلى مدينة فاس، ليعمل على معالجة الأمور بسرعة، خاصة وأنها الهزيمة الثانية التى تصيب المرابطين فى مواجهة عسكرية مع قبائل زناته بفاس(٧٨).

ويبدو أن يوسف بن تاشفين اختص نفسه بمنطقة فاس وما جاورها لأنها قلب المقاومة ومركز ذلك الصراع.(٧٩) فتقدم جيش المرابطين نحو فاس، وفى هذه المرة لجأ ابن تاشفين إلى أسلوب التقرى التماسًا لفرصة من زعيم بنى مراسن وفتح بلادهم وسار إلى بلاد فندلاوة وورغة فغزاهما، وفتح جميع تلك الجهات(٨٠). وبذلك أحاط ابن تاشفين بمدينة فاس إحاطة السوار بالمعصم، عازلاً لها عن الجهات

المجاورة[81] غير أن القاسم بن أبى العافية لم يمكنه من نفسه، وفضل الانتظار لفرصة إن أمكن، ولكن لم يقدر لزناته أن تعود مرة أخرى إلى الكر، وظل ابن تاشفين متمسكًا بأسلوب التقرى تمهيدًا للدخول فى مرحلة رئيسية للاستيلاء على المدينة[82].

وبعد أن تم ليوسف فتح البلاد المحيطة بفاس، زحف على المدينة بجميع جيوشه وشدد عليها الحصار، حتى دخلها عنوة بالسيف، فقتل بها من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة، وقبائل زناته خلقًا كثيرًا حتى امتلأت أسواق المدينة وشوارعها بالقتلى وأعوزت مدافنهم فرادى، فأتخذت لهم الأخاديد وقبروا جماعات فقتل منهم بجامعى القرويين والأندلسيين ما يزيد على ثلاثة آلاف رجل، وفر من بقى منهم إلى أحواز تلمسان، وهو الفتح الثالث لفاس، وكان دخول يوسف بن تاشفين إياها فى يوم الخميس جمادى الأخرى عام ٤٦٢هـ/ ١٨ مارس ١٠٧٠م[83] ويجعل ابن عذارى ذلك عام ٤٦٤هـ/ ١٠٧٢م[84]، ولكن هذا تاريخ عما تذكره المصادر الأخرى.

هكذا فوجئت قبائل زناته بيوسف بن تاشفين، ولم يستطع الزناتيون بفاس قتال ابن تاشفين، بل تخلوا عن البلاد، وانسحبوا مع أميرهم آملين فى الحصول على نجده، ولكن يوسف بن تاشفين انتقم من الهزائم السابقة التى حلت به من الزناتيين دون أن يجد أية مقاومة. ويبدو أن سكان فاس أمام هذا القتل فقدوا أى أمل من الزناتيين، فبدلاً من مساعدتهم قاموا بمطاردتهم وكأنهم رعايا ثائرون عليهم ثم التقوا بهم على وادى أبى رقراق بأمتعتهم وعائلاتهم مجهدين يكادون يموتون من الجوع، فأثخنوا فيهم ولم يفلت من أيديهم إلا من غرق أو قفز إلى أسفل الصخور، فتلك هى الصورة التى هلكت بها قبائل زناته[85]. ويتضح لنا من خلال هذا مدى انحياز أهل فاس إلى قوات ابن تاشفين بعد أن تملكهم اليأس من نصرة الزناتيين، وهكذا شهدت مدينة فاس صراعًا مريرًا ومعارك مستمرة قرابة الثمان سنوات، إلى أن استولى المرابطون عليها.

وبسقوط فاس فى يد المرابطين تنتهى الحلقة الأخيرة من حلقات ذلك الصراع العنيف الذى احتدم بين زناته وبين صنهاجة الجنوب، وقد تفرق شمل زناته ولم تعد لها بالمغرب الأقصى قوة تذكر .. وكان لاستيلاء المرابطين على فاس أهمية بالغة الأثر، فقد فتح الطريق أمامهم ليتموا فتح المغرب الأقصى كله، ويستولوا على السهول الساحلية، كما أنه يمثل بدء احتكاك المرابطين بالحضارة المغربية الأندلسية التى كانت مزدخرة بفاس وبالسهول الساحلية من إقليم الريف[86].

- توحيد فاس وتنظيما في عهد المرابطين:

لم تكن مدينة فاس عاصمة للمرابطين، ولكن كانت إحدى مدنهم الرئيسية فهي وإن كانت مدينة لإدريس الثاني بنشأتها الأولى، فأن يوسف بن تاشفين هو مؤسسها الثاني، حيث اهتم ابن تاشفين بمدينة فاس على الرغم من اتخاذه مدينة مراكش عاصمة لدولته.[87] فلم يكد يستقر بفاس حتى أدرك الوضعية المتناقضة للمدينتين المتلاحقتين[88]. تلك الوضعية التي كانت تشعر سكان العدوتين بضيقهما، ولا شك أن يوسف بن تاشفين استجاب لهذا الإحساس[89]. فأمر بهدم الأسوار التي كانت تفصل بين القرويين والأندلسيين من عدوتها، وربطهما بعدة قناطر، وصيرهما مدينة واحدة[90].

ولا شك أن هذا القرار كان صائبًا ... لكنه لم يستطع أن يقضي على الخلافات القائمة بين المدينتين دفعة واحدة، وما زلنا نذكر أن سكان المدينتين كانوا من عناصر مختلفة .. فكان توحيد المدينة يواجه مصالح معنوية ومادية، لا يمكن أن يوقفها عند حدها أقل من يوسف بن تاشفين.[91] الذي "أقر العامة بها، ونفى البربر والجند بعد أن حبس بعضهم وقتل بعضهم فعند ذلك قوى شأنه وتمكن بالمغرب الأقصى والأدنى سلطانه"[92]. في نفس الوقت قام يوسف بن تاشفين بإدارة الأسوار على مدينة فاس، جاعلها سورًا واحدًا، وأصلح أسوارها[93] والتي نعتقد أنها تهدمت في فترة الاضطرابات السياسية التي شهدتها فاس قبيل دخول المرابطين، وأثناء محاولاتهم للاستيلاء على المدينة. حيث أصلح ابن تاشفين السور الذي بأعلى الوادي الكبير بقرب حوض السفرجل، والسور الذي أسفله حيث هي الرميلة الذي كان بناءه دوناس حين أدار الأسوار على سائر أرباض المدينة[94]. ولا شك أن ابن تاشفين أراد من ذلك أن يتخذ صيغة الجدار الدفاعي، والتحصين العسكري خوفًا من مباغتات زناتيه مفاجئة.

وعمل يوسف بن تاشفين على تحويل فاس إلى قاعدة عسكرية، إذ كانت إلى ذلك الحين - على ما يبدو - لا تحتوي سوى حاميات متواضعة. فأصبحت فاس مع ابن تاشفين القاعدة الرئيسية لعمليات المرابطين، سواء تعلق الأمر بالزحف إلى الشرق نحو تازا وملوية[95] وتلمسان وحتى الجزائر أو أراد يوسف إخضاع قبائل الريف وجباله، أو ذهب بعد قليل لفتح بلاد الأندلس، فكان يتخذ فاسًا دائمًا قاعدة أساسية لغزواته[96]. لأن المرابطين على حد قول هوبكنز قد اهتموا بالشؤون العسكرية أكثر من اهتمامهم بالشؤون المدنية[97]. لهذا الغرض بنى القصبة التي يمكن

التعرف عليها بالحى الذى ما زال يسمى "بوجلود" أو القصية القديمة.[٩٨] التى تقع فى غرب المدينة، فى مكان مرتفع، مفصولة تمامًا عن باقى المدينة لكنها تشرف عليها إشرافًا مباشرًا، وعلى ما يبدو أن مساحة هذه القصبة كانت كبيرة، حيث وُصفت بأنها تكاد تكون مساحة مدنية[٩٩]. وكانت هذه القصبة مقر سكان حكام مدينة فاس وأمرائها خلال عصرى المرابطين والموحدين. حيث احتوت على كثير من القصور التى كان يسكنها الحكام والأمراء، كما احتوت على الأبنية الأخرى التى كانت تسكنها بعض أسرهم وضمت سجنًا شيد على شكل كهف[١٠٠].

إلى جانب ذلك أسس ابن تاشفين بمدينة فاس "القلعة" داخل أسوار المدينة، وفى وسطها، وقلعة المرابطين هذه كانت فى أعلى الحى الذى يسمى "القطانيين" كما يوجد السجن الذى كان يسمى بسجن القلعة، مضافًا إليهما البرج الذى كان من توابع القلعة المرابطية.[١٠١]

كما اهتم ابن تاشفين ببناء المساجد فى فارس، مؤكدًا على زيادتها حاملاً أهل فاس على الاستكثار منها[١٠٢]. وبذلك حقق ابن تاشفين عملاً سياسيًا ودينيًا، فالمرابطون لم يخرجوا من الصحراء للفتوح والغنائم فقط، إنما كانوا يتزعمون إسلامًا مستمدًا من ينابيع المذهب المالكى.[١٠٣] لهذا اتجه ابن تاشفين منذ اللحظة التى دخل فيها فاس إلى بناء المساجد، لأن الدين يدعو إلى الاهتمام بإنشائها. وتطلبت عملية الإنشاء أن يقيم ابن تاشفين بفاس منذ فتحها فى جمادى الأخرة عام ٤٦٢هـ/ مارس ١٠٧٠م إلى شهر صفر من عام ٤٦٣هـ/ نوفمبر ١٠٧٠م[١٠٤]. وبهذا ندرك أن العاهل المرابطى الأول كان أحد الرواد الكبار لتنمية فاس سياسيًا.

هذا ولقد شهد المغرب الأقصى تقسيمًا إداريًا لأقاليمه منذ بداية دولة المرابطين، ففى عام ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م قسم ابن تاشفين المغرب إلى أعمال ووزعها على بنيه وأمرائه وقومه وذويه، فولى عمر بن سليمان على مدينة فاس وأحوازها[١٠٥]. وكان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يعين هؤلاء الأمراء لفترات محدودة، ويضعهم تحت الاختبار، حتى إذا ظهرت صلاحيتهم ورضى عنهم العامة ثبتهم فى مراكزهم، ومنحهم سلطة الأمير كاملة غير منقوصة[١٠٦]. هذا وكان نائب أمير المسلمين فى إقليم مراكش الساحلية يتخذ مدينة فاس قاعدة لحكومته ويسمى سلطان المغرب[١٠٧].

وأدرك ابن تاشفين أهمية استقطاب أهل فاس فى عبوره للعمليات العسكرية بالأندلس، فعندما تواترت عليه الكتب بالاستصراخ لنصرة المسلمين هناك، قدم إلى

مدينة فاس عام ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م ناظرًا فى أمر الجهاد مستنفرًا له قبائل المغرب، ثم خرج من فاس إلى سبته ليعبر منها إلى الأندلس، فلحقت به العساكر والجنود[١٠٨].

الفتن والاضطرابات فى فاس فى عصر المرابطين:

فى حوالى ٤٧٨هـ/ ١٠٩٤م عاشت طائفة من أهل فاس فسادًا وطغيانًا فى المدينة، وقاموا باحراق منازلها، وتطور الأمر إلى حد تلقب أحدهم بالإمارة. وتدارك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين خطورة هذه الحركة، فعمل على إخمادها، ولما نجح فى هذا الأمر أبعد القائمين عليها عن مدينة فاس، وقام بوضعهم فى سجن أغمات[١٠٩]. ويبدو أن هذه الحركة كانت تضم عناصر مختلفة بينهم طائفة من الشعراء، الذين وضعوا فى السجن مع المعتمد بن عباد[١١٠]. فكان المعتمد يتسلى بمجالستهم ومؤانستهم ويستريح إليهم، ويبوح لهم بسره ونجواه. وبعد أن هدأت الأمور بمدينة فاس بعد القضاء على هذه الحركة، أطلق أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سراح السجناء فأنطلقوا من وثاقهم[١١١].

وبعد وفاة يوسف بن تاشفين فى المحرم سنة ٥٠٠هـ/ سبتمبر ١١٠٦م، كتب ابنه على بن يوسف إلى جميع بلاد المغرب والأندلس يعلمهم بموت أبيه، واستخلافه من بعده، ويأمرهم بالبيعة[١١٢] فأتته البيعة من جميع البلاد، وأقبلت نحوه الوفود من جميع مدن المغرب والأندلس للتعزية والتهنئة، إلا مدينة فاس، فإن ابن أخيه يحيى بن إبراهيم بن أبى بكر بن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كان أميرًا عليها من قبل جده يوسف، فلما وصله الخبر بموت جده، وولاية عمه عظم ذلك عليه، وأنف من بيعته[١١٣]. وأبى الاعتراف بسلطان على بن يوسف[١١٤].

وتكمن أسباب عدم الاعتراف فى حقد يحيى بن أبى بكر، على على بن يوسف لتوليه الإمارة بعد وفاة أبيه يوسف بن تاشفين[١١٥]. حيث صار يحيى بن أبى بكر يصرح بأنه خير من على بن يوسف، وأحق بالأمر منه، ممتنعًا عن بيعته، معلنًا عصيانه وتمرده، وخروجه عن طاعة عمه، محاولاً أن يستقل بمدينة فاس استقلالاً تامًا[١١٦].

وبذلك قامت فى مدينة فاس العاصمة الدينية للمغرب ثورة محلية محدودة، ولكنها كانت فى الحقيقة أول مظاهر التصدع الذى أصاب دولة المرابطين، حيث وافق الأمير يحيى بن أبى بكر فى ثورته جماعة من قواد لمتونة[١١٧]. وهنا اضطر على بن يوسف أن يعجل بالقضاء على هذه الثورة وتأديب ابن أخيه، فبادر بالتحرك فى قوة من عسكره حتى اقترب من مدينة فاس. ونزل بأحوازها وكتب لابن أخيه

كتابًا يعاتبه فيه على ما ارتكبه من الخلاف، ويدعوه إلى الدخول فى طاعته، كما دخل كل الناس وكتب فى نفس الوقت إلى شيوخ فاس، وفقهاءها كتبًا أخرى يدعوهم فيها إلى بيعته، ويتهددهم ويتوعدهم، محذرًا إياهم من مغبة الخروج عن طاعته، ووقعت هذه الكتب فى يد أمير فاس يحيى بن أبى بكر، فخشى أن يسلمها لشيوخ فاس، فيستجيبوا لنداء عمه، ويبادروا ببذل الطاعة له، فيخرج الأمر من يده، وعلى هذا آثر الأمير يحيى أن يجمع فقهاء المدينة وأشياخها، حيث قرأ الكتاب على أهل البلد مستشيرًا إياهم فى أمر الحصار، وكيفية دفاعه عن المدينة، والتصدى لقوات عمه، ولكن لم يوافقه الفقهاء وشيوخ المدينة على هذا الأمر، ونصحوه أن يبادر على الفور بمبايعة عمه، ولاسيما وأن الظروف الداخلية فى فاس لم تكن مواتيه لمثل هذا العصيان فأكثر أهل فاس كانوا غير راضين على هذه الحركة، بل كانوا يؤيدون الأمير على بن يوسف، فلما أدرك يحيى بن أبى بكر أمير فاس استحالة وقوف أهل فاس معه ويئس من تأيدهم قرر ترك المدينة[118]. وخرج الأمير يحيى بن أبى بكر فارًا إلى "مزدلى بن تيلكان" العامل وقتئذ على تلمسان، فلقيه مزدلى بوادى ملوية[119]، حيث كان مزدلى متوجهًا إلى المغرب الأقصى ليبايع الأمير المسلمين على بن يوسف، فأعلمه يحيى بما كان من شأنه وطلب من مزدلى أن يتوسط له عند عمه ليعفوا عنه فضمن له زولى من عمه العفو والصفح، ساعيًا له فى ذلك، وهنًا رجع يحيى بن أبى بكر مع مزدلى عامل تلمسان حتى وصلا إلى مدينة فاس، فأتفق مزدلى مع يحيى أن يختفى عن الأنظار فى حومة بأحواز فاس، ودخل مزدلى مدينة فاس مبايعًا لأمير المسلمين، وسلم عليه، فرأى منه قبولاً وإكرامًا، وهنا فاتح مزدلى أمير المسلمين على بن يوسف فى أمر يحيى، وبما ضمنه له عند أمير المسلمين من العفو والصفح، فأجابه إلى ذلك وعفى عنه وأمنه، فأتى يحيى وبايع لأمير المسلمين على بن يوسف[120].

وبعد مبايعة يحيى لعلى بن يوسف خيره بين الإقامة فى جزيرة ميورقة[121]. أو ينصرف إلى بلاد الصحراء، واختار يحيى بلاد الصحراء، حيث سار من هناك إلى بلاد الحجاز فقضى فريضة الحج، ورجع مرة ثانية للمغرب، حيث ذهب إلى عمه مستأذنًا إياه أن يكون من أحد حماته وأن تكون إقامته بمراكش العاصمة فأذن له فى ذلك، وأقام فيها مدة من الزمن[122].

وهكذا انتهت هذه الثورة حيث تمكن على بن يوسف من القضاء على حركة ابن أخيه فى مهدها. وكان من أهم نتائج هذه الثورة أن أمراء المرابطين قد

أدركوا أهمية مدينة فاس لدولتهم فأخذوا يعملون على إحكام قبضتهم عليها، ولم يتيحوا لأمراء فاس بعد ذلك فرصة البقاء فى إمارتهم مدة طويلة خشية أن يستقلوا بالأمر.

كذلك زعزعت هذه الثورة أيضًا ثقة على بن يوسف فى أقرب أقربائه على رأسهم أخيه أبى الطاهر تميم الذى لم يمكث طويلاً فى أى منصب من المناصب التى كان يتولاها سواء فى المغرب أو الأندلس[١٢٣]. حيث عزله عن ولاية المغرب فى عام ٥٠١هـ/ ١١٠٧م، وولى مكانه القائد أبا عبد الله ابن الحاج، الذى أقام واليًا على مدينة فاس وسائر أعمال المغرب ستة أشهر ثم عُزل[١٢٤]. وفى عام ٥٠٤هـ/ ١١١٠م عين أمير المسلمين على بن يوسف، عبد الله بن فاطمة، على مدينة فاس حيث بقى بها عدة سنوات إلى المحرم سنة ٥٠٩هـ/ مايو ١١١٥م ثم عاد ابن فاطمة إلى الأندلس عاملاً على إشبيليه[١٢٥].

وتصمت المصادر التاريخية عن ذكر ولاة فاس من قبل المرابطين باستثناء ابن عذارى الذى يذكر أن "أبو العلا زهر" كان قائمًا بالأمر فى فاس وذلك بعد عام ٥١١هـ/ ١١١٧م.[١٢٦] ولكن لم تحدد المصادر تلك المدة، ويذكر ابن القطان وابن عذارى أن تميمًا بن يوسف بن تاشفين كان واليًا على فاس فى عام ٥٢٣هـ/ ١١٢٩م، فعزله أخوه عنها، حيث وليها فى عام ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م عمر بن على بن يوسف[١٢٧]. لكن هذا الوالى تجاوز حدود ولايته فعزل، فوليها يحيى بن أبى بكر بن تيفلويت ابن أخت على بن يوسف، وكان يحيى واليًا على تلمسان وما وراءها، فجمع بين الولايتين حيث أناب لفاس موسى بن هارون[١٢٨]. هكذا حرص أمير المسلمين على بن يوسف على مراقبة ولاته على الأقاليم مراقبة دقيقة، كما كان يرقب سير الأمور عن كثب خشية استبدادهم بالأمر وإساءتهم السيرة.

هكذا وقامت مدينة فاس بدورها الجهادى ضد نصارى الأندلس فى عهد على بن يوسف فحين عزم على جهاده ألزم مدينة فاس بثلاثمائة غلام من العبيد السود الذين يملكونهم أهالى فاس ليغزون فى العساكر، على أن يتكلف الأهالى برزقهم وسلاحهم ونفقاتهم، ويخرجون ذلك من أموالهم.[١٢٩] كما اهتم على بن يوسف بمدينة فاس، ولا سيما وأن الدولة المرابطية كانت قد بدأت حروبها مع الدعوة الموحدية فعمل على بن يوسف على إصلاح أسوار فاس، وزاد فيها أبراجًا، ووزع عشرين ألف دينار على أهل فاس معونة للجيش[١٣٠].

وباستثناء حركتي ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م وعام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م يظهر أن فاسًا لم تعرف طوال عهد الدولة المرابطية تقلبات خطيرة، بل كانت هذه الفترة بالنسبة لها فترة سلم ونمو سريع منتظم[١٣١].

ثانيًا: الحياة السياسية بمدينة فاس فى عصر الموحدين

بداية الدولة الموحدية وصراعها مع المرابطين:

لم يكد ينعم المغرب الأقصى ومدينة فاس بالاستقرار فى ظل دولة المرابطين حتى ظهر على مسرح الأحداث داعية دينى قام بحركة تجديدية سرت فى أعماق نفوس كثيرة، سقطت على أثرها دولة المرابطين، وبنيت على أساسها دولة الموحدين.

كانت بداية هذه الدعوة عندما ظهر المهدى بن تومرت[١٣٢]، فى عام ٥١٤هـ/ ١١٢٠م بعد عودته من المشرق، فقهيًا مشتغلاً بالعلم والفتيا والتدريس آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر.[١٣٣] ونزل المهدى فى بداية دعوته بمدينة بجاية[١٣٤] فى قرية منها تعرف بملالة، ولقيه بهذه القرية عبد المؤمن بن على[١٣٥]. الذى انضم إلى خدمته وأخذ عنه العلم وعلم بما يقصد إليه من طلب الخلافة[١٣٦]. وبقى المهدى بقرية ملالة إلى أن خرج إلى ونشريس[١٣٧]، فصحبه بها محمد بن البشير[١٣٨].

أخذ ابن تومرت منذ اللحظات الأولى لدعوته يستنقص المرابطين أمراء المغرب وينسبهم إلى الكفر، ويدعو إلى خلع طاعتهم، ويمشى فى الأسواق يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويكسر المزاميز والآت اللهو، ويريق الخمر حيثما وجده، يفعل ذلك فى أى بلد حل به وأى موضع نزله، إلى أن وصل مدينة فاس[١٣٩]. ولما دخل المهدى بن تومرت مدينة فاس نزل بمسجد ابن الغنام، ثم رحل منه إلى مسجد ابن الملجوم[١٤٠]، ثم منه إلى مسجد يعرف بطريانه[١٤١]. حيث قام به يدرس العلم ويحيى تعاليم الدين الصحيح التى كانت قد بدأت تتغير ويقف بصراحة فى وجه فقهاء المالكية، فهرع إليه طلبة فاس من كل مكان[١٤٢] وأراد ابن تومرت أن يخمد البدع التى كانت تتفشى فى بعض الأماكن بفاس حيث خرج بسبعة نفر من طلبته يحملون المقارع (المتخذه من شجر التين الذى لا ينتفع به) إلى زقاق بزقالة، ففرقهم على الحوانيت، آمرًا إياهم بتكسير ما كان فيها من آلات اللهو[١٤٣].

وبطبيعة الحال كان لأعمال ابن تومرت هذه ردود فعل مختلفة تراوحت ما بين الامتنان بالمصلح، وبين الحقد عليه[١٤٤]. ففى فاس قام أرباب الحوانيت بالصراخ، وساروا شاكين نحو قاضيهم عبد الحق بن معيشة ووقف القاضى من ابن

تومرت موقفًا متزنًا وقال لهم: "لولا ما رأى فى السنة ما كسرها، مروا فإنكم مخالفون للحق(١٤٥)". وجمع والى المدينة نفر من فقهاء فاس لمناظرة المهدى بن تومرت، فظهر عليهم وفاقهم، فأشار الفقهاء على الوالى بإخراجه من المدينة، فأخرجه الوالى حتى لا يفسد عقول العوام(١٤٦).

ارتحل ابن تومرت بعد ذلك إلى مراكش، عاصمة المرابطين، لعلمه أنه لا يظهر أمره إلا منها(١٤٧). وفعل بمراكش ما فعل بغيرها من المدن(١٤٨) ولكن لم يكن لتترك حركة ابن تومرت لتنمو فى مراكش إذ أحضر الأمير على بن يوسف فقهاء مراكش لمناظرة ابن تومرت الذى أفحم خصومه، وحينئذ أشار علماء مراكش على أمير المسلمين على بن يوسف بإخراجه من المدينة خشية أن يفسد عقائد أهلها، فخرج من مراكش وابتنى له خيمة بين القبور قرب المدينة، وقعد بها حيث كثر أتباعه وتكاثر عليه الناس(١٤٩) وفى أثناء ذلك كان يأمر بخلع طاعة المرابطين فتبعه على ذلك خلق كثير، حتى هم على بن يوسف بقتله، فخرج إلى تينمل(١٥٠) وذلك فى شهر شوال سنة ٥١٤هـ/ يناير ١١٢١م حيث بلده هرغة من مصامدة السوس الأقصى(١٥١).

وفى تنميل توافد عليه الناس، فلما رأى ذلك أظهر دعوته، ودعا الناس إلى بيعته، فبايعوه بها، وكان أول من بايع المهدى، عبد المؤمن بن على، وباقى العشرة، ثم سائر الموحدينن وبايعه بعد ذلك كثير من القبائل، وذلك فى شهر رمضان ٥١٥هـ/ نوفمبر ١١٢١م، ولقب بالمهدى بالمهدى، وكان لقب ذلك الإمام(١٥٢). وأعلن ابن تومرت الحرب ضد دولة المرابطين، وأخذ المرابطون يعملون على إخماد هذه الدعوة فى مهدها، فجهز على بن يوسف جيشًا لمحاربة المهدى وأتباعه(١٥٣). ولكن توالت الهزائم على جيوش المرابطين مرة تلو الأخرى(١٥٤).

ويذكر لنا البيذق ثمانى غزوات للمهدى بن تومرت ضد القوات المرابطية لا مجال لذكرها هنا. لكن كان من أهمها الغزوة الثامنة، وهى المعروفة بوقعة "البحيرة"(١٥٥). تلك الغزوة التى استعد لها الموحدون غاية الاستعداد، حتى بلغت قواتهم على حد قول صاحب الحلل الموشية أربعين ألفًا يتقدمهم أبو محمد البشير أحد أصحاب المهدى العشرة، حيث نزلت القوات الموحدية "بالبحيرة" ومكثت بها أربعين يومًا ثم ألقيت بعدها عساكرهم نحو العاصمة المرابطية مراكش، فخرج إليهم المرابطون فى أزيد من مائة ألف ما بين فارس وراجل(١٥٦). وانتهت هذه الغزوة بهزيمة الموحدين هزيمة منكرة(١٥٧) حيث اتبعهم المرابطون من مراكش إلى أغمات

فأمعنوا القتل فيهم ولم ينج منهم إلا اليسير، وقتل في هذه الموقعة البشير قائد الموحدين، كما خسر الموحدون أكثر أصحاب المهدى العشرة[158]. وفقد فيها زهرة الجيش الموحدى الناشئ، وتعتبر موقعة البحيرة من أعنف المعارك التى وقعت بين المرابطين والموحدين[159].

وبعد هذه الموقعة بأيام قلائل توفى المهدى بن تومرت فى ٢٥ رمضان ٥٢٤هـ/ سبتمبر ١١٣٠م وبويع بعده عبد المؤمن بن على خليفة للموحدين، الذى قاد المرحلة الثانية من الصراع بين المرابطين والموحدين[160]. واستمرت الحرب بين عبد المؤمن بن على والمرابطين منذ أن بويع إلى أن توفى على بن يوسف فى ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م وكانت أمور دولته قد اضطربت منذ ظهور المهدى، وعبد المؤمن من بعده فلم يستقر للأمير المرابطى أمر حتى مات .. وبسبب هذه الحروب غلت الأسعار وتوالت الفتن، وعم الجدب، وقلت المجابى، وكثرت على أهل المغرب المحن.[161]

وفى خلال ذلك نمت أحوال الموحدين، وعظم شأنهم فأستولوا على كثير من مدن المغرب التى كانت تحت سيطرة المرابطين[162]. وفى عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م حدث فى الصراع بين المرابطين والموحدين تحول خطير إذ تولى قيادة الجيش المرابطى الأمير تاشفين ولى العهد، الذى أخذ على عاتقه مطاردة الموحدين، واستئصال دعوتهم "مقتنعًا أنه يهزم كل من ناهضه، ويغلب كل من عارضه"[163]. فوقعت بينه وبين الموحدين حروب ووقائع كان للموحدين فيها الظهور عليه[164].

كانت تلمسان وفاس من المواقع الحصينة والمعاقل المهمة التى تمثل قاعدة لانطلاق القوات المرابطية في حربها ضد الموحدين، لذا عمل عبد المؤمن بن على، على السيطرة عليهما واتخاذهما قاعدتين تنطلق منهما جيوشه للدفاع أو للهجوم على المغرب الأقصى والأندلس "فعزم عبد المؤمن أن يخرج بجمعه إلى جهة فاس وتلمسان لحشد أهل طاعته وجلبهم من كل مكان، وبلغت الجيوش الموحدية فى سيرها الجبال المجاورة لفاس"[165]. إزاء ذلك جند تاشفين جنوده وحشد حشوده وخرج لمواجهة عبد المؤمن بن على، فاتجه بالقوات المرابطية إلى مدينة فاس - المعقل المرابطى الحصين - فأستقر بها بعضًا من الوقت، وحوله رجال قيادته ليدرسوا خطة حاسمة ونهائية للقضاء على الموحدين، ولكن ذلك لم يتحقق للمرابطين، وقد نقصت عنهم القوات والميرة[166] فأقاموا بهذا الحصن شهورًا دون حطب ولا فحم حتى ألجأتهم الضرورة لحرق أوتاد أخبيتهم وخشب أبنيتهم[167].

إن أمكن، ولكن لم يقدر لزناته أن تعود مرة أخرى إلى الكر، وظل ابن تاشفين متمسكًا بأسلوب التقرى تمهيدًا للدخول فى مرحلة رئيسية للاستيلاء على المدينة[٨٢].

وبعد أن تم ليوسف فتح البلاد المحيطة بفاس، زحف على المدينة بجميع جيوشه وشدد عليها الحصار، حتى دخلها عنوة بالسيف، فقتل بها من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة، وقبائل زناته خلقًا كثيرًا حتى امتلأت أسواق المدينة وشوارعها بالقتلى وأعوزت مدافنهم فرادى، فأتخذت لهم الأخاديد وقبروا جماعات فقتل منهم بجامعي القرويين والأندلسيين ما يزيد على ثلاثة آلاف رجل، وفر من بقى منهم إلى أحواز تلمسان، وهو الفتح الثالث لفاس، وكان دخول يوسف ابن تاشفين إياها فى يوم الخميس جمادى الأخرى عام ٤٦٢هـ/ ١٨ مارس ١٠٧٠م[٨٣] ويجعل ابن عذارى ذلك عام ٤٦٤هـ/ ١٠٧٢م[٨٤]، ولكن هذا تاريخ عما تذكره المصادر الأخرى.

هكذا فوجئت قبائل زناته بيوسف بن تاشفين، ولم يستطع الزناتيون بفاس قتال ابن تاشفين، بل تخلوا عن البلاد، وانسحبوا مع أميرهم آملين فى الحصول على نجده، ولكن يوسف بن تاشفين انتقم من الهزائم السابقة التى حلت به من الزناتيين دون أن يجد أية مقاومة. ويبدو أن سكان فاس أمام هذا القتل فقدوا أى أمل من الزناتيين، فبدلاً من مساعدتهم قاموا بمطاردتهم وكأنهم رعايا ثائرون عليهم ثم التقوا بهم على وادى أبى رقراق بأمتعتهم وعائلاتهم مجهدين يكادون يموتون من الجوع، فأثخنوا فيهم ولم يفلت من أيديهم إلا من غرق أو قفز إلى أسفل الصخور، فتلك هى الصورة التى هلكت بها قبائل زناته[٨٥]. ويتضح لنا من خلال هذا مدى انحياز أهل فاس إلى قوات ابن تاشفين بعد أن تملكهم اليأس من نصرة الزناتيين، وهكذا شهدت مدينة فاس صراعًا مريرًا ومعارك مستمرة قرابة الثمان سنوات، إلى أن استولى المرابطون عليها.

وبسقوط فاس فى يد المرابطين تنتهى الحلقة الأخيرة من حلقات ذلك الصراع العنيف الذى احتدم بين زناته وبين صنهاجة الجنوب، وقد تفرق شمل زناته ولم تعد لها بالمغرب الأقصى قوة تذكر .. وكان الاستيلاء المرابطين على فاس أهمية بالغة الأثر، فقد فتح الطريق أمامهم ليتموا فتح المغرب الأقصى كله، ويستولوا على

الموحدين أراد أن يستقل حماس الوفود والحشود المجتمعة عليه من كل جهة ومكان في فتح مدينة فاس(١٧٨).

ونزلت القوات الموحدية بالمقرمدة(١٧٩)، بادئة الحصار(١٨٠) ولما علم الأمير يحيى بن أبي بكر الصحراوي باقتراب الموحدين من مدينة فاس، أخذ ينظم خطط المقاومة والدفاع عن المدينة، ولكن عبد المؤمن لم يمهله فمنذ اللحظات الأولى أخذ في بث عيونه ليتعرف على مدى حجم القوات المرابطية القابعة بفاس، مدركاً أنها من أكبر المعاقل الدفاعية للمرابطين، فأمر الخليفة الموحدي جماعة من أصحابه أن يسيروا إلى فاس ليعرفوا إن كان الصحراوي في قوة أم لا(١٨١). "مقدماً جمعاً من الرجال للحرب والنزال وليعلم ما عند الصحراوي من خيل ورجال، وعلى رأس هؤلاء العيون أبو بكر بن الجير بألف رجل من هسكورة وصنهاجة، كانوا رجالاً دون خيل، فسار بهم أبو بكر على طريق الساحل، وجاز بهم نهر سبو، فصعدت عيون الموحدين ليلاً إلى جبل زلاغ"(١٨٢).

وأوقد ابن الجير النيران فوق هذا الجبل ليرهب بها المرابطين، فلما رأى أهل فاس ذلك، وقع في قلوبهم الذعر، وعلموا أن القوات الموحدية تنزل بالقرب من المدينة بجبل زلاغ، فخرج الصحراوي من فاس ومعه أهل المدينة لقتال الموحدين وبلغت القوات المرابطية الخارجة لقتالهم قرابة الألف وخمسمائة فارس ما بين أهل المدينة ولمتونة، واشتبك الجيشان من الصباح حتى العصر ثم رجع الصحراوي إلى فاس، في حين أشعل الموحدون النيران إلى منتصف الليلة، ثم رجعوا إلى عبد المؤمن(١٨٣).

كانت هذه السرية - إن جاز لنا أن نطلق عليها هذا التعبير - بمثاب جس النبض للقوات المرابطية بفاس، وأدرك منها عبد المؤمن قوتهم، وعرف أنهم يلجأون إلى خطة لكسب الوقت.

ثم انتقل عبد المؤمن بن علي بالقوات الموحدية من المقرمدة إلى محلته بعقبة البقر(١٨٤). ولا شك أن انتقال عبد المؤمن بن علي إلى هذا المكان كان لأسباب استراتيجية يتميز بها هذا الموضع الجديد، والذي فيه ازدادت القوات الموحدية حتى ملأت السهل والوعر، وقام عبد المؤمن بن علي بعملية التنظيمات الحربية لجيوشه حيث ميزهم(١٨٥) في ثمانين ساقة على عدد القبائل والوفود، فنشروا ما معهم من البنود(١٨٦)، ووضع الخليفة الموحدي خطته من أجل إحكام قبضته على

مدينة فاس فجاز بقواته عبر وادى فاس ساقة بعد ساقة، حتى وصلت القوات الموحدية فى جوازها إلى منزل الحجاج بفاس(١٨٧).

هكذا تقدمت الجيوش الموحدية الجرارة إلى مدينة فاس، فى حين عسكرت القوات المرابطية بقيادة الصحراوى بالقصبة بجبل العرض - فى الشمال الغربى من فاس - لا يفصل بينها وبين القوات الموحدية سوى وادى يسمى سد زواغ، وخرج الصحراوى وأهل فاس ينظرون إلى مدى حجم القوات الموحدية فارتجوا عندما شاهدوا كل هذه الأعداد الغفيرة التى تحاصر فاس، وبقيت القوات الموحدية على أهبة الاستعداد لتنفيذ خطة هجومها فبدأوا بالقتال خيالة ورجالة، واستطاعت القوات الموحدية الاستيلاء على جبل العرض واستخلاصه من الصحراوى، الذى أسرع بجيشه لدخول مدينة فاس والتحصن بها، فى حين نشر عبد المؤمن بن على علمه المنصور على جبل العرض.(١٨٨)

بعد هذا الهجوم المفاجئ من جانب القوات الموحدية، لم يشأ عبد المؤمن أن يجازف بجيوشه لدخول فاس فى محاولة لا يعلم نتيجتها، فأصدر أوامره لقواته بالرجوع إلى المحلة، فى حين بقى هو فى منزل الحجاج فى ثلاثة آلاف وخمسمائة من عسكره يؤمن جواز قواته حتى جازوا ساقة بعد ساقة(١٨٩). وذلك خشية أن تباغتهم القوات المرابطية فجأة.

وفى صباح اليوم التالى قسم عبد المؤمن جيشه إلى قسمين، فسار أبو بكر بن الجير إلى صنهاجة وهسكورة، وطلع الخليفة عبد المؤمن بباقى عسكره إلى جبل العرض، حيث اجتمع الجيشان بالجبل المذكور(١٩٠) وأدرك عبد المؤمن أن حصار فاس قد يطول أمده، لذا رأى أن يحصن محلته، فأمر بقطع الأشجار، فقطعت وعمل منها زروب لخيله احتياطًا على أهل محلته، واتقاء من الحرب وخدعة، فى نفس الوقت أمر عبد المؤمن بعض قواده أن يبنوا الحوائط خلف زروب خيله(١٩١).

ويبدو أن الذى دفع الخليفة عبد المؤمن بن على إلى ذلك العمل سببان مهمان: أولهما تأمين محلته واستعراض قوته أمام المرابطين، أمّا ثانيهما فهو نظريته فى إمكانية الاستغناء عن خشب هذه الذروب بعد إكمال الحائط، والاستفادة منها مستقبلاً فى أعمال عسكرية أخرى، وسوف نرى بعد قليل كيف استفاد الخليفة الموحدى من هذه الأخشاب.

وبالغ الموحدون فى حصار فاس(١٩٢). حيث خرج عبد المؤمن بن على إلى سور المدينة وهدم باب السلسلة، فى محاولة منه لدخول المدينة، ولكن خرج إليه

الصحراوى مع أهل فاس واستطاع بناء ما تهدم من السور[١٩٣] وبذلك تحطمت فى البداية كل جهود المحاصرين أمام ثبات الحامية المرابطية والسكان[١٩٤]. لكن لم يعد الصحراوى يخرج ليحارب الموحدين ثم يعود لمدينته، بل أمسى حبيسًا بالمدينة هو وجيشه، فرأى عبد المؤمن بن على أن الفرصة قد سنحت للقضاء على الدولة المرابطية المحتضرة، وأنه من الخطأ أن ينتظر سقوط فاس - المنيعة - بخطة الحصار الذى قد يطول أمده، والذى ربما يعطى الدولة المترنحة فرصة استعادة قوتها من جديد[١٩٥]. لذا ميز الخليفة عبد المؤمن عسكره، فخرج هو بعسكره إلى مدينة مكناسة لفتحها، وترك على فاس أبا بكر بن الجير بمحلته من الموحدين، وكان خروج الخليفة عبد المؤمن من محلته بالليل حتى لا يعلم أهل فاس بخروجه[١٩٦].

تابع الخليفة الموحدى وهو بمكناسة حصار قواته لمدينة فاس، فوجه من مكناسة أبا حفص عمر بن يحيى الهنتاتى ليكون مع إبراهيم[١٩٧]. وأبا بكر الجير على حصار فاس، وطالت مدة الحصار على فاس حتى أنها بلغت تسعة أشهر، قاوم خلالها أهل فاس القوات الموحدية المحاصرة لمدينتهم[١٩٨]. كما برع خلالها الموحدون فى فن الحصار، حيث فاقوا المرابطين فى هذا المضمار، واستعمل الموحدون أسلحة متنوعة فى حصارهم[١٩٩].

فبعد الحصار الشديد حول فاس، قطع الموحدون عنها النهر الداخل إليها بالألواح والخشب - الذى كان قد استخدمه الموحدون من قبل فى عمل ذرائب لخيلهم وفى البناء - ورفعوا التراب على ذلك، وفعل ذلك سدًا بعد آخر حتى احتبس الماء، فصار بحيرة تسير السفن فيها، واستعان فى صنع تلك السدود بكثرة الآلات والعلم واتساع الفحص[٢٠٠]. وأدار المحاصرون أيديهم على الوادى خارقين هذا البناء فهبط الماء دفعة واحدة، فهدم سور المدينة، وهدم من دورها ما يزيد على ألفى دار، وهلك فيه خلق كثير، وكاد الماء أن يأتى على أكثرها[٢٠١].

هكذا تفنن الموحدون فى حصارهم من أجل أن يتمكنوا من دخول تلك المدينة المنيعة التى استعصى عليهم فتحها. أملين أن يساعدهم التخريب الذى يحدثه الماء على اقتحام المدينة، ولكن عمق الماء حال بين الموحدين وبين دخولها، واستطاع المحصورون إصلاح ما تصدع من الجدران[٢٠٢]. فدفع عنها الضرر، ووقف أهل فاس على متهدم السور يقاتلون القوات الموحدية[٢٠٣].

وكان يتولى مهمة الدفاع عن فاس الأمير يحيى بن على المرابطى، ومشرف المدينة والمدبر لأمرها أبو محمد عبد الله بن خيار الجيانى الأندلسى[٢٠٤]. وكان

الأمير والمشرف يعملان سويًا من أجل إنقاذ مدينتهم ولكن يبدو أن طول مدة الحصار المضروب على المدينة من قبل القوات الموحدية قد أتى ثماره، ولاسيما من الناحية الاقتصادية. فنتيجة لتدهور الأحوال الاقتصادية احتاج أمير فاس لبعض المال فطلب من الجيانى - مشرف المدينة - أن يعطيه ما يحتاج إليه، فأعطاه ما طلب. ولكن يبدو أن ما أعطاه الجيانى من أموال لأمير المدينة لم يكن ليكفى حاجة الأمير ومتطلبات مدينته، فطلب منه المزيد وضيق عليه، ولم يكن فى وسع الجيانى أن يعطيه أموالاً أخرى[٢٠٥]. هكذا تدهورت الأحوال الاقتصادية بالمدينة، ولم يعد فى وسع الجيانى مشرفها أن يفى بحاجات المدينة الأساسية.

ومن ثم بدأت الخلافات تدب بينه وبين الأمير المرابطى يحيى بن على، حتى وصلت إلى مداها، فأزمع الجيانى الانتقام منه[٢٠٦]. وأدرك الجيانى أنه لا مناص من دخول الموحدين المدينة، فرغب فى أن يؤمن نفسه من شرهم. "فأتفق هو وجماعة من أعيان البلد، على دخول الموحدين فاس سرًا، فكتب إلى قائد الموحدين أبو بكر بن الجير - واعدًا إياه أن يملكه البلد، قائلاً له: ميز عسكرك أفتح لك الباب، وكانت مفاتيح المدينة بيد الجيانى"[٢٠٧].

على أساس هذا المكتوب تم الاتفاق بين مشرف فاس من قبل المرابطين أبو عبد الله الجيانى وبين قائد القوات الموحدية المحاصرة لفاس على "دخول الموحدين فاس وخروج صاحبها منها، وتم الاتفاق على أن تدخل القوات الموحدية ليلاً"[٢٠٨]. كان على الجيانى والموحدين أن يتخيروا الوقت المناسب لدخول المدينة، وجاءت هذه الفرصة عندما تزوج الأمير المرابطى الصحراوى بامرأة من قومه ليلة الخامس عشر من ذى القعدة عام ٥٤٠هـ/ ٦مايو ١١٤٦م، فاستغل الجيانى ليلة العرس هذه فى تمكين الموحدين من دخول فاس، ولاسيما وأنه شغل الأمير المرابطى بكثرة ما أهدى له عن النظر لنفسه[٢٠٩]. واستعد الموحدون لدخول المدينة فميز أبو بكر قائد الموحدين عسكره، ولم يشعر الأمير المرابطى بشئ من ذلك حتى رأى رجال الموحدين على السور، وفى الصباح الباكر خرج الجيانى إلى الموحدين وفتح أبواب مدينة فاس ليمكنهم من دخولها[٢١٠].

وما أن رأى الصحراوى ذلك حتى أدرك أنه لا مجال للمقاومة، فلم يكن أمامه من محيص إلا الفرار والنجاة بنفسه[٢١١]، فركب فى ثلة من جنوده يريد الفرار فسار إلى باب الفتوح، فوجده مغلقًا، فضرب طبله هناك، فاجتمع عليه بعض عسكره،

فكسر قفل باب الفتوح وخرج منه، وهبط بوادى سبو هاربًا هو وعمر بن ينتان، ويحيى بن سير وكدال بن موسى، وشيوخ لمطة[٢١٢].

وبذلك تمكن الموحدون من دخول فاس بعد حصارها تسعة أشهر بقيادة عبد المؤمن بن على وذلك فى شهر ذى القعدة عام ٥٤٠هـ/ مايو ١١٤٦م[٢١٣]. وأمن عبد المؤمن أهلها إلا من كان بها من المرابطين فأنه لم يمض لهم أمان وقتلهم قتلة كفر[٢١٤]. وعلى أثر المعاناة التى عاناها الموحدون فى اقتحام مناعة أسوار مدينة فاس جاء قرار الخليفة الموحدى السريع بهدم أسوار فاس حيث "أمر بهدم السور فهدمت فيه ثلمات كثيرة ومسافات؟ وردد مزهوًا هذه العبارة: "أننا لا نحتاج إلى سور، إنما الأسوار سيوفنا وعدلنا"[٢١٥]. وذلك لشدة غضبه من المقاومة التى واجها من أهل فاس وتحصنهم بأسوار المدينة[٢١٦]. وهكذا استسلمت مدينة فاس على يد مشرفها الجيانى[٢١٧].

وأقام الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على بفاس بعد فتحها مدة أربعة أيام[٢١٨]. لا شك أنه حطم خلالها القصبة المرابطية[٢١٩]. فى حين تابع قائده أبو بكر المرابطين الفارين بقيادة الصحراوى والذين كانوا قد وصلوا إلى بنى تاودا[٢٢٠]. حيث تحصنوا بها، على أن الصحراوى لم يدخل معهم ذلك الحصن خوفًا من الموحدين، حيث مضى هاربًا إلى طنجة، ثم إلى بلاد الأندلس، وبقى بقية الهاربين فى حصن أمركو، حتى أدركهم قائد الموحدين فساقهم كلهم إلى فاس إلا عمر بن ينتان[٢٢١] أما الجيانى فقد انضوى تحت لواء الموحدين .. وهكذا حققت خيانة الجيانى للمرابطين وللأمير المرابطى، مالم تحققه القوة، وذللت مالم تقو القوى على تذليله[٢٢٢] فبها سيطر الموحدون على فاس أكبر المعاقل المرابطية.

كانت مدينة فاس قد أفل نجمها بعض الشئ بسبب الحروب التى شنها عليها الموحدون[٢٢٣]. وما أن دخلها الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على حتى بدأ بجمع أسلحة أهلها من أيديهم مناديًا فى أهلها من وجد عنده سلاحًا وعدة وقتال حل دمه، فحمل أهل المدينة ما عندهم من سلاح إليه[٢٢٤]. هكذا بدأ الخليفة الموحدى عمله بالمدينة بهذا الإجراء التأمينى خشية الانقضاض المفاجئ من أهالى فاس على الموحدين.

ومكث الخليفة الموحدى بعض الوقت فى فاس ينظم شئونها على النسق الموحدى، فعين عليها واليًا من قبله وهو محمد بن يحيى الكدميوى فى حين ظل

عبد الله بن خيار الجياني مشرفًا على فاس، مكافأه له، وقد تحسنت أحواله بعد ذلك فكان له في دولة الموحدين مكانة مرموقة(٢٢٥).

كان سقوط فاس في يد الموحدين الضربة القاسمة لقوى الدولة المرابطية، فقد توالى بعد ذلك سقوط باقي المدن المغربية، سلا(٢٢٦) ومكناسة وسبتة ومراكش عاصمة المرابطين عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م والتي بسقوطها زالت الدولة المرابطية(٢٢٧).

فاس في عصر الموحدين:

لم يتخذ الموحدون - كسابقيهم المرابطون - مدينة فاس حاضرة لهم، إنما جعلوا من مراكش دار مقام لهم، وقاعدة لدولتهم، لكنهم أدركوا مثل المرابطين أهمية أن يجعلوا من فاس إحدى قواعدهم الرئيسية للعمليات العسكرية، لاسيما أعمالهم الحربية في الأندلس، وليحصلوا منها على الميرة لجيوشهم(٢٢٨). وظلت فاس في العصر الموحدي تشهد وفود الأمراء والقضاء والعلماء والفقهاء والخطباء والشعراء والأطباء جيئة ورجوعًا(٢٢٩). واهتم الموحدون بفاس اهتمامًا كبيرًا، والذي من بعض مظاهره اهتمامهم بمنصب عاملها خاصًا فكان هذا المنصب لا ينوط به إلا لأفراد أسرة عبد المؤمن بن علي، أو من أخص الموحدين.

فكان عامل مدينة فاس بمثابة وزير للإقليم، له نائب خاص، يليه كتاب موظفون أصغر منه رتبة(٢٣٠). ففي عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م عين أبو الحسن علي بن عبد المؤمن عاملاً على فاس، ومعه وزيره أبو يعقوب بن سليمان لتدريبه، ومعه من الكتاب أبو العباس بن مضاء يعلمه ويقرأ عليه(٢٣١). وعليه فالنظام الأقليمي في الدولة الموحدية كان نسخة من النظام المركزي، كما كان هذا النظام يشبه إلى حد ما نظام العمالات في عهد المرابطين. وكان هؤلاء الولاة والموظفون الكبار يتلقون تكوينًا ثقافيًا وعلميًا قبل أن يعهد إليهم بتدبير شؤون الإدارة والأقاليم فكانوا يختارون من بين طبقة الحفاظ(٢٣٢). وكان الخلفاء الموحدون يحثون عمالهم وولاتهم على إقامة العدل والتسوية بين الناس جميعًا(٢٣٣).

وفي نفس العام عهد عبد المؤمن بن علي بولاية العهد لابنه محمد وأمر بذكره في الخطبة بعده(٢٣٤). ولكن توليته لابنه لم ترض أخوة الخليفة المهدي بن تومرت، وهما عبد العزيز وعيسى اللذين عزما على نقد العهد وخلع طاعة عبد المؤمن، ففشى سرهما هذا، واستشعر الخليفة عبد المؤمن ذلك، فسرحهم إلى مدينة فاس(٢٣٥). وفي فاس نمت حركة المعارضة لصالح أخوة المهدي ضد الخليفة عبد المؤمن بن علي.

فعندما اكتملت البيعة لمحمد بن عبد المؤمن، ووصل خبر تلك البيعة إلى الولايات، ازداد عيسى وعبد العزيز وأصحابهما حسدًا على عبد المؤمن وهم بمقرهم بمدينة فاس[٢٣٦]. وفى فاس نما حركة المعارضة لصالح أخوة المهدى ضد الخليفة عبد المؤمن بن على.

فعندما اكتملت البيعة لمحمد بن عبد المؤمن، ووصل خبر تلك البيعة إلى الولايات، ازداد عيسى وعبد العزيز وأصحابهما حسدًا على عبد المؤمن وهم بمقرهم بمدينة فاس[٢٣٧]. ورأوا أن الثورة بفاس لا تجدى فيما كانوا يأملون إليه لذا "بدأت المكاتبات بينهم وبين كثير من أشياعهم الذين كانوا يتربصون بهم الدوائر ليكون ورودهم على مراكش بغتة تفاجأها على حين لا تمهلها"[٢٣٨]. لذلك شدوا رحالهم إلى مدينة مراكش لينقضوا بيعة محمد بن عبد المؤمن، وتواعدوا مع أصحابهم على الاجتماع في جامع على بن يوسف، وما أن وصل خبر خروجهم من فاس للخليفة عبد المؤمن بن على، حتى أسرع بتوصية وزيره أحمد بن عطية[٢٣٩] ليصدهم عما عزموا عليه، ويردهم عن التغيير الذى يأملوه، ولكن تمكن أخوة المهدى من دخول مراكش وقتلوا عاملها. وهنا بادر الخليفة الموحدى بالإسراع من مدينة سلا متوجهًا إلى عاصمته مراكش كى يقضى على هذه المؤامرة، وأخيرًا نجح فى القبض عليهما حيث "قتلوا وصلبوا"[٢٤٠] وبذلك انتهت هذه المؤامرة ضد عبد المؤمن بن على، والتى كان مركز تجمعها الأول مدينة فاس، ونستطيع القول أن أخوة المهدى لم يدبروا للأمر خطة محكمة، لذا جاء الانتهاء السريع لمؤامرتهم.

وبلغ من أهمية وإلى فاس فى عصر الموحدين أنه كان من الممكن أن ينوط إليه الاستخلاف فى غياب الخليفة عن مراكش. فعندنا تحرك الخليفة عبد المؤمن فى نهاية عام ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م استخلف على فاس وأعمالها يوسف بن سليمان بدلاً من ابنه أبى الحسن الذى كلفه بحكم مراكش مع أبى حفص بن عمر أثناء غيابه[٢٤١].

كان الخلفاء والأمراء الموحدين يتعمدون المرور بفاس جيئه وذهابًا أثناء جوازهم للأندلس، أو أثناء فتوحاتهم فى أفريقية، بالرغم من وجود طرق ثانوية أخرى[٢٤٢]. ففى عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م مر بها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن مع السيدين أبو حفص وأبو سعيد وكثير من خاصة رجاله وذلك أثناء مسيرهم إلى مراكش، كما عرج إليها الخليفة يوسف بن عبد المؤمن عقب عودته من القضاء على ثورة قفصة بإفريقية[٢٤٣]. حيث وصل فاس فى شهر صفر عام ٥٧٦هـ/ يوليو ١١٨٠م[٢٤٤].

وعندما جاز الخليفة يوسف جوازه الثاني للجهاد بالأندلس في نهاية عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م أقام بمدينة فاس شهر ذي الحجة من السنة المذكورة حتى أول عام ٥٨٠هـ/ أبريل ١١٨٤م، وفي خلال ذلك استنفر قبائل فاس للجهاد معه بالأندلس، حيث جازت معه قبائل هناته وتنيملل وصنهاجة وأوربة وأصناف البربر[٢٤٥].

وتابع الخليفة الموحدي بنفسه خلال مدة إقامته بفاس مهمة القضاء على المفسدين من العمال والولاة الذين تبين له أنهم يستغلون مناصبهم فأوقع بعبد الرحمن بن يحيى المشرف بمدينة فاس حيث صح عند الخليفة أنه خانه، وحمل على الرعية وأذاهم كثيرًا، فأنزل الخليفة به العقاب، وهو ومن تبعه في هذا الظلم، مثل إبراهيم بن عبد الله الجياني الخازن على المال الذهبي، كما ألحق العقاب أيضًا بالخازن على الطعام. وكانت خطة الخلافة في القضاء على مثل هؤلاء المفسدين أن تصادر أموالهم ودورهم وتدخل إلى خزانة الدولة[٢٤٦].

ولم تقتصر حركة التصفية هذه على عمال فاس فقط، بل شملت ثماني عشر عاملاً وخازنًا كان أولهم مشرف فاس، تمت مصادرة أموالهم وديارهم، ولم تترك الخلافة الموحدية سوى دار واحدة لكل منهم. وقد بلغ جملة ما انتهبه هؤلاء من أموال الرعايا ما قدره أربعمائة ألف دينار وستين ألفًا، أرغمهم الخليفة بدفعها، فتعهدوا بأن يقسطوها على أنفسهم وأشهدوا العدول بذلك[٢٤٧].

وفي الثامن عشر من ربيع الآخر من عام ٥٨٠هـ/ يوليو ١١٨٤م توفي الخليفة الثالث للموحدين يوسف بن عبد المؤمن، وبويع لابنه يعقوب المنصور بالخلافة في التاسع عشر ربيع الآخر من نفس العام[٢٤٨]. وقد نعمت بلاد المغرب ومدينة فاس في عهده بسياسة قوامها العدل، فأطلق سراح من في السجون، ورد المظالم التي فعلها العمال في أيام أبيه، وأكرم الفقهاء ورعى الصلحاء والفضلاء وأجرى على أكثرهم الإنفاق من بيت المال، كما أوصى ولاته وعماله بالرجوع إلى أحكام القضاء وتفقد الخليفة أحوال الرعية، وعمل على ضبط الثغور وشحنها بالخيل والرجال[٢٤٩].

واتخذ الخليفة يعقوب المنصور مدينة فاس، كما أتخذها الخلفاء الموحدون من قبل - قاعدة لجنوده. "فعندما امتنعت مدينة قفصة على الموحدين واستولى عليها ابن غانية، تحرك الخليفة من مراكش في شوال عام ٥٨٢هـ/ يناير ١١٨٧م، ووصل إلى مدينة فاس فأراح بها جنوده أيامًا عديدة وبرهة من الزمان مديدة،

وذلك لأن فاس كانت قاعدة المغرب، وأم القرى، وكان عاملها إذ ذاك أبا موسى بن مزين"[٢٥٠].

وكان عمال فاس وأهالى المدينة يقدمون خير ما عندهم من مؤن لهذه الجيوش حتى كان الرعايا يتنافسون فى ذلك، فيجدد المحاربون من فاس أزودتهم، وتكون لهم فرصة يتفقدون فيها أسلحتهم وعدتهم[٢٥١]. هكذا كانت مدينة فاس تقوم بدور هام فى عمليات الموحدين العسكرية سواء تعلق الأمر بأفريقية أو فتوحاتهم فى الأندلس.

وكان أهالى فاس يجدون فى مدة إقامة الخليفة فى فاس متنفسًا يتنفسون منه الصعداء، حيث كانوا يرفعون إلى الخلفاء الموحدين شكواهم تلك التى يبدو أن العامل على المدينة لا يستطيع حلها، أو أنه لم يتخذ فيها الإجراء المناسب لحلها. ومن تلك الشكاوى التى طرحت أمام الخليفة، ما رفعه أهل فاس إليه من أن القاسم ابن الملجوم بنى غرفه فى داره يشرف منها على بعض جيرانه، وجعلها منتزهًا له ولإخوانه، فعلى الفور أمر الخليفة بعض خاصته بالوقوف على تلك الغرفة، فوجدوها تشرف على بعض أقوام، فأمر المنصور بهدمها وتغير رسمها، فكان الخليفة يتبع بالعدل قضايا العباد ويمشى بالبحث على المتظلمين بكل منزل وواد[٢٥٢].

كان الموحدون لا يسمحون بأى حركة دينية تنموا أو تتغلغل فى دولتهم، فعندما ظهر الثائر الجزيرى[٢٥٣] عام ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م بمراكش حافظًا للمتشابهات من العلوم، أمر الخليفة يعقوب بن يوسف، السيد أبو الحسن حفص بالبحث عنه فى أنحاء المدينة، ولكن الجزيرى كان قد اختفى وخرج فارًا إلى مدينة فاس لعله تترعرع فيها دعوته وسط المجتمع الفاسى، وبالفعل امتزجت دعوته ببعض من أهل فاس، وتسامع خبر ذلك والى فاس آنذاك (ابن ومازير) فعمل جهوده فى القبض على من يعثر عليه من أتباع هذا الثائر، فأستأصلهم قتلاً ونفيًا، ولكن الجزيرى أفلت من محاولة القبض عليه، حيث كان قد جاز إلى الأندلس[٢٥٤].

وقد شهدت مدينة فاس فى أيام يعقوب المنصور الموحدى أكبر السفارات من الدول الأخرى، ففى عام ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م وصل أسامة بن منقذ (أبو الحارث عبد الرحمن بن منقذ) رسولاً عن صاحب الشام ومصر صلاح الدين الأيوبى[٢٥٥] الذى استصرخ الخليفة يعقوب المنصور يطلب إعانته بالأساطيل البحرية الموحدية لاستخدامها ضد النصارى الذين كانوا يستعدون لغزو الشام[٢٥٦].

خرجت هذه السفارة من الإسكندرية متجهة إلى المغرب، فوصل ابن منقذ أولاً إلى أفريقية، ثم إلى بجاية، وذلك فى شهر رجب عام ٥٨٦هـ أغسطس ١١٩٠م، فوصلت مكاتبات من والى أفريقية - أبى زيد - ووالى بجاية - أبى الحسن - تفيد ما يشير إلى وصول ابن منقذ إلى تلك البلاد، ومبالغته فى الحرص على كتمان خبر وصوله[٢٥٧].

وبالرغم من التكتم الشديد الذى لزم رسول صلاح الدين بشأن الغرض من سفارته، فأنه قوبل مقابلة طيبة من ولاة وعمال وممثلى يعقوب المنصور فى أفريقية والمغرب[٢٥٨]. وذلك لأن المخاطبات وردت من الخليفة يعقوب المنصور إلى ولاة المغرب بالتوسعة له فى نزوله والاحتفال به، على أن يستقر فى مدينة فاس انتظارًا لوصول الخليفة[٢٥٩]. الذى كان إذ ذاك ببلاد الأندلس بغرض الجهاد[٢٦٠]. وكان على رأس المسئولين المكلفين بمصاحبة أسامة بن منقذ الشاعر الفاسى أبو العباس الجراوى[٢٦١].

وقدم الخليفة المنصور الموحدى إلى مدينة فاس فى أول المحرم ٥٨٨هـ/ يناير ١١٩٢م واستدعى سفير صلاح الدين فقابله على اختصاص وانفراد، فدفع له ابن منقذ كتاب صلاح الدين، وقدم له هديته[٢٦٢]. وأوضح ابن منقذ للخليفة الموحدى الغرض من سفارته عارضًا له طلب صلاح الدين بالاستعانة بالبحرية المغربية لعرقلة المسيحيين فى المغرب، وعدم تمكينهم من إرسال المدد لإخوانهم فى الشام[٢٦٣].

وتلقى ابن منقذ الجواب من الخليفة مجملاً، معتذرًا له عن عدم إرسال الأسطول، وأحال الخليفة تفسير الأسباب التى دفعته إلى الاعتذار عن ذلك إلى الوزراء ليوضحوها لابن منقذ، وهمّ السفير الأيوبى بالعودة إلى بلاده، بعد أن حصل على ما تمكن عليه من الجواب، وأفاض عليه الخليفة الموحدى من الإحسان وضروب النعم حيث عوضه عن هداياه بأثمن منها[٢٦٤]. هكذا شهدت مدينة فاس هذه السفارة الأيوبية التى دامت مدة إقامة سفيرها قرابة العام ونصف العام.

وفى إطار تلقى الخليفة الموحدى للوفود بمدينة فاس، أنه فى عام ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م أقام الخليفة يعقوب المنصور بفاس لينظر فى أشغال أفريقية، وما يجب أن يقدمه لها من الاعتناء لإنهاء ثوراتها ضد الدولة الموحدية، فالتقى بمدينة فاس برؤساء قبائل العرب من السلميين والرياحين، الذين تعهدوا على أنفسهم فى لقائهم مع الخليفة بالالتزام[٢٦٥]. وتوفى الخليفة يعقوب المنصور فى ١٢ ربيع الأول عام

٥٩٥هـ/ يناير ١٩١٩م وبويع لابنه أبى عبد الله الناصر فى العشر الأخير من ربيع الأول من نفس العام[٢٦٦]. وما أن تمت له البيعة من سائر الأقطار حتى خرج إلى مدينة فاس للإقامة بها فى جمادى الأولى من عام بيعته، ويبدو أن مدة إقامة الخليفة قد طالت حتى بلغت عامين، أمر خلالها ببناء أسوار مدينة فاس، وبناء قصبة الوادى[٢٦٧]. وجعل لها أبوابًا بعضها فخم عظيم[٢٦٨] هكذا أعاد الموحدون بناء أسوار فاس تلك التى كانوا قد حطموها عند فتحها. وقام بتلك الأعمال الخليفة الموحدى الرابع محمد الناصر، الذى أحاطها بأسوار منيعة بعضها قائم إلى اليوم[٢٦٩].

وفى عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م اشتعلت نار الفتنة بأكثر جهات إفريقية وكثر عن العرب إشاعة المكروه والمجاهرة بالسيئات، ووردت الأخبار للخليفة الموحدة بأن يحيى الميورقى قد غلب على كثير من بلادها، فخرج الناصر فى جمادى الأخرة عام ٥٩٩هـ/ مارس ١٢٠٣م من مراكش، ووصل إلى مدينة فاس، فأقام بها مدة ثلاثة أشهر، تفقد خلالها مصالح البلاد، وما يجب عمله من حماية للأهالى، كما عمل على تأمين الطرقات عاملاً على حسم علل المفسدين بها، وفى خلال ذلك جهز عساكر الموحدين والمجاهدين الذين وصلوا إلى قصر الخليفة حيث خرج بهم الناصر من مدينة فاس قاصدًا إلى إفريقية[٢٧٠].

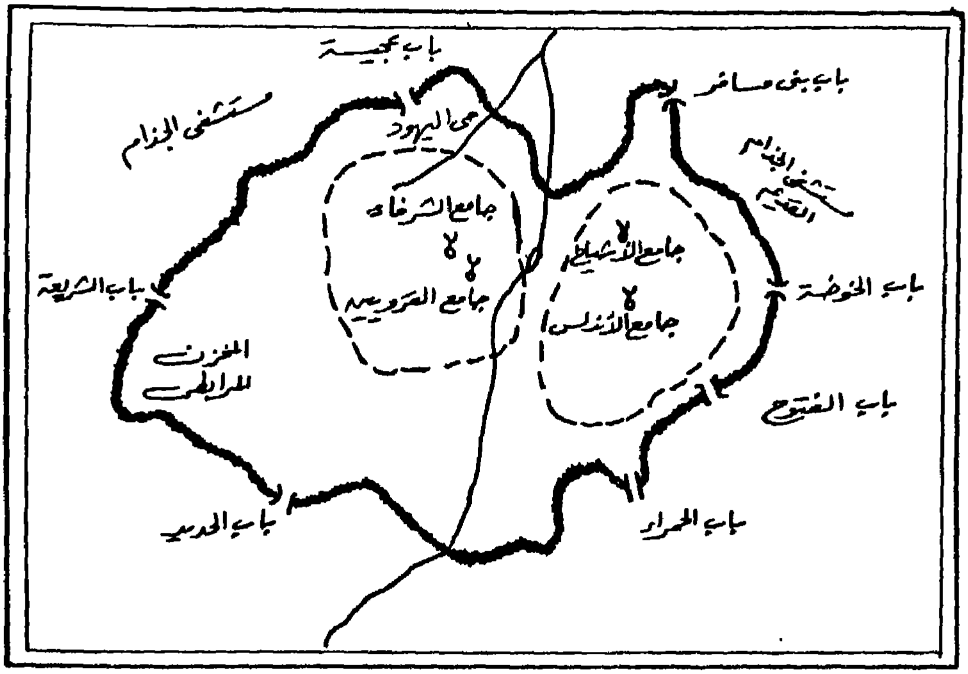

فاس قبل تأسيس فاس الجديد حسب كابار

كثير من آثار السور الموحدي تسمح بتأكيد أنه السور الذي بناه الخليفة الناصر الموحدي، يتطابق في عدة نقط مع التخطيط الحالي لسور المدينة، الخطوط المقطعة تذكر بالمظهر المفترض للمدينتين الإدريسيتين.

نقلا عن: لوطورنو: فاس قبل الحماية ج١ ص٨٩

وفى عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م انبعثت حركة جديدة من أحد الجبال بأحواز، فاس تختفى وراء دعوة الفاطميين، حيث ثار رجل منهم اسمه محمد بن عبد الله بن العاضد، آخر خلفاء الفاطميين بمصر، ظهر بعد مدة ثلاث وثلاثين سنة من قضاء صلاح الدين الأيوبى على الدولة الفاطمية بمصر فى ٥٦٧هـ/ ١١٧١م، لكى يعيد لها نفوذها القديم بالمغرب، معتمدًا على بقايا العناصر العربية المتبقية من الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى فى مدينة فاس وما حولها، والفاطميين وأتباعهم الذين سبق لهم الخروج من مصر بسبب الصراع الدامى بين الجند المغاربة والسودانيين. مستقلاً انتمائه إلى آل البيت[٢٧١]. وتصدى الخليفة لهذه الدعوة.[٢٧٢] حيث بهذا الداعى وقتل، وعلقت رأسه بباب الشريعة أحد أبواب فاس، كما أحرق جسده فى وسط هذا الباب المذكور، وكان يوم حرقه يوافق اليوم الذى كمل فيه بناء سور فاس، وبابها المذكور، حيث كان يتم تركيب مصارعيه فسمى الباب باب المحروق بعد أن كان يسمى باب الشريعة[٢٧٣]. وأصبحت من العادة أن تجرى هناك عمليات العقوبات والإعدام[٢٧٤].

وفى المحرم من عام.٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م نزل الخليفة الناصر بمدينة فاس مجددًا النظر فى أشغال العمال، ممحصًا فيما أمرهم به من أعمال[٢٧٥].

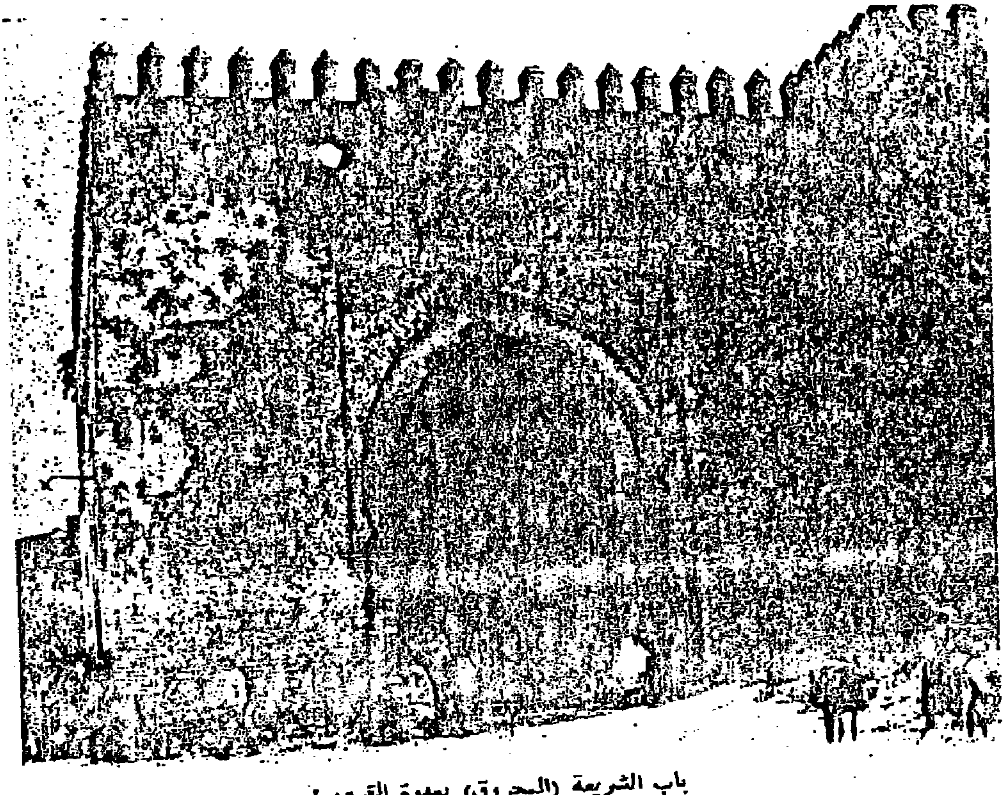

باب الشريعة (المحروق) بعدوة القرويين

نقلاً عن الجزنائي : جنى زهرة الآس

وفي خلال إقامته بفاس وردت شكاوى قبائل المدينة وأهليها للخليفة ضد عامل المدينة أبي الحسن بن أبي بكر، فنكبه الخليفة، وصادر ما وجد لديه من أموال وأثاث، وتم حبسه[٢٧٦].

في عام ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م وصلت الأخبار للخليفة الموحدي محمد الناصر أن الفونسو الثامن Alfonso VIII ملك قشتاله قام بالهجوم على الأندلس، فخرج الخليفة من مراكش، بغرض الدفاع عنه[٢٧٧]. وكانت الحالة في بلاد المغرب الأقصى على أشدها من الضيق، وانتشار المجاعة وانعدام القوت بما لم يعهده الناس، مما أدى إلى بطء تحرك القوات الموحدية بقيادة الخليفة محمد الناصر، الذي وصل في سيره إلى مدينة فاس، تلك المدينة التي كانت الجيوش الموحدية تستمد منها المؤن "وتحتقب منها الحقائب ويدخر منها الزاد للمقيم والذاهب، فوجدها الخليفة قد جف معينها، ولم يبق منها لمخازن السلطان الوافرة أثر، ووجد العمال قد استولوا على عموم المحلة، فتأثر الخليفة الناصر لما رأى من هذا الإهمال، وشدة إغفال المكلفين بالأعمال فاتخذ قراره بتوقيع العقوبة على المستهترين منهم، وأنزل السطوة على كل من تبين له أنه له يد في وقوع هذا الضرر"[٢٧٨]. حيث أنفذ الخليفة أوامره إلى الشيخ أبي محمد بن أبي علي بن مثنى صاحب الأعمال المخزنية والمفوض إليه بالأشغال العلمية، ليتقصى تلك الحقائق، ويقبض على عامل فاس (عبد الحق بن أبي داود) أكبر عمال الدولة الموحدية، ومن أحد أصحاب المنزلة والحظوة عند الخليفة الموحدي، فقبض عليه في دار الإشراف، ولم يكتف بذلك بل توجه إلى منزله لاستصفاء أمواله، كما أمر بالقبض على كافة أصحاب هذا العامل وعماله، وأرسلت الكتب إلى سائر الجهات بتثقيف كل من خدم مع هذا العامل وغمس يده في أشغاله[٢٧٩].

ووجه الخليفة الناصر عقابه هذا إلى كل من كانت تطابق أحواله أحوال صاحب فاس، فتم القبض على عامل قصر كتامة[٢٨٠] محمد بن يحيى المسوفي، كما قبض على أصحابه حيث وجهوا مصفدين لرئيس الأعمال بفاس[٢٨١] وكان الخليفة محمد الناصر قد جاز للأندلس لمحاربة الفونس الثامن Alfonso VIII، فوصلت الأوامر من الأندلس إلى ابن مثنى بقتل كل هؤلاء العمال والمفسدين، وذلك في آخر عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢هـ فأخرج ابن مثنى المذكورين يوم الجمعة بعد الصلاة بحضور الآلاف من الناس فضُربت أعناقهم، عبرة للمفسدين وذكرى للغافلين[٢٨٢].

هكذا وقع العقاب على كل من كانت تسول له نفسه في أكل أموال الدولة والرعايا وإحداث الضرر بالبلاد.

وعلى أثر هزيمة الموحدين في موقعة العقاب عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م رجع الخليفة محمد الناصر إلى مراكش وأخذ البيعة لابنه يوسف الملقب بالمنتصر، وبايعه كافة الموحدين، وفي عام ٦١٠هـ/ ١٢١٣م توفي الخليفة محمد الناصر وتولى ابنه الخلافة[٢٨٣]. الذي ولى في عام ٦١١هـ/ ١٢١٤م السيد أبا حفص إبراهيم بن إسحاق الملقب بالأمير الظاهر بن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، على مدينة فاس، وكان قبل ذلك يتولى أعمال غرناطة[٢٨٤].

محاولات بني مرين للسيطرة على فاس:

بدأ الوهن والضعف يدب في جسم الدولة الموحدية بعد هزيمتهم في وقعة العقاب، ففي عام ٦١٣هـ/ ١٢١٦م بدأ بنو مرين[٢٨٥]. يشنون هجماتهم على مدن الدولة الموحدية، حيث وصلت عساكر من قبائلهم إلى جهة فاس، فخرج إليهم واليها السيد أبو إبراهيم بمن كان معه من أجناد الموحدين بفاس، ولكن القوات الموحدية منيت بالهزيمة أمام بني مرين، حتى وصل الأمر بالقبض على والي المدينة، ولكن أطلق بنو مرين سراحه بعد ذلك، فتأكدت بينه وبينهم المودة[٢٨٦]. وسمي هذا العام بعام المشعلة، لأن بنو مرين عندما انتصروا على عامل الموحدين بفاس سلبوا ثياب أهل المدينة وأخذوا دوابهم، وبالغ المرينيون في تجريدهم حتى كان الأهالي يسترون عوراتهم بالمشعلة[٢٨٧].

هكذا ظهر بنو مرين على أيام الخليفة المستنصر، "وأخذ والي فاس يعدهم بالإكرام ويقدم لهم الاحترام، ويعظمهم ويقدم لهم الأموالي" واستمر على ذلك حتى عام ٦٢٠هـ/ ١٢٢٢م[٢٨٨].

وبوفاة الخليفة الموحدي المستنصر في عام ٦٢٠هـ/ ١٢٢٢م بدأت الخلافات تدب في الأسرة الموحدية، وبدأ الخلفاء ينازع بعضهم البعض على تولي الخلافة، فما أن بويع لأبي محمد عبد الواحد بالخلافة في مراكش في ١٣ ذي الحجة عام ٦٢٠هـ/ سبتمبر ١٢٢٣م، وخلص الأمر لمحمد العادل الذي بويع بمدينة مرسيه[٢٨٩]. ووصلته أيضًا بيعة الموحدين من مراكش، وقد ظل يتربع على عرش الخلافة حتى عام ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م. حيث بويع ليحيى الناصر الذي استمرت خلافته حتى عام ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م هذا في الوقت الذي بويع فيه لأبي العلاء المأمون

بأشبيليه منذ عام ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م، الذى بايعه أهل مدينة فاس فكانت خلافة المأمون مع خلافة يحيى(٢٩٠).

وعندما توفى الخليفة المأمون، اجتمعت قبائل الموحدين على بيعة ابنه الرشيد بيعة خاصة لا عامة، وذلك فى المحرم عام ٦٣٠هـ/ أكتوبر ١٢٣٢م، فى حين خرج الناصر بجيش من الموحدين وبمن كان معه من العرب والمجندين، لمنع هذه البيعة وإثناء صاحبها عن الخلاقة ودارت بينهما الحرب، فكانت الهزيمة على جيش يحيى الناصر، حيث دخل الرشيد مراكش منتصرًا، واستطاع الرشيد تجديد دولة الموحدين وتمهيد البلاد(٢٩١).

وفى خلافة الرشيد ظهر عرب الخلط بإفريقية وعظم أمرهم وأعلنوا رفض طاعتهم للموحدين، مما أدى إلى توجيه الرشيد إليهم، فهابوا قدومه وتفرقوا فى البلاد والقبائل، ثم توجه الخليفة إلى الغرب، قاصدًا مدينة فاس التى كانت الأوضاع بها سيئة للغاية، حيث وافق وصول الخليفة الرشيد لفاس أزمة شديدة، والمدينة على حد قول ابن عذارى تقشعر جلود أهلها من ارتفاع السعر بها، فأستقبله أهلها بنفوس تشتاق إلى لقاء حاكمها، داعين له بالنصر، فعمل الخليفة على جلاء غمة أهلها فى وقت قريب(٢٩٢). وفى خلال إقامة الخليفة بمدينة فاس نظر فى أمور جنده، وأكد الطلب على المجابى من البلاد، ناظرًا فى أمور المدينة .. فجلبت له من قبائل غمارة وفازاز جباية عظيمة حصل منها الأجناد على مال كثير(٢٩٣).

فى هذه الأوقات كانت قبائل بنى مرين تشتد وطأتها، وكان الخلفاء الموحدون يهبونهم العطاء لإرضائهم وعدم قيامهم بأعمال ضد دولتهم، فعندما توجه الخليفة الرشيد إلى مدينة فاس فى عام ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م، واستقر بها وصلته رسائل من بنى مرين، دعت الخليفة إلى استضافتهم بفاس حيث وصلهم بالإحسان وكثير من الكسوات الفاخرة(٢٩٤). ولكن كان بنو مرين قد انتشروا بالمغرب، واشتدت شوكتهم به، فزحف إليهم الرشيد بجند الموحدين فهزموه أكثر من مرة(٢٩٥).

ولم يطل الوقت بالخليفة الرشيد، إذ توفى فى جمادى الآخرة عام ٦٤٠هـ/ ديسمبر ١٢٤٢ وتولى خلافة الموحدين من بعده أخوه أبو الحسن المعتضد المدعو بالسعيد، وذلك فى العاشر من جمادى الآخرة عام ٦٤٠هـ/ ديسمبر ١٢٤٢م(٢٩٦). ومنذ ذلك الوقت بدأ نفوذ القبائل المرينية بالمغرب الأقصى يزداد قوة، لاسيما بعد تولية الأمير أبى يحيى بن عبد الحق فى عام ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م والذى بايعته القبائل المرينية وبعض القبائل الزناتية وغيرهم من القبائل، فأنقادوا لأوامره بالسمع والطاعة،

فعظم أمر بني مرين بالمغرب[٢٩٧]. فبدأوا بالاستيلاء على بلاد المغرب، وفرض الإتاوة على مدنه[٢٩٨].

وبذل الخليفة الموحدى جهدًا كبيرًا لإنقاذ دولته من ضغط القبائل المرينية عليها، فتحرك من مراكش فى عام ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م قاصدًا مواطن بنى مرين مستعدًا لحربهم وقتالهم، وتقدم فى تحركه هذا حتى وصل إلى مدينة فاس، فأستقر بها أيامًا قام خلالها بعزل بعض العمال على المدينة ووضع آخرين مكانهم، ونظر فى أمور المدينة وأحوالها[٢٩٩].

وأدرك الخليفة الموحدى السعيد أن تأمين مدينة فاس وإصلاح أحوالها قد يحول دون تقدم القوات المرينية إليها، لذلك رحل من مدينة فاس بعساكر الموحدين إلى المقرمدة، حتى يستطيع التعرف على أحوال بنى مرين. ويبدو أن قوة القبائل المرينية ويأسها دفع الخليفة الموحدى إلى مهادنتهم، حيث عاد من محلته هذه دون أى قتال يذكر معهم، ثم قفل بعد ذلك إلى عاصمة مراكش[٣٠٠].

وتوفى الخليفة الموحدى أبو الحسن المعتضد (السعيد) فى شهر صفر عام ٦٤٦هـ/ يوليو ١٢٤٨م[٣٠١]. الذى فى عهده بدأ بنو مرين فى توجيه ضربات قاسية للدولة الموحدية عاملين على الاستيلاء على بعض المدن الموحدية، واستحواذها وتملكها. ففى عام ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م أستولى أبو يحيى بن عبد الحق المرينى على رباط تازا مما سهل لهم مهمة الاستيلاء على مدينة فاس[٣٠٢] التى تحركت القوات المرينية للسيطرة عليها بعد شهر من فتحهم تازا، ونجحت فى الاستيلاء عليها حيث كانت الحامية الموحدية بالمدنية قليلة لا تقوى على مدافعة القبائل المرينية، فلم يكن بفاس حينئذ سوى نحو مائتى فارس من أجناد الدولة الموحدية تحت قيادة قائدهم المسمى شديد الرومى، فانحصروا بفاس وهلكت منهم أعداد غفيرة، ودخل بنو مرين فاس فى ١٨ ربيع الآخر عام ٦٤٦هـ/ أغسطس ١٢٤٨م وطاعت لهم المدينة[٣٠٣].وكان يحيى بن عبد الحق المرينى قد ضمن لأهل فاس كف الأذى عنهم وحمايتهم فوثقوا بعهده ورغبوا فى الطاعة له، ونبذ طاعة الموحدين بعد أن يئسوا من نصرتهم[٣٠٤]. هكذا دخل المرينيون فاس صلحًا عن رضا أهلها الذين بايعوا بالرابطة بخارج باب المحروق (باب الشريعة) وكان أول من بايعهم الفقيه الصالح عبد الله القشتالى[٣٠٥] وعين المرينيون عاملاً على فاس من قبلهم وهو المسعود بن خربش الحشمى الذى أحكم قبضته مع جملة من المرينين على المدينة، فحبس من تبقى من الحامية الموحدية، وأدخل البعض منهم فى جملة أجناده[٣٠٦].

ولكن يبدو أن من بين أهل فاس من كان لا يزال يشايع الموحدين فقد عمل بعض الأهالي على مساعدة قائد الموحدين على قتل العامل المريني (مسعود) فتمكن من الغدر به، وسر أهل فاس بقتل العامل المريني، وخاطب شيوخ المدينة وأهل عقدها وحلها الخليفة الموحدى المرتضى مجددين بيعتهم له، مواعدينه على نصرته، وهنا وردت مكاتبات الخليفة الموحدى بقرب وصول العساكر الموحدية لمدينة فاس لإنقاذها من سيطرة المرينين[٣٠٧].

ظل أهل فاس يقاومون ضغط بنى مرين نحو تسعة أشهر أملاً فى انتظار المدد العسكرى الموحدى[٣٠٨]، ولكن كانت ظروف الخلافة الموحدية قد تدنت بحيث لم تستطع إرسال قواتها لإنقاذ أهم مدينة من مدن الدولة الموحدية وقعت فى براثن القبائل المرينية.

وعندما رأى أهل فاس أن أحوالهم قد ضاقت بالجوع وطول مدة الحصار، واشتدار الضرر عليهم، دون وصول نجده الموحدين لهم طلبوا العفو من الأمير يحيى المرينى، الذى أصدر قراره بالعفو عن العامة من أهل فاس فى حين أوقع العقاب على خاصة أهلها، حيث أغرمهم أموالاً وبلغ جملة خاصة فاس الذين وقع بهم الضرر عل حد تقدير ابن عذارى ثلاث مائة رجل، أغرمهم الأمير المرينى على خطئهم ثلاثمائة ألف دينار، ولم يكتف بذلك بل ضرب أعناق ستة رجال من أعيانهم، وذلك فى عام ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م[٣٠٩]. وبذلك استقرت أقدام بنى مرين بفاس، واستولوا عليها وعلى أعمالها فى هذه السنة[٣١٠].

وبدأ المرينيون يستقرون بفاس، ويتخذونها مقرًا لهم، ويبدو أن المرينين عملوا على إصلاح أحوال فاس، حيث هدأت الأحوال من الفتن، وصار ملك تلك البلاد للأمير أبى يحيى بن عبد الحق المرينى الذى استقر بفاس فى عام ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م فاجتمعت القبائل عليه[٣١١].

وحاول الخليفة الموحدى المرتضى القضاء على قوة بنى مرين هذه، فجد فى السير من مراكش، متأهبًا لقتالهم، وأعد عدده وفرسانه وأجناده مجددًا الحركة للحرب معهم، واستعد بنو مرين للقائه أيضًا، وتقابلت القوات الموحدية والمرينية فى موضع يعرف ببنى بهلول، من نواحى فاس كان الغلبة فيه لبنى مرين الذين هزموا القوات الموحدية حيث قاتلوهم واستأصلوهم أعظم استئصال مستولين على مضاربهم[٣١٢].

وبهزيمة الموحدين هذه استولى بنو مرين بصفة نهائية على مدينة فاس حيث دخلها السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق فملكها فى عام ٦٥٧هـ/ ١٢٥٨م وطاعت له بلاد المغرب ما بين نهر ملوية وأم الربيع وسجلماسة وقصر كتامة[٣١٣]. هكذا سقطت تلك المدينة التى هيأها المرابطون ومن بعدهم الموحدون لتكون قاعدة لهم فى أيدى الدولة المرينية، وتبوأت مركزها كعاصمة سياسية للمغرب الأقصى فى ظل تلك الدولة[٣١٤].

الهوامش

١- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠، ص٣.

٢- تعددت قبائل المرابطين من كدالة ولمتونة ومسوفه وورتريكه وفناوكا، وزوغاه ثم لمطه أخوة صنهاجة، وتقع منازل قبائلهم ما بين البحر المحيط بالمغرب وواحة غدامس. عن قبائل المرابطين، انظر ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص١٨١، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين ص٣٩ - ٤٠، وعن مضارهم انظر نفس المرجع ص٤٤ - ٤٥.

٣- اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي التقى فيها يحيى بن إبراهيم بالفقيه أبي عمران الفاسي فيذكر كلا من ابن عذارى، البيان جـ٤ ص٧، وصاحب الحلل الموشية، ص١٩، وابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص١٨٢، والقلقشندي: صبح الأعشى، في صناعة الانشا، القاهرة، المطبعة الأميرية ١٩١٥م، جـ٥ ص١٨٩، أنها عام ٤٤٠هـ، في حين يذكر ابن الأثير أنها في عام ٤٤٧هـ. الكامل في التاريخ، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨م، جـ٩ ص٢٥٨، وتنص المصادر على أن أبا عمران الفاسي توفي سنة ٤٣٠هـ، فلابد أن يكون هذا اللقاء تم حسب رواية ابن أبي زرع عام ٤٢٧، انظر الأنيس المطرب، ص١٢٢.

٤- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت دار الثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٨٠، جـ٤ ص٧ مجهول: الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تحقيق د/ سهيل زكار وعبد القادر زمامه، الدار البيضاء، دار الرشاد، ١٩٧٩، ص١٧ - ١٩، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص١٨١ - ١٨٢،

L. Goluin: Le Magrib Central, p. 116.

٥- مجهول: الحلل الموشية، ص٢٠، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ص٦٠٦.

Terrasse: Histoire du Maroc, tome I, p. 214.

٦- وجاج بن زللو هو فقيه تقي ورع حاذق من أهل السوس الأقصى، لقي الشيخ أبا عمران الفاسي بالقيروان وأخذ عنه علمًا كثيرًا، وكان يتعبد بمدينة نفيس ويدرس

العلم ويدعو الناس إلى الخير في رباط له هناك، وله تلاميذ جمة يدرسون على يده العلم، انظر ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص١٢٣.

٧- ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص١٨٢، السلاوى: الاستقصا، جـ١ ص٩٩.

٨- مدينة نفيس: تقع بالجنوب الغربى من مدينة مراكش، وهى مدينة قديمة صغيرة، غزاها عقبة بن نافع وحاصر بها الروم ونصارى البربر عندما اجتمعوا بها بسبب حصانتها، فضيق عليهم الحصار حتى فتحها عام ٦٢هـ/ ٦٨١م وبنى بها مسجدًا معروفًا به، وبين نفيس والبحر المحيط مسيرة يوم واحد، ويسكن المدينة قبائل من البربر أكثرهم من مصموده، انظر البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص١٦٠، الحميرى: الروض المعطار ص٥٧٨.

٩- القاضى عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، وتحقيق د/ أحمد بكير محمود، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٦٧، المجلد الثانى، جـ٤ ص٧٨١ مجهول: الحل الموشية، ص٢٠.

10- L. Goluin: Op. Cit., p. 116.

١١- القاضى عياض: المصدر السابق، المجلد الثانى، جـ٤ ص٧٨١، ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٤ ص٨، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص١٨٢.

١٢- ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص١٨٣، السلاوى: المرجع السابق، جـ١ ص١٠٠.

13- J. Spencer (triminghan): History of islam in west Africa, Oxford University, Preespaper book, 1978, p. 23.

١٤- ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص١٨٣، محمد الفاسى: التعريف بالمغرب، معهد الدراسات العربية، مطبوعات لجنة البيان المغربى، ١٩٦١، ص٤١.

١٥- البكرى: المصدر السابق، ص١٦٤، حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص٤٩.

١٦- القاضى عياض: المصدر السابق، المجلد الثانى، جـ٤ ص٧٨١، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٢٦، ١٢٨، ابن خلدون: جـ٦، ص١٨٣، السلاوى: المرجع السابق، جـ١ ص١٠٢.

١٧- مجهول: نبذ تاريخية فى مفاخر البربر، ص٥٢. مجهول الحلل الموشية، ص٢١، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٢٦ – ١٢٨.

١٨- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص١٨٦، محمد عبد الهادى شعيره: المرابطون وتاريخهم السياسى، القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٩، ص٥٥.

١٩- درعة: تقع في جهة سجلماسة بينهما ثلاثة مراحل وتعرف باسم واديها حيث يجرى نهر درعة من الشرق إلى الغرب منبعثًا من جبل درن، وهى من المدن العامرة. انظر الحميرى: المصدر السابق، ص٢٣٥، ٢٣٦.

٢٠- ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٤ ص١٣ - ١٤، مجهول: الحلل الموشية، ص٢٢، ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦، ص١٨٣.

٢١- تافيليت: مدينة بالمغرب الأقصى تقع فى منطقة السوق الأقصى انظر، الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص١١٨.

٢٢- البكرى: المغرب، ص١٦٧، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، ص٦١١.

٢٣- ماسة: تقع بالسوس الأقصى، وهى رابطة عظيمة الشأن، نُسبت للمدينة التى فتحها المسلمون، وهدموها عند فتحهم للسوس الأقصى، وهى تامست. انظر، الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص١١٧.

٢٤-تارودانت: قاعدة اقليم السوس فى جنوب مدينة مراكش، على مسيرة مائة ميل من الجنوب الغربى من مراكش، تقع على نهر وادى سوس، وهى من أكثر بلاد المغرب زراعة لقصب السكر. انظر الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص١١٧، الحميرى: المصدر السابق، ص٣٣٠.

٢٥- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص١٢٨ - ١٢٩، السيد عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص٦١١.

٢٦- أغمات: مدينة مغربية قديمة تقع بقرب وادى درعة جنوب مدينة مراكش، وهى عبارة عن مدينتين أحدهما تسمى أغمات وريكة، والأخرى أغمات هيلانة بينهما نحو ست أميال، وكان أغلب أهل أغمات تجار تربطهم علاقات تجارية ببلاد السودان، حيث كانت المدينة قاعدة للتجهز لبلاد الصحراء. وبالمدينة يوجد قبر المعتمد بن عباد الذى دفن بها بعد أن توفى بسجنها عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥. انظر الحميرى: الروض المعطار ص٤٦.

٢٧- تامسنا: مدينة فى غرب فاس بالمغرب الأقصى، يخترقها نهر أم الربيع، وكذلك نهر أبو الرجراج "أبو الرقراق" الذى يصب فى المحيط بين مدينة سلا والرباط.

انظر أحمد مختار العبادى فى تحقيقه لمشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب والأندلس، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٣، ص١٥٦.

٢٨- برغواطه: اتسم تاريخهم فى المغرب الأقصى بالغموض، فقد اختلف المؤرخون حول أصل البرغواطيين، فقال البعض أنهم كانوا قومًا جهالاً من زناته، ورأى البعض الآخر أنهم اخلاطًا شتى من قبائل البربر، واعتبر البعض الآخر أن أباهم يهودى أندلسى، ورأى آخرون أنهم مجوس أهل ضلال وكفر لهم ديانة خسيسة. وكانت مضارب قبائل برغواطه تقع فى إقليم تامسنا. عنهم انظر البكرى: المصدر السابق ص١٣٤ – ١٤١، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٣٠ – ١٣٣، ابن خلدون: المصدر السابق جـ٦، ص٢٠٧ – ٢١٠، وانظر كذلك محمود إسماعيل فى مقاله حقيقة المسألة البرغواطية، منشور ضمن كتاب مغربيات، فاس، ١٩٧٧، ص١٥ – ٥٣.

٢٩- القاضى عياض: المصدر السابق، جـ٤ ص٧٨٢، ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٤ ص١٦، ويجعل ذلك فى عام ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٣٠، ١٣١.

٣٠- لواته: مدينة مغربية أخذت اسمها من قبيلة لواته التى أسستها وسكنتها، تقع إلى الشمال الشرقى من مدينة صفرو على نهر سبو، وكانت قصبة منيعة على بعد مرحلة من فاس. انظر: البكرى: المصدر السابق، ص١٤٧.

٣١- مجهول: نبذ تاريخه فى مفاخر البربر، ص٥٢، ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٤ ص٢٠ – ٢١، الذى يجعل ذلك عام ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م وهو تاريخ متأخر لا يتوافق مع ما ورد فى المصادر الأخرى، كما أنه لا يتوافق مع سير الأحداث، مجهول: الحلل الموشية، ص٢٣ – ٢٤.

٣٢- عن تلك الغزوات، انظر ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، صفحات ١٣٩، ١٤٣، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون جـ٦ ص١٨٤ – ١٨٦.

٣٣- عبد الوهاب منصور: قبائل المغرب، جـ١ ص١٢٤،

terrasse: Op. Cit., Tome I, p. 233.

٣٤- مراكش: تقع جنوب نهر أم الربيع بالمغرب الأقصى، واستمرت هذه المدينة عاصمة للدولة المرابطة ثم للدولة الموحدية حيث أصلح الموحدون كثيرًا من أمورها، انظر الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص١١٥ – ١١٦. لكن قلت مكانة مراكش السياسية فى عهد بن مرين عندما صارت مدينة فاس عاصمة لدولتهم. ويذكر ابن

عذارى وعبد الواحد المراكشي أن مراكش أسسها يوسف بن تاشفين عام ٤٦٢هـ/ ٤٦٣هـ، انظر البيان المغرب، جـ٤ ص١٩ -٢٠، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص١٥٧.

٣٥- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص١٣٨ - ١٣٩، عبد الوهاب ابن منصور: المرجع السابق، جـ١ ص١٢٤.

٣٦- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص١٨٦، عبد الهادى شعيره: المرجع السابق، ص٥٥.

٣٧- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص١٩٨.

٣٨- مجهول: نبذ تاريخه فى مفاخر البربر، ص٥٢، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٨ ص٧٦.

٣٩- لسان الدين بن الخطيب: أعمال الإعلام، القسم الثالث، ص١٦٢.

٤٠- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص١٩٥.

٤١- محمد محمد إبراهيم: الجيش فى عهدى المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٨٢ ص١٠.

٤٢- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص٢٠١.

٤٣- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٣٩، قارن كذلك لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ص٢١٥. ويرى الدكتور حسن أحمد محمود فى زيادة عدد الجيش على مائة ألف فارس قول مبالغ فيه، ولكنه يدل على أن الطابع البدوى الذى كان من سمات القوات المرابطية الأولى قد بدأ يختفى، وبدأت الجيوش المرابطة تنظم على أساس حديث، انظر قيام دولة المرابطين، ص٢٠١.

٤٤- صدينه: كانت مدينة صدينة واقعة إلى الشمال من فاس قرب نهر سبو. انظر دار المنصور للطباعة فى تحقيقها للأنيس المطرب، ص٨٤.

٤٥- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٣٩، السلاوى: الاستقصا، جـ١ ص١٠٨، حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص٢٠٢ - ٢٠٣.

٤٦- محمد بن تاويت الطنجى: سبتة الأسيرة، مجلة البحث العلمى، السنة الثالثة عشر، العدد ٢٥، يناير، يونيو ١٩٧٦، ص١٢٣، تاريخ سبته، الدار البيضاء، دار الثقافة للطباعة ١٩٨٢ ص٤٩.

٤٧- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص٢٠، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١١٢.

٤٨- مكناسة: تقع غرب مدينة فاس، بينهما أربعون ميلاً في جهة الغرب، وهي أربع مدن وقرى متصلة، وهي مدينة كثيرة الخير جليلة حافلة مشتهرة بكثرة الزيتون. انظر الزهري: كتاب الجغرافيا، ص١١٥، الحميري الروض المعطار، ص٥٤٤.

٤٩- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص١٨٤،

Terrasse: Op; cit., Tome I, p. 224.

٥٠- محمد بن تاويت: تاريخ سبته، ص٤٩.

٥١- طنجه: مدينة قديمة بالمغرب، فهي تقع مكان مدينة أوليلي القديمة التي افتتحها عقبة بن نافع، والتي تقع على شاطئ بحر الزقاق، وهي بذلك آخر حدود إفريقية من المغرب، بينها وبين مدينة القيروان نحو ألف ميل، كما أن بين مدينة طنجه وسبته ثلاثون ميلاً في البر، انظر الحميري: المصدر السابق، ص٣٩٥ - ٣٩٦.

٥٢- الحاجب سكوت البرغواطي: ويكتب أيضًا سقوت أصله من قبيلة برغواطه، أسر في حرب غمارة وبرغواطه، وانتهى أمره إلى أن صار عبدًا لشيخ من غمارة ثم صار لعلي بن حمود الإدريسي، وبفضل قومه وصل إلى الخلافة فولاه على طنجه وسبتة، وأطاعته غمارة وبعد سقوط دولة الحموريين ظل سكوت يحكم طنجه وسبت، ولما قامت دولة المرابطين ووصل يوسف بن تاشفين إلى شمال المغرب توجه إلى طنجه واستولى عليها من يد سكوت الذى قتل في الحرب. انظر ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص٢٢١ - ٢٢٢.

٥٣- تازا: تقع في شرق مدينة فاس بنحو ١٢٧كم تفصل بين المغرب الأقصى والمغرب الأوسط، وتمتاز هذه المدينة بموقع استراتيجي ممتاز جعلها منذ أقدم العصور مركزًا حربيًا له خطورته. انظرى الحميري: المصدر السابق، ١٢٨، أحمد مختار العبادي: في تحقيقه لمشاهدات لسان الديك بن الخطيب، ص١١٤.

٥٤- نكور: مدينة قديمة بالمغرب الأقصى قرب مدينة مليلة تبعد عن البحر المحيط بنحو من خمسة إلى عشرة أميال فتحها سعيد بن إدريس ابن صالح الحميري الذى دخل أرض المغرب في أيام الوليد بن عبد الملك ابن مروان في الافتتاح الأول للمغرب قيل موسى بن نصير. انظر البكري: المغرب، ص٩٠ - ٩١، الحميري: المصدر السابق، ص٥٧٦ - ٥٧٧.

٥٥- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص١٤٠، محمد عبد الهادي شعيره: المرابطون وتاريخهم السياسي، ص٨٧.

٥٦- محمد محمد إبراهيم: المرجع السابق، ص١٩٤.
٥٧- أسلوب التقرى: التقرى فى اللغة، استقرى البلاد أى تتبعها يخرج من أرض إلى أرض، انظر مادة تقار واقتر، المعجم الوسيط، جـ٢ ص٧٢٥.
وهو عبارة عن أسلوب فى الحرب توجه به الجيوش إلى منطقة معينة على ألا تقف محاصرة لمدينة معينة، مكتفية بحرب الجيوش التى تخرج إليها فقط، ومكتفية بما يمكن أن تحصل عليه من مكاسب. وأسلوب التقرى من الأساليب التى تطول فيها العمليات العسكرية. انظر عبد الهادى شعيرة، المرجع السابق، ص٨٨.
٥٨- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص١٨٤.
٥٩- عبد الهادى شعيره: المرجع السابق، ص٨٨، محمد محمد إبراهيم: المرجع السابق، ص١٩٥.
٦٠- صفرو: مدينة بالمغرب الأقصى تقع جنوب مدينة فاس، تشتهر بطيب الماء والهواء، وكثرة الفاكهة. انظر الزهرى: كتابه الجغرافيا، ص١٥٥.
٦١- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٣٩، لسان الدين بن الخطيب المصدر السابق، ص٢٣٥.
٦٢- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص١٣٩ - ١٤٠، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦، ص١٨٤، السلاوى، الاستقصا، جـ١، ص١٠٨. ويذكر صاحب جمع تواريخ فاس أن هذا الفتح تم عام ٤٦٠هـ، انظر ص٢٠. ويرى الدكتور حسن أحمد محمود أنه خلط بين الحملة الأولى والثانية، وأن تحديد الفتح بعام ٤٥٥هـ مقبول إلى حد ما. فى حين يرى الدكتور عبد الهادى شعيرة أن الفتح الأول لفاس كان عام ٤٥٦هـ وليس عام ٤٥٥هـ حيث قبل يوسف بن تاشفين الصلح بعد فرار معنصر عنها، والذى كان قد استبسل فى المقاومة، ويهمل فاس قرابة عامين كاملين من منازلته إياها فى آخر عام ٤٥٤هـ ليعود إليها فى عام ٤٥٦هـ وهو فى حاجة لتثبيت فتوحاته، هذا إلى جانب أن المصادر لا تذكر خلال تلك الفترة سوى أنه توجه إلى مدينة صفرو حيث تم فتحها عنوه.
انظر حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص٢٠٢، عبد الهادى شعيره: المرابطون وتاريخهم السياسى، ص٩٠.

٦٣- عبد الهادى شعيره: المرجع السابق، ص٩٠، سعدون عباس: دولة المرابطين فى المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين، بيروت، دار النهضة، ١٩٨٥، ص٤٥.
٦٤- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٤٠، عبد الهادى شعيره: ص٩٠.
٦٥- عبد الهادى شعيره: المرجع السابق، ص٩٠.
٦٦- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٤٠، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦، ص١٣٧، ١٨٥، جـ٧، ص٣٦، ويجعل ابن خلدون معنصرًا هو الذى دخل فاس وقتل عامل المرابطين، فى حين تذكر المصادر الأخرى أن تميمًا هو الذى فعل ذلك، انظر لسان الدين بن الخطيب: أعمال الأعمال، القسم الثالث، ص١٦٧.
A bun Nasr (Gamal): History of The Magrib, combridse, Secand edtition, 1977, p. 97.
67- L. Goluin: Le Magrib Central, p. 40.
٦٨- محمد بن تاويت: المرجع السابق، ص٥٠.
٦٩- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٤٠، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦، ص١٨٥.
٧٠- عبد الهادى شعيره: المرابطون وتاريخهم السياسى، ص٩٠.
٧١- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٤٠، لسان الدين بن الخطيب المصدر السابق، ص١٦٣، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص١٨٥ السلاوى: الاستقصا، جـ١ ص١٠٩، عبد الهادى شعيره، المرجع السابق، ص٩١.
٧٢- لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ص١٦٣، ويذكر ابن الخطيب إن ذلك الفتح كان عام ٤٦١هـ ولكن هذا لا يتفق مع ما ذكره الآخرون الذين يجعلون ذلك عام ٤٦٠هـ. انظر ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٧ ص٣٦، الذى يذكر أن ذلك الفتح قد تم فى عهد معنصر.
٧٣- عبد الهادى شعيره: المرجع السابق، ص٩١، سعدون عباس: المرجع السابق، ص٤٦.
٧٤- تسول: تعرف بعين أسحف كانت قاعدة لموسى بن أبى العافية وهى على ثلاثة أميال من مدينة فاس، انظر البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص١٤٢.

٧٥- وادى سيمر: على ما يبدو اسم الوأدى نهر اسمير الذى يصب فى البحر المحيط بالموضع المسمى قصر بنى تاورده. انظر الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص١١٥.

٧٦- قلعة فازاز: تقع جنوب سهل سايس بين وادى ملوية ووادى العبيد وفازاز من الجبال المشهورة فى بلاد المغرب تسكنه أمم كثيرة من البربر. انظر مجهول: الاستبصار فى عجائب الأمصار، ص١٨٧، الحميرى: الروض المعطار، ص٤٣٥.

٧٧- ابن ابى زرع: المصدر السابق، ص١٤٠، ١٤١، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦، ص١٨٥،

A bun Nasr (Gamal) Op. Cit., p. 97.

٧٨- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص٢٠٤، عبد الهادى شعيره: المرجع السابق، ص٩١، سعدون عباس: المرجع السابق، ص٤٧.

٧٩- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص٢٢٣.

٨٠- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٤١، عبد الهادى شعيره: المرجع السابق، ص٩١.

٨١- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص٢٠٤.

٨٢- عبد الهادى شعيره: المرجع السابق، ص٩٢.

٨٣- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص١٤١، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦، ص١٨٥، القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الانشا، جـ٥، ص١٨٨، السلاوى الاستقصاء. جـ١، ص١٠٩.

جـ١ ص١٠٩، ويذكر كل من: ابن عذارى: البيان، جـ٤ ص٢٨، وصاحب الحلل الموشية، ص٢٨، واسماعيل بن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى ص٣٠، أن فتح مدينة فاس كان عام ٤٦٧، وكان أميرها الفتوح بن دوناس ولعلهم جميعًا نقلوا من مصدر واحد، وواضح أنه تاريخ مضطرب حيث من المعروف أن الفتوح بين دوناس تخلى عن مدينة فاس قبل عام ٤٥٧ هـ ويذكر أن أبى زرع فى موضع آخر من الأنيس أن عدد القتلى من قبائل زناته فى جوامع فاس وأزقتها ما يزيد عن عشرين ألفًا، انظر ص١١٣، فى حين يذكر لسان الدين بن الخطيب فى أعلام الإعلام، القسم الثالث: أن عدد القتلى من القبائل الزناتية بفاس ثلاث واربعون ألفًا، انظر ص٢٣٦.

وهو وأن كان رقمًا مبالغًا فيه إلا أنه يوضح لنا مدى انتقام المرابطين من المقاومة الزناتية، كان يعطى لنا صورة واضحة عن مدى انهيار الحلف الزناتى أمام ضربات يوسف بن تاشفين.

٨٤- ابن عذارى: البيان، جـ٤ ص١٢٤، ويجدر أن نذكر أن ابن عذارى قدم لنا تاريخين مضطربين فى تحديده لاستيلاء المرابطين على مدينة فاس.

٨٥- مارمول كرفخال: أفريقيا، ترجمة عن الفرنسية، محمد صبحى، ومحمد زنيبر وآخرون، الرباط، مكتبة المعارف، ١٩٨٤، جـ١ ص٣٠٤ - ٣٠٥.

٨٦- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص٢٠٥.

٨٧- عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص٤٤٤، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى، ص٤٣١، روجيه لوطورنو: فاس فى عصر بنى مرين، ترجمة د/ نقولا زياده، بيروت، مؤسسة مرتكلين، ١٩٦٧ ص٢٣، عبد القادر زمامة: معالم وإعلام من فاس القديم، مجلة البحث العلمى، عدد ١٦، سنة ١٩٧٠، ص٨٧. واتخذ المرابطون ثم الموحدون من بعدهم مراكش عاصمة لهم وذلك لقربها من جبال المصامدة، وصحراء لمتونة.

٨٨- روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية، جـ١، جـ١ ص٨٢ - ٨٣.

٨٩- ليفى بروفنسال: أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة محمد عبد الهادى شعيره، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥١، ص١٠٦.

٩٠- مجهول: رسالة فى ذكر من أسس فاس، ورقة ٥٤، ابن أبى زرع المصدر السابق، ص١٤١، الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص٤١، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦، ص١٨٥.

٩١- لوطورنو: فاس قبل الحماية، جـ١ ص٨٣.

٩٢- ابن عذارى: البيان، جـ٤ ص١٢٤.

٩٣- مجهول: رسالة فى ذكر من أسس فاس، ورقة ٥٤، الجزنائى: المصدر السابق، ٤٢، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦، ص١٨٥، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٥٠.

٩٤- مجهول: رسالة فى ذكر من أس فاس، ورقة ٥٥، الجزنائى: المصدر السابق، ص٤١ - ٤٢.

٩٥- ملوية: مدينة تقع بالمغرب الأوسط على نهر ملوية المشهور. انظر مجهول: الاستبصار، ص١٩٣.

٩٦- انظر مثال ذلك ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٤٤، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص١٨٥، لوطورنو: فاس قبل الحماية، جـ ص٨٤،

L. Goluin: Le Magrib central, p. 125.

٩٧- هوبكنز: النظم الإسلامية فى المغرب فى القرون الوسطى، نقله عن الإنجليزية د/ أمين توفيق، تونس، الدار العربية للكتاب، بدون تاريخ، ص٣٩.

٩٨- لوطورنو: المرجع السابق، جـ١ ص٨٤، عبد القادر زمامة: المرجع السابق، ص٨٨.

٩٩- العمرى: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار، الجزء الخاص بوصف المغرب أيام السلطان أبى الحسن المرينى، ص١٣٨ - ١٣٩، ليون الأفريقى: وصف أفريقيا، ص٢٥٢، لوطورنو: المرجع السابق جـ١ ص٨٥.

١٠٠- ليون الأفريقى: المصدر السابق، ص٢٥٢.

١٠١- عبد القادر زمامه: المرجع السابق، ص٨٨، ويعرف هذا الضرب الآن باسم درب البرج.

١٠٢- مجهول: رسالة فى ذكر من أسس فاس، ورقة ٥٥، ابن أبى زرع الأنيس المطرب: ص١٤١، الجزنائى: المصدر السابق، ص٤٢، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص١٨٥.

١٠٣- كانت التعاليم الدينية التى تلقاها عبد الله بن ياسين من أستاذه وجاج بن زللو المتأثر بتعاليم الفقيه أبا عمران الفاسى المالكى المذهب أثرها فى أن يكون المذهب الفقهى المرابطى مذهبًا مالكيًا. انظر القاضى عياض: ترتيب المدارك، المجلد الثانى، جـ٤ ص٧٨١، ابن عذارى: المصدر السابق جـ٤ ص٧ - ٩، مجهول: الحلل الموشية، ص٢٠.

وكان الغالب على أهل المغرب فى العهد الأول للإسلام مذهب الكوفيين إلى أن دخل على بن زياد التونسى وابن أشرش والبهلول بن راشد، وأسد بن الفرات وغيرهم من الحفاظ بمذهب الإمام مالك إلى المغرب، فأخذه كثير من الناس فظهر وانتشر إلى أن جاء سحنون فأستقر المذهب بصفة رسمية، وتأثر أهل فاس بالمذهب المالكى أكثر من غيرهم فى بلاد المغرب نتيجة تعاليم العالم دراس بن إسماعيل الفاسى المتوفى عام ٣٥٧هـ/ ٩٦٧ - ٩٦٨م، والذى كان له الدور الكبير فى إدخال مذهب الإمام مالك لمدينة فاس وأخذ الناس عنه.

انظر الجزنائي: جنى زهرة الاس، ص ٢٠ - ٢١، ابن خلدون: المقدمة، ص ٣٧٥ - ٣٧٦، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ١، ص ١٩٤ - ١٩٥.

١٠٤- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص١٤١.

١٠٥- ابن ابي زرع: المصدر السابق، ص ١٤٢، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص ١٨٥، حسن علي حسن: الحضارة الاسلامية، ص ١٢٥.

١٠٦- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٣٥٧، حسن علي حسن: المرجع السابق، ص١٣٦.

١٠٧- حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ٣٥٤.

١٠٨- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٤٤، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص ١٨٦.

١٠٩- المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ١٩٦٨، جـ٤ ص ٢٢٠.

١١٠- المعتمد بن عباد: أحد ملوك دول الطوائف بالأندلس، كان أميرًا على أشبيليه وقرطبة، كان قد استعان بالمرابطين لنصرة الإسلام في الأندلس، لكن فيما بين عامي ٤٨٦ - ٤٨٨هـ/ ١٠٩٤ - ١٠٩٦م اعتقله المرابطون بسجن مدينة أغمات بالمغرب، وتوفي المعتمد بن عباد بالسجن، ودفن بالمدينة ومازال قبره معروفا هناك. انظر نفح الطيب، جـ٤ ص ٢١٣ - ٢٢٤ ابن أبي زرع: الانيس المطرب، ص ١٦٩.

١١١- المقري: المصدر السابق، جـ٤ ص ٢٢١، وقد ظل المعتمد بن عباد في سجنه بمدينة أغمات، وعندما دخل عليه سجناء فاس مودعين إياه قال المعتمد:

أما لانسكاب الدمع في الخد راحة ... لقد آن أن يفنى ويغنى به الخد
هبوا دعوة يا آل فاس لميتلى ... بما منه قد عفاكم الصمد الفرد
فخلصتم من سجن أغمات والتوت ... على قيود لم يحن فكها بعد

١١٢- مجهول: نبذ تاريخية في مفاخر البربر، ص ٥٨، ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، جـ٤ ص ٢٤٨، ابن ابي زرع: المصدر السابق ص ١٥٨، الذهبي: سير إعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارنؤوط، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤، جـ٢٠ ص ١٢٤ - ١٢٥.

١١٣- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ١٥٨.

١١٤- يوسف أشباخ: تاريخ المغرب فى عصر المرابطين والموحدين، يرجمة عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٤٠، ص ١٢١.
١١٥- حمدى عبد المنعم: تاريخ المغرب والأندلس فى عهد على بن يوسف، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٦، ص ١٣٦.
١١٦- لسان الدين بن الخطيب: أعمال الإعلام، القسم الثالث، ص ٢٥٣، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٣٥٤،، ص ٢٥٣، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٣٥٤، حمدى عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٢٨ - ١٣٠.
١١٧- حمدى عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٢٩.
١١٨- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص ١٥٨ - ١٥٩، لسان الدين ابن الخطيب: المصدر السابق، ص ٢٥٣، السلاوى: ص ٢٥٣، السلاوى: الاستقصا، جـ١ ص ١٢٣ - ١٢٤، يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص ١٢١، حمدى عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٣٠ - ١٣١.
١١٩- وادى ملوية: وهو وادى نهر ملوية الكبير الذى ينبع من ملتقى جبال الأطلس المتوسط والأطلس الكبير، ثم تخرج مياهه فى اتجاه شمال شرق حتى يصب فى البحر المتوسط، طوله مائة وعشرون فرسخا. انظر الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص ١٤٠.
١٢٠- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٥٨ - ١٥٩، السلاوى: المرجع السابق، جـ١ ص ١٢٤، حمدى عبد المنعم: المرجع السابق، ص ١٣٠ - ١٣١. وتذكر المصادر رواية أخرى لإحداث هذه الثورة، فتروى أنه عندما علم يحيى بن أبى بكر أمير فاس بخروج عمه إليه من مراكش قبل أن يتخذ أهبته فت ذلك فى عضده، فخاف على نفسه، وعلم أنه لا طاقة له بحرب عمه، وأثر أن يولى الأدبار، فخرج من فاس خائفا يترقب مسلما المدينة لعمه فدخلها أمير المسلمين على بن يوسف يوم الأربعاء الثامن من ربيع الأخرى عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م، وعلى هذا النحو تمكن على بن يوسف من دخول فاس، حيث استقام له ملكها. انظر ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٥٨، لسان الدين بن الخطيب: إعمال الإعلام، القسم الثالث، ص٢٥٣، السلاوى: الاستقصا، جـ١ ص ١٢٣.
١٢١- ميورقه: جزيرة فى بحر الزقاق بير العدوة المغربية تقع جنوبها مدينة بجاية، ومن الجوف برشلونه بينهما مجرى واحد ومن الشرق إحدى جزيرتها منرقة

بينهما أربعون ميلا، كما تقع في شرق ميورقه جزيرة سرادنية وفي غربها جزيرة يابسه، وقد فتح المسلمون هذه الجزيرة عام ٢٩٢هـ ٩٠٤م ولكن تقلبت عليها قوات برشلونه عام ٥٠٨هـ/ ١١١٤م لأول مرة، ثم استولى المرابطون على هذه الجزيرة ووليها محمد بن غانية المسوفي وهو أول ولاة بني غانيه الذين تعاقبوا على ولايتها إلى أن كان آخرهم عبد الله ابن إسحاق الذى رفض في البداية بيعة الخليفة يعقوب المنصور الموحدى، مما دعى الأخير إلى التوجه إليه بقواته لاسترداد المدينة وغيرها من المدن التى استولى عليها عبد الله بن إسحاق. انظر: الحميرى: الروض المعطار، ص ٥٦٧ – ٥٦٨.

١٢٢- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٥٩، السلاوى: المرجع السابق، جـ١ ص ١٢٤.

١٢٣- حمدى عبد المنعم: تاريخ المغرب والأندلس في عهد على بن يوسف، ص ١٣٣.

١٢٤- ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٤ ص٤٩. ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص ١٥٩، السلاوى: المرجع السابق، جـ١ ص ١٢٤.

١٢٥- ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٤ ص ٦٢، محمود على مكى، وثائق تاريخية عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد السابع والثامن، ١٩٥٩ – ١٩٦٠، ص ١٥٤، وإشبيليه مدينة جليلة بالأندلس، بينها وبين مدينة قرطبة قرابة الثمانون ميلا، تقع على الوادى الكبير، وهى عروس مدينة الأندلس كبيرة عامرة لها أسوار حصينة، وأسواق عامرة، بنى سورها وجامعها الإمام عبد الرحمن بن الحكم انظر الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص ٨٨ – ٨٩، الحميرى: الروض المعطار ص ٥٨ – ٥٩.

١٢٦- ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٤ ص ٦٥.

١٢٧- ابن القطان: جزء من كتاب الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق د/ محمود على مكى، الرباط منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، تطوان، المطبعة المهدية، بدون تاريخ، ص ١٢٢، ١٨٣، ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٤ ص ٨٣.

١٢٨- ابن القطان: المصدر السابق، ص١٨٣.

١٢٩- ابن القطان: نفس المصدر، ص١٠٩، انظر أيضًا دور عسكر مدينة فاس بقيادة ينالة المتوني في محاربة ابن ردمير بوادي أش بالأندلس عام ٥١٩هـ/ ١١٢٥م. ابن عذاري: المصدر السابق، ص٧٢.

١٣٠- ابن القطان: المصدر السابق، ص٢٢٦.

١٣١- لوطورنو: فاس قبل الحماية جـ١ ص٨٦.

١٣٢- المهدي بن تومرت: هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن صفوان بن شعبان بن جابر بن يحيى بن رباح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسين بن علي أبي طالب، ولد عام ٤٨٩هـ، وكنيته أبو عبد الله، وكان يقال لوالده تومرت، وأمغار، وأسافو، ومعناه بلسان البربر الصنياء لا يقادره الضياء في المسجد، وينتمي إلى قبيلة هرغه المصمودية التي كانت تنزل في السوق الأقصى، كانت للمهدي رحلة إلى المشرق، حصل فيها أطرافًا من العلم، وكان من جمله من لقيه بالمشرق الإمام أبو حامد الغزالي المتوفى عام ٥٠٥هـ، ثم عاد المهدي إلى المغرب، عن نسب المهدي وبعض أخياره. انظر البيذق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور: الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧١، ص١٠ - ١٥، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٧٢ - ١٧٣، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦، ص٢٢٥ - ٢٢٦.

١٣٣- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٢ ص٢٩٤، مجهول: الحلل الموشية، ص٩٩.

١٣٤- بجاية: مدينة بالجزائر على شاطئ البحر تابعة لإقليم قسطينيه، ولا يعرف إلا القليل عن تاريخ بجاية خلال القرون الثلاث الأولى التي أعقبت الفتح الإسلامي، ولم يكن لها شأن هام في تاريخ البربر إلا في عهد بني حماد، وذلك عندما رأى سلاطين القلعة أنهم مهددون بغزوات العرب الهلاليين فرغبوا أن يكونوا على مقربة من الشاطئ، وبذلك فهي محدثة البناء، يسافر إليها عن طريق البر والبحر، وعلى نحو ميل منها نهر عظيم، يأتي إليها من جهة المغرب، وهي قطب لكثير من البلاد، انظر الحميري: الروض المعطار ص٨١ -٨٢.

١٣٥- عبد المؤمن بن علي: هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكومي، أول خلفاء دولة الموحدين، وقاهر دولة المرابطين ومبدد شملها وفاتح تونس ومراكش والأندلس، ولد عام ٤٩٠هـ/ وقيل عام ٤٩٥هـ أو عام ٥٠٠ هـ بقرية تاجرة

بساحل البحر من أعمال تلمسان فى قبيلة صغيرة يقال لها كومية، وإليها نسبته، توفى عام ٥٥٨هـ بعد أن تولى الخلافة ببلاد المغرب ثلاثة وعشرون سنة، انظر عبد الواحد المراكشى: المعجب ص٢٦٥، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٨٣.

١٣٦- عبد الواحد المراكشى: المصدر السابق، ص٢٤٧ - ٢٤٨، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ١٧٣، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦، ص١٢٧.

١٣٧- وتشريس: بلد بإفريقية من أعمال بجاية بين باجه وقسطنطينة المغرب،، تقع إلى الشرق من جبل المصامدة. انظر محمد سعيد العريان فى تحقيقه لكتاب المعجب، ص٢٤٨.

١٣٨- مجهول: الحلل الموشية، ص١٠٦، ومحمد بن البشير كان من أول التابعين للمهدى بن تومرت وأحد أصحابه العشرة.

١٣٩- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٧٣.

١٤٠- مسجد ابن الملجوم: ينسب إلى بيت بنى المجلوم أحد الأسر الشهيرة بفاس على أيام المرابطين والموحدين، ينسب إليها عدد من الفقهاء والعلماء والقضاه، عن هذه الأسرة انظر إسماعيل بن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٢، ص١٠ - ١٤، وانظر أيضًا الترجمات العديدة التى أوردها ابن القاضى المكناسى فى جذوة الاقتباس لهذه الأسرة.

١٤١- مسجد طريانه: هو المسجد الذى آوى إليه المهدى بن تومرت أثناء مقامة بفاس، وكان يعرف هذا المسجد باسم "جامع المهدية" بحى الطالعة الكبرى، ولهذا المسجد بابان، الأول بحى طريانه المنسوب إليه المسجد، والثانى بباب درب بن سالم، وبين البابين يوجد الساباط (سقيفة بين دارين جمعها سباطات) الكبير الذى بنى المسجد فوقه، ويعرف هذا الساباط باسم ساباط المهدى من عصر الموحدين إلى الآن تخليدًا لذكرى إقامة المهدى بهذا المسجد، انظر محمد الفاسى: معالم وأعلام من فاس القديم، مجلة البحث العلمى، عدد ١٦، عام ١٩٧٠، ص٨٩.

١٤٢- البيذق: أخبار المهدى، ص٢٣، عبد الواحد المراكشى: المصدر السابق، ص٢٥١، ابن أبى زرع: المصدر السابق ص١٧٣، سعد زغلول عبد الحميد: محمد بن تومرت وحركة التجديد فى المغرب، بيروت، دار الأحد، ١٩٧٣، ص١٦، Terrasse, Histoire du Maroc, Tome I, p. 270، وعن أسماء الطلبة

الذين كانوا يتلقون العلوم على يدى المهدى بهذا المسجد، انظر أخبار المهدى، ص٢٣.

١٤٣- البيذق: المصدر السابق، ص٢٣ -٢٤، سعد زغلول: المرجع السابق، ص١٧، Terrasse: Op. Cit., p. 270.

١٤٤- سعد زغلول: المرجع السابق، ص١٨.

١٤٥- البيذق: المصدر السابق، ص٢٤.

١٤٦- الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ١٩ ص٥٤٨، سعد زغلول المرجع السابق، ص١٩، حمدى عبد المنعم: تاريخ المغرب والأندلس فى عصر المرابطين، ص٩٣.

١٤٧- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٢٥١، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٧٣، مجهول: الحلل الموشية، ص١٠٦.

١٤٨- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص٣٢.

١٤٩- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص٣٢، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٢٥٢ - ٢٥٤، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٧٥ ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦، ص١٨٩، وعن تلك المناظرة انظر ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص١٧٤ - ١٧٥.

١٥٠- تينمل: موضع بالسوس الأقصى، وكتب تينملل أو تأنمللت، وقد رسمها أحيانًا ابن صاحب الصلاة كلمتين: تين ملل، وهى مؤلفة بالبربرية من: تين بمعنى ذات، وايمل بمعنى الحواجز "الصرايم" وبنى بها الإمام داره ومسجده ومدنها ثم حصنها الخليفة حتي غدت أمنع وأحصن، هذا إلى جانب وعورة مسالكها الأمر الذى يجعل الوصول إليها من أصعب المحاولات. انظر عبد الهادى التازى فى تحقيقه: لكتاب المن بالإمامة ص٢١٥.

١٥١- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص٣٢، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٧٦، مجهول: الحلل الموشية، ص١٠٢، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦، ص١٨٩.

١٥٢- البيذق: أخبار المهدى، ص٣٤ - ٣٥، الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية، والحفصية، تحقيق محمد ماضور، تونس، ١٩٦٦/ ص٦، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٧٦، مجهول: الحلل الموشية ص١٠٨ - ١٠٩. ورتب المهدى أصحابه مراتب. فالأولى أهل العشرة، وهم أشرف أصحابه والثانية آية خمسين وهم دون الطبقة الأولى، وهم جماعة من رؤساء القبائل، والثالثة آية سبعين وهم

دون الذين قبلهم فى الرتبة السابقة، وسمى عامة أصحابه الداخلين فى طاعته بالموحدين.
عن هذا الترتيب انظر: أخبار المهدى، ص٣٤ - ٣٥، الكامل فى التاريخ، جـ٨ ص٣٩٨، المعجب، ص٢٥٥، الحلل الموشية، ص١٠٨، ونهاية الأرب، بالقاهرة، تحقيق د/ حسين نصار، الهيئة العامة جـ٢٤ ص٢٨٧.

١٥٣- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٢٥٩ - ٢٦٠، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٠٧، لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الإعلام، القسم الثالث، ص٢٧٠، مجهول: الحلل الموشية، ص١٠٩ - ١١٠.

١٥٤- مجهول: الحلل الموشية، ص١١٤.

١٥٥- البحيرة: تعرف أيضًا ببحيرة الرقائق، وهى بسيط أو سهل كان أمام باب الدباغين وباب إيلان من مراكش، جرت بها هذه الواقعة وكانت يوم السبت ١٢ أبريل ١١٣٠م/ ٢ جمادى الآخرة ٥٢٤هـ. انظر: عبد الوهاب بن منصور فى تحقيقه لأخبار المهدى، ص٤٠.

١٥٦- البيذق: المصدر السابق ص٣٩ -٤٠، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٨ ص٢٩٨، مجهول: الحلل الموشية، ص١١٤.

١٥٧- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٢٦٠.

١٥٨- مجهول: الحلل الموشية، ص١١٦.

١٥٩- عبد الله علام: الدولة الموحدية بالمغرب فى عهد عبد المؤمن بن على مصر، دار المعارف، ١٩٧١، ص٧٩ - ٨٠.

١٦٠- البيذق: المصدر السابق، ص٤٣ - ٤٤، ابن القطان: نظم الجمان، ص١٢٦، ويجعل هو وصاحب الحلل الموشية. وفاة المهدى فى ١٤ رمضان، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦، ص١٨٩، بويع عبد المؤمن بن على البيعة الخاصة من أصحاب المهدى عام ٥٢٤هـ، وبويع البيعة عامة عقب إعلانه وفاة المهدى عام ٥٢٦هـ، انظر الأنيس المطرب، ص١٨٦، فى حين يجعل ابن القطان فى نظم الجمان أن البيعة العامة لعبد المؤمن كانت عام ٥٢٩هـ، ولكن هذا تاريخ متأخر فليس من المعقول أن يستطيع عبد المؤمن بن على إخفاء موت المهدى قرابة الخمس سنوات، انظر نظم الجمان، ص١٦٨.

١٦١- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٢٦١ - ٢٦٢، ٢٧٠ - ٢٧١، مجهول: الحلل الموشية، ص١٩ - ٢٠.

١٦٢- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٨٦ - ١٨٧.
١٦٣- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت وآخرين، ص١٦، عبد الله علام: الدولة الموحدية، ص١١٥.
١٦٤- مجهول: الحلل الموشية، ص١٢١.
١٦٥- ابن عذاري: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص١٦.
١٦٦- الميره: من الفعل مير، وهو الطعام يمتاره الإنسان، ومار أهله من باب باع. انظر محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، القاهرة، دار المعارف، مادة مير، ص٦٤٠.
١٦٧- الربيرتير: Reverter قائد رومي كان في البداية نصرانيًا من قواد أمير لشبونه وأرجون، ثم وقع في أسر الأمير علي بن ميمون قائد وأبلى البلاء الحسن في محاربة الموحدين، وقتل هذا القائد في أحد حروبه مع الموحدين عام ٥٣٩هـ. انظر، ابن عذاري: المصدر السابق، جـ٤ ص١٠٣، ابن القطان: نظم الجمان، ص٩٦، أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، إسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، بدون تاريخ، ص٣٥٥.
١٦٨- البيذق: أخبار المهدي، ص٥١.
١٦٩- ابن عذاري: المصدر السابق، جـ٤ ص١٠٣، قسم الموحدين، ص١٦، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص١٨٧.
١٧٠- وهران: مدينة بالمغرب الأوسط على ساحل البحر أقرب المدن إلى المغرب الأقصى، أسست في حوالي عام ٢٩٠هـ حيث بناها جماعة من الأندلسيين البحريين، ولكن خرب وهران بسبب فتنة بعض القبائل البربرية بها، وبقيت على الخراب سنين، ثم دب العمران فيها بعد أن هدأت تلك الفتن، فعادت أحسن مما كانت حيث وصفت بالحصانة والارحاء والبساتين، انظر: البكري: المغرب في ذكر أفريقية والمغرب، ص٧٠ - ٧١، الزهري: كتاب الجغرافيا، ص١١٣، الحميري: الروض المعطار، ص٦١٢.
١٧١- ابن عذاري: المصدر السابق، جـ٤ ص١٠٤، ١٢٦.
١٧٢- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٨، ص٢٩٩، عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٢٧١، ابن عذاري: المصدر السابق، جـ٤، ص١٠٤، ص١٢٦، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص١٨٧ - ١٨٨.

ويجعل ابن الأثير عمر الهنـاتى قـائد الحامية الموحدية التى سارت لفتح مدينة وهران وليس عبد المؤمن بن علي.

١٧٣- يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، جـ١ ص٢١١

١٧٤- روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية، جـ١ ص٨٦.

١٧٥- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٨، ص٣٠٠، ابن عذارى البيان المغرب قسم الموحدين، ص٢٣، مجهول: الحلل الموشية، ص١٣٥، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦، ص٢٣١.

في الواقع اختلف المؤرخون في تحديد المكان الذى فر منه الأمير يحيى بن أبى بكر إلى فاس فيجعله ابن الأثير من تاجررت. انظر المصدر السابق جـ٨ ص٣٠٠، في حين يجعنها كل من ابن عذارى وهو ينقل من ابن بجير، وابن خلدون من تلمسان، انظر البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٣، تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص٢٣١.

١٧٦- ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص١٣٣، السلاوى: الاستقصا جـ١ ص١٤٢، عبد الله علام: الدولة الموحدية، ص١٣٣.

١٧٧- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٣، مجهول الحلل الموشية، ص١٣٥.

١٧٨- المقرمده: اسم لموضع بمدينة فاس بعدوة الأندلس منها، به ضريح الإمام إدريس بن إدريس، انظر ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٣٨، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٣٢.

١٧٩- البيذق: أخبار المهدى، ص٦٠،

terrasse: Histoiredu Maroc, Tome I, p. 289.

١٨٠- البيذق: المصدر السابق، ص٦٠.

١٨١- البيذق: المصدر السابق، ص٦٠، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٣.

١٨٢- البيذق: المصدر السابق، ص٦١، ابن عذارى: المصدر قسم الموحدين، ص٢٣، عبد الله علام: المرجع السابق، ص١٣٣.

١٨٣- عقبة البقر: تقع في طريق الخارج من باب الفتوح من عدوة الأندلس على مسافة تزيد على أربعة أميال، انظر البكرى: المغرب في ذكر أفريقية والمغرب، ص١٤١، والمحلة: في الاصطلاح العسكرى المغربي القديم تعني الجيش

المستقر، وعكسها الحركة أى الجيش الضارب، وقد تعنى المحلة مجرد الجيش، انظر عبد الوهاب بن منصور: فى تحقيقه لأخبار المهدى ص٦١.

١٨٤- يأتى التمييز هنا بمعنى تمييز الموحد من المنافق فى القوات الموحدية، كما يأتى بمعنى التطهير، انظر ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص٢٢٨ وكانت أول عملية تمييز فى الدولة الموحدية التى قام بها المهدى بن تومرت على يد البشير الونشريسى عام ٥١٩هـ، حيث عُرض الموحدون عليه فأخرج منهم قومًا على يمينه زعم أنهم من أهل الجنة، كما أخرج قومًا على يساره زعم أنهم من أهل النار حيث انهم يشكون فى عصمة الإمام المهدى ابن تومرت. عن التمييز فى العصر الموحدى: انظر ابن القطان: نظم الجمان، ص١٠٢ - ١٠٤، البيذق: أخبار المهدى ص٧٨، ابن عذارى البيان المغرب، جـ٤ ص٦٨ - ٦٩.

١٨٥- البنود: مفردبند، وهو العلم الكبير، والكلمة فارسية معربة انظر محمد بن أبى بكر الرازى، مختار الصحاح، مادة بند ص٦٥.

١٨٦- البيذق: المصدر السابق، ٦١، ابن عذارى: المصدر السابق قسم الموحدين، ص٢٣، ومنزل الحجاج هو المكان الذى يجتمع فيه حجاج مدن المغرب الأقصى تأهبًا لرحلة الحج. انظر محمد المنونى: ركب الحاج المغربى، تطوان: مطبعة المخزن، ١٩٥٣، ص١٥.

١٨٧- البيذق: أخبار المهدى: ص٦١، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٣.

١٨٨- ابن عذارى: نفس المصدر والصفحة.

١٨٩- البيذق: المصدر السابق، ص٦١.

١٩٠- البيذق: المصدر السابق، ص٦١، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٤.

١٩١- مجهول: الحلل الموشية، ص١٣٦.

١٩٢- البيذق: المصدر السابق، ص٦١.

١٩٣- يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، جـ١ ص٢١١.

١٩٤- عبد الله علام: المرجع السابق، ص١٣٤.

١٩٥- البيذق: أخبار المهدى، ص٦٢، ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص٢٤.

١٩٦- يبدو أنه أحد قواد الموحدين ولم تذكر المصادر التى أطلع عليها الباحث اسمه كاملاً.

١٩٧- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٨، ص٣٠٠، ابن عذارى، المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٤، الذى يذكر أن مدة الحصار كانت سبعة أشهر، مجهول، الحلل الموشية، ص١٣٦.

١٩٨- محمد محمد إبراهيم: الجيش فى عهد المرابطين والموحدين، ص١١٧ - ١١٨.

١٩٩- ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٨ ص٣٠٠، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص١٨٩، مجهول: الحلل الموشية، ص١٣٦، يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عصر المرابطين والموحدين جـ١ ص٢١١.

٢٠٠- مجهول: جمع تواريخ فاس، ص٤١ - ٤٢، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٨٥، مجهول: الحلل الموشية، ص١٣٦.

٢٠١- يوسف أشباخ: المرجع السابق، جـ١ ص٢١١.

٢٠٢- مجهول: الحلل الموشية، ص١٣٦.

٢٠٣- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٤، مجهول الحلل الموشية، ص١٣٥.

٢٠٤- البيذق: أخبار المهدى، ص٦٢، ابن عذارى: البيان قسم الموحدين، ص٢٤، مجهول: الحلل الموشية، ص١٣٦.

٢٠٥- يوسف أشباخ: المرجع السابق، جـ١ ص٢١١.

٢٠٦- البيذق: المصدر السابق، ص٦٢، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٤، مجهول: الحلل الموشية، ص١٣٦ النويرى: نهاية الإرب، جـ٢٤، ص٢٩٥، ويذكر كلا من صاحب الحلل الموشية والنويرى أن هذا الاتفاق تم بين الجيانى وعبد المؤمن بن علي.

٢٠٧- مجهول: الحلل الموشية، ص١٣٦، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص٢٣٢.

٢٠٨- ابن الآبار: الحلة السيراء، جـ٢ ص٢٣٦.

٢٠٩- البيذق: أخبار المهدى، ص٦٢.

٢١٠- ابن الآبار: المصدر السابق، جـ٢ ص٢٣٦.

٢١١- البيذق: أخبار المهدى، ص٦٢، ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص٢٤.

٢١٢- مجهول: نبذة تاريخية فى مفاخر البربر، ص٥٩، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٤.

٢١٣- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٨٩.
٢١٤- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص١٨٩، روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية، جـ١ ص٨٧.
٢١٥- روجيه لوطورنو: المرجع السابق، جـ١ ص٨٧.
٢١٦- ابن الآبار: المصدر السابق، جـ٢ ص٢٣٥.
٢١٧- ابن عذاري: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٤، ذكر ابن خلدون أن الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على كان وقت فتح فاس محاصرًا لمدينة مكناسة، فلما علم بخبر الفتح رجع إليها. انظر: تاريخ ابن خلدون، ص٢٣٢. وأخذ بهذا عبد الله علام الذي يذكر أن عبد المؤمن بن على لم يشهد فتح مدينة فاس وأن القائد الموحدى ابن الجبير هو الذى تمكن من الاستيلاء على المدينة، مستبعدًا ما ذكره صاحب الحلل الموشية من أن الجيانى اتصل بالخليفة عبد المؤمن وأنه أدخله المدينة من باب الفتوح. انظر عبد الله علام: الدولة الموحديه، ص١٣٦. والباحث لا يؤيد ما ذهب إليه عبد الله علام، فإن كانت المفاوضات فى بدايتها تمت بين الجيانى مشرف فاس، وكبير قواد الموحدين، فلا يمنع هذا من أن يرسل ابن الجير إلى الخليفة عبد المؤمن بن على يعلمه بهذا الاتفاق ويطلب منه سرعة القدوم إلى فاس ليشهد فتحها مع القوات الموحديه. لاسيما أن بعض المؤرخين يذكرون أن الجيانى طلب الأمان لأهل فاس من الخليفة الموحدى الذى أجابه إلى ذلك. النظر ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٨، ص٣٠٠ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٨٩، مجهول: الحلل الموشية ص١٣٦، النويري: نهاية الأرب، جـ٢٤، ص٢٩٥.
٢١٨- روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية، جـ١ ص٨٧.
٢١٩- تاودا: تقع شمال مدينة فاس، حيث تقع مدينة صفرو فى جنوبها، ويصفها الزهرى بأنها صحيحة الماء والهواء كثيرة الفواكه، انظر: كتاب الجغرافيا، ص١١٥. وقد بنى المرابطون تاودا لتكون حصنًا لمراقبة سكان جبال غماره، ولما ثار أمير هذه المدينة على الخليفة عبد المؤمن بن على عام ٥٥٩/ ١١٦٣م سار إليه الخليفة الموحدى واستولى على البلد وضرب الحصن وقتل كثيرًا من السكان فأندثرت البلده منذ ذلك الحين، وعرفت باسم فاس البالى الذى ما زالت تسمى به إلى اليوم. انظر عبد الوهاب بن منصور: فى تحقيقه لأخبار المهدى ص٢٤.

٢٢٠- البيذق: أخبار المهدى، ص٦٢ - ٦٣، قارن
terrasse: Op. Cit., Tome I, p. 289.
٢٢١- يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، جـ١، ص٢١١.
٢٢٢- روجيه لوطورنو: فاس فى عصر بنى مرين، ص٢٣.
٢٢٣- ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٨ ص٣٠٠، النويرى: نهاية الأرب جـ٢٤ ص٢٩٦.
٢٢٤- البيذق: أخبار المهدى، ص٦٢، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين ص٢٤. الذى يذكر أن أول والٍ على فاس من قبل الموحدين كان أبو اسحاق بن جامع.
٢٢٥- سلا "Slae": مدينة قديمة تقع على ساحل المحيط الأطلنطى بأقصى المغرب، بينها وبين مراكش تسع مراحل على ساحل البحر، أحدث الموحدون بها عمائر كثيرة. انظر الحميرى: الروض المعطار ص٣١٩.
وللمزيد من المعلومات عن سلا انظر لسان الدين بن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس، رسالته فى المفاخرات بين مالقة وسلا ص٥٧ - ٦٦.
٢٢٦- مجهول: نبذ تاريخية فى مفاخر البربر، ص٥٩، مجهول: الحلل الموشية، ص١٣٧.
٢٢٧- لوطورنو: فاس فى عصر بنى مرين، ص٢٣، فاس قبل الحماية جـ١ ص٨٧.
٢٢٨- عبد الهادى التازى: جامع القرويين، جـ١ ص١٠٨.
٢٢٩- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، جـ١ ص٣٣٦.
٢٣٠ - ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص٥٠، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص٣٣٦، بدر الدين العينى: عقد الجمان فى تاريخ الزمان، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم ٣٣٤/ ك جـ١٢ أحداث عام ٥٥١، عبد القادر زمامه: اكتشاف نص جديد يتعلق بتاريخ الموحدين، مجلة كلية الآداب جامعة محمد الخامس، العدد الرابع والخامس ١٩٨٠ - ١٩٨١، ص٣١٨ - ٣١٩.
ويجعل كلا من بدر الدين العينى وابن الأثير: الكامل جـ٩ ص٥٠، والنويرى نهاية الأرب، جـ٢٤، ص٣٠٨. ذلك التعيين فى عام ٥٥١هـ/ ١١٥٦م ورجح الأستاذ ليفى بروفنسال رأى ابن الأثير. انظر:

- Leviprovencal: Delettres oficielles Almohades, et de deplomatique et historoue, Hesperis, anne, 1941, p. 38.

ويجعل السلاوى ذلك بعد عام ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م. انظر الاستقصا، جـ١ ص١٤٩، إلا أننا نرجح رأى ابن عذارى وابن خلدون اللذان يجعلان ذلك عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م. فهو أقرب للصح.

٢٣١- غبراهيم حركات: المرجع السابق، جـ١ ص٣٣٦.

٢٣٢- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٣٧، منى حسن أحمد محمود: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة بمراكش فى عهد المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٤ ص٢٥١.

٢٣٣- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٥٠، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص٢٣٦، ويجعل ابن أبى زرع تلك الولاية عام ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م. انظر: الأنيس المطرب، ص١٩٤.

٢٣٤- مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتابه الدولة المؤمنية، نشرها ليفى بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا، ١٩٤١، ص٤٣، ابن عذارى، المصدر السابق، قسم الموحدين ص٤٧ – ٤٨. عبد القادر زمامه: اكتشاف نص جديد يتعلق بتاريخ الموحدين، ص٣١٥.

Provoncal: De Lettres of officille Almohdes, p. 32.

٢٣٥- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٥٠، عبد القادر زمامة: المرجع السابق، ص٣١٨،

Provancal: Op. Cit., p. 32.

٢٣٦- مجموع رسائل موحدية، ص٤٤.

٢٣٧- أحمد بن عطية ثانى وزير للخليفة عبد المؤمن بن على بعد وزيره الأول، أبو حفص عمر، وقد جمع أحمد بن عطية بين الوزارة والكتابة، واستمر فى هذا المنصب إلى أن قتله عبد المؤمن بن على فى شهور عام ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م. انظر عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص٢٦٦ – ٢٦٧.

٢٣٨- رسائل موحديه: ص٤٤، ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص٥٠ ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٩٥، عبد القادر زمامه: المرجع السابق، ص٣١٨.

٢٣٩- ابن عذارى: المصدر السابق، ص١٩٨، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص٢٣٧.

٢٤٠- عبد الهادى التازى: فى تحقيقه للمن بالإمامة، السفر الثانى، ص١٤٤.
٢٤١- ققصه: إحدى مدن أفريقية (بلاد الجريد) وهى مدينة كبيرة قديمة تقع بين مدينة القيروان وقابس وبينها وبين الأخيرة ثلاث مراحل. انظر الحميرى: المصدر السابق، ص٤٤٧. وكان والى ققصه من قبل الموحدين على بن المعز بن المعتز المعروف بالطويل من أعقاب بنى الرند قد ثار عليهم عندما رأى غلبة الغز المصريين على طائفة من بلاد أفريقية وانقياد العرب لهم فحدث له طمع فى الاستقلال ببلده وخاطب العرب على ذلك فتوجه إليه الخليفة الموحدى يوسف ابن عبد المؤمن فنزل ققفصه محاصرًا لها، على ابن المعز على أمره. انظر ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص٢٤٠ - ٢٤١.
٢٤٢- ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، السفر الثانى، ص٢٥٩، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٨٦، ١٤٣، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢١٢.
٢٤٣- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص١٥٨، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ٢١٣، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص٢٤١.
٢٤٤- ابن عذارى: المصدر السابق قسم الموحدين، ص١٥٨.
٢٤٥- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص١٥٨.
٢٤٦- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص١٦٢، ١٧٠، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٢١٥ - ٢١٦.
٢٤٧- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢١٧.
٢٤٨- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص١٨٦، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢١٨، ابن خلدون: المصدر السابقن جـ٦ ص٢٢٤، السلاوى: الاستقصا، جـ١ ص١٦٥.
٢٤٩- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص١٨٦.
٢٥٠- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص١٨٦ - ١٨٧، ابن أبى زرع: المصدر السابق ص١٦٧.
٢٥١- هو محمد بن رزين المعروف بالجزيرى، وترجع حركته إلى مذهب الخوارج الأزارقة فى تكفير جميع المسلمين، وقد أيده قوم من البربر كانوا يتعلمون على يده هذا المذهب، فشاع خبره ومذهبه منذ عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م، ويبدو أن

الموحدين عرفوا ما يدعو إليه فاضطر إلى الهروب من مراكش فى العام المذكور، ولكنه عاد إليها فى عام ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م فعمل الموحدون للقضاء على حركته.
انظر ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص١٥٥.

٢٥٢- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٠٧.

٢٥٣- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٠٩، المقرى: نفح الطيب، جـ١ ص٤٤٤، ويجعل المقرى ذلك فى عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م.

٢٥٤- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص٢٤٦، سعد زغلول عبد الحميد: العلاقة بين صلاح الدين والمنصور الموحدى، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد السادس والسابع، ١٩٥٢، ص٨٩.

٢٥٥- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٠٩، ابتسام مرعى: العلاقة بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامى، القاهرة دار المعارف، ١٩٨٥، ص١٥٨.

٢٥٦- سعد زغلول: المرجع السابق، ص٩٠.

٢٥٧- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٠٩.

٢٥٨- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص٢٤٦.

٢٥٩- عبد الهادى التازى: التاريخ الدبلوماسى للمغرب، عهد الموحدين، المهدية، مطابع فاضله، ١٩٨٧، ص٣١١.

٢٦٠- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٠٩، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢١٩، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص٢٤٦. سعد زغلول: المرجع السابق، ص٩٠، وعن هدية صلاح الدين للمنصور الموحدى، انظر ابن خلدون، جـ٦ ص٤٦. وابتسام مرعى: المرجع السابق، ص١٥٩.

٢٦١- سعد زغلول: المرجع السابق، ص٩١، ابتسام مرعى: المرجع السابق، ص١٥٩.

٢٦٢- ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص٢٠٩، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص٢٤٦، المقرى: المصدر السابق، جـ١ ص٤٤٤ ويفسر المقرى رفض الخليفة المنصور لطلب صلاح الدين لأنه لم يخاطبه باسم أمير المؤمنين، ولم يوفيه حقه فى الخطاب، أنظر أيضًا عن هذه الأحداث القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٥ ص٥٥.

٢٦٣- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢١٤.

٢٦٤- ابن عذارى: المصدر السابق، ص٢٣٤ - ٢٣٦، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢٣٠ - ٢٣١.

٢٦٥- قصبة الوادى: كانت هذه القصبة موجودة بباب بوجلود الحالى، ولا يزال أحد أبراجها ماثلاً حتى الآن للعيان، وهو ملاصق لجامع بوجلود انظر عبد الوهاب بن منصور: فى تحقيقه لجنى زهرة الأس، ص٤٣.

٢٦٦- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٢٣١ - ٢٣٢، الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص٤٢، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٥٠.

٢٦٧- روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية، جـ١ ص٨٧.

٢٦٨- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٤٢، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢٣٢.

٢٦٩- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٦٦، ويجعل ابن عذارى ذلك عام ٦١٢هـ/ ١٢١٥م، السلاوى: الاستقصا، جـ١ ص١٩١، مصطفى أبو ضيف: أثر العرب فى تاريخ المغرب خلال عصر الموحدين والمرينيين، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٢ ص٩٩ - ١٠٠، عبد الهادى التازى: التاريخ الدبلوماسى للمغرب، عهد الموحدين، ص٢٨٧.

٢٧٠- عبد الهادى التازى: المرجع السابق، ص٢٨٨.

٢٧١- الجزنائى: المصدر السابق، ص٤٣، المقرى: نفح الطيب، جـ٥ ص١٥٦، السلاوى: المرجع السابق، جـ١ ص١٩١.

٢٧٢- روجيه لوطورنو: المرجع السابق، جـ١ ص٨٧.

٢٧٣- كان الخليفة الناصى الموحدى قد أمر بإقامة بعض المشروعات العمرانية فى المدينة سوف نذكرها فى الفصل الخاص بذلك.

٢٧٤- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٤٩.

٢٧٥- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٥٩، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٢٣٣ - ٢٣٤.

٢٧٦- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٥٩.

٢٧٧- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين ص٢٥٩ - ٢٦٠.

٢٧٨- قصر كتامه: هو اليوم القصر الكبير ويسمى أيضًا قصر عبد الكريم، وهى بلدة معروفة بالمنطقة الخليفية بالمغرب الأقصى، وتبعد عن ساحل المحيط بنحو ٣٦

ك.م. انظر أحمد المختار العبادى فى تحقيقه لمشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ص١٥٦.
٢٧٩- ابن عذارى: المصدر السابق، ص٢٦٠.
٢٨٠- ابن عذارى: نفس المصدر، ص٢٦٢ - ٢٦٣.
٢٨١- ابن عذارى: المصدر السابق، ص٢٦٥، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٢٤٠ - ٢٤١، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص٢٥٠.
٢٨٢- ابن عذارى: المصدر السابق، ص٢٦٥، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦، ص٢٥٠، السلاوى: الاستقصا، جـ١ ص١٩٤.
٢٨٣- بنو مرين فخذ من قبائل زناته من بنى واسين من ولد مرين بن ورتاجين وهم أخوة بنى يلومى ومديونه، كانوا يسكنون بلاد القبلة من زاب إفريقية إلى سجلماسة ينتقلون فى تلك البلاد لا يؤذن لا مير درهمًا ولا دينارًا ولا يدخلون تحت حكم سلطان، وكان أغلبهم يعمل بالصيد وطرد الخيل والفارة، وكانت جل أموالهم الخيل والإبل - عن قبائل بنى مرين انظر أبى زرع: الأنيس المطرب ص٣٧٨ - ٣٨٤، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون جـ٧ ص١٦٦.
٢٨٤- ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص٢٦٦، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦، ص٢٥١.
٢٨٥- ابن عذارى: المصدر السابق، ص٢٦٦، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٧ ص١٦٩، السلاوى: المرجع السابق جـ١ ص١٩٤ والمشعلة نوع من الثياب معروفة عند أهل المغرب. انظر تاريخ ابن خلدون، جـ٧ ص١٦٧.
٢٨٦- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٦٩.
٢٨٧- مرسيه: مدينة بالأندلس، هى قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم، واتخذها دار للعمال وقرار للقواد وذلك فى عام ٢١٦هـ/ ٨٣١م وتقع على نهر كبير يسقى جميعها، لها جامع جليل وحمامات وأسواق عامرة، رخيصة الفواكه، كما يوجد بها معادن للفضة، وتقع مرسيه فى سهل من الأرض على خفته ذلك النهر. ويشق الماء ربضها حيث يجاز إليها على قنطرة مصنوعة من المراكب وتنتقل من موضع إلى موضع. انظر الحميرى: الروض المعطار، ص٥٣٩.
٢٨٨- عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص٤١٥ - ٤١٦، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٦٥، ٢٧٠، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون جـ٦ ص٢٥٢ - ٢٥٣، الزركشى: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ص٢٢.

٢٨٩- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٤١٦ - ٤١٨، ابن عذاري المصدر السابق، قسم الموحدين ص٢٩٨.

٢٩٠- عرب الخلط: هم بنو المنتفق من بني عامر بن عقيل بن كعب كانوا شيعة للقرامطة بالبحرين، ولما ضعف أمر القرامطة واستولى بنو أبي الحسين من بطون تغلب على البحرين وشايعوا للدولة العباسية ارتحل بنو المنتفق من المسمون بالخلط إلى أفريقية، وهم فى المغرب منسوبون إلى جشم تخليطًا فى النسب ممن يحققه من العامة، وقد أدخلهم المنصور إلى المغرب فأستقروا في سهول تامسنا فكانوا أولى عدد وقوة وكان شيخهم هلال يناصر المأمون إلى أن توفى وبويع لابنه الرشيد ورفض طاعته. انظر ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦، ص٢٩.

٢٩١- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٢٣٥ - ٢٣٦، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦، ص٢٥٥.

٢٩٢- ابن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص٢٣٦.

٢٩٣- السلاوى: الاستقصا، جـ١ ص٢٠٢ - ٢٠٣.

٢٩٤- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٤١٨، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٣٥٨ - ٣٥٩، السلاوى: المرجع السابق، جـ١ ص٢٠٢ - ٢٠٣.

٢٩٥- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٣٦٦، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٢٩١ - ٢٩٢.

٢٩٦- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢٩٢، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٧، ص١٧١، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٥ ص١٩٥.

٢٩٧- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٣٦٦.

٢٩٨- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٣٦٦، السلاوى الاستقصا، جـ١ ص٢٠٣.

٢٩٩- ابن عذارى: المصدر السابق، ص٣٥٩، ٣٨٧، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص٢٥٨، ابن أبى دينار القيرواني: المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس، ص١٢٨ - ١٢٩.

٣٠٠- ابن عذارى: المصدر السابق، ص٣٥٩، ٣٨٧، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢٩٢، مجهول: الحلل الموشية، ص١٦٨، القلقشندى: مآثر الأناقة فى معالم

الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الثالنية، ١٩٨٠، ص١٠١، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ١ ص١٠٤.

٣٠١- ابن عذاري: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٣٩١، ٣٩٦.

٣٠٢- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٧ ص١٧٣ - ١٧٤.

٣٠٣- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٢٩٣، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٧ ص١٧٤، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ! ص١٠٤.

٣٠٤- ابن عذاري: البيان، قسم الموحدين، ص٣٩٦، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٢٩٤، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٧ ص١٧٤ - ١٧٥.

٣٠٥- ابن عذاري: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٣٩٦ - ٣٩٧، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٢٩٤، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٧ ص١٧٤ - ١٧٥.

٣٠٦- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٢٩٥.

٣٠٧- ابن عذاري: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٣٩٧، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٢٩٥، ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٧ ص١٧٥، ويجعل كلا من ابن أبي زرع وابن خلدون قتل أعيان فاس في شهر رجب عام ٦٤٨هـ/ أكتوبر ١٢٥٢م، كما يذكر أن أهل فاس دفعوا مائة ألف دينار للأمير المريني كانوا قد انتهبوها من قصره.

٣٠٨- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٢٩٦، ابن خلدون: المصدر السابقن جـ٧ ص١٧٥، القلقشندي: مأثر الأناقة، ص١٠١.

٣٠٩- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٧ ص١٧٤.

٣١٠- ابن عذاري: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٤٠٦ - ٤٠٧، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٢٥٨، ابن أبي دينار القرواني: المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، ص١٢٩.

٣١١- ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٧ ص١٧٧.

٣١٢- روجيه لوطورنو: فاس في عصر بني مرين، ص٢٤.

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية بمدينة فاس فى عصرى المرابطين والموحدين

أولاً: السكان:

تكون المجتمع الفاسي في عصري المرابطين والموحدين من عناصر مختلفة هي: البربر والعرب إلى جانب العناصر الأخرى من العبيد وأهل الذمة[1].

البربر

يعد البربر العنصر الأغلب من عناصر السكان في بلاد المغرب، فمنهم وعلى أكتافهم تأسست دولة المرابطين ثم الموحدين، ومن ثم فمن الطبيعي أن يشكل البربر أهم عناصر السكان في مدينة فاس، وخاصة قبائل صنهاجة وقبائل المصامدة، فقد تبادلت القبيلتان المواقع في عهد كل من الدولتين، وكان لهما دور كبير في توجيه تاريخ المغرب في العصر الإسلامي.

ويقوم النظام الاجتماعي عند البربر على أسس قبلية محضة، فالقبيلة هي عماد النظام ومحور الحياة سواء كانت تعيش على الريادة[2] والغزو، أو مستقرة تتكسب من الفلاحة وتربية الأغنام، وتتركب القبيلة البربرية من عشائر وأسر لأفرادها من الولاء لها والتعلق بها أكثر من القبيلة نفسها، فالعصبية عند البربر تقوى كلما ضاق المجتمع، وتضعف كلما اتسع فهم يشبهون في ذلك العرب، ويرأس الأب أو الزوج الأسرة وله سلطان مطلق عليها، وهو أعلى مقامًا وأشد احترامًا من الأم أو الزوجة[3].

ومنذ تأسيس مدينة فاس قطنت العناصر البربرية من صنهاجة ولواته ومصمودة في مختلف أحياء المدينة، كما توافد بربر التل والجبال وبربر الصحراء من لمطة وغيرها إلى المدينة.[4] وبذلك حوت فاس صنفي البربر البرانس والبتر، وتنتمي طائفة البربر البتر إلى مادغيس، ومنهم بطنان: نفزاوة وهم بنو لوا الأكبر، ولواته بنو لوا الأصغر المسمى باسم أبيه، وانتشرت بطون وفروع قبيلة لواته بفاس[5] ويذكر ابن أبي زرع[6] أن قبيلة لواته كانت بين القبائل البربرية التي خرجت لقتال يوسف بن تاشفين عندما توجه لحصار مدينة فاس عام ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م كما كان لهذه القبيلة ذكر بمدينة فاس في عصر الموحدين[7].

ومن قبائل البربر البتر التي قطنت مدينة فاس، شعب أداسه[8] الذين من أشهر قبائلهم وشتاته، حيث استقرت فرقة منه بجبل زالغ المشرف على فاس، وإلى هذه القبيلة يُنسب الموضع المسمى باب وشتاته[9] ومن قبائل ضريسة البترية التي استقرت بفاس قبيلة مطغرة، وهي أوفر قبائل ضريسه المنسبون إلى ضريس بن زحيك بن مادغيس الأبتر[10].

ومن بين القبائل البترية التى قطنت مدينة فاس، والتى كان لها وجود فى عصر المرابطين والموحدين، قبيلة مغيلة[١١]. أخوة مطماطة ولماية وكان جمهورهم بالمغرب الأقصى، وهذه القبيلة إحدى القبائل التى قامت بنصرة الإمام إدريس بن عبد الله أثناء دخوله بالمغرب، وحملت البربر على طاعته والدخول فى أمره، وكانت أيضًا من القبائل التى خرجت من فاس لقتال يوسف بن تاشفين[١٢]، ويحدد ابن خلدون مواطنهم بين فاس وصفرو ومكناسة[١٣]. وورد ذكر قبيلة مغيله فى هذين العهدين فى بيوتات فاس الكبرى، حيث كان منها بيت بنى المغيلى[١٤] ومن خلال الترجمات التى أوردها ابن القاضى المكناسى[١٥] لأعلام هذه القبيلة يصفهم بأنهم من البربر، بيتهم بيت علم وترف، ولهم زقاق بفاس يقال له وطأة المغيلى.

ومن القبائل البترية بفاس قبيلة صدينة،[١٦] وهى إحدى القبائل التى قامت مع مغيله لنصرة الإمام إدريس بن عبد الله، ومنها بطن مندرج فى قبيلة شراكة قرب فاس، وكان موطن قبيلة صدينة قريبًا من فاس حيث كان لهم مدينة يقال لها مدينة صدينة على اسم القبيلة قبيل دخول المرابطين مدينة فاس[١٧]، وبقيت أعقاب هذه القبيلة بفاس خلال عهدى المرابطين والموحدين، حيث برع البعض منهم فى ميدان العلم[١٨].

وكانت لقبيلة مطماطة، مواطنها المعروفة بها بين فاس وصفرو، كما كانت قبيلة مضغرة التى ركد ريحها بعد دولة الأدارسة وافترق جمعها، وإن بقيت منهات جماعة بين فاس وتلمسان وصفرو، يتصلون بكومية ويدخلون حلفهم، وكان من تلك القبيلة جماعة بجبل فاس يعرف بهم[١٩].

كما قطنت المدينة فى هذين العهدين بعض من بقايا قبائل زناته الذين استولوا على السلطة فى فاس مرات عديدة، وتنضوى تحتهم قبائل كثيرة وبطون عديدة[٢٠]. ومن المعروف أن المرابطين قد تخلصوا من الزناتيين الذين كانوا بمنطقة فاس، لكن بقيت بقايا منهم تقطن المدينة مثل بيت بنى دبوس من بنى يفرن الزناتيين، وكان لهم زقاق بفاس يقال له عقبة بنى دبوس، كما كان منهم بنى حمد[٢١].

وكانت قبيلة زواغة، وهى من بطون البربر من ولد شمعان بن يحيى بن ضريس بن مادغيس الأبتر، من ضمن القبائل الفاسية الخارجة لقتال يوسف بن تاشفين أثناء محاولاته لدخول فاس[٢٢] واستمر وجود هذه القبيلة بفاس فى عصرى المرابطين والموحدين حيث يذكر ابن خلدون وجودهم بالمدينة[٢٣].

أما البربر البرانس، فقد نزلت منهم بفاس قبائل مصموده وصنهاجة ولمطة وهسكورة وكزولة وأوربة، وأوربة هم بنو أورب بن برنس، ومن قبائلهم رغيوة التى لا تزال معروفة بهذا الاسم شمال فاس، ولجاية الموجودة شمال فاس، ومزياته ومواطنها قرب وادى ورغة شمال فاس[٢٤] كذلك. كما أن هناك فرقة من قبائل أوربة تنزل بجبل زرهون بفاس[٢٥] واشتهر بيتهم فى عهدى المرابطين والموحدين بالعلم والصلاح[٢٦].

أما صنهاجة فهو بنو صنهاج بن برنس، وهم شعب كبير جدًا موجودين فى كل مكان بالمغرب لا يكاد يخلو منهم جبل ولا سهل[٢٧] وترجع قبائل صنهاجة فى فاس إلى أصلين: أحدهما صنهاجة الشمال، والأخرى صنهاجة الجنوب - أى الصحراء - ويبدو أن وجود الصنهاجين الصحراويين فى فاس يرجع إلى أيام الدولة المرابطية، وذلك عندما تقدمت القبائل الصنهاجية من الصحراء إلى المغرب الأقصى، وانتشرت واستقرت فى مدنه المختلفة، ومنها مدينة فاس[٢٨]. ومن قبائل صنهاجة وبطونها بنى زروال[٢٩]. ومنهم فرقة استقرت على عدوتى وادى ورغة شمال فاس[٣٠]. وإن كانت هذه القبيلة بربرية الأصل، إلا أنها تعربت تمامًا وانعدمت منها البربرية ولم يبق منها إلا الاسم شأن قبائل كثيرة بالمغرب، ويرجع سبب تعربها موقعها قرب فاس حيث كانت على اتصال تام بها، وكثيرًا ما كان كثير من أبنائها يشدون الرحلة للتجارة وللأخذ عن شيوخ القرويين، كما أن المرابطين والموحدين نقلوا قبائل عربية رحالة، وأسكنوها مع بنى زروال لأغراض سياسية[٣١].

ومن البربر البرانس قبيل لمطة - أخوة صنهاجة - وهم قبائل وبطون أكثرهم أهل وبر ويظعنون مع قبائل المرابطين ويقيمون معهم، ومنهم فرقة مستقرة بجبل زالغ المطل على فاس[٣٢]. ومن القبائل الصنهاجية، قبيلة مليلة، وهم من شعب أوريقة من أكبر القبائل المغربية ولها فروع فى جميع الجهات مستقلة بنفسها أو مندمجة فى غيرها، وينسب إليها عدة مواضع[٣٣]. وسكنت مليلة فاس، ولا شك أن أعداد أفرادها تزايد مع دخول المرابطين، واستمرت أعقاب هذه القبيلة حتى عهد الموحدين فيذكر اسماعيل بن الأحمر[٣٤]، أن بربر بنى المليلى من صنهاجة كانوا على عهد الموحدين. ويصفهم ابن القاضى المكناسى[٣٥] فى عصر الموحدين بأنهم بيت فقه.

ولا شك أن أعداد كبيرة من قبيلة صنهاجة سكنت بفاس مع دخول المرابطين المدينة حيث وردت ترجمات عديدة لشخصيات فاسية منتسبة لهذه

القبيلة[٣٦]. كما أن من البيوتات الصنهاجية التي قطنت فاس في هذا العهد بيت بني ياسين، المنتسبون إلى عبد الله بن ياسين اللمتوني الصنهاجي[٣٧]. ويذكر ابن القاضي المكناسي[٣٨]. أن قبيلة لمتونة كانت إحدى القبائل القاطنة بفاس. وكانت قبيلة بريوله وقبيلة البوبراهيمي الذين يرجع أصلهم إلى تافيليت والمنتسبون إلى المرابطين من بين القبائل الصنهاجية التي سكنت فاس في هذين العهدين[٣٩].

ولما قامت الدولة الموحدية، وسيطرت على ما في قبضة المرابطين من سهول، دفعتهم نزعتهم للاستقرار إلى استيطان المدن، ويبدو أن سياسة الموحدين اتجهت إلى توطين قبائلهم البادية مثل هسكورة وصنهاجة في المدن، ويوضح الهجرة المصمودية من الريف إلى المدن النهج الذي سلكه الموحدون في تعيين أئمة فاس وخطبائها من العناصر المتقنة للغة البربرية[٤٠]. فمع دخول الموحدين فاس بدأت القبائل المصمودية تقطن المدينة، حيث كانت الإدارة في المدينة تقوم بها عناصر موحدية، فاشتهرت البيوتات المصمودية بسكنى مدينة فاس في هذا العهد فبيت بني خنوسة من مصامدة السوس كانت لهم شهرة كبيرة بفاس في العصر الموحدي، وكان لهم درب يقال له درب خلوف من حومة الكدان[٤١]. كما قطنت قبيلة هزميرة المنتسبة إلى مصامدة السوس مدينة فاس في العصر الموحدي، كذلك اشتهر بيت الموحدين بمدينة فاس، وهم ينتسبون إلى المصامدة الذين اجتمعوا على المهدي بن تومرت[٤٢]. وورد ذكر سكنى قبيلة غمارة، وهم من بطون المصامدة من ولد غمار بن مصمود بمدينة فاس في العصر الموحدي[٤٣].

ومن القبائل البربرية التي سكنت فاس في هذين العهدين، والتي ورد ذكرها في بعض المصادر لكن دون الإشارة إلى نسبها، قبيلة بهلولة[٤٤] وكانت من بين القبائل التي خرجت لقتال يوسف بن تاشفين أثناء محاولاته لدخول فاس[٤٥]. وورد ذكر هذه القبيلة في عصري المرابطين والموحدين حيث ذكرها الشريف الإدريسي[٤٦]. بين القبائل البربرية القاطنة حول مدينة فاس. كما ذكرت أيضا من خلال الترجمات التي وردت لأفرادها[٤٧].

ومن الأسر البربرية التي ورد ذكرها في بيوتات فاس في هذين العهدين، لكن دون ذكر نسبها أيضا، بيت بني المزدغي وهم قبيلة من البربر[٤٨]. وبيت بني الزرهوني من بربر جبل زرهون، وبيت بني الفضل، وبيت بني علي، وبيت بني هشام، وبيت بني عبد الحق، وهم من البربر الذين كانوا على عهد الموحدين[٤٩].

ومن الأسر البربرية مجهولة النسب، التى سكنت فاس فى هذين العهدين، أغزوان وكان لهم جنان خارج باب الفتوح، وأغلان الذين كان لهم ذكر بفاس وعز ومال، ولهم مسجد أسفل درب الطويل ينسب إليهم[٥٠] وبنو برقوقة وهم من أقدم العائلات بفاس، ينسب إليهم شارع برقوقة وبه مسجد كان يسمى بهم، وأيضا بنو البطان الذين كان لهم ذكر بفاس[٥١].

ولاحظ الجغرافى العربى الإدريسى (فى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى) بعضا من القبائل البربرية التى كانت تسكن حول مدينة فاس، منهم بنو يوسف، وفندلاوة وزواوة ومجاصة وخياته[٥٢]. ومن القبائل البربرية التى قطنت فاس فى هذين العهدين أيضا قبيلة أزقور وهم من أقدم بيوتات فاس، وكانت لهم زنقة[٥٣] باسمهم قرب رأس الجنان، وكان حيهم آهلا بالسكان مشهورا على عهد المرابطين، ومن أجل ذلك نجد يوسف بن تاشفين يؤسس المسجد الذى يدعى مسجد الصابرين هناك[٥٤].

العــرب

كان العنصر العربى من العناصر المؤسسة لمدينة فاس، فعلاوة على مؤسسها العربى العلوى إدريس بن إدريس، وفدت على المدينة وفود العرب من بلاد أفريقية والقيروان والأندلس والعراق، من القيسية والأزد، ومدلج وبنى يحصب والصدف وغيرهم، فاسكنهم الإمام إدريس بن إدريس بالمدينة وجعلهم بطانته دون البربر[٥٥]. بيد أن هذا الاستقطاب لم يؤثر كثيرا فى التركيب السكانى الفاسى، فلم يكن للعرب تأثير كبير فى المغرب الأقصى إلا بعد منتصف القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، مع الغزوة الهلالية التى بفضلها انتشر العرب فى البوادى والأرياف[٥٦]. وكانت ظاهرة الهجرة من المغرب الأدنى إلى المغرب الأقصى مستمرة خلال قرن من الزمان منذ خراب القيروان عام ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م حتى الفتح الموحدى للبلاد الشرقية، هى هجرة جماعية ولكنها لم تكن قبلية وربما يرجع ذلك إلى أنها هجرة أهل مدن لا أهل بادية، فمنذ أن اجتاح العرب الهلاليون بلاد أفريقية هاجر أهلها وتفرقوا فى كل مكان، فمنهم قصد المغرب الأقصى. ويوضح عبد الواحد المراكشى أن أكثرهم قصد مدينة فاس وذلك فى قوله: كانت القيروان حاضرة المغرب، فلما اضطرب أمرها بعبث العرب فيها فر منها أهلها، ونزل أكثرهم مدينة فاس[٥٧]. وأكد الزهرى ذلك بقوله "ما انقضت سنتان من تفرق أهل القيروان إلى البلدان حتى كان منهم طائفة بكل بلاد المسلمين .. واستقرت منهم أمة كبيرة بفاس"[٥٨].

وفي كتب التراجم ما يؤكد هذه الروايات ويفصلها، حيث يتضح أن الهجرة من مدن المغرب الأدنى إلى المغرب الأقصى حظيت فيها فاس بكثير من المهاجرين. ويدل على كثرتهم فى فاس تأثيرهم الحضارى، فأهل فاس تصاهروا مع أهل القيروان وتعلموا الطرب منهم(٥٩). وبذلك كان العرب عند ظهور المرابطين يشكلون جزءا من سكان فاس.

ولما خلص أمر المغرب للموحدين عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، ودخل الخلفاء الموحدون في وقائع كثيرة مع العرب الهلالية وأدرك الخلفاء الموحدون أن الغريزة الحربية متأصلة فى العرب لا يمكن تخليهم عنها فرأوا أن يستغلوا طبيعتهم وطاقاتهم لمصلحة الدولة ضد أعدائها، فاستجلبوا عددا كبيرا من هذه القبائل العربية إلى المغرب الأقصى(٦٠).

ويذكر ابن *صاحب الصلاة* (٦١)"أن بأحواز مدينة فاس من عرب بنى رياح وبنى جشم وبنى عدى وقبائلهم ما يضيق به الفضاء على عدد الذباب وعدد الحصى". ويؤكد ذلك ابن خلدون حيث يذكر أن عرب الخلط وسفيان وبنى جابر وهم من بطون جشم انتهت رئاستهم إلى قبيلة سفيان سائر أيام الموحدين، وعندما دب الوهن فى جسد الدولة الموحدية كانت لهذه الجموع الغلبة على مقاليد الأمور فى الدولة وذلك لكثرتهم وقرب عهدهم بالبداوة، ولما حاول بنو مرين الاستيلاء على فاس لم تكن فيها حامية أشد منهم بأسا ومن قبيلة رباح أيضا، حيث كانت لهم مع بنى مرين وقائع وحروب(٦٢).

ومن تصفحنا لكتاب بيوتات فاس يمكن أن نتبين أن البيوتات العربية المؤلفة من اثنين وعشرين عائلة، والتى ذكر منها فى عهد المرابطين والموحدين سبع بيوتات تضم أسرا قحطانية وعدنانية، فالأسر القحطانية معظمها من الأزد والخزرج، والأسر العدنانية أغلبها من قريش وكنانة وقيس وتغلب(٦٣). أما الأزد، فمنهم بيت بنى الملجوم، وهو بنو عمير ابن مصعب الأزدى بن خالد بن هرثمة بن الأمير يزيد بن المهلب بن أبى صفرة .. الذى قدم أبوه مصعب وأهله على موسى بن نصير لما فتح الأندلس فأستقروا بالأندلس .. ولما بويع الإمام إدريس بن إدريس واستقرت له الأمور بالمغرب، وقدمت عليه الوفود قدم عليه عمير بن مصعب مع قوم من الأزد فيمن قدم عليه من وفود الأندلس، حيث استوزره الإمام إدريس. وعمير بن مصعب هو جد بنى الملجوم المذكورون أعلام فاس والذين تداولوا القضاء والفتوى والشهادة بها(٦٤). وورت ترجمات لشخصيات عديدة من هذه الأسرة خلال عهدى

المرابطين والموحدين[٦٥]. وكانت الخزرج من الأسر القحطانية التى سكنت مدينة فاس فى هذين العصرين[٦٦].

ومن العرب العدنانيين بفاس بيت بنى حنين من عرب كنانة[٦٧] ولهم زقاق بفاس يقال له ميزاب ابن حنين[٦٨]. وبيت بنى بكار القيسيين، وبيتهم بيت علم وثروة، وهم من بنى كلاب جدهم راشد من عرب كنانة[٦٩]. وبيت بنى يشكر وهم من عرب كنانه أيضا، ممن وفدوا على الإمام إدريس بن إدريس، وبقى عقبهم إلى أيام الموحدين[٧٠].

ومن عرب قريش كان بيت بنى حاج الذين لهم درب بفاس يقال له درب أبى حاج، وتولى القضاء بعضهم بفاس وغيرها من مدن المغرب فى أيام المرابطين. كما قطن بيت بنى السلالجى وهم من عرب قبيلة قيس القرشيين بمدينة فاس[٧١]. ومن القبائل العربية التى ورد ذكرها فى كتب التراجم، والتى قطنت مدينة فاس فى عصرى المرابطين والموحدين قبيلة تجيب، وقبيلة سليم، وبيت بنى وشتوت، وبيت بنى اللبانة، كما سكن الأمويين وهم من عرب قريش بمدينة فاس[٧٢]. ومنهم بنو باق من بنى أمية، ومنهم على بن محمد بن باق من علماء فاس أيام الموحدين[٧٣]. وقبيلة لخم[٧٤]. وتميم[٧٥]، وكذلك عرب بنى اللبلى[٧٦]. والأوس الذين كان لهم ذكر قديم بالمدينة، وكان منهم على بن عمر الأوسى المشرف على البناء أيام الموحدين[٧٧]. ومن القبائل العربية التى ورد ذكرها بفاس وكانت لها منازلها بالقرب منها عرب الكعوب، وهم من بطن سليم وبعدها تبدأ منازل بنى هلال بن عامر بن صعصعة خصوصا بطنهم الأشهر رياح الذى لعب الدور الأكبر فى الفتح الثانى لأفريقية والمغرب فى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، إذ كانت قبيلة رياح من أكبر المشاركين فيه عددا وأشدهم سطوة[٧٨]. وكان عرب المعقل من القبائل القاطنة بمدينة فاس ومن حولها[٧٩] وكانت مواطنهم بالمغرب الأقصى مجاورة لبنى عامر، وينقسم عرب المعقل إلى ثلاثة بطون هم ذوى عبد الله، وذوى منصور، وذى حسان، وكان دخولهم المغرب مع الهلاليين فى عدد قليل .. ويرجع ابن خلدون عرب المعقل إلى عرب اليمن[٨٠].

ومن القبائل العربية التى سكنت حول فاس بنو المنتفق الذين ينتمون إلى عامر بن عقيل من الاثيج، الذين دخلوا المغرب مع الغزوة الهلالية، ويعرفون بالخلط، وتقع مواطنهم بين فاس ومراكش فى سهول إقليم أزغار[٨١].

هذا وامتازت مدينة فاس بسكنى ذرية المولى إدريس بن إدريس الذى أجلى أكثرهم موسى بن أبى العافية عن فاس، ولكن عاد البعض منهم إلى سكنى فاس فى أزمنة مختلفة وفى مراحل متعددة كما ورد فى المصادر(٨٢)، وعرفت البيوتات المنتسبة إلى هذه الأسرة باسم الشرفاء، ووردت ترجمات فى العهدين المرابطى والموحدى توضح أن منهم من كان يسكن فاس فى ذلك الوقت(٨٣).

وضم كتاب "بيوتات فاس" بين طياته إشارات خفيفة عن طبيعة اللقاء العربى البربرى الذى تم فى مدينة فاس، وما نتج عنه من اختلاط وتزاوج بين سكان المدينة من عرب وبربر، ومن الجدير بالملاحظة أن هذا الاختلاط كان عميقا وطويلا بحيث لم يمض وقت طويل حتى ظهرت نتائج هذا الاختلاط للعيان(٨٤). فالإدريسى لاحظ أنه "كان يسكن حول فاس قبائل من البربر لكنهم يتكلمون العربية، وهم بنو يوسف وفندلاوة وبهلول وخياته وزواوة ومجاصته"(٨٥).

ومن دراسة دقيقة لهذا النص يمكن القول: إن اختلاط القبائل العربية والبربرية فى منطقة فاس واضح وأكيد. أما ما يذكره الإدريسى من أن قبيلة سلالجيون قبيلة بربرية متعربة(٨٦)، فهذا خلط منه. فمنهم فى الحقيقة كانوا عربا قيسيين قطنوا مدينة فاس منذ أيام الأدارسة، كما يوضح ذلك إسماعيل بن الأحمر(٨٧) بقوله: "بيت بن السلالجى بيتهم بيت ثروة وجاه وفقه، وهم من العرب القيسين، ومنهم الفقيه المعروف بالسلالجى المتوفى بفاس عام ٥٩٤هـ-١١٩٧م".

وعلى أية حال فإن اندماج القبائل العربية مع القبائل البربرية فى المنطقة لمدة طويلة كان السبب فى عدم تمكن الإدريسى فى تمييز نسبهم القيسى العربى، علاوة على ذلك يتضح أيضا التأثير العميق للاختلاط العربى البربرى فى فاس، والذى انعكس بصورة واضحة فى انتشار اللغة العربية بين القبائل البربرية، فقبيلة بنى بهلول التى كانت تتكلم العربية على أيام الإدريسى فى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى هى فى الحقيقة كما يذكر ابن أبى زرع، وإسماعيل بن الأحمر قبيلة بربرية عاشت مع العرب الأزد منذ أيام الأدارسة، ودخلت فى علاقات زواج مع القبائل العربية الموجودة هناك(٨٨).

وبذلك كان للزحف العربى الثانى على بلاد المغرب آثارا بعيدة المدى فى حياة تلك المنطقة، فإن كانت هذه الآثار سلبية فى النصف الشرقى من البلاد فإن نتائجها الإيجابية فى المغرب الأقصى أخذت شكلها القومى الجديد، فصارت للبلاد لغة جديدة يتخاطب بها العوام بعد أن كان استعمال اللغة العربية قاصرا على

الدواوين، وبعض الحواجز التى أنشأها عرب الفتح، وترعرعت فى حضن العروبة، فمن الثابت تاريخيًا أن اللغة البربرية بقيت هى السائدة فى المغرب الأقصى والأوسط إلى الزحف العربى الثانى، وأن خطب الجمع فى حاضرة عربية مثل فاس، وفوق منبر جامع إسلامى كبير مثل القرويين كانت تلقى باللغة البربرية، إلى ما بعد قيام دولة الموحدين، ولكن دخول العرب هذه المرة جعل السيادة للغة العربية على جميع بلاد المغرب[٨٩].

ويبدو أن هذا الامتزاج العربى - البربرى فى فاس أصبح بمرور الزمن أكثر اتساعًا وأكثر تعقيدًا بحيث أن مؤلف "كتاب بيوتات فاس" فى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى، وجد صعوبة كبيرة فى تمييز نسب عدد من البيوتات الشهيرة فى فاس فهو فى كثير من الأحيان لم يسجل نسبها[٩٠].

الأندلسيون:

وإلى جانب البربر والعرب وجدت عناصر أخرى سكنت المدينة فى هذين العهدين، منهم "الأندلسيون" ويطلق لفظ "الأندلسيين" على المسلمين من أهل الأندلس باستثناء البربر الطارئين كقوة سياسية مسيطرة مرابطية كانت أم موحدية، وبصرف النظر عن الأصول الأولى لهذه الجماعة عربية كانت أم بربرية، أم من السكان الأصليين الذين أسلموا فاندمج أحفادهم فى المسلمين، أم العبيد الذين اعتقوا فغدوا جزءا من مجتمع أسيادهم الأولين بالولاء[٩١]. ويذكر عبد الواحد المراكشى[٩٢]: أنه لما اضطرب أمر قرطبة باختلاف بنى أمية بعد موت محمد بن أبى عامر وابنه رحل منها من كان فيها من العلماء والفضلاء من كل طبقة فرارًا من الفتنة فنزل أكثرهم مدينة فاس. وقد اتسمت حياة الأندلسيين فى القرنين الخامس والسادس الهجريين/ الثانى والثالث عشر الميلاديين بالهجرة إلى بلاد المغرب. ويتضح هذا من خلال التراجم العديدة التى وردت لشخصيات من مختلف المدن الأندلسية هاجرت إلى مدينة فاس بقصد الاستيطان، وبلغ عدد هذه الهجرات الاستيطانية قرابة الثمانين هجرة من مختلف المدن الأندلسية[٩٣]. وإن كانت المصادر قد أشارت إلى أعلام المهاجرين، فلا شك أن هناك أعدادًا كثيرة هاجرت ولكن دون أن تذكرها المصادر.

وشهدت مدينة فاس سكن مهاجرى صقلية الذين استقروا بها بعد الفتنة التى حدثت بصقلية بعد استيلاء روجار الأول عليها فى ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، حيث هاجر عدد

كبير من العرب إلى المغرب، ومنهم الشرفاء المستقر بعضهم بفاس الذين عرفوا بالصياقلة(٩٤).

العنصر السوداني:

كان العنصر السوداني من العناصر السكانية التي قطنت مدينة فاس في العصرين المرابطي والموحدي، وقد كان يتم جلب هذا العنصر من مختلف بلاد السودان (جنوب الصحراء) وكانت أعدادهم بمدينة فاس كثيرة، حتى أنهم شكلوا عنصرًا من عناصر سكانها، فمن المعروف أن المرابطين استخدموا العناصر السودانية في جيوشهم وتنظيماتهم العسكرية، وصاروا يكونون فرقة من فرق الجيش، وتزايدت أعدادهم بالمدن المغربية، حتى أن أمير المسلمين علي بن يوسف حين عزم على تجهيز حملة للعبور للأندلس فرض على المدن المغربية عددًا من أبناء السودان للاشتراك في الحرب، وكان ما فرض على أهل مدينة فاس ثلاثمائة غلام من سودانهم بنفقاتهم وسلاحهم(٩٥).

ثانيًا: طبقات المجتمع في مدينة فاس:

شهد مجتمع مدينة فاس في عهدي المرابطين والموحدين تنوعًا في طبقاته وطوائفه نتيجة للظروف السياسية والاتجاهات الدينية والفكرية التي مرت بها المدينة ومنطقة المغرب الأقصى، يضاف إلى ذلك تنوع النشاط السكاني الذي أسفر عنه تعددًا في أصحاب المهن والحرف التي قامت بهذا النشاط، مما جعل المدينة تجمع بين أسوارها فئات متباينة من الناس، يشكلون طبقات متعددة تشكل كل منها لبنه في البناء الاجتماعي للمدينة، فانقسم مجتمع مدينة فاس في هذين العهدين، إلى أربع طبقات رئيسية هي: الطبقة الحاكمة، وطبقة الفقهاء، والقضاة والطلبة، وطبقة العامة وطبقة أهل الذمة.

الطبقة الحاكمة

انحصرت السلطة في دولة المرابطين في يوسف بن تاشفين وأولاده، حيث قسم ابن تاشفين المغرب إلى أعمال ووزعه على بنيه وقومه وزويه(٩٦). واستمر ذلك الوضع إلى نهاية دولة المرابطين، فكان صاحب فاس عند دخول الموحدين المدينة هو الأمير يحيى بن علي المرابطي(٩٧). ومن المعروف أن الدولة المرابطية قامت على أكتاف قبائل صنهاجة، فقد استأثر أفراد هذه القبائل، وعلى رأسهم قبيلة لمتونه بالمناصب الإدارية الهامة. فبعد أن دوّن يوسف بن تاشفين الدواوين ورتب

الأجناد استدعاهم لتولى الأعمال واعدًا إياهم بالخير الجزيل[98]. وبذلك تمتع أبناء هذه القبائل بوضع السيادة فى المدن[99].

وانحصرت السلطة فى دولة الموحدين أيضًا فى عبد المؤمن بن على وأولاده[100]. وبذلك اتبع الموحدون نفس السياسة حيث استأثر بنو عبد المؤمن بأعمال المدن، كما أن قبيلة كومية، وهى القبيلة التى ينتسب إليها عبد المؤمن بن على، صارت بطانة للخليفة، يعتد بأبنائها، وأصبحت من أعظم قبائل الموحدين، واحتلت مكان الصدارة، وذلك لانتماء ولاة الأمر لها[101]. وعلى ذلك تمتعت الأسرتان - لمتونه وكومية - بمكان السيادة والرياسة فى المجتمع المغربى.

ومنذ بداية العصر المرابطى أخذت الحياة فى المدينة تتخلى تدريجيًا عن بساطتها التى كانت عليها قبل ذلك، حيث أخذت مسحة من الترف تعلو حياة الولاة والعمال على المدينة، فاتخذوا دارًا خاصة بالإشراف لها نظمها[102]. كما اتخذوا الوزراء والكتاب[103]. وأمعن الخلفاء والعمال فى حياة الترف فأنشأوا لأنفسهم القصور والبساتين الخاصة بهم[104]. فكان للطبقة الحاكمة دور نشيط فى الحياة الاجتماعية التى حفلت بها المدينة، حيث كانوا فى حياتهم الخاصة والعامة صورة مصغرة لما كان عليه الخلفاء وكبار الأمراء فى الحاضرة[105].

طبقة الفقهاء والعلماء والقضاة والطلبة:

حفلت مدينة فاس فى عصرى المرابطين والموحدين بعدد كبير من رجال العلم والدين من الفقهاء والعلماء والقضاة، فقد قامت كل من الدولتين على أساس دينى ودعوة إصلاحية واتسمتا بمسحة دينية واضحة، جعلت للفكر الدينى وأهله مكانة ممتازة فى قلوب الخاصة والعامة. فمن المعروف أن المبدأ الدينى هو الأساس الذى قامت عليه دولتى المرابطين والموحدين وبالتالى تمتع القائمون على شئون الدين بمكانة عالية.

ومنذ بداية دولة المرابطين، ظهر للعلماء نفوذ فى مجريات الأمور حيث تحالف الفقهاء المالكية مع المرابطين منذ قيام دولتهم[106]. ذلك فضلاً عن الاحترام والتقدير، من جانب أمراء المرابطين، فيوسف بن تاشفين كان مؤثرًا لأهل العلم والدين كثير المشورة لهدم، مصرفًا الأمور إليهم، آخذًا فيها برأيهم، قاضيًا على نفسه بفتواهم، محبًا ومقربًا ومكرمًا لهم مجريًا عليهم الأرزاق من بيت المال طول أيامه[107]. واتبع نفس هذه السياسة الأمير على بن يوسف، فيقول عبد الواحد المراكشى[108] "اشتد إيثاره لأهل الفقه والدين، فكان لا يقطع أمرًا فى جميع مملكته

دون مشاورة الفقهاء، وكان إذا ولى أحدًا من قضاته كان فيما يعهد إليه ألا يقطع أمرًا ولا يبت حكمه فى صغير من الأمور ولا كبير إلا بمحضر أربعة من الفقهاء فبلغ الفقهاء فى أيامًا مبلغًا عظيمًا لم يبلغوا مثله، ولم يزل الفقهاء على ذلك وأمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكامهم صغيرها وكبيرها موقوفة عليهم طول مدته، فعظم أمر الفقهاء، وانصرفت وجوه الناس إليهم، فكثرت لذلك أموالهم واتسعت مكاسبهم "هكذا كان إحساس الحكام دائمًا بأنهم فى حاجة إلى دعامة يستندون إليها فى حكمهم ويستعينون بها فى إرضاء الشعب، كفيلاً بحرصهم على استرضاء رجال الدين بحكم ما للدين ورجاله من قوة وسطوة فى النفوس(١٠٩). فهذه المكانة الخاصة التى أولاها أمراء المرابطين للفقهاء والعلماء جعلت منهم طبقة مرهوبة الجانب مسموعة الكلمة، وأصبح لهم دورًا بارزًا فى السياسة العامة للدولة المرابطية، ولعل سيطرتهم على مقاليد الأمور فى دولة المرابطين هى التى جعلت ابن تومرت يهاجمهم ويحارب جمودهم الفكرى(١١٠).

واختلف وضع الفقهاء والعلماء فى بداية دولة الموحدين، فقد عمد ابن تومرت إلى محاربة تسلط الفقهاء على مقاليد الأمور فى دولته، فعمد منذ البداية إلى توزيع السلطات والمسئوليات على هيئة الطبقات(١١١) التى ابتكرها، ولم يدع فرصة للعلماء أو لغيرهم للسيطرة على الدعوة الموحدية(١١٢).

ولكن لما كانت الدولة الموحدية قد قامت على أكتاف داعية دينى، وهو المهدى بن تومرت، وأن البرامج الدينية والمبادئ الموحدية كان لها دورا بارزا فى حياة الموحدين، فقد تمتع المشتغلون بمذهب الدولة بمكانة رفيعة وهم الذين عرفوا فى سلم الفئات أو الطبقات الحاكمة باسم "الطلبة"(١١٣). وهى طبقة مستحدثة أيام الموحدين، لم تكن موجودة من قبل فى الدولة المرابطية(١١٤). وتنقسم هذه الطبقة إلى طائفتين: طلبة الموحدين وهم من المصامدة، وطلبة الحضر، وهم يكثرون فى بعض الأحيان ويقلون(١١٥)، ويبدوا أن طلبة الموحدين هم الذين كانوا يرافقون الخليفة فى أسفاره، كما أن ما يسترعى الانتباه بهذا الخصوص أن الرسائل الرسمية الموحدية موجهة كلها تقريبا بدون استثناء إلى الطلبة والشيوخ والأعيان وكأن سلطة الموحدين فى الأقاليم كان يمثلها الطلبة بصورة رئيسية(١١٦) حيث كان لابد فى كل مجلس عام أو خاص يجلسه الخليفة من حضور هؤلاء الطلبة، وبلغت هذه الطبقة من الطلبة شأوا عظيما فى عهد أبى يعقوب يوسف المنصور الموحدى(١١٧).

على أية حال فإن المصادر تشير إلى أن خلفاء الموحدين كانوا يولون رعايتهم لعلماء الموحدين وينزلونهم المنزلة اللائقة بهم، فالخليفة عبد المؤمن بن على كان "مؤثرًا لأهل العلم محبًا لهم محسنًا إليهم، يستدعيهم من البلاد إلى الكون عنده والجوار بحضرته، ويجرى عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم"(١١٨). كما أن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن كان يقرب إليه العلماء والفقهاء ويسأل عن أحوالهم وأحوال بلادهم، ويمنحهم المنح، ويكتب إليهم ما يحتاجون إليه من أمور. والخليفة الموحدى يعقوب المنصور أكرم الفقهاء وراعى الصلحاء والفضلاء وأجرى على أكثرهم الإنفاق من بيت المال. وكان يبحث عن العلماء فاجتمع له منهم مالم يجتمع لخليفة قبله(١١٩).

لذلك كله احتل الفقهاء والعلماء والطلبة منزلة مرموقة في مدينة فاس خلال حكم المرابطين والموحدين، ومما وطد تلك المكانة ودعمها تلك الأموال التي كان يقدمها ولاة الأمر من المرابطين والموحدين للفقهاء والعلماء فتحول حال الكثير منهم من الفقر والضنك إلى اليسر والرخاء نتيجة اتصالهم بالخلفاء والأمراء(١٢٠). فالعالم الفقيه أبو بكر بن خلف الأنصارى المتوفى بفاس عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م جمع أموالاً كثيرة نتيجة اتصاله بولاة الأمر في مراكش(١٢١). كما منح الخليفة محمد الناصر أثناء وجوده بفاس في عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م جملة من الثياب وألف دينار لعبد الله بن موسى خطيب وإمام جامع القرويين(١٢٢).

ويتصل بطبقة الفقهاء والعلماء ورجال الدين فئة القضاة، إذ كانوا يختارون من العلماء ورجال الدين، وكانوا يشكلون معهم طبقة متميزة لاختصاصهم بتنفيذ أحكام الدين على سائر الرعية(١٢٣) فيوسف بن تاشفين رد أحكام البلاد إلى القضاه، لذلك اكتسب القضاه نفوذًا أو سيادة في المجتمع الفاسى وصارت كلمتهم مسموعة لدى ولاة الأمر. وأوصى الخليفة يعقوب المنصور الموحدى ولاته وعماله بالرجوع إلى أحكام القضاة. ومما دعم تلك المكانة لفئة القضاه تلك الأموال الكثيرة التى كانوا يحصلون عليها من ولاة الأمر، مما حفظ مكانتهم وهيبتهم في المجتمع بالإضافة إلى المرتبات التى كانوا يحصلون عليها، مما هيأ لهم حياة كريمة(١٢٤). فالقاضى عيسى بن عمران أحد قضاة فاس في العصر الموحدى نال حظوة ومكانة عند الخليفة أبى يعقوب المنصور الموحدى، كما أن القاضى محمد بن عبد الله بن طاهر الفاسى كان ذا حظوة لدى الخليفة الموحدى أبو يوسف يعقوب المنصور،

حتى أنه بلغ جملة ما منحه الخليفة له منذ عرفه عام ٥٨٧هـ إلى سنة٦٠٨هـ تسعة عشر ألف دينار، غير الخلع والإقطاع[١٢٥].

طبقة العامة (أصحاب المهن):

ويرجع سبب تسمية العامة بهذا الاسم إلى كثرتهم وعدم الإحاطة بهم، وبذلك اختلفوا عن الخاصة .. ولم يكن اختلافهم عن الخاصة بكثرة عددهم فقط بل بكونهم ليسوا من أصحاب السلطة[١٢٦]. وتشكلت طبقة العامة من جميع القبائل القاطنة بفاس في عصر المرابطين ثم الموحدين من غير قبائل الصدارة أو الرئاسة.

وكانت التجارة من أهم المهن التى وجدت فى مدينة فاس، فقد زخرت المدينة بالمشتغلين بها سواء منهم تجار الجملة أم تجار التجزئة الذين يبيعون بضائعهم فى متاجرهم، أو عن طريق التجول لسد حاجة السكان. وكوّن هؤلاء الأفراد طبقة اجتماعية كانت همزة الوصل بين الإنتاج والاستهلاك، فعن طريقهم يتم البيع والشراء، ويجد السكان حاجاتهم عندهم[١٢٧]. ويضاف إلى هؤلاء التجار باعة الطعام والجزارين وباعة الدقيق، الذين يبيعون ما يحتاجه الناس من اللحوم والقمح وغير ذلك[١٢٨].

وكان هؤلاء التجار يصابون فى بعض الأحيان بكوارث تقضى على تجارتهم وتبدل أحوال الكثيرين منهم من الرخاء واليسر إلى الفقر والاحتياج ومن ذلك ما حدث لأسواق مدينة فاس عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٨ عندما وقع حريق كبير بسوق المدينة أتت فيه النيران على كثير من أقسام السوق، مما نتج عنه افتقار أصحاب المتاجر التى احترقت، حيث لتفت فيه أموال كثيرة[١٢٩].

ومع اتساع المدينة وازدهارها، وكثرة سكانها ومرافقها، اكتظت بعدد كبير من الصناع وأصحاب الحرف للنهوض بمتطلبات ذلك المجتمع، حيث قام هذا الازدهار على أكتاف طائفة الصناع الذين انتشروا فى أنحاء المدينة وكونوا طبقة لها وزنها بين طبقات المجتمع. وقد جرى الوضع أن يكون لكل أهل حرفة نظام، كما أن لهم أمين يحدد معاملاتهم فيما بينهم وبين السكان، وكانوا يرجعون إلى هذا الأمين أو الرئيس فى كل ما يهمهم[١٣٠].

وقد شملت طائفة الصناع عدة طوائف فى مقدمتها، طائفة صانعى الثياب[١٣١]، وتضم عدة حرف تقوم على تحويل المواد الخام إلى ملابس قطنية وصوفية أو كتانية، وغيرها من أنواع الملابس[١٣٢]. ومنهم الحلاجون الذين يقومون على حلج القطن، وكان منهم أبو عمران موسى الحلاج الذى كان يعيش بفاس

ويمتهن حرفة الحلاجة، ومنهم من يشتغل بنسج المادة الخام[١٣٣]. وأيضًا صانعوا الأرحاء[١٣٤]. والذين كانوا يقومون بصناعة ما يحتاجه السكان من المصنوعات الخشبية[١٣٥]، وصانعوا الخبز، ويدخل ضمن هؤلاء من يطحن الدقيق ويقوم على إعداده للخبز، ثم الخبازون الذين يقومون في الأفران المختلفة بخبزه[١٣٦]، والحمالين للخبز حيث كانت بعض النسوة يصنعن الدقيق في بيوتهن، ثم يأتي من يحمله إلى الأفران لخبزه[١٣٧]. وصانعوا الورق[١٣٨] والصابون والجلود[١٣٩]، وغيرهم من الصناع، ولا شك أن هؤلاء الصناع جميعًا كانوا عصب الحياه، وكونوا جماعات كبيرة من سكان المدينة.

وشكل البناءون طائفة من طوائف الصناع حيث اشتغل بفاس جماعة كثيرة بحرف صناعة البناء نتيجة للحركة العمرانية التى شهدتها المدنية فى هذين العصرين من بناء للمساجد والمنازل والقصور والمرافق مما استلزم معه جماعات متنوعة تقوم بعمليات البناء. عرفوا فى فاس بطائفة البنائين والعرفاء وأهل الهندسة. ومنهم صانعوا الآجر، وصانعوا الفخار المتعدد الأنواع لاستخدامه فى جلب المياه، وكذلك الزليج لتبليط المنازل، وغير هؤلاء ممن يسهم فى عملية البناء[١٤٠].

وظهر من هذه الطائفة من كانت له شهرة عظيمة فى عمليات البناء مثل أبو الحسن بن محمد الأزرق العطار، وصخر بن مسعود البنائى الذى كان أعرف الناس بالبناء خاصة بناء المساجد، وموسى بن حسن بن شامة الذى كان من أهل الهندسة والبناء، وكذلك محمد بن أحمد بن محمد الخولانى الذى مهر فى حرفة البناء[١٤١].

ونتيجة لاشتهار أهل فاس بصناعة البناء، استخدم الخليفة المنصور الموحدى عندما عزم على بناء جامع شبيله عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م عرفاء البناءون من أهل فاس، للاشتراك مع غيرهم من أهل المدن الأخرى فى بناء هذا الجامع[١٤٢].

وكان الفلاحون، وهم الذين عاشوا فى الأراضى الزراعية، واشتغلوا بزراعة الأرض، واستخراج ما فى باطنها من مختلف أنواع المزروعات والثمار، يشكلون إحدى طوائف العامة بفاس، حيث كان الكثير من أهل فاس يعملون بالحراثة والفلاحة[١٤٣].

كما كان أصحاب المهن المتنوعة يشكلون جماعات صغيرة، أسهمت مع التجار والصناع فى تسيير متطلبات الحياة اليومية للسكان، ومنهم الحمالون، وهم مجموعة من الأشخاص الذين يقومون بنقل البضائع من مكان لآخر[١٤٤]. والدلالون وهم الواسطة بين البائع والمشترى، وكان عددهم يتوقف على نوع السلعة المباعة،

وأشار التادلي[١٤٥] إلى أحد تجار فاس وإفلاسه واشتغاله دلالاً بسوق مراكش. ومنهم البوابون، وهم القائمون على أبواب المدينة وأسواقها، حيث كان النظام المتبع في بناء المدن وجود عدة أبواب لها ولأسواقها، وكان لهذه الأبواب قائمون على فتحها صباحًا وغلقها مساءً[١٤٦]. ومنهم الصيادون حيث اشتغل عدد من سكان فاس بصيد الأسماك وبيعها في الأسواق[١٤٧].

طبقة أهل الذمة:

أ - النصارى

منذ بداية دولة المرابطين بدأت المسيحية تتلقى روافد جديدة من خارج المغرب. وتتمثل هذه الروافد في أعداد كبيرة من المسيحيين وفدت إلى المغرب للعمل جنودًا مرتزقة في جيوش المرابطين[١٤٨]. فالأمير يوسف بن تاشفين "بعث إلى الأندلس فابتيع له بها جملة من الاعلاج فأركب الجميع وانتهى عنده منهم شراء ماله مائتان وأربعون فارسًا، ومن العبيد شراء ماله نحو الألفين"[١٤٩]، كما أن علي بن يوسف بن تاشفين ٥٠٠ - ٥٣٧هـ/ ١١٠٦ - ١١٤٣م استخدم النصارى أجنادًا وحراسًا خصوصيين له "فهو أول من استعمل الروم وأركبهم في المغرب وجعلهم يحقدون على المسلمين في مغامرتهم ويأخذون منهم في نفقاتهم وأكثر ما يجب عمله"[١٥٠]. وقد عهد الأمير علي بن يوسف إلى هؤلاء النصارى بالإضافة إلى عملهم كحرس خاصة مهمة تحصيل الضرائب أحيانًا وحراسة جباة الضرائب أحيانًا أخرى[١٥١].

ولم يكن هؤلاء النصارى من جند المرابطين (أو الروم، كما تسميهم غالبية المصادر العربية) أهل ذمة، فلم تكن تفرض عليهم الجزية باعتبارهم مرتزقة لا يدخلون في عداد الرعية، بل كانوا أحرارًا في غالبيتهم، وهم في ذلك يختلفون تمامًا عن نصارى العجم، ونعني بهم طائفة المعاهدين النصارى من أهل الأندلس أو المستعربين Mozarabes الذين أرغموا على التغريب حيث "وقع النظر على تغريبهم وإجلائهم عن أوطانهم .. فنفذ العهد إلى جميع بلاد الأندلس بإجلاء المعاهدين إلى العدوة فنفى منهم في رمضان عدد جم أنكرته الأهواء"[١٥٢]. وقد تم تغريب هؤلاء المعاهدين من ٢٠ رمضان عام ٥٢٠هـ/ سبتمبر ١١٢٦م فأستقروا في مراكش وسلا ومكناسة وغيرها من بلاد العدوة[١٥٣]، وقد عمل قسم من هؤلاء المعاهدين في الزراعة بحكم طبيعة عملهم السابق[١٥٤]. في حين انضم القسم الآخر لصفوف الجيش المرابطي[١٥٥].

وتشير المصادر إلى زيادة أعدادهم فى نهاية الدولة المرابطية، فتاشفين بن على بن يوسف عندما خرج لقتال الموحدين فى عام ٥٣٤هـ/ ١١٣٩م كان معه جمع من النصارى فى جيوشه[١٥٦]. كما تشير المصادر أيضًا إلى فرار الجند والروم مع يحيى الصحراوى صاحب فاس عندما فتح الموحدون المدينة عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م[١٥٧].

وعقب انهيار دولة المرابطين، انضم المسيحيون العاملون فى جيش المرابطين إلى صفوف الموحدين، بعد أن سهلوا على عبد المؤمن بن على دخول مدينة مراكش عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م[١٥٨]. ومن ثم ضم عبد المؤمن هؤلاء إلى صفوف جيشه، ولم يجد حرجًا فى ذلك على الرغم مما عرف عنه من قسوة وشدة تجاه أهل الذمة، فالمراكشى يفخر بأنه لم تنعقد ذمة ليهودى ولا نصرانى منذ قيام دولة الموحدين، ولا يوجد فى جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعة ولا كنيسة[١٥٩]. وقد استعان الموحدون بعسكر النصارى فى إخماد الثورة التى قام بها محمد بن عبد الله ابن هود الماسى، نسبة إلى رباط ماسة على ساحل المحيط الأطلسى فى عهد الخليفة عبد المؤمن بن على[١٦٠].

أما الخليفة أبو يوسف يعقوب الملقب بالمنصور ٥٨٠ – ٥٩٥هـ/ ١١٨٤ – ١١٩٥م فقد اتخذ من الرماه النصارى حرسًا له، وأسكنهم فى أحد القصور التى شيدها[١٦١].

ومنذ عصر المأمون الموحدى ٦٢٤ – ٦٣٠هـ/ ١٢٢٧ – ١٢٣٢م أخذت الطوائف المسيحية تبرز بصورة واضحة فى بلاد المغرب على مسرح الأحداث حيث التمس المأمون مساعدة فرناندو الثالث Fernando III ملك قشتاله له بفرقة من الجند النصارى ليتقوى بها على يحيى بن الناصر الذى بويع له بالخلافة فى مراكش، وبالفعل أمده فرناندو بجيش بلغت عدته اثنى عشر ألف فارس برسم الخدمة معه والجواز إلى العدوة[١٦٢]. وفى مقابل ذلك تعهد المأمون الموحدى بالسماح لهؤلاء الجند النصارى ببناء كنيسة لهم وسط مراكش[١٦٣].

مما لا شك فيه أن نفوذ النصارى فى هذه الفترة المضطربة من تاريخ دولة الموحدين ازداد بشكل واضح، وأصبح خلفاء الموحدين يعتمدون عليهم كثيرًا، وليس أدل على ذلك مما يرويه ابن عذارى من أن الخليفة الموحدى الرشيد ٦٣٠ – ٦٤٠هـ/ ١٢٣٢ – ١٢٤٢م عندما أراد التخلص من مسعود بن حميد زعيم عرب الخلط الذى لم يكن راضيًا عن بيعة الرشيد، لم يجد سوى النصار يستعين بهم[١٦٤].

وفى عهد السعيد بن المأمون الموحدى ٦٤٠هـ – ٦٤٦هـ/ ١٢٤٢ – ١٢٤٨م استمر

النصارى ينعمون بمركزهم الممتاز فى الدولة لشدة الحاجة إليهم، وقد كثرت أعدادهم بصورة ملحوظة فى مراكش فى خلافة السعيد، الذى سمح لهم بدق أجراس كنيستهم(١٦٥). ويشير ابن أبى زرع إلى أن الخليفة الموحدى عمر المرتضى ٦٤٦ - ٦٦٥هـ/ ١٢٤٨ - ١٢٦٦م خرج فى عام ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥م إلى قتال بنى مرين والعرب والروم بمدينة فاس(١٦٦). ومما يدل على وجود أعداد كثيرة منهم بفاس، ما ذكر ليون الأفريقى من أن هناك عادات اجتماعية قديمة خلفها النصارى بفاس(١٦٧).

ب- اليهود

شكل أهل الذمة من اليهود طبقة كبيرة من طبقات المجتمع فى ذلك العهد، وقد أشارت المصادر التاريخية إلى وجود تجمعات كبيرة منهم بفاس(١٦٨). ومما يدل على كثرتهم إمتلاكهم لكثير من الأملاك والديار بالمدينة حيث كان يقع بعض من هذه الأملاك والديار حول جامع القرويين(١٦٩).

واحتفظ اليهود بدينهم وفضلوا الإقامة فى ظل الإسلام والمسلمين على الالتجاء للبلاد النصرانية، ودخلوا بذلك فى الذمة(١٧٠). واشتغل كثير منهم فى بعض الحرف مثل صناعة القناديل وزخرفة المعادن وصناعة الحلى وغيرها، وكان منهم من عمل بمهنة الطب(١٧١). ومن هذا تستخلص أن أهل الذمة عاشوا يتمتعون بعدالة أولى الأمر، وليس أدل على ذلك من أنه عندما عزم أمير المسلمين على بن يوسف المرابطى، على توسعة جامع القرويين، قام قاضيه عبد الحق بن معيشة بشراء بيوت اليهود المجاورة للجامع، والتى سوف تدخل ضمن التوسعة، بأثمانها دون بخس وغبن بأحسن شراء وأتم ثمن(١٧٢).

وشكل اليهود طبقة غنية من المجتمع الفاسى فى العصر الموحدى فكانوا يعملون بالتجارة، وكان الكثير منهم يمتلكون الأموال الطائلة، ويبدو أن أعدادهم بالمدينة كانت كبيرة فى ذلك الوقت. وقد عرف عن هؤلاء اليهود اختلاطهم وامتزاجهم ومشاركتهم فى العادات والتقاليد واللغة التى سادت فى مجتمع مدينة فاس، غير أن هذا الواقع لم يمنع اليهود من إقامة مجتمعات منظمة لهم، حيث يؤدون شعائرهم الدينية ويولون من بينهم من أحبارهم من يتولى القضاء فى أحوالهم الشخصية كما عرفت الحياة الثقافية اليهودية لديهم فترات ازدهار وضعف وخمول وذلك بحسب ما تهيأ لهم فى كل فترة .. وكان المسلمون يصانعونهم، فهم ممتزجون بهم يعملون عندهم ويقومون بكثير من الخدمات لديهم .. ولم يشهد التاريخ المغربى الإسلامى فى هذه الفترة بسوء الصلات أو انقطاع العلاقات بين

المسلمين واليهود[١٧٣] باستثناء ما أمر به الخليفة يعقوب بن يوسف الموحدى فى آخر أيامه من تميز اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم، والذى حمل الخليفة على ذلك شكه فى إسلام بعضهم، وكان هذا الخليفة يقول: لو صح عندى إسلامهم لتركتهم يختلطون بالمسلمين فى أنحكتهم وسائر أمورهم، ولو صح عندى كفرهم لقتلت رجالهم وسبيت ذراريهم وجعلت أمولهم فيئا للمسلمين ولكنى متردد في أمرهم. ويبدو أن كثيرًا من اليهود أظهروا إسلامهم فى عصر الموحدين حيث كانوا يصلون فى المساجد، ويقرأون أولادهم القرآن جارين على الملة والسنة الإسلامية، ولكن الله أعلم بما تكنه صدورهم وتحويه بيوتهم[١٧٤].

وظل اليهود على اللباس الذى أمر به هذا الخليفة بقية أيامه وصدرًا من أيام ابنه أبى عبد الله الناصر الذى غيره بعد أن توسل إليه اليهود بكل وسيلة، واستشفعوا عنده بكل من يظنون أن شفاعته تنفعهم[١٧٥]. ومن ذلك يتضح لنا مدى الحرية التى تمتع بها اليهود فى فاس، فى ممارسة كافة ألوان النشاط حتى جمعوا الثروات الطائلة، وقد أدى ذلك إلى كثير من التقارب بين عناصر السكان فى المدينة، مما أضفى عليها جوًا اجتماعيًا.

ثالثًا: مكانة المرأة فى المجتمع الفاسى:

كان نصيب المرأة فى الحياة العامة بمدينة فاس فى هذين العصرين كبيرًا، ذلك أن رغم القيود الاجتماعية التى فرضتها التقاليد على المرأة، فإنها أسهمت بدور بارز، يدل عليه ذلك العدد من تراجم النساء الذى تحويه كتب التراجم والطبقات من ذكر نساء فاسيات شهيرات أسهمن فى مختلف ألوان النشاط الفكرى والدينى والاجتماعى، وخلدن أسماءهن ضمن مشاهير العصرين.

فقد صحب قيام دولة المرابطين ظهور ظاهرة اجتماعية لم تكن مألوفة فى المغرب من قبل، ونعنى بها ظهور المرأة الصنهاجية فى المجتمع ومشاركتها فى الحياة العاملة، وتمتعها بنوع من الحرية والمساواة[١٧٦] فاشتهرت بعض الأميرات المرابطيات الفاسيات بحب الأدب والشعر، مثل الأميرة بنت يوسف بن تاشفين، أخت على بن يوسف، ومثل أم طلحة والتى وصفت بأنها كاملة الحسن راجحة العقل مشهورة بالأدب والكرم. والظاهر أن بروز المرأة لمقابلة الناس لم يكن شيئًا مألوفًا فى المجتمع المغربى، فقد روى أن الأميرة تميمة بنت يوسف كان لها كاتب قد أمرت بمحاسبته يومًا فى قصرها بفاس، وعندما برزت لذلك وظهرت إليه، فبهت من حسنها الفائق وجمالها، فظنت أنه يتطلع إليها ويرغب فيها فأنشدته:

هي الشمس مسكنها في السماء فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع إليها الصعود ولن تستطيع إليك النزولا[177]

ومن النساء الفاسيات الشهيرات، ورقاء بنت ينتان الفاسية النابغة الأديبة الشاعرة الصالحة الحافظة للقرآن الكريم، والتي وصفت بأنها بارعة الخط، وقد توفيت ورقاء هذه عام ٥٤٠هـ/ ١٠٤٦م[178]. وفي العصر الموحدي اشتهرت سيدة بنت عبد الغني العبد ربه، وتكنى أم العلاء، نزيلة فاس، والتي كانت تقوم بتعليم القرآن الكريم بغرناطة، واشتهرت بتلاوة القرآن الكريم والمحافظة على الأدعية والأذكار والسعي في الخيرات والقيام على أعمال البر من فداء الرقاب وغير ذلك، وتوفيت أم العلاء العبد ربه عام ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م[179]. وفي هذا العصر أيضا خرجت المرأة الفاسية للتعليم وللأخذ عن العلماء، فنشاهد خيرونة الفاسية التي كانت تحضر مجلس عثمان السلالجي إمام أهل فاس في علم الأصول، ونبغت خيرونه في العلوم، فقام الإمام عثمان السلالجي بتأليف العقيدة البرهانية لها على طريقة الأشعري[180]. كما وصفت زينب بنت إبراهيم بن يوسف بن برقول والذي توفي أبوها عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م، بأنها عالمة حافظة متقنة الرواية[181].

أما عن نشاط النساء في شوارع فاس وأسواقها ومنتزهاتها، فكان ذا مجال واسع، حيث كان النساء يبشرن معظم أمور الشراء من الأسواق، خاصة أسواق البزازين والصاغة وغيرهما، وكن يفعلن ذلك جهارا[182]. فإذا لم يكن لديهن حاجة من السوق، ولديهن وقت فراغ فإنهن يذهبن إلي الحمامات، مثل حمام بنت البان الذي كان مخصصا للنساء[183].

ونتيجة للمسحة الدينية التي سادت مدينة فاس في هذين العصرين، كانت بعض النساء يخرجن لتأدية الصلاة بالمساجد، ولذا خصص لهن بمسجد القرويين "بيت النساء" الذي يتوضأن فيه قبل التحاقهن بالجامع والذي أعد لهن في صحنه مكانا مناسبا يؤدين فيه شعائرهن على النحو الذي يجب[184]. كما خصص لهن بهذا الجامع بابان لا يدخل أو يخرج منهما رجل[185]. ولكن بعضا آخر من النساء كن يخرجن بأنواع من الزينة وأسباب التجمل الظاهرة، واستعمال أنواع الطيب، واستظهار ما يستدعي الفتنة من لبس الثياب والحلي، فيخرجن إلي الطريق، وكأن الواحدة منهن عروس تجلي تمشي في وسط الطريق وتزاحم الرجال، كما كان للبعض منهن صنعة في مشيتهن، فأفتي الفقهاء في تلك الفترة بمنع مثل هؤلاء النساء

من الخروج حتى لو كان خروجهن إلى مجالس العلم والذكر ولو كن منعزلات عن الرجال(١٨٦).

رابعًا: المؤسسات الاجتماعية بمدينة فاس:

إذا نظرنا إلى الحياة الاجتماعية في مدينة فاس من زاوية أخرى وجدنا جانبًا آخر من النشاط الاجتماعي يتركز في المؤسسات العديدة التى زخرت بها المدينة والتى منها ما كان ذا صبغة اجتماعية بحته كالحمامات والبمارستانات أو "حارات المرضى" ومنها ما كان ذا مسحة تجارية أو دينية، ولكنه احتوى نشاطًا اجتماعيًا ملحوظًا وأدى رسالة ذو صبغة اجتماعية كالمساجد والفنادق(١٨٧).

فمن المؤسسات الاجتماعية التي اشتهرت بها مدينة فاس في هذين العصرين الحمامات العامة، التى قصدها الناس من مختلف الطبقات – رجالاً ونساء – بقصد الاستحمام، ولما كانت لهذه المؤسسات فوائدها الاجتماعية أهتم ولاة الأمر بإنشاء العديد منها، فعندما دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس عام ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م أمر ببناء عدد من الحمامات(١٨٨). ويذكر البكرى(١٨٩)، أن عدد حمامات فاس في العصر المرابطى عشرون حمامًا. ثم أخذت أعداد هذه الحمامات التى كان يستخدمها الناس بفاس تزداد حتى بلغت فى العصر الموحدى ثلاثة وسبعين حمامًا(١٩٠). أنشئت لخدمة العامة من سكان المدينة، ولسد حاجات وظيفية مرتبطة بدعوة الإسلام للنظافة والتطهر ولعدم قدرة العامة من سكان المدينة تضمين منازلهم حمامات خاصة، وبرغبة من القادرين على إنشاء هذه الحمامات في استثمار أموالهم لما تدره من ريع وفير لشدة الطلب عليها(١٩١). هذا إلى جانب احتواء مدينة فاس على العديد من الحمامات الخاصة بعلية القوم، حيث كان لغالب أغنياء أهل فاس حمامات في بيوتهم، وذلك أنفة من الدخول فى الحمامات العامة مع عامة الناس(١٩٢).

وتعرضت المؤلفات التاريخية لوصف هذه المؤسسات، ونحصل من هذا الوصف على صورة شبه واضحة لمبانى هذه الحمامات، فيصف العمرى(١٩٣) حمامات الخاصة من أهل فاس بأنها تتكون من صحن واحد لا خلوة فيها تستر بعض الناس عن بعض وهى أنيقة البناء. أما عن الحمامات العامة فيصفها ليون الأفريقى(١٩٤). بأنها جيدة البناء معتنى بها، بعضها صغير والآخر كبير، ولجميعها نفس الطراز، فهى تتألف من ثلاث حجرات، أو بالأحرى ثلاث قاعات، وتقع خارج هذه الحجرات مقصورات

صغيرة مرتفعة نوعًا ما يُصعد إليها بخمس أو ست درجات. وعلق صاحب الاستبصار على هذه الحمامات بأنها عظيمة(١٩٥).

ولم تقتصر أهمية الحمامات على كونها مؤسسة لنظافة البدن فقط مع ما لذلك من معان ودلالات اجتماعية، وإنما كانت الحمامات على جانب من الأهمية في عمليات شفاء المرضى من بعض الأمراض. لذا كان من عادة فقهاء وعلماء وعامة أهل فاس الذهاب إلى هذه الحمامات بصفة مستمرة(١٩٦). مما دعى بعض الشعراء في العصر الموحدى إلى وصف هذه الحمامات وما لها من فوائد موضحًا حرص أهل فاس على الذهاب إليها(١٩٧).

وجاءت الرعاية الطبية مصحوبة بالاهتمام بإقامة مؤسسات لمداواة المرضى وعلاجهم على نفقة الدولة، فالخليفة أبو يعقوب المنصور الموحدى بنى المارستانات للمرضى والمجانين في جميع أنحاء الدولة الموحدية، مجريًا الإنفاق على كل أهل مارستان(١٩٨).

وقد ذكر العمرى أن بفاس القديمة مارستان(١٩٩). هذا إلى جانب وجود حارة خاصة بالمرضى بمدينة فاس أشارت إليها المصادر، وذكرت أنها تقع خارج باب الخوخة من أبواب فاس، وذلك ليكون سكنى المرضى تحت مجرى الريح الغربية فتحمل الريح أبخرة المرضى، فلا يصل منها لأهل المدينة شئ، وأيضًا ليكون تصرفهم من الماء وغسلهم بعد خروجه من المدينة(٢٠٠). وذلك للعمل على عدم انتقال الأمراض إلى سكان المدينة.

أما بخصوص المؤسسات العلمية والدينية في مدينة فاس، فيلاحظ أن نشاطها لم يكن يخلو من أوجه اجتماعية لها دلالتها وأهميتها، فالجوامع والمساجد كانت دائمًا مركزًا لنشاط متعدد الألوان، بالإضافة إلى وظيفتها الأساسية في الصلاة وإقامة شعائر الدين، كانت تقام فيها حلقات الدرس ويلتف داخلها المتعلمون حول الفقهاء والمعلمين، وفيها كان يجلس القضاه وحولهم المتخاصمون للفصل بينهم، ومن فوق منابرها تذاع أوامر الحكام وتعليماتهم، وعلى أبوابها توزع الزكاة والصدقات، وإليها يتجه الغريب الوافد، مما جعل منها مراكز اجتماعية لها خطرها.(٢٠١) وفي هذه المؤسسات كان اليتامى والفقراء والمساكين موضع رعاية من المجتمع الفاسي، فكان أبناء الفقراء يلقون رعاية من صلحاء وعلماء فاس فهذا أبو عبد الله محمد بن على التاودى من أهل فالس والمتوفى عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م كان يقوم بتعليم الصبيان، فيأخذ الأجر من أبناء الأغنياء ويرده على أولاد الفقراء، كما كان

يقوم بغسل أثواب الصبيان ويخيطها إذا احتاجت إلى ذلك، ولا يأخذ عليها أجره، كما أوقف أهالي فاس الأوقاف الخاصة على هؤلاء الصبيان الفقراء لكي يدفع المعلم لكل صبي منها[٢٠٢].

ومثل هذا يُقال عن الربط التي لم تعد بيوتًا للصوفية يباشرون فيها حياتهم الخاصة فحسب، بل غدت أيضًا دورًا للضيافة، تستضيف المغتربين القادمين من مختلف المدن الإسلامية الأخرى[٢٠٣]. فهذا أبو إسحاق الأندلسي المتصوف المتوفى عام ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م الذي قدم مدينة فاس وبنى رابطة خارج باب الجيسة حيث انقطع فيها، كان يأوي المريدين بهذه الرابطة فيصنع جماعة من أصحابه أطعمتهم بها[٢٠٤] كما كان الشيخ أبو يعزى الصوفي الفاسي المتوفى عام ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م، يقدم لزائرية الطعام بداره[٢٠٥]. كما كان بعضًا من تجار فاس الميسورين يصنعون الطعام الشهي في بيوتهم ويقدمونه للفقراء، وعند فراغ الفقراء من الأكل يقف صاحب البيت على باب بيته ويدفع لكل واحد منهم بعضا من المال[٢٠٦].

ومثل هذا أيضا يقال عن المؤسسات التجارية مثل الفنادق، التي كان الغرض منها خدمة التجار الذين ينتقلون من بلد إلى آخر للبيع والشراء، حيث توفر لهم في هذه الأماكن قدر من الراحة والحياة الطيبة، فضلا عن الأمن والسلامة، لذا نجد هذه المؤسسات مكتملة المرافق من حيث الأماكن المخصصة لخزن البضائع وإيداع الأموال، وأماكن أخرى للراحة والنوم[٢٠٧].

خامسا: الاحتفالات وطعام أهل المدينة وزيهم:

كان هناك بمدينة فاس بعض العادات المرتبطة باحتفالات الزواج فمن عادات الزواج، عندما كان يرغب الرجل في الاقتران بأمرأه، وبعد موافقة أبيها على تزويجها يدعو الخاطب أصدقاءه لحضور عقد القران، والذي كان عادة يتم في المسجد، ويصطحب الخاطب معه كاتبا عدل يقومان بتسجيل العقد، ويحددان شروط المهور بحضور الخاطب والمخطوبة[٢٠٨]. وكان في بعض الأحيان يتفق على أن الصداق يكون عينيا حيث يقدم الزوج الكسوة ويشترى الحلي[٢٠٩]، كما كثرت في تلك الفترة عقود الزواج التي كانت تتضمن حق تمتع الزوج بمال زوجته، أو بمال أبيها في عقد النكاح، ولكن تكتب تفاصيل هذا الحق في عقود منفرده[٢١٠]. وكان والد العروس يشارك أيضا ببعض الملابس في الجهاز مثل شراء قماش من القطيفة من أجل تجهيز ابنته[٢١١].

وكانت النساء يحضرن الزفاف في أجمل زينة بملابسهن الجديدة والتي لم يكن عندها منهن ملابس جديدة تطلب من زوجها ذلك(٢١٢). ولقد وجد بمدينة فاس ما أحدثه الرجال عند دخولهم أول ليلة على زوجاتهم من إعطاء الزوجات دنانير فضية غير النفقة بحسب حالة الزوج لحق الفراش عند حل السراويل، فبلغ ذلك الفقهاء، فمنعوه لأنه شبيه بالزنا(٢١٣). هذا وكان من عادة الزوج أن يبعث بهدايا إلى بيت الزوجة من أجل إعداد الطعام، وكان الطعام الذى يصنع فى بيت الزوجة، ويرسل بعد ذلك إلى بيت زوجها يبعث بالسرور في نفس الزوجة(٢١٤).

وكان من أجمل ما شهدته شوارع مدينة فاس موكب الحج، ويشير ابن القاضي المكناسي(٢١٥). إلى إحدى هذه المواكب التى خرجت من وادى سبو قرب مدينة فاس عام ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م، وأشار البيذق(٢١٦) إلى وجود هذا الموضع بفاس وكان يطلق عليه منزل الحجاج. وتطور هذا الموكب فى أواسط العصر الموحدى، وكان خروج ركب الحجيج من مدينة فاس يوم عيد للفاسيين حيث كانت العادة أن يخرج ركب فاس في السابع والعشرين أو الثامن والعشرين من جمادى الأخرة، من باب الفتوح، وينزل في المكان المعروف بولجه العسال على الضفة الشرقية لوادى سبو، ويبرز في هيئة بديعة وشارة حسنة من الاحتفال هذا إلى جانب قرع الطبول وإظهار الزينة، وكان هذا الركب يشيع تشيعًا منقطع النظير. فإن يوم خروج الحجيج من فاس يوم موعود ومشهود فلم يبق أحد بالمدينة من الرجال والولدان والأمراء والعبيد إلا وخرج، فلا ترى أعجب من ذلك ولا أحسن منظرًا(٢١٧). هذا ولم تخلو المدينة من الاحتفالات بالأعياد الدينية ولكن لم أعثر في مصادر هذين العصرين ما يشير إلى هذا.

وشهدت فاس لونًا آخر من ألوان العادات المرتبطة بالموت، والتى عادة ما تبدأ بغسل الميت ثم تكفينه، وكان الغسالون بمدينة فاس على قسمين قسم من أهل الخير والصلاح، فإذا مات أحد قاموا بغسله من غيره أجره ولا عوض، بل لابتغاء الثواب، أما القسم الثانى فإنهم يغسلون بالأجرة وهم من عامة الناس(٢١٨). ويبدو أن بعضًا من أهل فاس كانوا يغالون فى تكفين الميت فيكفنونه بالحرير، مما جعل العامة من الناس يجارونهم في ذلك وقد أفتى الفقهاء بنزع ذلك الكفن، وعدم الصلاة على الجنازة وهى مستورة بالحرير(٢١٩).

وبعد الصلاة تحمل الجنازة إلى المقابر – التى كانت خارج أسوار مدينة فاس وفي أثناء سير الجنازة من البيت إلى المقبرة، يمضى الناس خلفها بعض الوقت

أو يقوم بعضهم بحملها لمسافة معينة، وكان بعض الخلفاء الموحدين يحضرون جنائز لبعض العلماء والفقهاء من أهالي مدينة فاس[٢٢٠].

هذا وكان على أثر وفاة الزوج أو أحد الأهل يختلط النساء بالرجال ويكشف النساء وجوههم ويسودنها، كما يسودن بعضًا من أجسادهن، وينشرن شعورهم ويلبسن الأزرق والأسود، ويقوم بعضهم بتلطيخ وجوههن بالسخام الذى يحصلن عليه من قتور القدور السوداء، ويهلن التراب على الرؤوس، وتلطخ البيوت بالسواد، ويترك بعض الرجال والنساء الصلاة عند موت ميت لهم ولا يرجعون إليها إلا بعد مدة يعودون منها إلى أحوالهم الطبيعية[٢٢١]. وكان أكثر الناس عند إخراج الميت يصحن صيحة عظيمة ويسمون ذلك وداعًا للميت وقيامًا بحقه[٢٢٢]. وبعد دفن الميت كان أهل المدينة يقومون بتعزية أهله ويطيبون خاطرهم، ويقومون بتقديم الطعام لهم[٢٢٣].

طعام أهل فاس:

وصفت مدينة فاس بطيب مطعمها ومأكلها[٢٢٤]. ومن أنواع الطعام الذى عرفته المدينة الثريد الكامل وهو من أطعمة الخلفاء والأمراء والوزراء[٢٢٥] والصنهاجي الملوكى الذى هو من أطعمة الخواص[٢٢٦]. الذين كانت الامخاخ من الأغذية المحبوبة المشتهاة بالنسبة لهم، فهى تكون جل غذائهم[٢٢٧].

وعرف سائر السكان عدة أنواع من الأطعمة منها طعام الفرس (المخلل)[٢٢٨] وطعام البلاجة[٢٢٩]. واللمتونية التى كانت تصنع فى جميع بلاد المغرب[٢٣٠] والسنبوسك[٢٣١]. والكسكسو المعهود المقلى يعرفه جميع الناس[٢٣٢]. كما عرف سائر السكان تصنيع الجبن من الألبان، حيث اشتهرت المجبنة التى تتكون من الجبن البقرى والغنمى[٢٣٣].

كما عرف أهالى فاس بعض الأطعمة الحلوة مثل الكنافة[٢٣٤]، والكعك[٢٣٥]، والتارفست الذى كان من أطعمة أهل فاس المشهورة[٢٣٦].

وهذا واتسم طعام المتصوفين من أهل فاس بمظاهر التقشف، فلم يكن يتعدى عيش مع عسل، أو خبز مع لبن[٢٣٧]. فى حين كانوا يقدمون لمريديهم طعام الشعير وعليه الخبيزى فى صحيفة، أو يقدمون أرغفة من البر فيها لحوم الضأن المشوية[٢٣٨]. وكان المتشددون منهم يأكلون أوراق البلوط حيث يطبخونه ويعجنونه أقراصًا يقتاتون بها، وعلى هذا كانوا يكتفون بالأكل من نبات الأرض حتى قال أحدهم: "ما أصنع بالطعام ونبات الأرض يكفينى"[٢٣٩].

زى أهل فاس:

تواضع علماء وفقهاء فاس فى ملبسهم فباستثناء ما كانوا يخرجون به أيام الجمع والأعياد من الألبسة الحسنة من البرانس البيضاء والصفراء والعمائم والغفائر[٢٤٠]. نجدهم في باقي الأيام يلبسون ما يتيسر من اللباس حتى لو خرجوا إلى المسجد من أجل الدرس فإنهم لا يقصدون لذلك لباسًا معينًا، فكانوا يخرجون فى زمن الصيف بقميص خام غليظ يصل إلى نصف الساق أو نحوه، وعلى الرأس طاقية، ومنديل أو خرق يجعلونها على أكتافهم حين الصلاة، ثم يزيلونها إذا فرغوا منها، ويجعلونها بين أيديهم، وفى الشتاء يزيدون على ذلك لباسًا غليظًا، وفوطه تساوى سبعة دراهم أو نحوها وعمامة[٢٤١].

وإذا كان هذا زى علماء وفقهاء فاس فإن متصوفى فاس كانوا يتقشفون فى ملبسهم، فيرتدون ملابس خشنة ، حيث كانوا يلبسون فى الصيف دراعة[٢٤٢] من قطن مصبوغة وطاقية وعمامة قصيرة على الرأس، ويرتدون فى الشتاء بجانب هذا اللباس دراعة ثانية من قطن[٢٤٣]. وكان بعضهم يزيد فى تقشفه فيلبس برنسًا مرقعًا وشاشًا على رأسه[٢٤٤].

أما عن زى الأغنياء والعامة والنساء من أهل فاس لم تذكر المصادر التى تخص الفترتين المرابطية والموحدية والتى أطلع عليها الباحث أى إشارات عن طبيعة زيهم باستثناء ما ذكره ابن القاضى المكناسى[٢٤٥] من أن بعضًا من فقهاء مدينة فاس تشددوا على الأهالى فيما يرتدونه من أزياء، مثل القاضى محمد بن عبد الرحمن، الذى عندما ولاه يوسف بن تاشفين قضاء مدينة فاس، شدد على أهالى المدينة فى الملبس فجعلهم يرتدون السروالات رجالاً ونساء.

أما اليهود فيبدو أنهم طيلة العصر المرابطي ومنتصف العصر الموحدى كانوا يلبسون مثلما يلبس المسلمون، ولكن ميزوا فى أخر حكم الخليفة المنصور الموحدى بزى خاص، وهو عبارة عن ثياب كحلية مفرطة الأكمام تصل إلى قريب من أقدامهم، كما وضعوا على رؤوسهم بدلاً من العمائم كلوتآت على أشنع صورة كأنها براديع تبلغ إلى تحت أذانهم، وفى عهد الخليفة محمد الناصر أستبدل هذا الزى بثياب وعمائم صفراء[٢٤٦].

مظاهر التسلية:

كان الفاسيون يحبون الموسيقى كثيرًا، واشتهرت بعض حوانيت أزقة مدينة فاس مثل زقاق بزقالة يبيع أدوات فن الموسيقى حيث كانت تمتلئ حوانيت هذا

الزقاق بالدفوف والقراقر والمزامير والعيدان والروط والأربية والكتيارات. وجميع آلات اللهو التى كان يستخدمها أهل المدينة فى قضاء أوقات فراغهم بالتسلية بالموسيقى، ويبدو أن هذه الأدوات كانت تباع بكثرة، وتمثل لأصحاب الحوانيت مصدر دخل لهم، ويظهر لنا ذلك عندما قام المهدى بن تومرت فى بداية الدعوة الموحدية بتكسير هذه الأدوات بمدينة فاس، فسارع أرباب الحوانيت إلى قاضى المدينة مشتكين له من فعل المهدى بن تومرت[٢٤٧]. وهذا يدلل على ما ذكره الزهرى[٢٤٨] من أن أهل فاس تعلموا الطرب من مهاجرى القيروان. وتعرض فن الموسيقى لشئ من المقاومة بفاس فى صدر دولة الموحدين تأثرًا بما قامت عليه الدولة من التدين ومقاومة المنكر، بما فيه من آلات اللهو[٢٤٩].

سادسًا: أخلاق أهل المدينة ووصف دورهم:

وصف أهل فاس بأنهم أهل عزة ومنعة[٢٥٠]. فى غاية الكيس ونهاية الظروف[٢٥١]، فيهم براعة ونبالة وبذخ[٢٥٢]. وهم أحد أهل المغرب أذهانا، وأشدهم فطنة، وأصلحهم عقلاً، وألينهم قلوبًا، وأكثرهم صدقة، وكيفما تبدلت بهم الأحوال يسمون على أهل المغرب عملاً وفقهًا ودينًا[٢٥٣].

ويذكر المؤرخون أن رجال عدوة الأندلس من فاس أشجع وأنجد من رجال عدوة القرويين، ونساءهم أجمل من نساء القرويين، ورجال عدوة القرويين أجمل من رجال عدوة الأندلس[٢٥٤].

ووصفت مدينة فاس بأنها أعلى همة فى المبانى واتخاذ الديار الحسنة[٢٥٥]. فكانت دور وقصور ومبانى مدينة فاس سامية، ولأهلها اهتمام بمبانيهم[٢٥٦]. فكانت المدينة فى نهاية العمارة والصلاح، وقد بنيت أكثر جنانها الملاصقة لها دورًا وأضيفت إليها[٢٥٧].

ومن المعروف أن المنزل قد قام بدور هام ورئيسى فى حياة مجتمع المدينة وانعكس هذا الدور على تخطيطه وإنشائه وأساليب زخرفته[٢٥٨]. وكانت أكثر دور مدينة فاس تتكون من طابقين، أعلى وأسفل، ومنها ما يكون على ثلاث أو أربع طوابق، فى كل طابق شرفات كثيرة الزخرفة، وكانت الدور جميلة فى الداخل أكثر منها فى الخارج[٢٥٩]. ويصف العمرى[٢٦٠] دور فاس بأن جميعها جليلة فخمة، مبنية بالأجر والكلس، وأما متخذاتها فمبنية بالقالب وسقوفها بالأخشاب، كما كانت سقوف بعض الدور تقرنص بالقصدير والأصباغ الملونة، وتفرش الديار بالزليج وهو نوع من الأجر كالقاشانى منه ألوان الأبيض والأزرق والأصفر وما تركب من هذه الألوان،

وغالبة الأزرق والكحلى، ومنه يتخذ وزارات[٢٦١] حيطان الدور، وبعض الدور تفرش بأجر يسمى المزهرى، ولأهل فاس ولع ببناء القباب فلا تخلو دار كبيرة في الغالب من قبة أو أكثر.

ويصف العمرى[٢٦٢] الطريقة التى كانت تبنى بها دور فاس فيقول: "هى مجالس متقابلة على أعمدة من حجر أو أجر، ورفاف مطلة على صحن الدار وأمامها قنوات صغيرة يجرى فيها الماء الذى يكون بركة فى وسط الدار". هكذا نرى مدى الاهتمام بعنصر الماء والزرع والخضرة في وسط فناء المنزل[٢٦٣]. كما كان الاهتمام بانفتاح الدار على ساحة داخلية تزود أجزاؤها المختلفة بالهواء والضوء، ويتواءم هذا الطراز مع المناخ لاسيما فى فصل الصيف، إذ تجمع الساحة الداخلية الهواء البارد نسبيًا الذى يهبط إلى دخلها ليلاً، فى حين يتصاعد هواء النهار الحار إلى أعلى، أما فى فصل الشتاء فإن بيوت فاس تصبح أقل راحة ودفئًا، غير أن أهلها اعتادوا أن يشغلوا الطوابق العليا خلال فصل البرد، والطوابق الأرضية حينما تشتد الحرارة، ومع ذلك فلا شك أن المفهوم الإسلامى للأسرة هو الذى حدد أكثر من أى عامل آخر شكل محال السكنى، إذ أن استناد البيوت بعضها إلى بعض يماثل فى الحقيقة أدب الجوار التى وضعت أسسها السنة[٢٦٤].

هذا ولقد بلغت دور مدينة فاس فى أيام الناصر الموحدى تسعة وثمانين ألف ومائتى وست وثلاثين دارًا، وتسعة عشر ألفًا وإحدى وأربعين مصرية[٢٦٥].

الهوامش

١ - عبد السلام بن سوده: بيوتات فاس في القديم والحديث، مجلة البحث العلمي، العدد ٢٢ يناير - أبريل، ١٩٧٤، ص١١١.

٢- الرياده: من مادة الرائد، وهي حرفة الإعراب الذين يختلفون بمواشيهم إلى المراعي مقبلين ومدبرين. انظر: الفيروز أبادي: القاموس المحيط، ٣٦٢.

٣- عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، جـ١ ص٢٨٠.

٤- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٦، إسماعيل العربي: دولة الأدارسة، ص٨٦، ص١٠٦.

٥- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص٩١، ١١٦، عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق، جـ١ ص٢٩٧، ٢٩٩ ص٣٠٥.

٦- المصدر السابق: ١٣٩.

٧- ابن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي الإمام على الصدفي، مجريط، مطبعة روخس، ١٨٨٥، ص٢٨٧.

٨- ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص٩١.

٩- عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق، جـ١ ص٣٠٣.

١٠- ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦، ص١١٨ - ١١٩، عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق، جـ١ ص٣٠٩ - ٣١٠.

١١- البكري: المغرب في ذكر أفريقية والمغرب، ص١١٧.

١٢- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص١٣٩.

١٣- ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦، ص١٢٥، عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق، جـ١ ص٣١٠.

١٤- إسماعيل بن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص٢١.

١٥- جذوة الاقتباس: جـ١ ص٢٢٣، جـ٢ ص٣٩٧، ص٥٣٧.

١٦- البكري: المصدر السابق، ص١١٧.

١٧- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص١٣٩، عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق، جـ١ ص٣١٠.

١٨- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٧٠.

١٩- ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص١١٩ - ١٢٠، ص١٢٣.

٢٠- عن قبائل زناته وبطونها. انظر ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٧ ص٢ - ٧٤، عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق، جـ١ ص٣١١.
٢١- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص٢٦.
٢٢- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص١٣٩.
٢٣- ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص١٢٨ - ١٢٩.
٢٤- عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق، جـ١ ص٣٠١ - ٣٠٢، ص٣١٤.
٢٥- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص٤٢، عبد السلام بن سوده بيوتات فاس في القديم والحديث، ص١١٨.
٢٦- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٦١.
٢٧- ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦، ص١٥٢، عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق، جـ١ ص٣٢٨ - ٣٢٩.
٢٨- ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص١٨٢ - ١٨٦، صباح إبراهيم: العناصر السكانية بمدينة فاس من خلال كتاب بيوتات فاس الكبرى، مجلة كلية آداب المستنصرية، العدد الثامن، ١٩٨٤ ص٤٠٢.
٢٩- ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص٢٠٦.
٣٠- عبد الوهاب بن منصور: المرجع السابق، جـ١ ص٣١١.
٣١- محمد البشير الفاسي: قبيلة بني زروال، الرباط، مطبوعات المركز الجامعي للبحث العلمي، ١٩٦٢، ص٩.
٣٢- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦، ص٢٠٣، عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، جـ١ ص٣١٦.
٣٣- عبد الوهاب منصور: المرجع السابق، جـ١ ص٣٣٢.
٣٤- بيوتات فاس الكبرى: ص٤٣، ٤٧، ٤٨.
٣٥- جذوة الاقتباس: جـ٢ ص٥٣٨.
٣٦- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص٢٢١، ٢٢٤، جـ٢ ص٣٤٨، ٤٥٥.
٣٧- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص٢٦.
٣٨- جذوة الاقتباس: جـ١ ص١٧٣.
٣٩- عبد السلام بن سوده: المرجع السابق، مجلة البحث العلمي، عدد ٢٣ سنة ١٩٧٤، ص١٣٨ - ١٤٠.

٤٠- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٦٢، ٧١، الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص٥٦، عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى خلال القرن السادس الهجرى، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٣، ص٧٩ - ٨٠.

٤١- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص٤٠.

٤٢- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص٥٣، ص٦٦، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص٧٩.

٤٣- ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص٢١٠، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ١ ص١٠٩.

٤٤- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص١٣.

٤٥- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٣٩.

٤٦- المغرب وأرض السودان ومصر، ليدن مطبعة بريل، ١٨٦٦، ص٧٩.

٤٧- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ١ ص١٠٩.

٤٨- إسماعيل بن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص٨، ابن القاضى المكناسى المصدر السابق، جـ١ ص٢٢٤، جـ٢ ص٥٥١.

٤٩- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق ص٢٢، ٢٥، ٤٣، ٤٤، ٦٩.

٥٠- عبد السلام بن سوده: بيوتات فاس القديم والحديث، العدد ٢٢، ص١٢٢.

٥١- عبد السلام بن سوده: المرجع السابق، العدد ٢٣، ص١٤٠ - ١٤١.

٥٢- الإدريسى: المصدر السابق، ص٧٩، صباح إبراهيم: العناصر السكانية بفاس، ص٤٠٣.

٥٣- الزنقة: هى المكان الضيق، ففى القاموس زنق على عياله يزنق ضيق بخلا أو فقرا، انظر الفيروز أبادى: القاموس المحيط، مادة الزنق، ص١١٥١.

٥٤- عبد السلام بن سوده: المرجع السابق، العدد ٢٢، ص١٣٣، عبد القادر زمامة: معالم وأعلام من فاس القديم، ص٨٧.

٥٥- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢٩، ٣٩، ٤٥ - ٤٦.

٥٦- عن هذا الانتشار لقبائل العرب انظر تاريخ ابن خلدون، جـ٦، ص١٣ - ٢١.

٥٧- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٤٤٣، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص٩٣.

٥٨- الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص١١٢.

٥٩- الزهري: المصدر السابق، ص١١٢، ١١٤، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص٧٥.
٦٠- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٢٩٣ - ٢٩٥، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص٣٩٧ - ٣٩٩.
٦١- تاريخ المن بالإمامة: ص١٤٤.
٦٢- ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص٢٧.
٦٣- إسماعيل بن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، صفحات ٣٦، ٤١، ٤٤، ٤٥، صباح إبراهيم: المرجع السابق، ص٤٠١.
٦٤- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص١٠ - ١٤.
٦٥- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ٢ صفحات ٣٩١، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤١٥، ٤٥٠، ٤٥١، ٥٣٢، ٥٣٧، ٥٤٩.
٦٦- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٧٠.
٦٧- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص٣٦.
٦٨- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ٢ ص٥١٨.
٦٩- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص٤١، ابن القاضي المكناسي المصدر السابق، جـ٢ ص٣٩٠، ص٥١٢، عبد السلام بن سوده: بيوتات فاس في القديم والحديث، العدد ٢٣، ص١٤١.
٧٠- إسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص٤١.
٧١- نفس المصدر السابق: ص٤٤، ٤٥.
٧٢- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص١٧٧، ١٨٠، جـ٢، ص٤١٩، ٥١٣، ٥١١.
٧٣- عبد السلام بن سوده: المرجع السابق، ص١٣٧.
٧٤- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول الصلة، السفر الأول، تحقيق محمد بن شريفه، بيروت، دار الثقافة، بدون تاريخ، ص٢١٢ ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ١ ص١١٦.
٧٥- ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عزت العطار الحسيني القاهرة، مطبعة الخانجي، جـ٢ ص٦٨٢، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص٢٢٢.
٧٦- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٣٧.

٧٧- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٤٩، الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص٤٤، عبد السلام بن سوده: المرجع السابق، العدد ٢٢، ص١١٩.
٧٨- العمرى: مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار (قبائل الحرب فى القرنين السابع والثامن الهجريين تحقيق دوريتاكرافرتسكى، بيروت، المركز الإسلامى للبحوث، ١٩٨٥، ص٥٦، ٦٢.
٧٩- مارمول: أفريقيا، جـ١ ص١٠٦.
٨٠- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص٥٨ - ٥٩.
٨١- ابن خلدون: المصدر السابق جـ٦ ص١١، مارمول: المصدر السابق، جـ١ ص١٠٢.
٨٢- عبد السلام بن سوده: المرجع السابق، العدد ٢٢ ص١٠٨ - ١٠٩.
٨٣- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٢٩.
٨٤- صباح إبراهيم: العناصر السكانية بمدينة فاس، ص٤٠٢ - ٤٠٣.
٨٥- الإدريسى: المغرب وأرض السودان، ص٧٩، وصف أفريقيا الشمالية، ص٥٣.
٨٦- الإدريسى: نفس المصدرين والصفحات.
٨٧- بيوتات فاس الكبرى: ص٤٤ - ٤٥.
٨٨- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص١٣٩، اسماعيل بن الأحمر المصدر السابق، ص٢١.
٨٩- عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، جـ١ ص٤٠٩.
٩٠- صباح إبراهيم: المرجع السابق، ص٤٠٤ - ٤٠٥.
٩١- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص٨٥.
٩٢- المعجب: ص٤٤٣.
٩٣- عن الهجرات الأندلسية الاستيطانية، أنظر، ابن الآبار: المعجم فى أصحاب القاضى ابن على الصدفى، صفحات ١١٦ - ١١٧، ١٥٦، ١٩٦، ٢٠٨، ٣٠٧، ٣١٩، ابن الزبير: صلة الصلة البشكوالية، صححه وعلق عليه ليفى بروفنسال، مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، الرباط، المطبعة الاقتصادية، ١٩٣٧، جـ٧، صفحات ٤، ١٤، ١٥، ٤٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٢، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة، السفر الأول، القسم الأول صفحات ٨٧، ٩١، ١٨٥، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٦٨، ٢٧٠، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٦٧، ٥٥٢، السفر الخامس، القسم الأول، تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، بدون

تـاريخ، صفحـات ٢٢، ٢٥ - ٢٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٥٠، ١٥٣، ١٨٧، ٢٥٦، ٢٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٤١٢، ٤٧٥. ٤٧٧، المقرى: أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبيارى، عبد الحفيظ السلمى، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٣٩، جـ٢ ص٣٦١، هذا إلى جانب الترجمات العديدة التى وردت فى كتب التراجم الأخرى.

٩٤- لسان الدين بن خطيب: أعلام الإعلام، القسم الثالث، ص١٣٢، إسماعيل الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص١٧، محمد جعفر الكتانى سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، فاس مطبعة الحجرية، ١٣١٠هـ، جـ١ ص١٠٠، مصطفى أبو ضيف، أثر العرب فى تاريخ المغرب خلال عصرى الموحدين وبنى مرين، ص٤٥.

٩٥- ابن القطان: نظم الجان، ص١٠٩، ابن عذارى المراكشى: البيان المغرب، جـ٤ ص٢٣، حسن على حسن: الحضارة الإسلامية، ص٣٢٢ - ٣٢٣.

٩٦- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص١٤٢، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص١٨٥.

٩٧- ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٤، مجهول (من كتاب القرن الثامن الهجرى)، الحلل الموشية، ص١٣٥.

٩٨- ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٤ ص٢٣.

٩٩- حسن على حسن: المرجع السابق، ص٣٣٠.

١٠٠- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٩، ص٥٠، ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٥٠، الوزير السراج: الحلل السندسية فى الأخبار المراكشية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٠، جـ١ ص٩٩١.

١٠١- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢٠١ - ٢٠٢، ابن خلدون المصدر السابق، جـ٦ ص١٢٦، ٢٦٧، حسن على حسن: المصدر السابق ص٣٣٠.

١٠٢- ابن عبد الملك المراكشى: الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة، السفر الخامس، القسم الأول، ص٢٦٤.

١٠٣- ابن الأثير: المصدر السابق، جـ٩، ص٥٠، ابن عذارى نفس المصدر والصفحة، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص٣٣٦ ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ١ ص١٧٣.

١٠٤- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٧٣، القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٥ ص١٥٥.
١٠٥- سيد عبد الفتاح عاشور: الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، عالم الفكر، المجلد الحادي عشر، العدد الأول ١٩٨٠، ص٩٣.
١٠٦- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص١٢٧، انظر مكاتبه فقهاء سجلماسه ودرعه لعبد الله بن ياسين كي يخلصهم من المنكرات في بلادهم.
١٠٧- ابن عذاري: المصدر السابق، جـ٤ ص٤٦، وقسم الموحدين، ص١٢٤، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص١٣٧.
١٠٨- المعجب: ص٢٣٥.
١٠٩- سيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص٩٣.
١١٠- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٢٥١ - ٢٥٢، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص١٧٤ - ١٧٥.
١١١- انظر ما أشرنا إليه من تعريف لنظام الطبقات في عصر الموحدين في الفصل الثاني.
١١٢- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٢٥٥.
١١٣- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٤٢٦.
١١٤- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ٣٣١.
١١٥- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٢٦٩، ٤٢٦.
١١٦- مجهول: مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنة، ص١١٣، ٢٢٨، هويكنز: النظم الإسلامية، ص١٨٦ - ١٨٧.
١١٧- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٣٥٦، ٤٢٦.
١١٨- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٢٦٩، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٢٠٤.
١١٩- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٢١٠، ٢١٧.
١٢٠- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص٣٤٠ - ٣٤١.
١٢١- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، جـ١ ص٢٢١، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ١ ص١٠٦.
١٢٢- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٧٤، الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص٥٨.
١٢٣- حسن علي حسن: المرجع السابق، ص٣٤٢.

١٢٤- ابن أبى زرع: المصدر السابق، صفحات ٥٩، ١٣٧، ٢١٧، حسن على حسن: المرجع السابق، ص٣٤٢ - ٣٤٣.
١٢٥- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٣٥٧، ٤٤٥، أبو العباس إبراهيم المراكشي: الإعلام بمن حل مراكش، وأغمات من الإعلام، فاس المطبعة الجديدة، ١٩٣٦، جـ٣ ص٨٧.
١٢٦- بدرى محمد فهد: العامة ببغداد فى القرن الخامس الهجرى بغداد، مطبعة الرشاد، ١٩٦٧، ص١١، ويراد بطبقة الخاصة أصحاب الخليفة من ذوى قرباه ومن رجالات الدولة البارزين كالوزراء والكتاب والقواد والإشراف والقضاه والشهود، علاوة على بعض المقربين من أهل الفن الموهوبين والعلماء وأهل الأدب. انظر بدرى محمد فهد: المرجع السابق ص١٢.
١٢٧- حسن على حسن: المرجع السابق، ص٣٤٣ - ٣٤٦.
١٢٨- التادلى: التشوف إلى رجال التصوف، نشرة أدولف فور، الرباط مطبوعات معهد الأبحاث العليا، ١٩٥٨، ص٧٨ - ٧٩، ١٧٧.
١٢٩- ابن القطان: نظم الجمان، ص٢٤٦، حسن على حسن: المرجع السابق، ص٣٤٦، ومن أمثلة ذلك ما حدث أيضًا عام ٥٧١هـ وما حدث من خراب لعمران فاس بين أعوام ٦١٨ - ٦٣٧هـ. وأيضًا الحريق الذى وقع مرة ثانية بأسواق فاس عام ٦٤٦هـ حيث احترقت أسواق باب السلسلة بأسرها إلى حمام الرحبة، عن ذلك انظر: ابن زرع، الأنيس المطرب، صفحات، ص٦٠، ١٠٠، ١٠١، ٢٧٧.
١٣٠- ابن عبدون: رسالة ابن عبدون فى الحسبة (ضمن ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة والمحتسب) نشرها ليفى بروفنسال، القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسى، ١٩٥٥، ص٣٩، ٥٣، ٥٧، الجرسيفى: رسالة الجرسيفى فى الحسبة منشورة ضمن ثلاث رسائل أندلسية، ص١٢٥.
١٣١- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٤٩، ليون الأفريقى، وصف أفريقيا، ص٢٤٩، حسن على حسن: المرجع السابق، ص٢٤٨.
١٣٢- ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربى، بيروت منشورات المكتب التجارى للنشر، ١٩٧٠، ص١٤٠، الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص٩٦.
١٣٣- ابن عيشون الشراط: الروض العاطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٨٥٢ تاريخ تيمور ميكروفيلم رقمن ١٣٣٦٦،

ورقة ابن القاسم التادلي: المعزى في مناقب سيدي أبو يعزى، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٢٤٩، تاريخ تيمور، ميكروفيلم رقم ٢٧٧٠٣ ووقة.

١٣٤- الإدريسي: وصف أفريقيا الشمالية، ص٥٠، مارمول: أفريقيا جـ٢ ص١٥٤.

١٣٥- العمري: وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، ص١٤١، مارمول: المصدر السابق، جـ٢ ص١٥٣ - ١٥٤، حسن علي حسن المرجع السابق، ص٣٤٩.

١٣٦- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٤٨، الجزنائي: المصدر السابق، ص٤٤.

١٣٧- التادلي: التشوف: ص١٨١، حسن علي حسن: نفس المرجع والصفحة.

١٣٨- ابن الآبار: التكملة لكتابي الموصل والصلة، جـ١ ص١٥١، ١٥٢، ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس، جـ٢ ص٤٠٨ - ٤٠٩.

١٣٩- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٤٨، والجزنائي: المصدر السابق، ص٤٤، حسن علي حسن، المرجع السابق، ص٣٤٩.

١٤٠- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٦٩، حسن علي حسن: المرجع السابق، ص٣٤٨.

١٤١- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤.

١٤٢- ابن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، السفر الثاني، ص٤٧٤.

١٤٣- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٤٣.

١٤٤- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٢١٩، حسن علي حسن المرجع السابق، ص٣٥٠.

١٤٥- التشوف: ص٣٦٨.

١٤٦- البيذق: أخبار المهدي، ص٦٢، التادلي: المصدر السابق، ص٣٠٦، ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٤ مجهول: الحلل الموشية، ص١٣٦، حسن علي حسن: ص٣٥١.

١٤٧- مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨ ص١٨٥، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٣٥، الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص٣٥.

١٤٨- رضوان البارودي: أضواء على المسيحية والمسيحين في المغرب في العصر الإسلامي، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٠، ص٣٣.

١٤٩- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب، جـ٤ ص٢٣.

١٥٠- نفس المصدر السابق: جـ٤ ص١٠٢، رضوان البارودى: المرجع السابق، ص٣٣.

١٥١- رضوان البارودى: المرجع السابق، ص٣٣.

١٥٢- ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٤ ص٧٢ - ٧٣، انظر: محمود على مكى: وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ١٩٥٩ - ١٩٦٠، المجلد ٧ - ٨ ص١٢٥ - ١٢٦، ص١٦٧.

١٥٣- مجهول: الحلل الموشية، ص٩١.

١٥٤- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص١٠٩.

١٥٥- رضوان البارودى: المرجع السابق، ص٣٥.

١٥٦- ابن عذارى: المصدر السابق، جـ٤، ٩٨.

١٥٧- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٣٢ - ٣٣.

١٥٨- مجهول: الحلل الموشية، ص١٣٨، رضوان البارودى المرجع السابق، ص٣٦.

١٥٩- عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص٣٨٣، رضوان البارودى: المرجع السابق، ص٣٦.

١٦٠- ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٣١، مجهول: الحلل الموشية، ص١٤٦.

١٦١- ليون الأفريقى: وصف أفريقيا، ص١٤٤.

١٦٢- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٢٥٠.

١٦٣- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢٥٠، ٢٥١، رضوان البارودى: المرجع السابق، ص٤٠.

١٦٤- ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص٣١٩، رضوان البارودى: المرجع السابق، ص٤٤.

١٦٥- نفس المصدر: قسم الموحدين، ص٣٦٠، رضوان البارودى، المرجع السابق، ص٤٥ - ٤٦.

١٦٦- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢٥٨.

١٦٧- ليون الأفريقى: المصدر السابق، ص٢٦٠.

١٦٨- البكرى: المغرب فى ذكر أفريقية والمغرب، ص١١٥، مجهول: الاستبصار، ص٢٠٢.

١٦٩- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٥٩.

١٧٠- محمد الحبيب بن الخوجه: اليهود فى المغرب العربى، القاهرة، مطبعة الجبلاوى، ١٩٧٣، ص١٢.
١٧١- التادلى: التشوف، ص٢٥٩ - ٢٦٠، أحمد عيسى: معجم الأطباء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢، ص٥٦٦ - ٥٧٧.
١٧٢- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٥٩، الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص٦٨، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٦٨، سلامة محمد سليمان: دولة المرابطين فى عهد على بن يوسف، بيروت، الندوة الجديدة، ١٩٨٥، ص٣٠٠.
١٧٣- محمد الحبيب بن الخوجه: اليهود فى المغرب العربى، ص١٢، ٢٥ - ٢٦، ٢٧.
١٧٤- عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص٣٨٣.
١٧٥- عبد الواحد المراكشى: نفس المصدر والصفحة. ومن الجدير بالذكر هنا أن اليهود بمدينة فاس تعرضوا فى بداية عهد الدولة المرينية فى عصر يعقوب بن عبد الحق المرينى عام ٦٧٤هـ إلى وقعة من المسلمين بسبب أمور أدت إلى إباحة دمائهم وأموالهم فأسلم فى تلك الواقعة من أسلم منها خوفاً من السيف ثم كف يعقوب عن قتلهم، وأمر من نجا منهم أن يسكنوا فى فاس الجديد وإخراجهم من فاس القديم. انظر مجهول: قصة البلديين من أهل فاس، ورقة ٤٧٠.
١٧٦- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص٤١٥.
١٧٧- ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس جـ١ ص١٧٣ - ١٧٤، حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص٤١٥ - ٤١٦، حمدى عبد المنعم: دولة المرابطين فى عهد على بن يوسف، ص٣٣ - ٣٣٤.
١٧٨- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٣٣، عبد العزيز ابن عبد الله: المرأة المراكشية فى الحقل الفكرى، مدريد، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، المجلد السادس، عدد ١ - ٢، ١٩٥٨، ص٢٧٢، عبد الله علام: الدولة الموحدية، ص٢٤٤.
١٧٩- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٢١ - ٥٢٢، عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص٢٧٢.
١٨٠- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٥٨، عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص٢٧٢، عبد الله علام: المرجع السابق، ص٢٤٥، الأشعرى المشار إليه هو أبو الحسن بن اسماعيل بن اسحاق بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن برده أبى موسى الأشعرى، ولد بالبصرة وانتقل إلى بغداد

وتوفى بها عام ٣٢٤هـ ٩٩٦م وهو صاحب أصول علم الكلام والقائم بنصرة مذهب السنة وإليه تُنسب الطائفة الأشعرية. انظر الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد المدينة المنصورة، المكتبة السلفية، بدون تاريخ، جـ١١ ص٣٤٦ - ٣٤٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٣ ص٢٨٤، وعبد الرحمن بدوى: مذاهب الإسلاميين، بيروت، دار العلم، ١٩٧٧، جـ١ ص٤٨٧ - ٤٩٠.

١٨١- عبد العزيز بن عبد الله: معجم أعلام النساب بالمغرب الأقصى، مجلة اللسان العربى، المجلد السابع، يناير ١٩٧٠، ص٣٢٣.

١٨٢- ابن الحاج الفاسى: المدخل، القاهرة، دار الحديث ١٩٨١ المجلد الأول، جـ١ ص٢٤٥، وتمنع الكتب الفقهية خروج النساء لمزاولة الشراء لأن فيه مناجاه ومباسطة وغير ذلك مما يقع بين النساء والباعة، وربما كان ذلك سببًا فى وقوع الفاحشة الكبرى. انظر نفس المصدر والصفحة.

١٨٣- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٦٧، سئل الإمام مالك عن الغسل من ماء الحمام، فقال ما بدخول الحمام بصواب، فكيف يغتسل من مائه، وهذا دليل واضح على أن أهل الحجاز كانوا يغتسلون فى بيوتهم، ولا يعرفون الحمامات. وروى أبو داود فى سننه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ستفتح لكم أرض العجم ويتخذون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال إلا بازار وأمنعوا منها النساء إلا مريضة أو نفساء)، وروى عن أبى داود الترمذى عن عائشة رضى الله عنها أن الرسول ﷺ نهى الرجال والنساء عن دخول الحمام ثم رخص للرجال أن يدخلوا بالمزر. انظر الفصل الذى عقده ابن الحاج فى المدخل فى تحريم دخول المرأة الحمامات خاصة العامة منها ص١٧١ — ١٧٥. وقد أجاز العلماء دخول الحمام بالنسبة للرجال بشروط هى: أن لا يدخلها أحد من النساء أو الرجال ألا للتداوى، وأن يتعمد أوقات الخلوة وقلة الناس، وأن يستر عورته بأزار، وأن يطرح بصره للأرض أو يستقبل الحائط لئلا يقع بصيره على محظور، وأن يغير ما رأى من منكر وأن دلكه أحد لا يمكنه من عورته، وأن يدخل الحمام بأجر معلوم، وأن يصب الماء على قدر الحاجة، وأن يتذكر عذاب جهنم. انظر ابن الحلاج: المدخل: المجلد الأول، جـ٢ ص١٧٩.

١٨٤- الجزنائى: المصدر السابق، ص٧٧، عبد الهادى التازى: جامع القرويين، جـ١ ص٩٩.

١٨٥- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٦٦.

١٨٦- ابن الحاج: المصدر السابق، المجلد الأول، جـ١ ص٢٤٥، الونشريسي: المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، أخرجة جماعة من العلماء بإشراف د/ محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي ١٩٨١، جـ١ ص٤٩٩.

١٨٧- سيد عبد الفتاح عاشور: الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، ص١٠٩.

١٨٨- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٤١.

١٨٩- المغرب في ذكر أفريقية: ص١١٦.

١٩٠- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٤٨، الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص٤٤.

١٩١- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، ص٢٤٦.

١٩٢- العمري: وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، ص١٤٠، القلقشندي: صبح الأعشى، ص١٥٦.

١٩٣- المصدر السابق: ص١٤٠.

١٩٤- وصف أفريقيا: ص٢٣٤.

١٩٥- مجهول: الاستبصار، ص١٨١.

١٩٦- التادلي: التشوف، ص١٥٠، ١٨٣، ابن عيشون الشراط الروض العاطر، الأنفاس، ورقة ٢٢.

١٩٧- مجهول: الاستبصار، ص١٨١، ويقول الشاعر في هذا الوصف:

إذا زفر الحمام واشتد غيضه ... وهاجت لواعيج به وحميم

رأيت نعيما في الحميم وراحة ... وذاك غريب في الحجيم نعيم

١٩٨- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٢١٧ - ٢١٨.

١٩٩- العمري: المصدر السابق، ص١٣٩.

٢٠٠- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٤١. الجزنائي: المصدر السابق، ص٢٤ - ٢٥.

٢٠١- الجزنائي: المصدر السابق، ص٩٤ - ٩٥، سيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص١٢٢.

٢٠٢- التادلي: المصدر السابق، ص٢٦٣ - ٢٦٤، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٢١٩. محمد بن عيشون الشراط: المصدر السابق، ورقة ٣١٠ - ٣١١، أحمد بن القاسم التادلي: المعزى في مناقب سيدي أبو يعزى، ورقة ٩٩.

٢٠٣- سيد عبد الفتاح عاشور: الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، ١٢٢.

٢٠٤- التادلي: التشوف، ص٣٠٦.
٢٠٥- نفس المصدر السابق: ص٣٤٠.
٢٠٦- ابن الحاج: المصدر السابق، المجلد الأول، جـ١ ص٢٢٨.
٢٠٧- سيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص١٢٣.
٢٠٨- ليون الأفريقي: وصف أفريقيا، ص٢٥٧.
٢٠٩- الونشريس: المعيار، جـ٢ ص١٢٩.
٢١٠- الونشريس: المصدر السابق، جـ٣، ص٢٦.
٢١١- نفس المصدر: جـ٦ ص١١٦.
٢١٢- التادلي: التشوف، ص١٥٢.
٢١٣- ابن الحاج: المدخل، المجلد الأول، جـ١ ص١٦٩.
٢١٤- الونشريس: المصدر السابق، جـ٢ ص١٢٩.
٢١٥- جذوة الاقتبسا: جـ٢ ص٥٦٠.
٢١٦- أخبار المهدي: ص٦١.
٢١٧- محمد المنوني: ركب الحاج المغربي، تطوان، مطبعة المخزن، ١٩٥٣، ص١٥.
٢١٨- ابن الحاج الفاسي: المصدر السابق، المجلد الثاني، جـ٣ ص٢٤٤ ٢٤٥.
٢١٩- الونشريس: المصدر السابق، جـ١ ص٣٤١ - ٣٤٢. وكان ذلك التحريم لعدة وجوه منها: المباهاه والافتخار، واتفاق المال في وجه غير شرعي، والتبذير حيث يكلف بذلك الغني الفقير الذي لا يجد كما أن لباس الحرير إنما رخص للنساء الأحياء من أجل الزينة، ولم يرخص للرجال واستعماله للميت ليس فيه زينة.
٢٢٠- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٢٦٨، ٢٧٠.
٢٢١- ابن الحاج الفاسي: المدخل، الجلد الثاني، جـ٣ ص٢٣٣ - ٢٣٤.
٢٢٢- نفس المصدر السابق: المجلد الثاني، جـ٦٢٤٦.
٢٢٣- نفس المصدر: المجلد الثاني، جـ٣ ص٢٧٥.
٢٢٤- العمري: وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، ص١٤١.
٢٢٥- مجهول: كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين تحقيق أويثي ميراندا، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، المجلد التاسع والعاشر، ١٩٦١ - ١٩٦٢، ص١٧٩، ويتكون الثريد الكامل من اللحم البقري السمين مضافا إليه البصل والفلفل والزنجبيل والكزبرة اليابسة والكمون والزيت الكثير مع لحم

غنمى سمين مضافا إليه التوابل ومن الدجاج وفراخ الحمام أو اليمام المطبوخة والعصافير المقلوه، وتؤخذ أمراق هذه اللحوم وتجمع فى قدر نظيفة ويضاف إليها الزيت وما تحتاج إليه من التوابل قدر الكفاية ويسقى معها الثريد المفتت من الخبز ويضاف إليه أنواع اللحوم السابقة، على أن يكون فى أعلى القصعة الفراخ واليمام والحمام ثم تقدم.

٢٢٦- نفس المصدر السابق: ص٢٤، ويتكون الصنهاجى الملوكى من لحم البقر الأحمر المقطع المضاف إليه زيت وخل وفلفل وزعفران وكوم وثوم، ثم يطبخ نصف طبخة ثم يضاف إليه من لحم الغنم الأحمر وفراخ الحمام واليمام وكذلك العصافير وينثر عليه لوز مقسوم مضاف إليه كمية من الملح ثم يقمر بالزيت، ويدخل الفرن ويترك فيه حتى يتم نضجه.

٢٢٧- نفس المصدر السابق: ص٣٥ - ٣٦.

٢٢٨- نفس المصدر: ص٢٦، ويتكون هذا الطعام من اللحم البقرى أو الغنمى السمين المقطع تقطيعا صغيرا والمضاف إليه الملح والكزبرة اليابسة والكمون والزعفران وكثير من الثوم واللوز والمقشر والزيت الكثير، ثم يغمر كل ذلك بالخل ويرفع على نار معتدلة، وعند نضجه يضاف إليه بيض كثير وقرفة. وكان هذا النوع من الطعام يبقى عدة أيام لا يتغير ولا يفسد.

٢٢٩- نفس المصدر: ص٤٩ وكانت البلاجة تصنع من اللحم البقرى السمين المضاف إليه الملح والبصل والكزبرة اليابسة والزيت اليسير، وتضع على نار معتدلة حتى تنضج ثم تصفى من المرقة وتقلى فى مقلاة بزيت حتى تحمر ثم تجعل فى طاجن ويضاف عليها اللوز والزعفران ثم تدخل الفرن مرة أخرى كى تجف مرقتها ويحمر أعلاها، ثم تخرج.

٢٣٠- نفس المصدر: ص١٨٧. وتتكون اللمتونية من الطير مثل الدجاج والأوز وفراخ الحمام وغيرها مضاف إليه الثوم واللوز والجوز وعند نضج هذه اللحوم تصب مرقتها على الرقاق المفتت ويضاف عليها الزيت والفلفل والكمون.

٢٣١- نفس المصدر:ص٢١٣. وكان سنبوسك العامة يضع بثلاث طرق، الأولى أن تحشى الرقاق بالثوم والتوابل وتلف على شكل مثلث وتقلى فى الزيت، الثانية أن يصنع من العجين المخلوط المضروب باللحم المدقوق والتوابل والبيض ويقلى. الثالثة أن يعمل بالعجين مع السمن أو الشحم المذاب.

٢٣٢- نفس المصدر: ص١٨١.

٢٣٣- نفس المصدر: ص١٩٩.
٢٣٤- نفس المصدر: ص١٩٧ - ١٩٨.
٢٣٥- نفس المصدر: ص٢٠٧.
٢٣٦- نفس المصدر: ص٢٠٧، وكان طعام التارفست يصنع على النحو الآتي: يفتت رغيف الرقاق تفتيتا دقيقا، ويضاف عليه كمية من الماء ومثلها من العسل مع مخلوط من الزعفران، ويحرك حتى يصير مجسدا مثل العجين، ثم يفرغ في جفنة وينثر عليه لوز ويصنع في وسطه حفرة تملأ بالسمن أو زبد طرى ويضاف عليه بعض من السكر وقرفة وقرنفل ثم يقدم.
٢٣٧- التادلي: التشوف، ص١٥٠، ٣٤٠.
٢٣٨- أحمد بن القاسم التاودى: المعزى في مناقب سيدى أبو يعزى، ورقة ٥١.
٢٣٩- أحمد بن القاسم التادلي: المصدر السابق، ورقة ٥، ٦.
٢٤٠- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٧٢ - ٧٣، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٢٥٣، جـ٢ ص٥٥٣.
٢٤١- ابن الحاج الفاسي: المدخل، المجلد الأول، جـ١ ص١٥١ - ١٥٢.
٢٤٢- دراعة: ثوب من صوف، وجبه مشقوقة المقدم، انظر المعجم الوسيط، جـ١ ص٢٩٠.
٢٤٣- ابن عيشون الشراط: الروض العاطر الأنفاس، ورقة ١٥.
٢٤٤- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٢٦٧.
٢٤٥- جذوة الاقتباس: جـ١ ص٢٥٢ - ٢٥٣.
٢٤٦- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٣٨٣.
٢٤٧- البيذق: أخبار المهدى، ص٢٣ - ٢٤.
٢٤٨- كتاب الجغرافيا: ص١١٢.
٢٤٩- محمد المنوني: تاريخ الموسيقى بالمغرب، مجلة البحث العلمي، السنة السادسة، عدد ١٤ - ١٥، ١٩٦٩، ص١٥٠.
٢٥٠- الحميرى: الروض المعطار، ص٤٣٤.
٢٥١-عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٤٤٣.
٢٥٢- الزهرى: المصدر السابق، ص١١٤.
٢٥٣- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٣٦.

٢٥٤- البكرى: المغرب، ص١١٦، مجهول: الاستبصار ص١٨١، الحميرى: الروض المعطار، ص٤٣٥.
٢٥٥- الإدريسى: المغرب وأرض السودان ومصر، ص٨١، وصف أفريقيا الشمالية، ص٥٥.
٢٥٦- الإدريسى: المغرب وأرض السودان ومصر، ص٧٦، وصف أفريقيا الشمالية، ص٥٠، الحميرى: المصدر السابق، ص٤٣٤.
٢٥٧- مجهول: الاستبصار، ص١٨٠.
٢٥٨- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، ص٣٤٨.
٢٥٩- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٤٣، ليون الأفريقى: وصف أفريقيا، ٢٢٨.
٢٦٠- وصف المغرب أيام السلطان أبى الحسن المرينى، ص١٣٩.
٢٦١- الوزارات: جمع وزره وهى فى الأصل كساء صغير، ويقصد بها هنا نطاق صغير من الزليج يضع على حيطان الدور. انظر المعجم الوسيط، مصر، دار المعارف، ١٩٧٣، الطبعة الثانية، جـ٢ ص١٠٢٨.
٢٦٢- وصف المغرب أيام السلطان أبى الحسن المرينى، ص١٤٠.
٢٦٣- محمد منتصر الكتانى: فاس عاصمة الأدارسة، بيروت، دار إدريس للطباعة، بدون تاريخ، ص٢٥.
٢٦٤- تيتوس: يوركهارت: فاس، مقال منشور بكتاب المدينة الإسلامية، ترجمة محمد ثعلب، نشر هيئة اليونسكو، ١٩٨٣، ص١٧٦.
٢٦٥- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٤٨، الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص٤٤، والمصرية جمعها مصارى، وهى الدويره التى تبنى فوق الحوانيت ونحوها، وهو نوع من المنازل كان معروفا بمصر فنقل إلى المغرب وعرف بنسبته إليها، انظر عبد الوهاب بن منصور فى تحقيقه لجنى زهرة الأس، ص٤٤.

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية بمدينة فاس فى عصرى المرابطين والموحدين

لم تكن الحياة الاقتصادية بمدينة فاس قبيل قيام دولة المرابطين بأسعد حظا من الحياة السياسية، إذ أصابها الاضطراب والتأخر نتيجة للحروب المستمرة والثورات والفتن التي شهدتها المدينة في هذه الفترة. فالضعف السياسي وما صحبه من تمزق انعكست صورته على اقتصاديات البلاد[1]. لاسيما في عهد المغراويين بفاس الذين ضعفت أحوالهم، فظلموا الرعية وأخذوا أموالهم، كما انقطعت عن الأهالي الموارد، وكثر الخوف في البلاد، وغلت الأسعار غلاء لم يسمع بمثله من قبل، ووصل الأمر إلى ذروته في الصراع الدائر بين الأخوين عجيسة والفتوح أبنا دوناس بن حمامة، ذلك الصراع الذى كان له أثره في ارتفاع الأسعار واشتداد المجاعة على الأهالي[2]. يضاف إلى ذلك تلك الضرائب والمكوس التي فرضها الزناتيون على سكان فاس - قبل عصر المرابطين - مما أدى إلى المواطنين وانعكست أثاره على الوضع الاقتصادى للبلاد[3]. هذا بالإضافة إلى تلك الفترة التى شهدت فيها المدينة حصار وضربات المرابطين، والتى انتهت بدخولهم المدينة، وما شهده الأهالي من عمليات القتل والتنكيل، ولاشك أن هذه العوامل مجتمعة كان لها أثرها في قلة الأيدى العاملة بالمدينة، مما أثر على السكان ونشاطهم الاقتصادى.

وبدأت مدينة فاس تشهد فترة من الاستقرار على عهد المرابطين، فازدهر النشاط الاقتصادى، حيث حرص أمراء المرابطين على نشر الأمن والنهوض بالمنطقة في شتى المجالات، فعم الرخاء وارتفع الدخل المالى للبلاد، فالأمن والاستقرار الذى عاشته البلاد في ظل دولة المرابطين أسهم في تنشيط اقتصاديات المدينة إذ جعل الأهالي ينصرفون إلى العمل والإنتاج، وبدأت الجيوش المرابطية تعتمد في بعض ميرتها على اقتصاديات مدينة فاس[4]. ولكن عندما بدأت بوادر الدعوة الموحدية، شهدت المدينة فترة اضطرابات أمنية فاضطربت الأحوال الاقتصادية منذ خروج عبد المؤمن بن على في حملاته ضد دولة المرابطين، تلك الحملات التى انتهت بسقوط دولة المرابطين عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٦م، فكثرت في تلك الفترة - التى لم ينعم خلالها الشعب بالأمن والرخاء - المجاعات وعم الغلاء[5].

ومع بداية دولة الموحدين بدأت حياة الشعب تستقر وأمنه يستتب وأخذت الحياة الاقتصادية تنتعش[6]. فأمتد الرخاء بفاس في عصر الموحدين حيث شهدت المدينة ازدهارا اقتصاديا ورخاء خلال تلك الحقبة حتى حكم الناصر الموحدى عام ٦١٠هـ/ ١٢١٤م[7]، حيث أولى الخلفاء عناية بالأوضاع الاقتصادية، وخاصة الزراعة، فعمل عبد المؤمن على تأمين الطرق، فعندما دخل مدينة فاس سلب أسلحة أهلها

من أيديهم[٨] وأمر أهل البلاد بالعودة إلى أوطانهم وفلاحتها، كما كانت نظم الموحدين العسكرية تقضى على الجند بالسير فى طريق الجبال، وتجنب السير فى الأراضى المزروعة، وبدرء أهل الفساد عن الزراعة، فأتسعت الزراعة فى المغرب كله، وعم الرخاء أهله، خاصة فى خلافتى يوسف والمنصور والموحدى[٩].

وسنتناول فى الصفحات القادمة مظاهر الحياة الاقتصادية فى مدينة فاس فى عصرى المرابطين والموحدين.

أولاً: الزراعة:

أغلب الظن أن أراضى مدينة فاس توزعت ملكيتها على القبائل التى كانت تسيطر عليها، أو التى كانت تسكنها، ولم يكن هناك تنظيم لملكية الأراضى قبيل دخول المرابطين المدينة، حيث اعتبرت هذه القبائل ما بيدها ملكًا خاصًا.

وعندما دخل المرابطون فاس أصبحت الدولة هى المالك لكثير من الأراضى .. إذ أن المرابطين حكموا على من ناوأهم وصد عن دعوتهم فى بداية أمرهم بالكفر[١٠]. "فكانوا يجمعون أسلاب المقتولين فى غزواتهم ويجعلونها فيئا وغنيمة لهم"[١١].

وهناك ثلاث مراحل متعاقبة فى سياسة المرابطين بالنسبة لتملك الأراضى، فقد سن عبد الله بن ياسين "التحليل" أو التطييب، وهو أخذ الثلث من الأموال المختلطة، ويرى أن ذلك يحلل باقيها، وكان فى ذلك شذوذ عن الأحكام ومخالفة للسنة[١٢].

ومع بداية عمليات الفتح لشمال المغرب الأقصى بدأ التخميس[١٣]. وتوزيع المغانم على الفاتحين، وتوقفت هذه السياسة بعد تأسيس مراكش وبداية الدولة[١٤]. ولم يرد أن الأراضى التى فتحت بعد تأسيس مراكش خمست، والراجح أن الدولة المرابطية بدأت تتبع سياسة الإقطاع للجند من وقتئذ، ويبدو أن سياسة التخميس فالإقطاع ثم التعدى على أراضى بيت المال أفقدت الدولة المرابطية كثيرًا من الأراضى، ولم تظهر آثار ذلك إلا فى إمارة على بن يوسف، فحاول زيادة أراضى الدولة بوسائل متعددة، على الرغم من إحترام المرابطين للملكية الخاصة بعد استتاب أمرهم[١٥].

وورث الموحدون ملكيات عامة متناقصة، واتبعوا فى طورى الثورة والدولة سياستين مختلفتين، ففى مرحلة الثورة وجهت أفكار ابن تومرت الموحدين لاستقلال أراضى المخالفين، إذ طعن ابن تومرت فى المرابطين ورماهم بالكفر

وجعل غزوهم واجبًا وكفر ابن تومرت كل من لم يؤمن بأفكاره حيث قام بتقسيم الغنائم التى غنمها من عساكر المرابطين بعد تخميسها على الموحدين، وسار عبد المؤمن بن على، على نفس هذه السياسة لما فتح باقى المدن المغربية[١٦].

أما فى طور الدولة فقد أكد الموحدون على احترام الملكية الخاصة وعدم التسلط على أموال الناس لأنه نقص للشرع، وسار خلفاء عبد المؤمن بن على، على النهج ذاته فى احترامهم ملكية الخاصة[١٧].

هذا وكان للأراضى فى عهد المرابطين ديوان لإدارة الأراضى بفاس، حيث تركوا الأراضى فى يد مشرف فاس "الجيانى" الذى بقى فى منصبه دون انقطاع عندما استولى الموحدون على المدينة، ويبدو أن واجباته كانت متصلة بالمكوس أو الرسوم المفروضة على البضائع، أى أن واجباته، كانت مالية[١٨]، وكان يساعد المشرف فى إدارة الأراضى شخص آخر أطلق عليه اسم الناظر[١٩]. ويبدو أن الموحدين اتخذوا فيما بعد ديوانًا قائمًا بذاته لإدارة أراضى الدولة، أطلق عليه اسم "ديوان المختص"[٢٠].

الملكية الخاصة:

كان للاستقرار السياسى الذى شهدته فاس فى العصرين المرابطى والموحدى - باستثناء حركتى عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م وعام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م، وفترة الاضطرابات الأمنية التى صاحبت حملات الموحدين على الدولة المرابطية للقضاء عليها - أثره فى ظهور ملكيات خاصة، فكان هناك بستان خاص للسلطان بفاس[٢١]. كما كان لأهل المدينة والمهاجرين إليها من المدن الأخرى ملكيات خاصة، فأحمد بن الحسن القضاعى المتوفى عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م، كانت له ضياع وعقارات بفاس[٢٢]. كما نُسب إلى بيت بنى المزدغى بساتين خاصة بهم بفاس، وكان لبيت بنى على وبنى زنوبه جنان خاصة تعرف بهم[٢٣]. وكذلك كان لابن عطيه بستان خاص به[٢٤]. وأيضا كان هناك بستانا خاصا لابن حيون[٢٥]. وكان للفقهاء ملكيات للأراضى بفاس، فالفقيه محمد بن عبود كان من أعيان فاس من أهل اليسار وله جنان[٢٦]. ولم تقتصر ملكيات الأراضى على عدد محدود من الفقهاء، إنما شملت جميع الأسر الكبرى التى عرفت بالعلم، وشغلت خطة القضاء، وما يلحق بها، فكانوا ينالون دنيا عريضة وأموال جليلة[٢٧].

الأحباس (الأوقاف):

بالرغم من عظمة سلطان المرابطين والموحدين إلا أنهم لم يهتموا بالأحباس، فلم توقف أى من الدولتين شيئًا، بل كانت أصول الأحباس من الملكيات الخاصة وحدها، وكان أغلب التحبيس على المساجد والأولاد وعقبهم والنساء والمرضى والمساكين، ومع انتشار التصوف كثر التحبيس دلالة على الزهد والورع[٢٨].

ويبدو أن أموال الأحباس بفاس كانت كثيرة، حيث بلغت أحباس مسجد القرويين عام ٥٢٨هـ/ ١١٣٤م أكثر من ثمانين ألف دينار، يأتى أغلبها من غلة الأراضى المحبسة على هذا المسجد، ووردت إشارات فى العصر الموحدى يُفهم منها أن الموحدين ضموا أموال الأحباس إلى بيت المال، فيقول ابن أبى زرع[٢٩]: "إن إصلاح مسجد القرويين فى عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٤م تم من بيت المال "على الرغم من أن أحباس المسجد كانت كثيرة، ولكن يبدو أن وكلاء الأحباس بالمسجد كانوا يأخذون أموال الأحباس دون وجه حق، ويحسبونها من أموالهم، ويصف لنا ابن أبى زرع تطهيرًا قام به قاضى فاس الفقيه محمد بن داود فى عهد على بن يوسف المرابطى لوكلاء مسجد القرويين بفاس، حيث طالبهم بتلك الأموال، فخرجت عليهم أموال كثيرة فأغرمهم إياها، وتم عزلهم وقدم الأمير المرابطى مكانهم وكلاء يثق بدينهم[٣٠]. كما يصف ابن عذارى تطهيرًا آخر قام به الخليفة يوسف الموحدى فى فاس عام ٥٧٩هـ/ ١١٨٤م[٣١].

الرى:

تعتمد مدينة فاس اعتمادًا أساسيًا فى رى زراعتها على مياه الأنهار حيث يشقها نهر سبو وهو نهر عظيم يتشعب فى داخلها أنهارًا وجداول وخلجانا فيسقى جنانها وبساتينها[٣٢]. هذا إلى جانب احتواء المدينة على العديد من العيون الطبيعية المتصفة بالغزارة، والتى توفر للمدينة الكثير من المياه بالإضافة إلى اعتماد المدينة على مياه الأمطار[٣٣]. ولكن الأمطار غير منتظمة فى أوقاتها أو تواليها، فقد تتوالى أيامًا وشهورًا[٣٤] وربما تحتبس فى عام كامل أو أعوام متصلة، ومن هنا تظهر أهمية الأنهار ونوعيتها[٣٥].

وكان لارتفاع الجبال المجاورة لفاس أهمية فى سقوط الأمطار وتكوين الثلوج على هذه المرتفعات، فنهر سبو الذى تُسقى منه مدينة فاس منبعه من جبال صنهاجة (بنى وارتين) وهى منطقة توزيع المياه فى المغرب الأقصى[٣٦]. وواضح أن

هذا النهر يعتمد على الأمطار اعتمادًا كبيرًا، لهذا نجده يمتلئ في موسم الأمطار، وقد تأتي سيولاً إن جاء الخريف والشتاء، ولهذا فالأنهار التي تعتمد كليًا على الأمطار تصبح عرضة لتقلبها[٣٧]. ومنذ عصر المرابطين عرفت مدينة فاس عملية حضارية تم بها تقسيم وتوزيع مياه نهرها، وذلك داخل نطاق ما أحدثه هؤلاء فيها من مآثر حضارية لتنظيم ريها[٣٨]. كما كان لعيون فاس الأهمية الكبرى في الاستفادة منها بتغذية الأنهار بالمياه بعد فصل الأمطار، أو استخدامها بديلاً في الزراعة أو الشرب[٣٩].

وعمل المرابطون والموحدون على توفير المياه بسحب مياه الأنهار والعيون أو حفر المخازن[٤٠]، لحفظ مياه الأمطار لمواجهة قلة المطر، حيث حفظ الموحدون المياه بفاس في مخازن (برك وصهاريج) فأقام المنصور الموحدي عددًا منها في فاس، ويبدو أن هذه المخازن كانت كبيرة، فطول مخزن بستان البحيرة بفاس مائتان وستة عشر ذراعًا، وهناك ما هو أطول من ذلك[٤١]. كما تم حفر الآبار حيث عرفت المدينة بها، ولا شك أن هذه الآبار حفرها الأهالي بعدوة الأندلس التي وُصفت بأن ماءها قليل[٤٢]، فحفرت الآبار عبر العدوة كلها حيث يوجد الماء قريب من السطح بحيث يستقى منه في عدة أماكن بسهولة[٤٣]. وعمل المرابطون والموحدون على الاستفادة من مياه الأنهار والعيون والآبار وتوصيلها إلى البسائط بوسائل متعددة .. وكانت الروافع من سواقي تعد من أكثر وسائل الري انتشارًا في مدينة فاس حيث كان في كل زقاق ودار صغيرة أو كبيرة ساقية[٤٤]. ومع اهتمام الموحدين بالزراعة شهدت فاس في العصر الموحدي جهودًا كثيرة لتوفير المياه، حيث جلبوها من أماكن توفرها إلى مناطق الزراعة[٤٥].

الحاصلات الزراعية بمدينة فاس:

تمتعت مدينة فاس بتربتها الخصبة حتى وصفت بأنها من أخصب الجهات[٤٦]، حيث وفر لها نهر سبو تربة فيضية خصبة، بالإضافة إلى اعتدال مناخها وانقسام سطحها إلى مناطق ذات ارتفاع وانخفاض، وهي في مجملها عوامل جعلتها من المناطق الزراعية المهمة، "فأزدهرت أشجارها وطابت ثمارها وأخصبت زروعها"[٤٧] مما وفر للمدينة ما يلزمها من منتجات زراعية، ومن أهم حاصلات فاس الزراعية نذكر:

الحبوب الزراعية:

وُصفت مدينة فاس في العصرين المرابطي والموحدي بأنها مخضرة كثيرة الزرع والحرث، فالقمح والشعير والخضر والبقول بها كثيرة، حيث تنتشر زراعة الفول

والحمص والعدس والسلت وغير ذلك، والأرز والسمسم اللذين كان السكان يقومون بزراعتهما بكميات قليلة[48]. وتتوفر هذه الزروع بفحص (منطقة) المصارة التى بخارج باب الشريعة من أبواب عدوة القرويين[49]، كما كان يوجد فى غرب المدينة حقول واسعة بها كميات كبيرة من الخضر والبقول بسبب تعدد السواقى هناك، وكثرة العيون فيها، حتى أنها كانت تكفى المدينة كلها[50].

كما كان يوجد فى منطقة جبل زلاغ - على بعد خمسة فراسخ من فاس - حقول كثيرة صالحة للزراعة، تسقى بماء النهر بواسطة الناعورات وكان يعمل فى هذه الحقول سكان الجبل، ويمتلك أعيان فاس أكبر حصة من أراضيهم فى هذه المنطقة وانتشرت حقول القمح الواسعة فى سهل الجبل المطل على فاس من ناحية الشرق .. وفى غرب فاس حيث سهل السايس .. وأمدت منطقتى أزغار[51] وبنى ومود[52] مدينة فاس بالكثير من غلال القمح التى كانت تحصد بهما[53].

ودعت وفرة الإنتاج من القمح بمدينة فاس إلى عمل "مخازن لتلك الغلال التى يوجد بداخلها مطامير القمح، وهى مجموعة فى مكان واحد يستدير بها سور منيع عليه باب محكم القفل"[54]. ويتضح لنا من خلال هذا النص أن الدولتين المرابطية والموحدية نظمتا عملية الاستفادة من المحصولات الزراعية، كما يتضح لنا وسائل حفظ الغلال فى العصور الإسلامية والتى كانت عبارة عن مطامير من الطين، ولا شك أن هذه المخازن قامت بدورها الفعال عندما كانت تتعرض المدينة للمجاعات.

ولم يقتصر حفظ الغلال على الدولة فقط، بل كان الأهالى يقومون بتخزين هذه الغلال، فالفقيه محمد بن إبراهيم المهدوى المتوفى عام ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م كان عنده ألف وسق[55] من القمح، فلما أصاب أهل مدينة فاس مجاعة قام ببيع هذه الغلال إلى المحتاجين وأخرهم بالثمن إلى أجل[56]. وخزن أبو زكريا يحيى إنتاج زراعته من القمح عام ٥٧١هـ/ ١١٧٦م فى غرفتين تصدق بهما على المساكين عندما اشتدت المجاعة[57]. ويتضح من مثل هذه التراجم التى أوردتها المصادر وفرة إنتاج القمح بمدينة فاس وامتلاك الأهالى لكميات كبيرة منه. لذلك كله وصفت الحنطة بفاس بأنها رخيصة الأسعار دون غيرها من البلاد القريبة منها[58].

الزيتون:

كانت زراعة الزيتون منتشرة بفاس قبيل عصر المرابطين الذين زادوا فى زراعته فكثرت بالقرب من عدوة القرويين أشجار الزيتون[59]. وشجع الموحدون على

زراعته في مناطق جديدة واهتموا بغراسته اهتماما فائقا[٦٠] فعندما ولى محمد بن واجاج مدينة فاس في عصر الموحدين غرس بمدينة فاس وبالمقرمده منها بحيرات[٦١]. أكثر غراستها من أشجار الزيتون، ويبدو أن هذه المساحات المزروعة كانت كبيرة حيث بيع حب زيتون بحيرة فاس في عام بخمسة وعشرون ألف دينار[٦٢].

كما زرعت تلال جبل زلاغ وزرهون، والجبال المطلة على فاس من جهة الشرق ومنطقة بنى مزكلده[٦٣]، وبنى ومود بكميات كثيفة ومساحات شاسعة من أشجار الزيتون[٦٤].

القطن والكتان:

زرعت في غرب مدينة فاس مساحات واسعة من القطن والكتان، في الحقول والسهول والهضاب المجاورة للمدينة وكونت حزاما حولها، وهذا التوسع في مثل هذه الزراعات كان نتيجة طبيعية لجودة التربة وإمكانيات السقي الهائلة[٦٥].

البساتين والحدائق:

في العصرين المرابطي والموحدى ازداد الاهتمام في فاس بالحدائق والبساتين بشكل لم تشهده المدينة من قبل، فوصفت المدينة بالحدائق الملتفة والبساتين الكبيرة العامرة والجنان الكبيرة والرياض[٦٦]. واشتملت فاس على بساتين متنوعة وثمار شبهت في كثرتها ببساتين دمشق[٦٧] وتمتد هذه البساتين الجميلة إلى خارج باب بنى مسافر من أبواب عدوة الأندلس بفاس في موضع يعرف بمرج قرقة تثمر فيه الأشجار مرتين في كل سنة، فيأكل كل الناس التفاح والكمثرى بالمدينة صيفا وشتاءا[٦٨]. كما تمتد هذه البساتين فيما بين باب الحديد وباب الشريعة في مسافة أكثر من فرسخ يتخللها نهر فاس الذى يخرج خارج المدينة عبر حدائق جميلة حتى يصب في نهر سبو، وفي جهة الشمال توجد بساتين وعيون الزنجفور، وفي جهة الغرب والجنوب توجد مجموعات البساتين ذات الأشجار المثمرة، كالليمون الحلو والحامض والصبر، كما يمتلئ سفح جبل زلاغ بالبساتين[٦٩].

وبفاس أصناف الفواكه التي لا توجد في غيرها من البلاد إلا متفرقة في أقاليم شتى، في حين توجد بفاس مجتمعة في غاية الحسن والطيب، واختصت بساتين عدوة القرويين بالرمان السفرى الذى ليس في المغرب مثله حلاوة ولذه، والخوخ والجوز والعنب والسفرجل والاترج، وسائر الفواكه الخريفية التي تأتى من عدوة القرويين في نهاية من الطيب والحسن والحلاوة، في حين تختص عدوة

الأندلس أيضا بحسن الفواكه الصيفية، وطيبها كالتفاح الطرابلسى الحلو الأصفر الذى ليس مثله فى جميع المغرب لحسنه وحلاوته ولذة طعمه، والتفاح وأصناف الكمثرى والمشمش والبرقوق والتوت، كل ذلك فى غاية الطيب والحسن[٧٠].

وشملت هذه البساتين أيضا على أنواع من العنب[٧١]، الذى تميزت زراعته بوفرة الإنتاج، وكان يوجد بالمدينة جبل يسمى جبل العنب على بعد نحو ميلين منها، وقد عرف بهذا الاسم لأنه كان يوجد بسفحه كثير من أشجار العنب والكروم والغزيرة[٧٢]. كذلك كانت الجبال التى تقع شرق فاس تنتج كميات كبيرة من العنب، حيث تغرس فيها كميات هائلة من أشجار الكروم وبعض الأشجار المثمرة، كما كانت كل جبال الواجهة المطلة على فاس من ناحية الغرب تنتج الكثير من العنب حيث تكسوها أشجار الكروم ولكن عنبها وما تنتجه هذه المنطقة من فواكه أخرى لم يكن له طعم طيب[٧٣].

واشتملت هذه البساتين أيضا على أنوع من التين الطيب[٧٤]. حيث تكون باكورته فى منتصف شهر مايو، وفى بداية شهر يوليو يوجد (الآجاص) الكمثرى والتفاح والخوخ والمشمش وسائر الفواكه، وعند دخول شهر سبتمبر تكون جميع أصناف الفواكه ناضجة[٧٥].

وكانت أشجار بعض هذه الفواكه تحتاج إلى تربة ذات خصائص معينة، فجادت فى مناطق، فى حين فسدت فى مناطق أخرى، حيث جادت أشجار التفاح المعروف بالطرابلس والذى يوصف بأنه حلو جليل حسن الطعم له غلة، بعدوة الأندلس فى حين أجريت عليه التجارب لزراعته فى عدوة القرويين فلم يصلح بها وجادت زراعة الاترج بعدوة القرويين، فى حين فشلت زراعته بعدوة الأندلس[٧٦].

واحتوت هذه البساتين على أنواع مختلفة من الورود والأزهار والرياحين مثل الياسمين وغيره، التى تعطر الهواء فى الصيف حتى يخيل للمرء - على حد قول مارمول - أنها جنة على وجه الأرض[٧٧]. ويضيف ابن القاضى المكناسى أن الأزهار الموجودة بفاس كثيرة لدرجة أنه لا يشق على أحد شئ من أنواعها إذا طلبه[٧٨].

وعملت الدولة الموحدية على التوسع فى هذه البساتين حيث تذكر المصادر بستان البحيرة الذى وصف بكبر مساحته، حتى بلغ متحصلة فى العام الواحد خمسة وأربعين ألف دينار، كما استصلحت مناطق جديدة وتمت زراعتها بالبساتين، مثل بستان ابن حيدر، الذى يشقه نهر فاس والذى لا يدرى أحد بسبب

كر حجمه ما انفق فيه من العرس والسيان والنجارة والزخرفة[٧٩]. هذا بالإضافة إلى زراعة نباتات اخرى فى شرق فاس مثل اليايونج والكرويا والحنا[٨٠]. إلى جانب الأعشاب الطبية الأخرى النافعة المذكورة فى كتب الاعشاب الطبية[٨١].

وانتشرت بمدينة فاس الغابات، فكان بها المحطب فى جبل مبسى بازغة واشتمل هذا المحطب على أنواع من شجر البلوط، كما انتشرت بالمدينة غابات الارز، هذا إلى جانب الاشجار الكبيرة التى شكلت غابة كثيفة من جميع الجوانب[٨٢].

الثروة الحيوانية:

ربى أهل فاس كثيرا من الأبقار والأغنام والجمال والبغال[٨٣]. أما بالنسبة للدواجن فقد ربى السكان أنواعا كثيرة من الأوز والحمام والدجاج حيث اهتموا بتربية الدجاج وحمايته فى أقفاص كبيرة[٨٤].

أما صيد السمك فكان للأنهار أثر كبير فى تزويد المدينة بثروة سمكية، حيث مارست طائفة من السكان مهنة الصيد، ففي النهر الذى يمر بمدينة فاس أنواع كبيرة من الأسماك، ذكرها ابن أبى زرع والجزنائى، حيث يخرج من هذا النهر أنواع من الحوت اللبيس والبورى والسيناخ واليوقة ووصفت هذه الأنواع بأنها لذيذة الطعم، كثيرة المنفعة[٨٥]. وتميز نهر سبو بأسماكه ذات الأوزان الكبيرة حتى أن بعضها كان يزن قنطارا أو أزيد، وقد أشار صاحب كتاب الاستبصار إلى الأنواع المختلفة من الأسماك بهذا النهر بقوله: "ويتصيد فى هذا الوادى الشابل الكبير والحوت، كما يتصيد فى بعض الأحيان البورى الكبير، وذكر الثقات أنه بيع واحد منه بثلاثة عشر درهما والرطل الكبير منه بدرهم ونصف، كما يصل إلى فاس الحوت الكبير المسمى عندهم بالقرب يحمله الحمار، وبه أنواع اللبس والشولى"[٨٦].

ثانيا: الصناعة:

يذكر ابن خلدون: "أن الأعمال الزائدة كلها تختص بالترف والغنى بخلاف الأعمال الأصلية التى تختص بالمعاش .. فما كان عمرانه من الأمصار أكثر وأوفر كان حال أهله فى الترف أبلغ من حال المصر الذى دونه". وضرب ابن خلدون المثل بمدينة فاس فى تقدم ووفرة صناعاتها[٨٧] تلك المدينة التى رتب فيها المحترفون بالحرف أحسن ترتيب. حيث نزلت كل قبيلة من سكانها فى موضع يقترب من الحرفة التى تناسبها، وأمر مؤسسها بأن لا تحترف قبيلة بما تحترف به الأخرى، فكان

فى كل موضع حرفة لا يختص إلا بها[٨٨]. وبذلك توزع سكان المدينة على أساس المهن والحرف التى يحترفونها.

وفى الفترة المرابطية كان على رأس كل مهنة من هذه المهن المختلفة رئيسا يسمى الأمين[٨٩]، أو الرئيس أو المقدم أو العريف[٩٠]، ويكون تعيينه عادة من قبل القاضى أو المحتسب، وواجبه حل المشكلات بين أهل صنعته بالرجوع إليه عند الخلاف، كما يعمل على مساعدة الدولة فى كشف أساليب مكر الصناع وغشهم ومراقبة الإنتاج و -ودته، ولهذا يتعين أن يكون من أهل الحذق فى مهنته[٩١].

وفى العصر الموحدى كان رئيس الصنعة غالبا ما يدعى أمينا[٩٢]. وصارت مدينة فاس من أهم المراكز الصناعية، حيث شهدت تقدما صناعيا فى عهد المرابطين ومن بعدهم الموحدين، وقد وصفها ابن سعيد المغربى بقوله: "هى مدينة من خواص المغرب، مليئة بالصنائع الغريبة"[٩٣].

وقامت الصناعة بمدينة فاس على دعامتين أساسيتين، الأولى توفر المواد الخام سواء كانت معدنية أو نباتية أو حيوانية، الثانية هى توفر الأيدى العاملة المدربة على الصناعات المختلفة، حيث اكتسب الصناع خبرتهم نتيجة المهارات التى تجمعت لديهم عبر السنين، كذلك نتيجة للهجرات المبكرة التى شهدتها فاس من إفريقية والأندلس، واختلاط المهاجرين بالسكان مما نتج عنه تنوع الخبرات.

ومثلت الحرف القاعدة الإنتاجية للمدينة، فقد كان الحرفيون يقومون بدور بارز فى تنشيط حياة المدينة الاقتصادية، وذلك بتحويل المواد الأولية الفلاحية والمعدنية إلى بضائع استهلاكية قابلة للتسويق[٩٤].

صناعات النسيج:

منذ بناء المدينة كانت توجد بها - حسب المخطوط الذى يؤرخ للطوائف الحرفية بالمدينة - أسواقا للقطن والكتان، وزقاقا خاصا بمحلات الحياكة[٩٥]. وكل هذه دلائل تبرهن على التوسع فى صناعة النسيج. تلك الحرفة التى أسهمت بعض العوامل فى تطوير صناعتها، وجعلتها تحتل مركز الصدارة بين أنشطة المدينة الاقتصادية، فقد كانت فاس ذات أهمية إدارية وسياسية بارزة، كما كانت دائما تمثل تجمعا حضريا ضخما يضم أعدادا هائلة من السكان، ومدينة تجارية ذات إشعاع إقليمى، فكانت هذه الظروف تحتم توفير الأنواع المختلفة من الملابس والأثواب، لسد حاجات ومتطلبات السكان والمبادلات التجارية، فليس غريبا أن تقوم فاس بدورها الفعال فى تطوير صناعة النسيج فى المغرب الإسلامى[٩٦].

وبملاحظة مدى اهتمام المرابطين والموحدين بالتوسع فى زراعة القطن والكتان[٩٧]. يتضح أثر ذلك فى تقدم هذه الصناعة، التى بلغت أوج ازدهارها فى عهد الموحدين، إذ تذكر المصادر التاريخية المهتمة بتاريخ المدينة نقلا عن مشرفها فى أيام الخليفة الناصر الموحدى عام ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م تعدادا بلغ ٣٠٦٤موضعا من الأطرزه المعدة للحياكة[٩٨]. وإن كان هذا الإحصاء قد تم فى عهد الموحدين إلا أنه كانت هناك أطرزه مشيدة من العصر السابق للموحدين، ويوضح لنا هذا التعداد مدى الأعداد الغفيرة التى كانت تعمل فى مثل هذه الدور، وما يتطلب ذلك من مستلزمات صناعية، حيث كانت العمليات السابقة على نسج القطن تشغل نسبة كبيرة من الصناع[٩٩].

وكان لتوفر الكتان بمدينة فاس أثره فى ازدهار صناعة النسيج الكتانى الذى كان له أماكن خاصة بالمدينة[١٠٠]، مثل صناعة الشرائط الغليظة والقلاع من شقق الكتان التى كان يتم تبطينها، والتى كانت تستخدم فى تغطية الشوارع وصحون المساجد من الشمس، مثل ما استخدم فى تغطية صحن جامع القرويين[١٠١]. كما ازدهرت صناعة النسيج من القطن، مثل الأشرطة والشربات التى تعلق بالركابات على صدور الخيل مع السروج، كما انتشرت حرفة الخياطة وتبييض الخيط فى درب القطان وسوق القطانيين اللذين كانا لهما شهرة بفاس[١٠٢]. إلى جانب ذلك كانت هناك صناعة الحرير، حيث كانت طرازات الحراريين بفاس كثيرة[١٠٣].

وارتبطت حرفة الغزل بصناعة النسيج أيضا، فكان بفاس ١٤١ دارا خاصة بالغزل[١٠٤]. وكانت كميات الصوف المطلوبة لتمويل هذه الحرفة تأتى عن طريق الرعاة المحليين، كما كان من اليسير نقل هذه الأصواف من الجهات الأخرى المعروفة بتربية الأغنام[١٠٥]. حيث يعالج فى المبيضات التى كانت منتشرة بداخل المدينة وخارجها[١٠٦]. وكانت العمليات الأولية السابقة للغزل تقوم بها النساء فى المنازل حيث يقمن بتدليك الغزل بالماء ليتحسن وجهه ويزيد من وزنه، لذلك أمرت كتب الحسبة بتيبس الغزل فى الشمس وكانت الكميات التى تقوم بغزلها النساء كبيرة، بحيث يتمكن من بيعها وشراء مستلزمات منزلية أخرى[١٠٧].

وتنوعت الملابس بفاس فكان منها الكتانى والقطنى والصوفى والحريرى[١٠٨] وعرفت المدينة فن صباغة الأقمشة، تلك المهنة التى ارتبطت أيضا بصناعة النسيج ارتباطا وثيقا، فيذكر ياقوت الحموى أن "بفاس كان يصبغ الأرجوان والأقمشة القرمزية"[١٠٩]. وكانت عملية الصباغة تتم بعد أن يقوم الصباغون بغسل

الأقمشة التي يريدون صبغها في ساقية[110]. وراقب المحتسبون هؤلاء الصباغين الذين نهوا عن الصبغ بالمثان في لون أخضر ولا بالبقم[111] في لون سماوي، فإنها دلسة يتحول معها اللون سريعا، كما تفقد هؤلاء المحتسبون ما يصبغ هؤلاء من قماش البز والكتان[112].

وبذلك كان لمدينة فاس منذ تأسيسها وخلال كل العصر الوسيط حظا كبيرا من صناعة النسيج في المغرب الأقصى، ولا شك أن ذلك شارك بفاعلية في تحريك وازدهار اقتصادها[113].

صناعة الورق:

كان الورق يصنع في المغرب من القطن والكتان[114]. وصناعة الورق - على حد قول ابن خلدون - من توابع العمران، واتساع نطاق الدولة حيث التآليف العلمية والدواوين، وحرص الناس على تناقلها في الآفاق[115] فكانت مدينة فاس منذ عصر المرابطين وخاصة أيام علي بن يوسف بن تاشفين مركزا للوراقة، حيث كان بها ١٠٤ معملا لعمل الكاغد (الورق) وهذا يدل على انتشار الكتابة على الورق إلى جانب الرق في المغرب منذ العهد المرابطي[116]. ووردت ترجمات لشخصيات فاسية احترفت صناعة الورق مثل أبو العباس أحمد بن عبد الله بن هشام اللخمي المولود في فاس ٤٧٨هـ/ ١٠٩٥م، سكن مصر، ووصف بأنه ناسخ يعيش من الوراقة، كما ذكر أبو زيد عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن الصغير المتوفى بمراكش عام ٥٢٣هـ/ ١١٢٨ - ١١٢٩م، والذي سكن فاس والتزم حرفة الوراقة في حانوت غرب جامعها[117]. حيث حي الكغادين الذي اشتهر سكانه بصناعة الورق[118]. وهذا يجعلنا ننفي ما ذكره عز الدين موسى[119]، من أن فاس كانت من ضمن المراكز الجديدة لصناعة الورق في العصر الموحدي. فهي لم تكن من المراكز الجديدة في هذا العصر، بل عرفت هذه الصناعة منذ العصر المرابطي، وأن بلغت فيها صناعة الورق شأوا كبيرا في العصر الموحدي حيث كانت بها معامل كثيرة تنتج ورقا جيدا، بلغت أربعمائة معملا لصناعة الورق[120]. ونظمت هذه الصناعة بحيث يتم اختيار الخرق وتميزها وتضبط وتنظف من جميع الشوائب[121]. فيكون أجودها ما صفا لونه ونعم لمسه وثقل وزنه[122].

وهذه الصناعة كانت المادة الأصلية الفعالة في نشر الثقافة، وكانت سيدات فاس يقمن بالمشاركة في تلك الصناعة ويتقنها، واشتهرت بصناعة أوراق (البسطيلية) التي تدل على المهارة في صناعة الورق[123].

ويعد العصر الموحدى، العصر الذهبى لصناعة الورق فى المغرب بصفة عامة، ومدينة فاس بصفة خاصة، ومما يدل على انتشار هذه الصناعة بمدينة فاس أن مكتبة أحد قضاة فاس من بنى الملجوم كانت كلها من الورق لدرجة بيعت فيها كتبه غير المجلدة بستة آلاف دينار(١٢٤). مما يدعو إلى القول بأن الطلب على الورق قد ازداد، ومن ثم كثر الإنتاج، خاصة وأن المواد الخام قد توفرت خلال القرن السادس الهجرى/ الثاني عشر الميلادى، وربما يرجع السبب فى ازدهار صناعة الورق إلى عاملين. أولا: أن المغرب الأقصى قد أصبح مركز القيادة السياسية والإدارية، والدولة تحتاج إلى الورق لتقيد شؤون الإدارة، خاصة المالية منها، كما أن القيادتين المرابطية والموحدية قامتا على رسالتين دينيتين، فكثيرا ما استخدمت الرسائل للدعاية السياسية. ثانيا: عظم الاهتمام بالكتب، وأصبحت البلاد سوقا جديدة له، ويؤكد ذلك ما لقيته صناعة الورق والنساخة من ازدهار والمكتبات الخاصة من انتشار، وما حظيت به الكتب من عناية(١٢٥). ونضيف إلى العاملين السابقين، انتشار مكاتب العدول - التوثيق - التى كانت تحرر فيها جميع أنواع العقود والشروط سواء ما تعلق منها بالمدينة أو البادية(١٢٦).

وقامت على صناعة الورق عدة صناعات أخرى كانت مكملة لها، ومن هذه الصناعات، صناعة السفير أو التجليد، وقد اهتم المسلمون فى المغرب والأندلس بهذه الصناعة اهتماما كبيرا، وصنفت الكتب التى تصف هذه الصنعة وتتحدث عنها مثل "كتاب التيسير فى صناعة التسفير" لأبى بكر بن إبراهيم الأشبيلى، نزيل فاس ومراكش والمتوفى عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م(١٢٧).

وفتحت صناعة الورق لأهل فاس مهن أخرى أقبل عليها أهل المدينة مثل حرفة النسخ، حيث كان يقوم بها عدد من الفقهاء والعلماء الفاسيين وبلغوا فيها شأوا كبيرا، حتى وصف بعضهم ببراعة وحسن الخط، وما لزم هذا من زخرفة وتزيين وتذهيب(١٢٨). وكان البعض يعتمد فى معيشته على هذه المهنة، والتى يبدو أن العمل بها كان يمتد حتى ساعات متأخرة من الليل كان يتم النسخ أثناءها على ضوء السراج، ويبدو أن هذه المهنة لم تكن تدر المكاسب الكبيرة على المشتغلين بها(١٢٩).

وكان لاحتراف هذه المهنة الأثر الكبير فى الاحتفاظ بالعلوم المنسوخة الكثيرة، فعقيق بن على الصنهاجي الحميرى المكناسى ثم الفاسى المتوفى عام ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م من السابقين الأولين فى هذه الصناعة، كتب بخطه علما كثيرا، ومحمد بن جرير المعروف بابن تاخمست الفاسى، المتوفى عام ٦١٨هـ/ ١٢١٢هـ

كان له خط حسن ينسخ المصاحف بيده ويدفعها لمن يراه أهلها لها ابتغاء الثواب، كما كتب محمد بن سعيد الطراز المتوفى عام ٦٤٥هـ/ ١٢٥٠م بخطه كثيرا من العلوم(١٣٠).

طحن الغلال:

ومن الصناعات التى كانت تقوم على الإنتاج الزراعى، طحن الغلال فقد كان لوفرة الإنتاج من القمح والشعير، ووفرة المياه فى مدينة فاس أثره فى أن ينشئ أهل المدينة الارحاء المائية بأعداد كثيرة(١٣١). وبلغت هذه الصناعة ذروتها فى العصر الموحدى حيث عدت الأرحاء التى كانت بداخل سور مدينة فاس فوجدت ٤٧٢ رحى، وذلك سوى ما كان بخارج الأسوار(١٣٢). حتى وصفت بأن أحجارها كانت طاحنة(١٣٣)، حيث كانت تعمل جميع هذه الأرحاء التى تبلغ الواحدة منها أربع أو خمس عجلات وأحيانا ست عن طريق المياه التى وفرها لها النهر الذى يخترق المدينة، وخصص بعض هذه الطواحين لطحن قمح المنازل، والبعض الآخر يملكه طحانون أو خبازون يبيعون الدقيق بالتقسيط إلى الصناع وغيرهم من الذين ليست لديهم وسيلة لشراء القمح، وتخصص البعض الآخر فى طحن القمح للسكان فى مقابل مال أو دقيق(١٣٤).

وقامت على صناعة طحن الغلال، صناعة الخبز فكان بفاس فى العصر المرابطى والموحدى أماكن مخصصة لخبز العيش، بلغت هذه الأماكن فى العصر الموحدى ١١٧٠ فرنا متفرقة فى جهات المدينة وأزقتها(١٣٥)، ووصفت هذه المخابز بأنها شاحنة(١٣٦)، حيث كان الأهالى يحملون خبزهم إلى هذه الأفران فتتم هنالك صناعته(١٣٧).

صناعة الزيوت والصابون:

بالرغم من قلة إنتاج السمسم، إلا أنه كان يستخلص منه نوع من الزيوت اسمه شيرج، خصص للذين يصف لهم الأطباء أكله(١٣٨)، كما استخلص الزيت من شجر الارقان(١٣٩). ونظرا لموقع فاس القريب من الأراضى المزروعة بالزيتون، فإن أحمال الزيتون كانت تتجه إليها يوميا، وذلك حتى يقوم الصناع باستخراج زيت الزيتون منه(١٤٠)، عن طريق "العصر أو الطحن أو الغلى"(١٤١) حيث كثرت معاصر الزيتون، وتحول الناس إليه بعد اهتمام الموحدين بزراعته(١٤٢). وأدت كمية الإنتاج الوفيرة من الزيت خلال العصر الموحدى إلى ازدهار صناعة الصابون فى فاس، التى كان فيها فى عهد المنصور الموحدى ٤٧ دارا لصناعة الصابون(١٤٣). والذى كثر

إنتاجه لدرجة أنه كان يباع في حوانيت عديدة، ويظهر أن لونه كان أسود وهو نوع لا يوجد غيره بأفريقية[١٤٤].

صناعة ماء الورد:

اشتهرت فاس بأنواع من الأزهار لا توجد في غيرها من البلاد، منها الرتد والياسمين والأزهار العطرة والرياحين، وأنواع من الورود الكثيرة[١٤٥]. مما شجع على ازدهار صناعة ماء الورد، وقد أعطى الطغنرى وصفا دقيقا لهذه الصناعة فوصف الفرن ومقاييسه وطريقة التقطير وحفظ الإنتاج، وتطيبه بالمسك أو الشب أو الكافور ونسب ذلك[١٤٦]. ولكن يبدو أنه كان من الصعب صناعة العطور بكثرة من هذه الورود والأزهار، لذا كان أهل فاس يجلبون أنواعا من العطور الهندية[١٤٧].

الصناعات الخشبية:

شهدت فاس تقدما واسعا في الصناعات الخشبية، حيث كان للأوضاع السياسية والضروريات العسكرية أثره في التوسع في هذه الصناعة، فأنشأ الخليفة عبد المؤمن بن على دار صناعة السفن بالمعمورة في منطقة الحبالات قرب مدينة فاس[١٤٨]. حيث تتوفر في هذا المكان غابات تحتوى على كميات كبيرة من أشجار البلوط العالية، كما يحمل الحطب إليها من الجهات المجاورة[١٤٩]. وبلغ التوسع في صناعة السفن لدرجة أنه قد صنعت بهذه الدار مائة وعشرون قطعة من السفن الحربية، كما كانت هذه الدار تصنع السفن الصغيرة التي كان يستخدمها أهل فاس للصيد في نهر سبو[١٥٠].

كما أن عمارة المساجد وبناء القصور والبيوت في هذا العصر قد تركت آثارا كبرى في تطوير الصناعات الخشبية، بما احتاجته من أسقف ونوافذ وأبواب ومنابر ومقصورات وأثاث وتحف زخرفية. وكانت السقوف الخشبية تغشى بالقصدير والأصباغ الملونة، والأبواب تغشى كلها بالنحاس الأصفر، وكانت المنابر والمقصورات تزخرف بأشكال هندسية ونباتيه، وتطعم حشوات المنابر بالعاج والأبنوس والصندل والنارنج والعناب وأصناف الخشب العظيم، مثال ذلك منبر جامع القرويين بفاس الذى صنعه المرابطون، وقد ورد في المصادر أسماء بعض ممن برع من أهل فاس في العصرين المرابطي والموحدى في مثل هذه الصناعات أمثال: أبو يحيى العتاد، وابن مسعود البنائي الذى كان أعرف الناس بالنجارة[١٥١].

واشتهرت مدينة فاس أيضا بصناعة المخروطات الخشبية التي كان لهم حسن صنعة فيها[١٥٢]. فأزدهرت صناعة المحاريث وعجلات العربات، وعجلات أخرى كبيرة

للطواحين أو لرفع الماء، وأيضا صناعة المكاييل الخشبية لكيل القمح والغلات الأخرى[١٥٣].

كما انتشرت صناعة المزامير، والعيدان، والروط، والأربية، من الأخشاب[١٥٤]. وتتطلب كل هذه الصناعات كميات كثيرة من الأخشاب لذا كان يدخل مدينة فاس من خشب الأرز كل يوم مالا يحصى[١٥٥].

صناعة دبغ الجلود:

اشتهرت مدينة فاس بصناعة دبغ الجلود[١٥٦]. تلك الصناعة التى تقوم أساسا على جلود الضأن والبقر والماعز، وكانت هذه الصناعة عظيمة الانتشار لدرجة أن الإنتاج المحلى من الجلود بالمدينة لم يعد يكفى لها، مما دفع أهل فاس إلى جلبها من المناطق المجاورة[١٥٧].

وتمر عملية دباغة الجلود بعدة مراحل، حيث تخضع الجلود أولا لعملية نزع الصوف أو الوبر، وعرف القائمون على هذا الأمر باسم الشعارين والصوافين[١٥٨]. وكانت هذه العملية تتم فى أماكن خصصت لها أقيمت خارج المدينة قريبة من مجارى المياه، ومما يجدر ذكره أنه كانت هناك اختصاصات لدور الدباغة حيث أن بعضها كان مختصا بدباغة جلود الضأن والماعز، وأخرى مخصصة لجلود البقر، وكانت تتم فى هذه الدور صناعة الجلود الناعمة[١٥٩]. وعظمت صناعة الدباغة بفاس، وبلغت أوجها فى العصر الموحدى، حيث كان فى أيام المنصور الموحدى ٨٦دارا للدباغة[١٦٠] وعند نهاية عملية الدباغة تعرض الجلود للبيع، فتأتى حرف أخرى، ومحترفون آخرون لشراء هذه الجلود[١٦١]. ويذكر عز الدين موسى أن مدينة فاس كانت من ضمن المراكز الجديدة لصناعة الدباغة فى العصر الموحدى[١٦٢] ولا نوافق موسى فيما ذهب إليه، بل أن صناعة الدباغة بفاس كانت منتشرة قبل العصر الموحدى، ولم تكن كثرة الدور الخاصة بهذه الصناعة نتاج العصر الموحدى وحده.

وارتبطت بصناعة الدباغة، صناعة الصباغة القائمة على صباغة الجلود وقد بلغت فاس شأوا بعيدا فى فن الصباغة فى العصر الموحدى، ويبدو أن القائمين على هذه الحرفة كانت أعدادهم كبيرة، وقد بلغت دور الصباغة بفاس ١١٦ دارا، وعادة ما تكون أماكن هذه الدور على الأنهار، حيث أنها من الصناعات التى تحتاج إلى مياه كثيرة[١٦٣].

وبرع أهل فاس فى الصناعات الجلدية مثل أكياس النقود، وأحزمة الجلد المزخرفة بالحرير الملون، ونوع من الأزمة المذهبة لقيادة الخيل، كما كان

الاسكافيون يصنعون أحذية مطرزه، إلى جانب الإخفاف والنعال المزخرفة بالجلد والحرير[164]. وظهر نوع منها يسمى الاقراق يباع مع أدوات الموسيقى، هذا إلى جانب الدفوف[165]. كما كانت تصنع الأغشية من الجلود مثال ذلك غطاء منبر جامع القرويين الذى صنع من أغشية جلود الماعز[166].

الصناعات المعدنية:

شهدت مدينة فاس تطورا كبيرا في الصناعات المعدنية في العصرين المرابطي والموحدى، فتم كشف بعض المناطق التى تتوفر بها المعادن، والعمل على استخراجها، والاستفادة منها.

فعلى بعد ستة أميال من فاس، تم اكتشاف معدن الملح، وعملوا على استخراجه من ملاحة طولها ١٨ ميلا، عرفت فيها أصناف من الملح الأبيض، يذكر بعض المؤرخين أنه لا يوجد في معمورة كرة الأرض مثله، ووصفت كمياته بأنها كثيرة جدا يباع عشرة أصواع بدرهم وأقل أو أكثر بحسب ما يجلب[167].

وعمل أهل فاس على الاستفادة من النهر الذى يمر بالمدينة، فاستخرجوا منه "الصدف الحسن الذى يقوم مقام الجوهر النفيس، تباع منه الحبة بمثقال من الذهب أو أقل أو أكثر، وذلك لحسنه وصفائه وعظم جرمه"[168]. واستخرجت الفضة والحديد والنحاس من معدن قرب فاس يسمى معدن عوام الشهير "فاشتهرت فاس بنحاسها الأصفر"[169]. وتقدمت المدينة في الصناعات الحديدية والنحاسية، فكان لأهلها اليد الطولى فى صناعة المخروطات النحاسية[170]. ولئن بدأت هذه الصناعة فيها خلال العصر المرابطي، فقد بلغت كامل ازدهارها في العصر الموحدى، خاصة أن المعادن المكتشفة قد ساعدت على مضاعفة الإنتاج، حتى أصبحت فاس مركزا للصناعات المعدنية في المغرب الأقصى، فكان بها ١٢ دارا لصناعة النحاس والحديد[171].

وتعددت أسواق الحدادين بفاس لحاجة المجتمع لمزيد من المصنوعات الحديدية من مسامير وسكاكين وسيوف، وركاب خيل، وأبر وأدوات الخياطة وأدوات أخرى عسكرية ومدنية، ومن الملاحظ أن أعمال الحدادة لم تكن تقتصر على حرفتها فقط، بل كانت تتعداها إلى أعمال أخرى، فاشتغال النجارة وأعمال البناء متوقفه أحيانا على اشتغال الحداد الذى يتناول منها جانبا خاصا وهو ما يتعلق بحرفته المرتبطة بالحديد[172].

ومما يدل على تقدم الصناعات خاصة في مجال المعمار في العصر الموحدى استخدام الحديد فى تنصيب رسومات المساجد على أعمدة من حديد فوق القبة، وعند زيادة إنتاج النحاس تحولت عملية تنصيب هذه الرسومات على أعمدة من نحاس، كما استخدم الحديد والنحاس فى صناعة الأنابيب لسحب المياه إلى المدن أو توزيعها فيها، وتم استخدام الرصاص فى صناعة القواديس الخاصة بالبيلة والخصة[١٧٣]. بجامع القرويين كما استخدم الرصاص فى تلبيس الصهاريج، وفى صناعة قواديس لجر المياه[١٧٤]. كما استخدم النحاس فى صناعة الخصة والأنابيب التى تصب الماء، فصنع خصة من نحاس أحمر مموه بالذهب، قامت على ساق من نحاس منقوش يبلغ طوله خمسة أشبار من الأرض، وتفنن صناع فاس فى ذلك فقسموا الساق إلى نصفين يصعد الماء من نصف منها فيفور فى وسط الخصة من تفاحة فيها عشرة أنابيب، كما صنعت أكواب مموهه بالذهب بسلاسل من نحاس دائرة بها يشرب الناس منها[١٧٥].

كما صنعت ثرية جامع القرويين فى فاس من النحاس مؤلفة من ٥٠٩ قنديل تزن ١٧,٥ قنطار و١٣ رطلا من النحاس[١٧٦] وحفلت المصادر بوصف التحف المعدنية التى كانت تزين المساجد والقصور، أو كانت جزءا من البناء مثل الأبواب المصحفة بالنحاس، أو كانت مستعمله فى القصور والمنازل مثل المسارج والمباخر والأوانى، أو التى كانت تعين على الدراسات الفلكية مثل الاسطرلاب، وهى تؤيد قيام صناعات معدنية وتبين لنا مدى تقدمها فى تلك البلاد[١٧٧].

صناعة السكة:

وانعكس توفر المعادن فى اتخاذ مدينة فاس مقرا لسك العملة فكان فيها دارين للسكة[١٧٨]. فسكت فيها الدنانير المرابطية من عام ٤٨٤ إلى ٥٣٩هـ - ١٠٩١ - ١١٤٤م، ثم ضربت بها عملات الموحدين الذهبية والفضية والنحاسية المتعددة[١٧٩].

واستمرت دور السكة بفاس فى القيام بصناعة السكة إلى أن نقلها الخليفة أبو عبد الله الناصر بن المنصور الموحدى لدار بناها عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م واعتبرها مودعا للأموال المندفعة بها ولطوابع سكتها، وأتقن ثقافها على أتم حال، وكان غالبا ما يسك فيها الذهب[١٨٠].

وكانت دار السكة تخضع لإشراف إدارى وفنى، أما الإشراف الإدارى فقد اختص به الناظر، وهو المشرف المباشر الدائم لدار السكة، فكان يحضر فتحها والختم

عليها عقب الانتهاء من الأعمال، إلى جانب فحص النقود التى يقدمها له السكاك ليجربها بميزانه .. كما يقوم بتفقد الدنانير والدراهم بعد الطبع[١٨١].

ويأتى بعد ناظر السكة من حيث الأهمية الإدارية، الشاهدان اللذان يقومان بمراقبة بعض الأعمال المتعلقة بالصيانة والمحافظة على دار سكة العملة[١٨٢]. ويأتى بعد الإشراف الإدارى، الإشراف الفنى، بمعنى مراقبة كل ما يتعلق بصهر المعادن النفيسة كالذهب والفضة والنحاس، وتحديد عيارهما، ثم الختم على السكة بقوالب أعدت لذلك .. وحدد أبو الحسن الحكيم، الفنيين بدار السكة وصنفهم إلى ثلاث فئات هم: (معلمون - عاملون - ومتعلمون) أطلق عليهم (السكاكين) أسندت إليهم أعمال صعبة ودقيقة جدا تركزت فى عمل السبائك وتقطيعها - بمقدار الدينار أو الدرهم[١٨٣].

كما وجد فى الإشراف الفنى الفتاح الذى يختص بعملية النقش أو الحفر "فلكل شئ أساس، وأساس أعمال السكة الفتاح، فهو أصل من أصولها فإن استقام استقامت الأعمال بها"[١٨٤]. وكانت عملية سك النقود تحتاج إلى خطوتين مهمتين هما: تحضير قوالب السك التى تضرب بها السكة، وتحضير خامة السكة (أى السبيكة) .. فكانت القطعة النقدية نتاج قوالب معينة تنقش فيها صورة الكتابات مقلوبة يضرب بها الدينار أو الدرهم أو الفلس، فتخرج تلك النقوش على السكة ظاهرة .. وتعددت هذه القوالب فمن أنواعها المحفور والمصبوب[١٨٥]. أما خامة السكة فكان يتم إعدادها من الذهب والفضة والنحاس الخام بعد تخليص كل معدن مما قد يكون مختلطا به من الشوائب[١٨٦]. ولعل أهم الطرق التى كانت تستخدم فى إعداد السبيكة للسك هى الطريقة الجافة أى بالتعليق، وذلك بأن يسبك الذهب المخلوط بالفضة فى النار عدة مرات أما التبر المجلوب من أرض السودان وغيرها فيؤخذ ويسبك الخشن منه ويدقق بالمطرقة ويقطع ويخلط[١٨٧].

هذا إلى جانب وسيلة الضرب فى إنتاج السكة وسائل أخرى قد استحدثت عن طريق الطرق والصب. فطريقة الطرق تستند إلى صب المعدن الذهبى المذاب والمقدر بالمعيار فى قوالب طويلة، لتقطيعه قطعا مستديرة تكون الدنانير أو أنصاف الدنانير .. أما طريقة الصب فتمتاز بالسرعة فى الإنتاج والاقتصاد فى النفقات، وتتلخص هذه الطريقة فى صب السكة المدورة على أحد وجهى القالب بعد أن ينصهر الذهب بمقدار العيار فيأخذ الذهب شكل أحد القالبين وهيئة النقوش الغائرة فيه بمجرد صبه[١٨٨].

الصناعات الفخارية:

تتصل الأوانى الفخارية والخزفية بحياة الناس اتصالا وثيقا، وهى تعكس تدرج البشرية فى سلم الرقى بصورة واضحة[189]. لذلك أصبح لهذه الصناعة مكان خاص بها تصنع فيه الأجر والقواديس والآنية والزليج وغيرها، واشتهرت مدينة فاس بالصناعات الفخارية لقربها من أمكنة معروفة بطينها الجيد الذى تصنع منه مثل هذه الأشياء فى قوالب خاصة، ثم تدخل إلى أفران لتأخذ ما يلزمها من حرارة للتماسك والصلابة، وكان لهذه الصناعة جانب صناعى وجانب فنى ممتاز[190].

وأصبحت فاس فى العصر الموحدى منطقة كبرى لإنتاج الفخار، وقد كان فيها أيام المنصور الموحدى ١٨٨ معملا لصناعة الفخار، وكانت هذه المعامل جميعها خارج نطاق السور[191]. وهذا يوضح لنا العلاقة بين مواضع السك ومثل هذه المنشآت الصناعية التى دفعت معاملها إلى أطراف المدينة الخارجية بعيدا عن التجمعات السكنية بسبب إحداثها ضررا لما يصدر عنها من دخان أو رائحة كريهة. حيث وضعت عند أطراف المدينة متوافقة مع اتجاه الريح التى تهب على المدينة لمنع وصول الضرر بفعلها[192].

وأسهمت هذه الصناعة بدورها فى حركة العمران التى شهدتها فاس فى العصرين المرابطى والموحدى، وما احتاجته حركة البناء والإصلاح من أجر، ويذكر لنا كل من ابن أبى زرع والجزنائى على سبيل المثال أن أعداد الأجر المستخدمة فى إصلاح صحن جامع القرويين كانت أكثر من اثنين وخمسين ألف أجرة[193].

الصناعات الزجاجية:

اشتهرت مدينة فاس بالصناعات الزجاجية حيث كان بها ١١ مصنعا لعمل الزجاج[194]. وكان العمل يجرى بهذه المعامل تحت الأرض حتى لا تتأثر هذه الصناعة بالريح والغبار[195]. وكانت معامل الزجاج خارج نطاق السور وتقع بعدوة الأندلس بفاس[196]. وتفنن الفاسيون فى صنع أشكال متقنه من أنوع الزجاج بألوان مختلفة، مثال ذلك ما ركب فى جانب الشمسيات التى بجوانب القبلة بمسجد القرويين، كما صنعت قوارير الزجاج التى كانت تسرج فى أول الليل وآخره[197].

ثالثا: التجارة:

سياسة الدولتين المرابطية والموحدية الضربية

يتطلب تناول الحركة التجارية بمدينة فاس فى عصرى المرابطين والموحدين الحديث أولا عن سياسة الدولتين الضريبية. تلك الإجراءات التى تكون

في بداية الدولة قليلة، وفي أخر الدولة تكون كثيرة، والسبب في ذلك أن الدولة إن قامت على سنن الدين أو التغلب والعصبية، لم يكن هناك إلا المغارم الشرعية من الصدقات والخراج والجزية وهي قليلة، كما أن العصبية تقضي المسامحة والمكارمة والبعد عن أموال الناس، فإذا قلت الوزائع والوظائف[١٩٨]، على الرعايا نشطوا للعمل ورغبوا فيه، فيكثر الاعتمار ويزداد المحصول بقلة المغرم، فإذا استمرت الدولة واتصلت وتعاقب ملوكها، وانغمسوا في النعيم والترف تكثر الوظائف والوقائع، حينئذ على الرعايا والأكرة والفلاحين وسائر أهل المغارم ويضعون المكوس على المبايعات وبمقدار تدرج عوائد الدولة في الترف وكثرة الحاجات والإنفاق تثقل المغارم وتتدرج في الزيادة قليلا[١٩٩]. فإلى أي حد ينطبق ذلك القول على سياسة المرابطين والموحدين الضريبية.

نبعت السياسة الضريبية التي اتبعتها دولة المرابطين من المبادئ التي قامت عليها دعوتهم، ونادى بها إمامهم عبد الله بن ياسين، فشاع عنهم منذ بداية حكمهم إزالة المكوس وإسقاط المغارم المحدثه، وأخذ ما أوجبه الكتاب والسنة، فطهروا بيت المال من الضرائب غير الشرعية، حيث اكتفوا بالزكاة والأعشار[٢٠٠]. كما أسقط يوسف بن تاشفين الضريبية بقوله: "لم يوجد في بلد من بلاده، ولا عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكسي ولا معونه ولا خراج في بادية ولا حاضرة إلا ما أمر الله تعالى، وأوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاة والأعشار، وجزية أهل الذمة، وأخماس غنائم المشركين"[٢٠١]. فهل سياسة يوسف بن تاشفين هذه انطبقت على باقي أيام الدولة المرابطية، أم أن ثمة تغيرا قد طرأ على هذه السياسة.

وفي رواية ثانية لصاحب الأنيس المطرب نقلا عن ابن جنون يقول: "لم يجر في عملهم طول أيامهم رسم مكس ولا معونه ولا خراج في بادية ولا حاضرة، ولا وظيفة من الوظائف المخزنية حاش الزكاة والعشر، فأحبهم الناس إلى أن خرج عليهم مهدي الموحدين عام ٥١٥هـ"[٢٠٢]. ١١٢١م فهناك تغير طرأ على هذه السياسة الضريبية بسبب الظروف السياسية التي تعرضت لها دولة المرابطين، وإلى شئ من ذلك يذهب عبد الواحد المراكشي حين يذكر الخراج في دولة علي بن يوسف، ولكن دون أن يبين لنا متى فرض هذا الخراج، بل يذكر أنه اكتفى بما يرفع إليه من خراج[٢٠٣]. ولا نستطيع الجزم بأن ذلك الخراج قد فرض على المسلمين وغير المسلمين ويرى الدكتور حسن أحمد محمود[٢٠٤] أن ضرائب المرابطين كانت قليلة. في حين يرى عز الدين موسى[٢٠٥]. أن هذا لا يمثل إلا أوائل الفترة المرابطية أو

إمارة يوسف بن تاشفين وحده، معلقا بأن الضرائب المرابطية الشرعية لم تعد تفى بالتزامات الدولة العسكرية فى الأندلس، لاسيما مع تقلص أراضى الملكية العامة، ثم حياة الترف التى بدأ المرابطون يحيونها، ظانا بأن هذا التطور الضريبى بدأ فى أواخر إمارة يوسف بن تاشفين. لكننا نلاحظ أن هذا التطور بدأ يظهر جليا منذ إمارة على بن يوسف الذى لجأ إلى فرض الضرائب، ففى عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م أغرم أهالى فاس مالا قائلا: "فما شبعتم الخبز إلا فى أيامنا، ولا كسبتم المال إلا فى دولتنا، بعد أن ذقتم من زناته الأهوال"[٢٠٦].

ولا ريب أن الأزمة المالية اشتدت مع قيام الثورة الموحدية التى ضاعفت من التزامات الدولة العسكرية، لدرجة أن على بن يوسف بن تاشفين منع دفع العطاء لأجناده فرجع أكثرهم يكرون دوابهم[٢٠٧]. وأثرت حروب الدولة المرابطية مع الموحدين على توقف الزراعة، وما رافق ذلك من جدب حتى جفت الأراضى وقلت المجابى وكثرت الضرائب على الرعايا، وأصبحت الدولة تفرض عليهم عدد الجند الذين يصدون عدوان نصارى أسبانيا بسلاحهم ونفقاتهم[٢٠٨].

وهناك العديد من أنواع الضرائب التى فرضت، وكان من أهمها المكوس والجباية[٢٠٩]، والقبالة[٢١٠]، والمغارم[٢١١]، والمعونة أو الوظيفة[٢١٢]. ومن هذا يتضح أن المرابطين وأن تقيدوا بأخذ الزكاة من المسلمين، وأخذ الجزية من أهل الذمة، واكتفوا بالمغانم فى بداية أمرهم، فقد اضطرهم تبديل الأحوال إلى فرض ضرائب جديدة، وبخاصة فى إمارة على بن يوسف، وكان الخراج جزءا من هذه الضرائب[٢١٣].

وعندما قامت دولة الموحدين انتهجت نظاما ضرائبيا واحدا حتى نهاية القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى، فقد هاجم ابن تومرت الضرائب التى استحدثها المرابطون، وركز عبد المؤمن بن على على أن من فى طاعة الموحدين "لايطلبون إلا بما توجيه السنه وتطلبه، ولا يلزمون مكسبا، ولا مغرما ولا قبالة، ولاسيما ما تسميه الظلمة بأسمائها وتلقبه". ومن هذا يبدو أن الموحدين اقتصروا على الزكاة والعشور وأخماس الغنائم والمعادن والخراج[٢١٤].

ويذكر ابن أبى زرع أن الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على عند عودته من غزوة المهدية[٢١٥] فى نهاية عام ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م أمر بمسح بلاد أفريقية بالفراسخ والأميال طولا وعرضا فاسقط من هذا المسح الثلث فى الجبال والأنهار والسباخ والطرقات، وما بقى من أراضى فرض عليها الخراج، وألزم كل قبيلة قسطها من الزرع

والورق - أي المال - فهو أول من أحدث ذلك في المغرب[٢١٦]. وبالرغم من أن هذه الفقرة التي أوردها ابن أبي زرع ليست واضحة بحال من الأحوال إلا أنه يمكن أن يفهم منها، أن عبد المؤمن بن علي حاول إجراء مسح منظم لأراضيه لتقدير الضرائب .. ولعل عبد المؤمن حاول تقدير ما ينبغي أن يكون عليه إيراده فعمد بصورة عشوائية إلى إسقاط الثلث من مجموع مساحة ممتلكاته على أنه أراضي غير منتجة وافترض بأن الباقي خاضع للضريبة وبذلك تكون الضريبة واحدة على الأراضي بغض النظر عن خصوبتها[٢١٧]. ومن الواضح أن هذا الخراج لم يكن سوى ضريبة فرضت على الأراضي المنتجة دون مراعاة للشريعة أو أي اعتبار لمبدأ الصلح والعنوة[٢١٨]. ويرى عز الدين موسى[٢١٩]، أن أبي زرع قد خلط بين فرض الخراج وطريقة جبايته، فهذه الرواية لا تعني إلا طريقة الخراج وجبايته على أسس قبلية، فيبدو أن عبد المؤمن وهو عائد من أفريقية واجه أزمة مالية، فشرع في تنظيم الجباية الخراجية على أساسين، أولا: الخراج على الأراضي الصالحة للزراعة، ثانيا: جعلت القبيلة الوحدة الأساسية لجمع الضرائب، وهو أمر يتوافق مع تنظيمات الموحدين، ونظم دولتهم التي قامت على التنظيم القبلي. وفي خلافة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن إزداد الخراج المفروض، كما كثرة الوجوه التي يتحصل منها المال[٢٢٠].

والتزم الخلفاء الموحدون من بعد عبد المؤمن وابنه بهذه السياسة ولم يرد أن الموحدين قد فرضوا شيئا مما انتقدوه على المرابطين إلا بعد هزيمتهم في موقعة العقاب عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٣م[٢٢١]. ورافق تنظيم الموحدين لجمع الخراج وضع سياسة متشددة على عمال الجباية، ومحاسبتهم، واهتم خلفاء الموحدين بتعقب هؤلاء العمال، فكانوا يسألون عنهم الرعية، كما كانوا يستدعونهم لمراجعة أعمالهم، وكان خلفاء الموحدين يغتنمون فرصة مرورهم في المدن لتفقد سير الجباه في الناس، فكثرت نكبة عمال الجباية سواء تعلق الأمر بتقصيرهم في أعمالهم، أو شكاية الناس منهم[٢٢٢].

فالموحدون جهدوا في تحسين طريق الجباية وضبطها بمراقبة العمال وعدم إثقال كاهل الزراع، ويبدو أن هذه السياسة مع نظام الضرائب الثابت على نمط واحد كانا من دواعي تشجيع الناس على الزراعة والتعلق بالدولة[٢٢٣]. وكان لجباية الخراج في دولة الموحدين ديوان يعرف صاحبه بصاحب الخراج أو صاحب الأشغال (يكون من الموحدين) تنصرف مهامه في العمل على استخراج الأموال

وجمعها وضطها. وتعقب الولاه والعمال فبها. ثم علبه أن ينفقدها على قدرها وفى مواقيتها، وربما يلي هذا المنصب في الجهاب من عير الموحدين ممن تحسبها[٢٢٤]

وكان تنظيم الإداره المالية أوضح عند الموحدين منه عند المرابطين بسبب اعتماد المرابطين على الجيش في الجباية. بيمنا حرص الموحدون على حماية الزراع وحفظ الأموال. ففي ديوان الجباية كتاب في جميع جهاب الولاية الواحد يقيدون المتحصل في خرائط[٢٢٥]. ويضبطونها بالشهود ويرفعونها الى الخليفة، فيختمها بخاتمة .. ويبدو أن هذا التنظيم كان من دواعي الاستقرار الزراعي في العصر الموحدي[٢٢٦].

الأســواق:

ويتطلب تناول الحركة التجارية بمدينة فاس في عصري المرابطين والموحدين أيضا الحديث عن أسواق المدينة وتنظيمها في هذين العهدين حيث تمثل الأسواق مركزا للنشاط التجاري بصورة ومراحله المختلفة.

فالأسواق هي مرآة حياة المدينة الاقتصادية، وعنوان نشاطها التجاري والصناعي بل والاجتماعي أيضا[٢٢٧]. فمنذ إنشاء المدينة رتبت أسواقها واقيمت بعض المنشآت التجارية التي عرفت بالقيسارية[٢٢٨]، وكانت تضم عددا من الأسواق التي اختص كل واحد منها بنوع معين من السلع، فوجد سوق الحائكين والكتان وثياب الحرير، وسوق القطن البالي والمفصل الجديد، وتطريز الحرير، وسوق العطارين، كما وجد سوق بيع الإبرة والمخيطة والمقص، وسوق تباع فيه المعاجين والاحقاق والمراهم، وسوق الخرازين، وأهل الريحة والشرابل وسوق النجارين، ومن يصنع النواعير وأيضا سوق السلاح والمحاريث، وسوق الحدادين من سيوف ونبال وحراب[٢٢٩]. ويتضح من ذلك أنه كان لكل سوق تخصصها، واقتراب أسواق سلع معينة من بعضها مثل أسواق الثياب بأنواعها ولكن يبدو أن هذه الأسواق أصابها الفساد والتهدم في فترة الاضطرابات التي مرت بها فاس بإصلاح أسواقها، حيث قام يوسف بن تاشفين بإصلاح أسواقها وزاد في خاناتها[٢٣٠].

والذي يهمنا هو تحديد موقع الأسواق داخل المدينة، فيذكر لنا ابن القطان في وصف مقتضب أسواق فاس في العصر المرابطي من خلال ذكره للحريق الذي وقع في أسواق المدينة عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م فهده الأسواق كانت تمتد من رأس عقبة الخرازين حيث أسواق الثياب. والقراقين إلى أسواق النقالين، وغير ذلك من الأسواق[٢٣١]

وقد كنا نتوقع أن يعطينا ابن أبى زرع وصفا دقيقا لموقع أسواق المدينة، إلا أن وصفه للأسواق جاء مقتضبا أيضا، فلم يذكر لنا سوى أنها تحتوى على قيسارتين أحدهما بعدوة القرويين والثانية بعدوة الأندلس، ذاكرا من أسواقها سوق الدخان ثم سوق الخرازيين، وتربيعة[٢٣٢] الغزازين، وكانت الأسواق فى وصف ابن أبى زرع بصنفتى الوادى الكبير، حيث بداية الدخول للمدينة إلى آخرها بالجانبين منه دار الصباغين وحوانيتهم، ودار الدباغين، ودار الصبانين وحوانيت الخياطين والقصابين والسفاجين، وغيرهم مما يحتاج إلى الماء، وفى أعلى ذلك كله أطرزه الحياكة. ويذكر لنا ابن أبى زرع أن حوانيت فاس فى العصر الموحدى بلغت تسعة آلاف واثنين وثمانين حانوتا (٩٠٨٢)[٢٣٣].

ولرسم صورة واضحة لأسواق فاس فى هذه الفترة نضطر إلى الرجوع إلى مصادر متأخرة عن هذين العصرين وصفت أسواق المدينة تتخذها مثالا على سبيل القياس. ففى نهاية القرن التاسع الهجرى/ السادس عرش الميلادى، وصف ليون الأفريقى قيسارية فاس وصفا تفصيليا فذكر أنها كانت عبارة عن مدينة صغيرة تحيط بها أسوار تحتوى على اثنى عشر بابا، يعترض مدخل كل باب سلسلة كيلا تتمكن الخيول والحيوانات من الدخول إليها، ويضيف أن القيسارية كانت تضم خمسة عشر حيا، منها اثنان مخصصان لصناعة أحذية علية القوم، وحيان آخران لتجارة الأقمشة الحريرية، ويبيع بعض هؤلاء الأشرطة والشراريب لكسوة الخيول، وغير ذلك من أعمال الزينة، ويبيع الآخرون الحرير الملون لتطريز القمصان والوسائد، ويلى هؤلاء فى وصف ليون صناع النطاقات النسائية من الصوف والحرير، فقد كان يوجد بالقيسارية حيان يقطنهما باعة الأقمشة الصوفية، كذلك كانت تباع بها أقمشة وقلانس من الحرير، وعلى مقربة من هذا الموقع كان يوجد مقر صناع الفرش والوسائد، وبعض الزرابى الجلدية الصغيرة، ويلى ذلك الخياطون الذين كانوا يشغلون أحياء ثلاثة، ثم يأتى حى العمال الذين يصنعون شرائط من الأقمشة المتخذة فى صناعة عمائم الرأس، ثم حى آخر يعمل به ما يوضع على حواشئ البرانس المضفره بزخرف وزينة، ثم حى تباع فيه ألبسة مصنوعة من قماش صوفى[٢٣٤].

ويصف مارمول كرفخال بعد نصف قرن من وصف ليون الأفريقى وصفا للقيسارية انطبق إلى حد كبير مع وصف ليون لها، لكنه ذكر أن هناك زقاقا آخر يباع فيه القماش البالى، وأغطية الرأس وزرابى فخمة من جميع الأنواع، كما أن هناك عدة دكاكين تباع فيها ضفائر وأزرار[٢٣٥].

تنظيم الأسواق وإدارتها:

خططت أسواق فاس وفق نظم وقواعد معينة، لكن هذه النظم حددت قواعدها أكثر بعد أن أشرفت الدولة على الأسواق، وبعد أن تبلور نظام الحسبة.

ويتضح من خلال العرض السابق لأسواق فاس اختصاص كل سوق بنوع معين من السلع التجارية، كما ورد أنه كانت للأسواق أبواب خاصة، مثل باب سوق الأحد الذى يقع في غرب المدينة[٢٣٦]. كما حوت قيسارية فاس على اثنى عشر بابا، واهتم ولاة الأمر بتسهيل حركة المرور وتأمينها داخل الأسواق، لاسيما وأنها مناطق إزدحام دائم، فأقاموا فى مداخل تلك الأبواب سلاسل غليظة من الحديد تستعمل كحواجز لمنع دخول المرء إليها راكبا، وبذلك لا تتمكن الخيول والحيوانات من الدخول إليها، أى أنها لم تكن تستخدم إلا لعبور المشاة، وكانت هذه الطرقات تضيق تدريجيا كلما اقتربت من وسط المدينة ولا تصب فى ميادين مفتوحة، بل تستمر عبر أزقة السوق المتعرجة حيث يمارس أصحاب الحرف اليدوية حرفهم، ويبيع التجار بضائعهم، وكانت مداخل تلك الأسواق تغلق كل ليلة، فضلا عن إقامة الحراسة عليها[٢٣٧]. وبذلك يبدو أن تلك الأبواب وجدت لغرض المحافظة على ما فى الأسواق من سلع قد تكون ذات قيمة كبيرة، كما يتضح مدى حرص السلطة على ضرورة المحافظة على البضائع المعروضة فى الأسواق.

وتتطلب حركة التجارة داخل الأسواق اتخاذ فنادق[٢٣٨]، للتجار وقد بلغ عدد الفنادق المعدة للتجار والمسافرين والغرباء بمدينة فاس فى العصر الموحدى ٤٦٧ فندقا، يقع معظمها بجوار جامع القرويين حيث التجار الأغنياء[٢٣٩].

وعمل القائمون على الأسواق على تجميع بعض السلع الثقيلة التى تتميز بكبر الحجم والتى يؤثر نقلها داخل المدينة فى حركة المرور فى شوارعها على تركيزها فى الأطراف وفى المناطق القريبة من أبواب المدينة[٢٤٠]. فلم تكن جميع البضائع ترسل إلى السوق المركزية مباشرة، بل كانت تخزن فى الفنادق أو خانات[٢٤١] القوافل التى تقع على حدود الطريق وتستعمل كمراكز للمبادلات التجارية، وكفنادق على السواء. وفى هذا المكان يتم البيع بالمزاد العلنى على فترات دورية، ومن هذه الفنادق كانت توزع بعض المواد الخام أو السلع الأساسية على أسواق المدينة المتعددة[٢٤٢].

ولذلك تطلبت الحركة التجارية بالأسواق نقل السلع من مكان لآخر، ولتنظيم هذه الحركة وجد الحمالون وسائقوا العجلات لنقل البضائع، الذين يزاولون

مهامهم بترخيص من عامل المدينة، ولهم أمين يفصل فى نزاعاتهم، كما وجد الدلالون فى زقاق خاص بهم، وهم عبارة عن وسطاء بين التجار فيما يبتاعونه أو يبيعونه إلى المشترى، حيث يحمل الدلالون السلعة من دكان إلى آخر مبتغين فيها أعلى الأثمان[٢٤٣].

وإلى جانب القيساريات والحوانيت والفنادق والخانات، وجد الباعة الجائلون الذين يطوفون شوارع المدينة وأزقتها ينادون على سلعهم التى كانت أقل ثمنا من التى فى الحوانيت، فكان الأهالى يتركون الشراء من الحوانيت ويميلون إلى الشراء من هؤلاء الباعة الجائلين. كما كان هناك صنف آخر من التجار من أهل الذمة الذين يقومون ببيع السلع أو شرائها من النساء فى الدور، ولقد أجاز الفقهاء عملية شراء المرأة وبيعها من الرجال ومباشرة ذلك بنفسها للضرورة أو للحاجة إذا لم يقع فيه فساد ولا تهمه ولا خلوه ولا ميل للشهوة فاسدة[٢٤٤].

وخضعت إدارة الأسواق لمراقبة أمناء الأسواق الذين كانوا تحت إشراف ولاة الأمر حيث يسألون عن أسواقهم وأسعارهم وحكامهم[٢٤٥].

طرق التعامل فى الأسواق:

عرفت أسواق مدينة فاس عدة أنواع من التعامل التجارى سواء أكان هذا التعامل بين تاجر وآخر أم بين تاجر ومستهلك، ومن هذه الأنواع التعامل بالبيع نقدا، والبيع بالأجل الذى جرت العادة على توثيق ثمنه[٢٤٦]، والبيع بالتقسيط والمقايضة[٢٤٧].

أ - العملة:

تسهم السكة فى إعطائنا صورة للأوضاع الاقتصادية، إذ هى توضح مدى التقدم والاستقرار الذى ينعم به الشعب، وذلك برسم صورة لطريقة التعامل بين أفراده، وعن طريق قيمتها نستطيع أن ندرك مدى رواج التجارة أو تدهورها. كما تعد السكة مظهرا من مظاهر سيادة الدولة، فهى تلى الخطبة مباشرة، لذلك كانت تلعب دورا بارزا فى إقرار السلطة[٢٤٨] وتعد العملة من أهم مظاهر هيمنة الدولة على الأسواق والتجارة بصفة عامة، لذلك عمل المرابطون منذ قيام دولتهم على ضرب العملات ليسرى بها التعامل فى أرجاء دولتهم.

ويتميز المرابطون على عكس سابقيهم ومعاصريهم بوفرة العملات بما عليها من ألقاب وأسماء ورسومات وتواريخ. فمنذ أن تقلد أبو بكر بن عمر الحكم عام ٤٤٨هـ/ ١٠٥٧م سك أول دينار وصل إلينا من فترة حكمه عام ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م[٢٤٩].

والحقيقة أن هذا يخالف ما ذهب إليه Band من أن أول دينار للمرابطين ضرب بمدينة سجلماسه عام ٤٦١هـ/ ١٠٦٩م[٢٥٠]. وبدأ يوسف بن تاشفين في ضرب السكة باسمه بعد عام ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م حيث يذكر صاحب الأنيس المطرب أن يوسف بن تاشفين ضرب السكة من يومئذ وجددها ونقش في ديناره (لا إله إلا الله) وتحت ذلك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين[٢٥١].

وعلى الرغم من أنه لم تصلنا إلى الآن دنانير مرابطية مضروبة في مدينة فاس قبل عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م فمما لا شك فيه أنه ضربت عملات مرابطية بهذه المدينة، حيث كان بفاس دارين لسك العملة[٢٥٢].

وفيما يتعلق بوزن الدينار المرابطي فإن مجموعة باريس الموجودة بالمكتبة الأهلية البالغ عددها ١١٦ دينارا يزن بعضها ٣,٩٠، ٣,٩٨جراما والبعض الآخر ٤ جرامات، ولا يزيد وزن الباقي منها عن ٤,٣٠ جراما. وكان الذهب المستخدم من نوعية جيدة، أما عيار الدينار فكان يتراوح ما بين ٩٣، ٩٨٪ وبلغ قطره ما بين بين ٢٠ إلى ٢٧مم، أما أقطار نصف وربع وثمن الدينار فكانت بالترتيب ١٣ : ١٥، ١٥ : ١٦ وحوالي ١١مم[٢٥٣]. وحافظ الدينار المرابطي في فترة حكم علي بن يوسف ٥٠٠ – ٥٣٧هـ/ ١١٠٦ – ١١٤٣م وابنه تاشفين ٥٣٧ – ٥٤٠هـ/ ١١٤٢ – ١١٤٥م على شكله وقطره، ووزنه وبلغت نسبة نقاوة الذهب فيه فيما بين ٧٦، ٩٦٪، كما أدخلت بعض التعديلات والإضافات في نصوص الكتابة[٢٥٤]. وبلغ الوزن الكلي للدنانير المرابطية المضروبة في فاس من عام ٥٠٠ إلى ٥٤٠هـ/ ١١٠٦ – ١١٤٥م ما بين ٤,١٥، ٤,٢٠ جرام[٢٥٥]. وبلغت نسبة نقاوة الذهب فيها ما بين ٨٢,٢ إلى ٨٩,٩٪[٢٥٦].

وعلى الرغم من أن دولة المرابطين استمرت في اعتبار الذهب قاعدة لعملتها فإن المجتمع المغربي في عصر المرابطين عرف أيضا الدراهم والقراريط[٢٥٧].

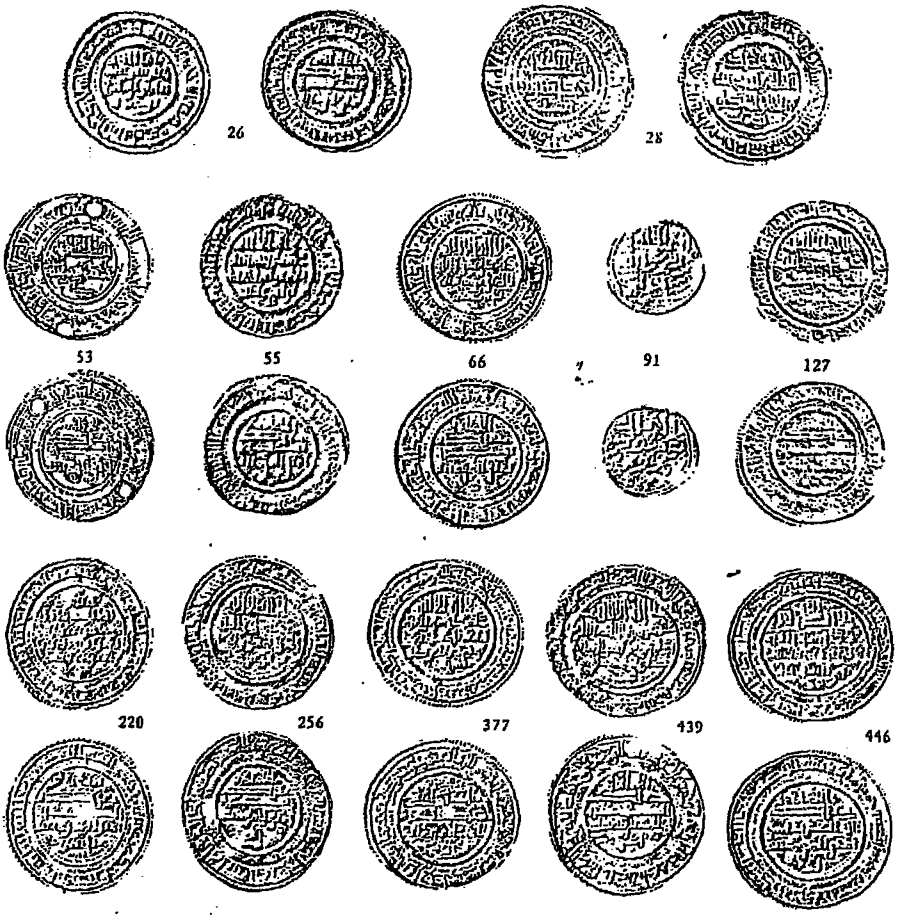

بعض العملات المرابطية المضروبة في فاس من عام

٥٠٠ ـ ٥٤٠ هـ

نقلا عن :

Lavoix: Catallogue des monnailes Muslmanes
de La bibliotheque notionale Espagne
et Afrique, Vol.3.

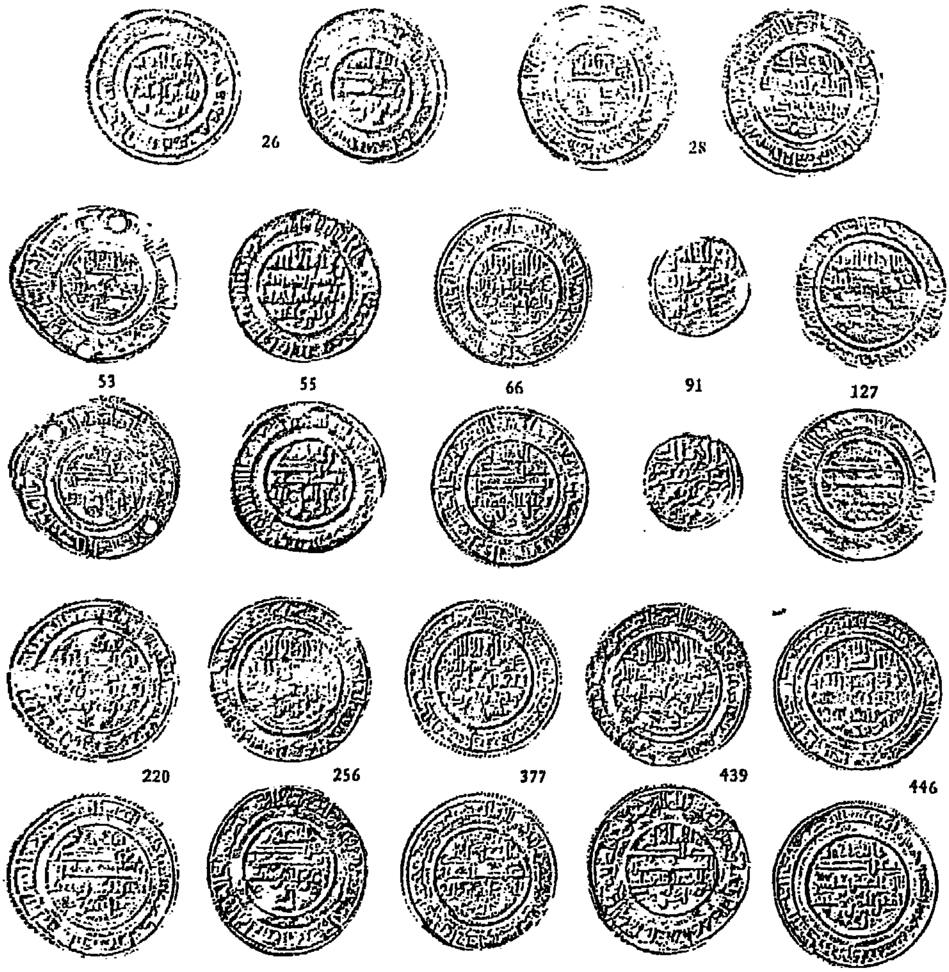

بعض العملات المرابطية المضروبة فى فاس من عام

٥٠٠ ـ ٥٤٠ هـ

نقلا عن :

Lavoix: Catallogue des monnailes Muslmanes
de La bibliotheque notionale Espagne
et Afrique, Vol.3.

وأجزاءها، فالنظام المالى الذى يسير على قاعدة ذهبية لا يمنع وجود معادن أخرى للتعامل[٢٥٨]. فالمرابطون سكوا كميات كثيرة من الفضة فى شكل دراهم تقليدية وقراريط وزن كل منها جرام واحد، كما وصلت إلينا عملات من خليط الذهب والفضة من عصر المرابطين، ولكن ليس هناك معلومات كافية عن استخداماتها[٢٥٩]. حيث يبدو أن الدراهم الفضية هذه كانت قليلة الاستعمال[٢٦٠].

ومع مجئ الموحدين ظلت كمية ونوعية الذهب المستخدم فى سك العملات كما هى، لكن حدث تغير فى معايير الوزن والحجم، بحيث يمكن اعتبار سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٦م نقطة فاصلة فى تاريخ العملات فى بلاد المغرب، حيث سكت الدنانير المزدوجة، وكذلك كسور الدنانير مما يزيد من سرعة التعامل بهذه العملات، فكان وزن الدينار الموحدى ٤,٥٥ وقطره ما بين ٢٧ إلى ٣٢مم وأصبح الدينار الموحدى على الصورة الآتيى

دينار متوسط الوزن = ٢,٢٧ جرام قطره = ١٩: ٢٢مم

٠,٥ دينار متوسط الوزن = ١,١٥ جرام قطره = ١٤: ١٦مم

٠,٢٥ دينار متوسط الوزن = ٠,٥٥ جرام قطره = ١٣ مم[٢٦١]

كذلك سكت عملات فضية مربعة فى عصر الموحدين، ووجدت رواجا كبيرا فى أيامهم، وكان متوسط وزن الدرهم المربع ١,٥ جرام ومساحته ١٣: ١٩مم. ولم يكن النحاس معدنا جديرا بالاستخدام فى سك العملات ولكن أحيانا كان يتم تقليد الدينار والدرهم باستخدام النحاس أو الفضة التى لا يمكن تميزها إلا بصعوبة، ولكن هذه المحاولات فى سك العملات كانت تواجهها معارضة حادة[٢٦٢]. وتذكر نوازل تلك الفترة أنه كان يتم استبدال

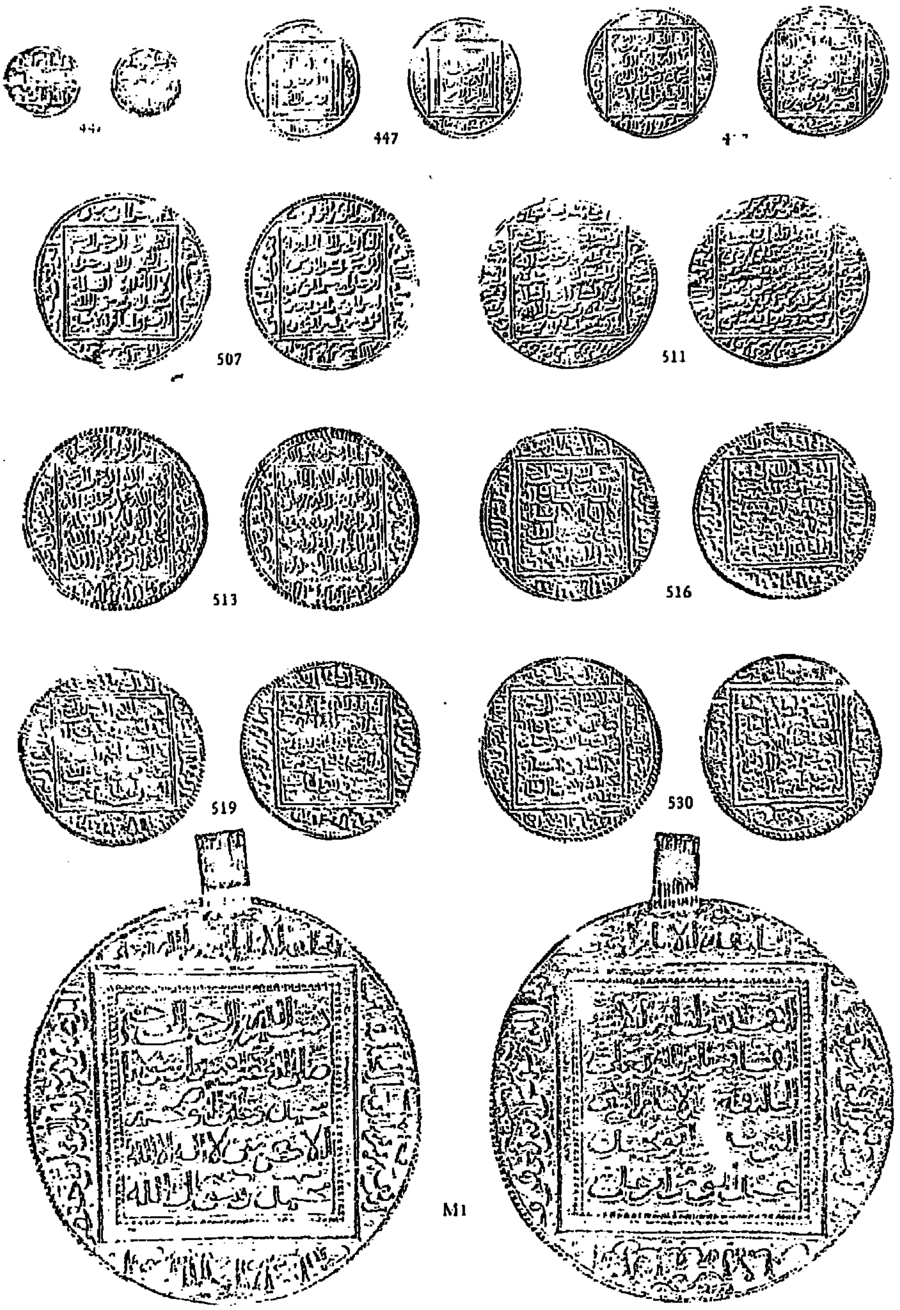

MUWAHHID Gold Coins. 446a–530, and Medal: M1

بعض العملات الموحدية المضروبة في فاس ٥٤٠ ـ ٦١٠ هـ

نقلا عن : Lavoix : Op.cit., Vol.3.

II

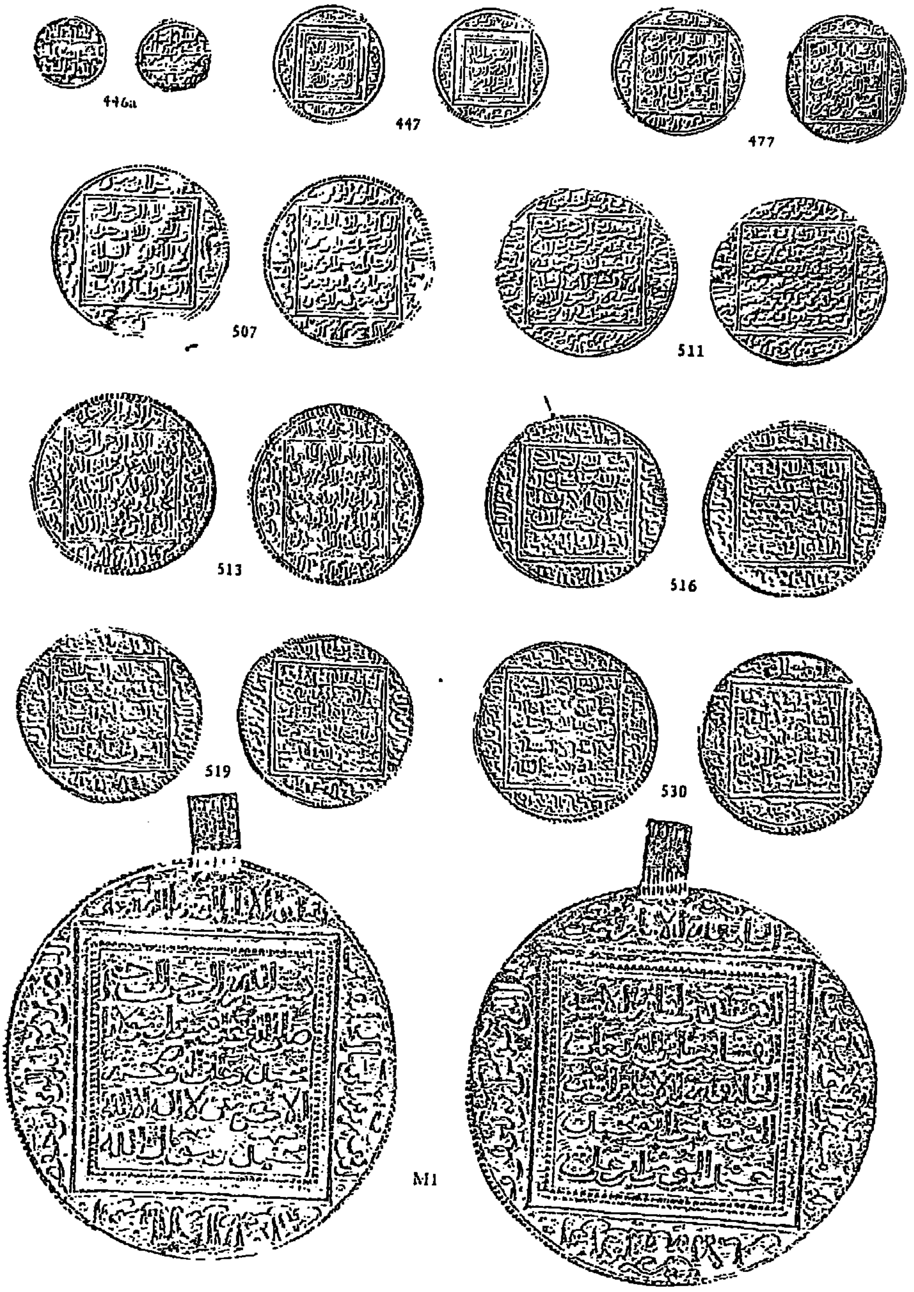

MUWAHHID Gold Coins: 446a–530, and Medal: M1

بعض العملات الموحدية المضروبة فى فاس ٥٤٠ – ٦١٠ هـ

نقلا عن : Lavoix : Op.cit., Vol.3.

الدراهم الجديدة بالقديمة وبالحلى القديمة لما خالطها من النحاس، كما تذكر تلك النوازل أيضا التعامل بالدراهم الناقصة حيث قضت الحاجة إلى ذلك(٢٦٣). وكان مثقال الذهب يمثل مائة وعشرين درهما من الدراهم الصغار، أو ستون درهما من الدراهم الكبار، لأن كل درهم من الكبار بدرهمين من الصغار(٢٦٤).

ب- المكاييل والموازين:

إن دراسة الحياة الاقتصادية والتجارية تتطلب التعرض للمكاييل والموازين التى كان يستخدمها سكان فاس فى تعاملهم اليومى، وفى شراء بضائعهم ومستلزماتهم، فكانت وحدات الكيل التى يستخدمها أهل فاس كما أشار إليها البكرى هى المد الذى حدد سعته بقوله: "ومدهم يسع من الطعام ثمانين أوقية". ويطلق على هذا المد اسم اللوح، ويذكر البكرى أيضا وحدة وزن يطلق عليها "الأواقى" خصصت للمأكولات من زيت وعسل ولبن وزبيب(٢٦٥). وقد شاع استخدام هذا فى عصر الدولة المرابطية.

وكان الكيل الأكثر استعمالا فى العصر الموحدى هو "الوسق" ويسمى "الصحفه" وهو ستون صاعا بالصاع النبوى، أما وحدة الوزن الشائعة فكانت الرطل، وكل رطل يساوى ستة عشر أوقية(٢٦٦). أما وحدة الأوزان الكبيرة عندهم فكانت القنطار(٢٦٧). فى حين كانت وحدة وزن الذهب هى المثقال(٢٦٨).

تجارة فاس الداخلية والخارجية:

أ – تجارة المدينة الداخلية

كان للاستقرار السياسى الذى شهدته مدينة فاس فى عصرى المرابطين والموحدين أثره فى ازدهار وتنشيط حركة التجارة بها، حيث شهدت أسواق المدينة حركة تجارية، ونشاطا فى البيع والشراء، لاسيما وأن ولاة الأمر وجهوا اهتمامهم للتجارة والعمل على تنشيطها، وذلك بتشجيع التجار على المجئ إلى بلادهم، حيث وفروا لهم سبل الراحة والإقامة بإنشاء الفنادق والحمامات فيوسف بن تاشفين دخل مدينة فاس عام ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م أمر ببناء الحمامات والفنادق، وأهتم أمراء الدولة المرابطية ثم خلفاء الدولة الموحدية بزيادة أعداد هذه الفنادق(٢٦٩).

ومع اكتفاء سكان فاس بالسلع الأساسية المتوفرة فى مدينتهم، فإن الأسواق كانت تمتلئ بأنواع المتاجر التى تأتى بها القوافل القادمة من مدن المغرب المختلفة، وفى ذلك يقول الإدريسى: "ومدينة فاس قطب ومدار لمدن المغرب الأقصى وهى حضرتها الكبرى، ومقصدها الأشهر، وعليها تشد الركائب وإليها تقصد

القوافل، ويجلب إلى حضرتها كل غريبة مـن الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة"[٢٧٠].
ويذكر الجزنائي: "أنه انتقل إليها جملة من أصناف الناس، وأهل الأمصار من جميع البلدان القاصية والدانية، فليس من أهل بلد ولا إقليم إلا ولهم بها منزل ومتجر وصناعة ومنصرف، واجتمع فيها ما ليس في مدينة من مدن الدنيا، وأتتها التجارات. وأهل الصناعات من كل صقع حتى تكامل بها كل متجر"[٢٧١]. فصارت المدينة تعج بالتجار من مدن المغرب المختلفة الذين اتخذوا في أسواقها متاجر يصرفون فيها بضائعهم وسلعهم. وقد قام تجار مكناسة بتسويق المنتجات المكناسية من العنب والزيتون، وبنقل كميات وفيرة من العناب والكتان من أجل بيعه في مدينة فاس[٢٧٢].
كما لعبت مدينة سجلماسه دورا مهما في تجارة مدن المغرب كما يوضحه الجغرافيون، فقد ربط التجار سجلماسه بالشمال عن طريق تلمسان ففاس، فتدفق تجار سلجماسه بأنواع التمور المختلفة إلى مدينة فاس، كما كان هؤلاء التجار يعودون بدورهم إلى سجلماسه بالأقوات الضرورية من مدينة فاس[٢٧٣]. كما قام تجار مدينة مراكش بتصدير كميات وفيرة من الزيت والسكر إلى مدينة فاس[٢٧٤]. وجلب التجار الجوز من مدينة صفرو، كما حملت أحمال التين المذبب من حصن مغيله القاط[٢٧٥]، إلى مدينة فاس[٢٧٦]. في حين غدت منطقة مديونة مدينة فاس بالبرانس المديونية التي لا ينفذ منها المطر[٢٧٧].
وارتبطت مدينة فاس بعلاقاتها التجارية بمنطقة السوس الأقصى، حيث كان يذهب الكثير من تجار فاس لشراء كميات من السكر، وكميات من الجلودالقراطوني[٢٧٨]. من مدينة تيوت بالسوس، كما توثقت العلاقات التجارية بين فاس ومنطقة هسكورة التي يتوفر فيها الزيت والجلود نظرا لوجود كمية كبيرة من الأغنام، كما كانت تصنع بها سروج الخيل الأنيقة، فكان تجار فاس يعقدون صفقات مهمة في هذه المنطقة بمقايضة أقمشتهم الكتانية في مقابل الجلود والسروج[٢٨٩]. كما كان لسوق مدينة داي[٢٨٠] حظ في التجارة الداخلية إذ كانت تتوافد عليه قوافل التجار من فاس[٢٨١]. وتجمعت بأسواق مدينة نفزه - مدينة إقلم تادلة - سلع مصنوعة في فاس على الخصوص كالأقمشة الكتانية والسكاكين والسيوف والسروج واللجمامات والقلانس وأدوات الخياط[٢٨٢].
ووصفت تجارة مدينة فاس مع مدينة أغمات بأنها نافقة حيث كان لتجار أغمات وكلاء يمثلونهم بمدينة فاس يدفعون لهم كثيرا من الدراهم لشراء السلع من

فاس[٢٨٣] ولقد وفر تجار منطقة أزغار الخيل والماشية لشراء السلع من فاس[٢٨٤]. في حين قام تجار مدينة سلا بتصدير الأمشاط إلى مدينة فاس[٢٨٥].

هذا ولقد أعطانا الإدريسي وصفا للطرق التي كانت تقطعها القوافل من والى مدينة فاس رابطة شرق البلاد بجنوبها، فكان هناك طريق يربط بين تلمسان ومدينة سجلماسه تتوسطه مدينة فاس، حيث كانت تسير القوافل من تلمسان إلى فاس، ومن فاس إلى صفرو إلى تادلة وأغمات إلى درعة ثم إلى سجلماسة[٢٨٦]. ويصف الإدريسي طريقا آخر يربط فاس بسجلماسه وهو طريق فاس – صفرو، إلى قلعة مهدى إلى تادلة إلى وادى شعب الصفا يحث يشق هنا الجبل الكبير إلى جنوبه ومن هناك إلى سجلماسه[٢٨٧].

ويذكر عبد الواحد المراكشي طريقا آخر يربط بين المدن المغربية من أقصى الشرق إلى الجنوب تقع عليه مدينة فاس، وهو طريق سلكه المسافرون في تلك الحقبة يربط بين مدينة بجاية وتلمسان ثم فاس ثم مراكش ثم إلى سجلماسة[٢٨٨].

ب- تجارة المدينة الخارجية:

كان لازدهار التجارة الداخلية في أسواق فاس وامتلاء الأسواق بالسلع والمنتجات المحلية أثره في تنشيط حركة التجارة الخارجية، إذ أصبحت أسواق المدينة مقصدا للقوافل والتجار من مختلف الأقطار. فوصفها الزهرى بأنها: "دار مملكة يقصدها الناس من جميع الأقطار، وإليها يجلب من جميع الأقاليم كل شئ حسن من المتاع والسلع الغالية الأثمان من اليمن والسودان والشام والأندلس"[٢٨٩]. ويصفها صاحب الاستبصار في العصر الموحدى: "بأنها قصبة بلاد المغرب، ومنها يتجهز إلى بلاد السودان وبلاد المشرق"[٢٩٠]. ويصف لسان الدين بن الخطيب أسواقها "بأن ثمرات وموارد كل شئ التي اختصت بالخضر إليها قد جبيت"[٢٩١].

العلاقات التجارية بين فاس والأندلس:

وفي إطار علاقة فاس التجارية بالأندلس، قام الأسطول المرابطي بدور كبير في تأمين الموانى المغربية، وحماية الطرق البحرية في البحر المتوسط، فضلا عن عمليات الجهاد التي قام بها في مياه الأندلس، الأمر الذى سهل حركة النقل بين المغرب والأندلس، وكان لموقع المغرب الأقصى على ساحل البحر المتوسط والمحيط الأطلسي أثر في نشأة عدة موانى سهلت الاتصال بالعالم الخارجي، وقد تمكنت هذه الموانى في تأدية دورها في الحركة التجارية في ظل حماية الأسطول

المرابطي[٢٩٢]. وتأكد دور فاس في العصر الموحدي في التجارة المغربية[٢٩٣]. ومن هذه الموانى ميناء سبتة الذى قام بدوره في الحركة التجارية، إذ كانت القوافل تصل إلى هذا الميناء من جميع النواحي في المغرب، وخاصة مدينة فاس[٢٩٤].

كما كان لميناء طنجة على ساحل المحيط الأطلسي دوره في تصريف منتجات فاس والمناطق الداخلية المحيطة بها[٢٩٥]. حيث أنه لا يبعد عن فاس أكثر من خمسين فرسخا[٢٩٦]. فنشطت العلاقات التجارية بين فاس ومدن الأندلس التى توافد تجارها للاحتراف بالتجارة في هذه المدينة أمثال على بن أحمد بن على الأنصارى المتوفى بعد عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م من أهل طليطلة[٢٩٧]. الذى عمل بالتجارة في القراقين بفاس[٢٩٨]. وكان لأهل أشبيليه تجارة بفاس فعبد الملك بن عمر بن خلف الأزدى الإشبيلي المتوفى عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م كانت له بضاعة بفاس يديرها في تجارة[٢٩٩]. وأيضا على بن أحمد بن خروف الحضرمي، المتوفى عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م من أهل اشبيليه كانت له رحلاته التجارية الكثيرة بفاس، حيث كان يدير تجارة أكثرها في أوانى الخشب المخروطية[٣٠٠] كما كان لبعض أهل قرطبة علاقات تجارية مع أهل فاس، فأحمد بن عمر الخزرجي المتوفى عام ٦١٠هـ/ ١٢١٣م من أهل قرطبة كانت له بضاعة بمدينة فاس يديرها في تجارة البز[٣٠١].

وكان التجار من نصارى الأندلس يقصدون مدينة سلا الميناء الرئيسى لفاس، وكان لهؤلاء التجار مستودعاتهم في كل من سلا وفاس[٣٠٢]. حيث كان يتم تصدير الأقمشة والألبسة الصوفية، وأيضا الزيتون والزعفران والخوخ المجفف، ومزامير القرب وقطع الجلود والتمور من حول مدينة فاس، واستوردت الأندلس كثيرا من الأقمشة الجميلة الأصناف من هذه البلاد[٣٠٣]. وطوال العصر الإسلامي عرف تصدير الجلود المعالجة وغير المعالجة التى تأتى من فاس للأندلس مكونة لأهالي المدينة ثروة عظيمة[٣٠٤].

العلاقات التجارية بين فاس والسودان (جنوب الصحراء):

نشطت الحركة التجارية بين فاس وجنوب الصحراء لإخضاع المرابطين ثم الموحدين لأقاليم المغرب الأقصى المختلفة في ظل حكومة واحدة تحرص على استتاب الأمن والنظام مما ساعد على انتظام القوافل المتجهة إلى الجنوب والقادمة منه، كما صارت بلاد المغرب الأقصى ممرا آمنا لتجار الصحراء إلى الأندلس وأوروبا والمشرق[٣٠٥]. ومن هنا اكتسبت التجارة بين فاس وجنوب الصحراء أهمية خاصة فتدفق تجار فاس إلى المدن السودانية مثل مدينة جنى[٣٠٦] التى وصفت بأنها سوق

عظيم من أسواق المسلمين، وكان يلتقى بها تجار الملح والذهب، ومدينة تنبكت[٣٠٧] التى كانت سوقا كبيرا للتجارة وورد عليها التجار من جميع الآفاق وخاصة تجار فاس[٣٠٨].

وتنوعت السلع المتبادلة بين فاس وبلاد السودان، وكان من أهمها وأشهرها على الإطلاق الذهب من مدينة غانة[٣٠٩] إلى جانب تجارة الرقيق التى مثلت إحدى السلع التجارية الهامة، حيث كانت بلاد السودان مصدرا لرقيق المغرب[٣١٠]. ولعل من الظواهر التى تدل دلالة واضحة على تزايد أعداد الرقيق بمدينة فاس، وجود إشارات تدل على ذلك، فتروى المصادر أن على بن يوسف فرض على أهل مدينة فاس عام ٥٢٣هـ/ ١١٢٩م عند استعداده للجواز للأندلس، عددا من سودان أهل فاس يغزون مع الجيش فكان نيصب فاس ثلاثمائة رأس منهم[٣١٠].ويذكر مارمول كرفخال أن لهم سوقا فى قصبة المرابطين بفاس يباع فيه الزنوج من الجنسين[٣١١]. وكانت أسعار الرقيق فى أسواق السودان زهيدة تمكن التجار من شراء الأعداد الكثيرة منهم، وشارك الرقيق فى الحياة السياسية فى المغرب، فكانوا حرسا لبعض الحكام، ولكن المجموعات الكبيرة منهم كانت تستخدم فى الأعمال المنزلية وكان امتلاك الرقيق يمثل مظهرا من مظاهر الثراء فى ذلك الوقت[٣١٢].

وصدر التجار المغاربة الثياب الحريرية والكتانية الملونة من فاس والمغرب إلى السودان[٣١٣]. حيث وجدت تجارة المنسوجات سوقا رائجا فى كل أنحاء السودان نظرا لتقدم صناعة النسيج فى المغرب عامة، وفاس بوجه خاص فى ذلك الوقت[٣١٤]. كما قام التجار بتصدير القمح إلى بلاد السودان ولكن كانت أسعاره غالية بسبب صعوبة نقله[٣١٥].

وقد عبرت الصحراء إلى السودان أيضا بعض أدوات الزينة مثل العطور والأصداف والخرز والودع والفخار والأدوات الخزفية والتحف المعدنية[٣١٦] كما كانت الكتب سلعة مهمة يحملها التجار إلى السودان ويبيعونها بأسعار غالية، وكانت مراكز العلم مثل تنيكتو وجنى تتلقف ما يأتى به التجار من مختلف أنواع الكتب[٣١٧].

العلاقات التجارية بين فاس والمشرق:

عرفت مدينة فاس فى عصرى المرابطين والموحدين بعلاقاتها التجارية مع بلاد المشرق، ومما سهل على تطور تلك العلاقات ارتباط المغرب الأقصى وبلاد المشرق بطريقين سهلا الاتصال المباشر فيما بينهما، الأول هو طريق الساحل[٣١٨]. أما الثانى فهو ارتباط فاس بطريق سجلماسة مصر، الذى تحولت إليه القوافل بعد

هجرها لطريق غانة – مصر نظرا لما أصابه من عواصف رملية، وكثرة الفتن وهجمات اللصوص[٣١٩].

ومما شجع التبادل التجارى بين فاس وبلاد المشرق عامة، ومصر خاصة أن مصر كانت تقع فى طريق قوافل الحجاج المسافرة لتأدية فريضة الحج، وفى الغالب ما تكون هذه القوافل محملة بالبضائع المغربية، وقد أشار ابن القاضى المكناسى، إلى إحدى قوافل الحج التى خرجت من وادى سبو متجهة إلى المشرق وذلك قبل عام ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م[٣٢٠].

ويذكر لنا ابن عذارى أن أحد تجار الإسكندرية كانت له رحلاته التجارية إلى مدينة فاس، حيث سافر من تلمسان إلى فاس، وكان ذا رحل كبير ومال، فباع واشترى، ثم سافر من فاس إلى الإسكندرية وبلاد المشرق، راجعا مرة أخرى إلى فاس[٣٢١].

وامتدت تجارة فاس المشرقية إلى بلاد الهند، فوجدت فى وثائق الجنيزا[٣٢٢] بعض الخطابات الشخصية الخاصة بتجار هنود، حيث كان عليهم أن يبعثوا إلى وطنهم بهدايا وسلع للاستخدام ولإعاشة أسرهم، وكان لتجار "قاليقوط" مستودعات لبضائعهم فى مدينة فاس[٣٢٣]. ولعل هذا يؤيد ما ذكره عبد الواحد المراكشى من أن مدينة فاس كان يجلب إليها العطر الهندى[٣٢٤].

وقام التجار اليهود بدور كبير فى هذه التجارة، خصوصا وأن العلاقات العائلية قد ربطت بين تجار اليهود المشارقة والمغاربة، فبرع اليهود فى التجارة عامة، وبوجه خاص مع المشرق، فكثر ثرائهم فى فاس وشكلوا طبقة غنية ووصفهم صاحب الاستبصار بأنهم تجار أهل هذه البلاد وأغنياؤها وخاصة بمدينة فاس، حيث امتلكوا الأموال الكثيرة، ويرجع ذلك إلى عملهم فى الصياغة والصيرفة، هذا إلى جانب اشتغالهم فى بعض الحرف مثل صناعة القناديل وزخرفة المعادن وجلب البضائع والتجارة فيها[٣٢٥].

أما طبيعة العلاقات التجارية بين التجار المغاربة والمشارقة، فكان التجار المشارقة يتخذون من الوكالة نظاما لهم فالوكيل هو الذى يوزع البضائع على الشركاء حال وصول التجار المشارقة، ويقوم ببيع بضائعهم، كما يقوم مقام المصرف حيث يودعون أموالهم عنده[٣٢٦]. ونتيجة لهذا التعامل التجارى صار للتجار المصريين أصدقاء من التجار المغاربة، وصارت بينهم علاقات مودة ومراسلات، ومن ذلك أن أحد تجار الإسكندرية كتب رسالة إلى صديقه التاجر بالقاهرة يخبره فيها أن صديقه

التاجر بمدينة فاس قد أرسل إليه قضيبا من الذهب بهدف بيعه وشراء حرير أندلسى لحسابه(٣٢٧).

وكان التجار المشارقة والمغاربة يؤدون الخدمات التجارية فيما بينهم، فهذا تاجر من فاس بالمغرب الأقصى يقدم معروفا لأحد التجار من مصر، كما أن صديق من فاس – لم يذكر اسمه – أرسل يطلب عملية تجارية لبيع بعض العطور الشرقية(٣٢٨).

هكذا يظهر لنا مدى انتعاش الحياة الاقتصادية بمدينة فاس خلال هذين العصرين الذى أثر بدوره على حياة سكان المدينة، لذا وجدنا المصادر تصف أهلها بأنهم ميسورو الحال لهم من كل شئ حسن أكبر نصيب وأوفر حظ. مشتهرون بكثرة الأموال ورفاهية الحال، يجلب إليهم كل شئ حسن من المتاع والسلع الغالية الأثمان(٣٢٩).

ولكن على الرغم من هذا إلا أن المدينة تعرضت فى بعض سنوات حياتها خلال هذين العصرين لغلاء فى الأسعار ولبعض المجاعات، وذلك إما نتيجة عوامل طبيعية أو نتيجة للتأثير بالأحداث السياسية المضطربة، والتى كانت تحدث بين أوقة وأخرى، والتى كان لها أثرها فى إعاقة النشاط التجارى فى أسواق المدينة أو فى الحياة الاقتصادية بصفة عامة. ففى عام ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م تعرضت فاس لقحط ووباء شديدين(٣٣٠). كما تعرضت أسواق مدين فاس لحريق وقع عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م أحرق أسوار الخرازيين وأسواق الثياب وأسواق القراقين والبقالين وغير ذلك من الأسواق(٣٣١). كما وقع حريق آخر بأسواق مدينة فاس عام ٦٤٦هـ/ ١٢٥١م حيث احترقت أسواق باب السلسلة بأسرها، وتعرضت المدينة أيضا لمجاعة شديدة فى عامى ٥٧١هـ/ ١١٧٦٥م، وعام ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م(٣٣٢)(٣٣٣).

وعرف أهل مدينة فاس الشكوى من سوء الحال فى أواخر هذه الفترة زهاء عشرين عاما، أفقدت البلاد بهجتها، وأدخلت الكآبة على نفوس أهلها، فمن عام ٦١٨هـ/ ١٢٢٢م إلى عام ٦٣٧هـ/ ١٢٤٢م توالى الخراب على عمران فاس فحدثت بالمدينة مجاعة بسبب الفتن التى كانت أبان العادل وأخيه المأمون، فشغلت الدولة وشغل معها الناس بصد العوادى عن البلاد، فقد خربت هذه الفترة مئات من الفنادق ودور الصباغة والكاغد والزجاج والمعاصر ودور الدباغة والدكاكين ومعامل الصابون ومعامل الجلد وطرازات الحياكة، هذا إلى جانب عدد من المساجد التى كانت تعد بالمئات. وفى خلال تلك السنين من الفتن كثر الجوع والغلاء لاسيما عام ٦٣٠هـ/ ١٢٣٥م حيث وصل ثمن وسق القمح إلى ثلاثين دينارا(٣٣٤).

الهوامش

١- حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ص١١ - ١٢.

٢- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص١١١ - ١١٢، ص١١٣، الجزنائى: جنى زهرة الآس، ص٤١، السلاوى: الاستقصا، جـ١، ٩٧.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنه عثر على دنانير مضروبة بمدينة فاس فى عهد زيرى بن عطية المغراوى فى عام ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م كان وزن الدينار ٣,٧٢، كما كان وزن دينار آخر ضرب فى نفس هذه السنة عبارة عن ٣,٢٢ جرام، وبمقارنة تلك الدنانير بالدنانير المرابطية التى وصل وزنها أكثر من أربعة جرام يتضح مدى التدهور الاقتصادى لفلس قبيل عصر المرابطين. انظر: La Voix: Catallogue des monnailes Muslmanes dela bibliatheque notional de Espagne er Afrique, Paris, 1891, Vol. 3, p. 91.

٣- ابن حوقل النصيبى: صورة الأرض، بيروت، منشورات مكتبة الحياة، ١٩٧٩، ص٩٩، حسن على حسن: المرجع السابق، ص١٣، والمكوس: عبارة عن تلك الضرائب التى فرضها الزناتيون على التجار المجتازين من فاس إلى سلجمانه حيث كانوا يلزمونهم أموالا على ما معهم من التجارة، انظر: صورة الأرض، ص٩٩. ويعلق هو يكنز على هذا النوع من الضرائب بقوله: لم تكن هذه الضرائب تذهب إلى خزائن أية دولة، ويفهم ضمنا من وجود مثل هذه الضريبة انعدام إحدى الصفات الأساسية لدولة جديرة بهذا الاسم، ألا وهى تأمين المسافرين، انظر: النظم الإسلامية فى المغرب فى العصور الوسطى، ص٩٦.

٤- ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٤ ص١٢٥، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٤٤، حسن على حسن: المرجع السابق، ص١٨٢.

٥- عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص٢٦١، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٨٧، مجهول: الحلل الموشية، ص١٩ - ٢٠، عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص١٦٠.

٦- عبد الله علام: الدولة الموحدية، ص٢٥٢ - ٢٥٣.

٧- الجزنائى: المصدر السابق، ص٤٣ - ٤٤، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٥١، حسن على حسن: المرجع السابق، ص١٨٢.

٨- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ٨ ص٣٠٠، النويري: نهاية الأرب، جـ٢٤ ص٢٩٦.

٩- انظر: ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٦، عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٢٧٦.

١٠- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص١٣١.

١١- البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص١٦٥ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص١٢٦، ١٢٩، ١٣٣.

١٢- البكري: المصدر السابق، ص١٦٦، ١٦٩، ابن عذاري المصدر السابق، جـ٤ ص١٠، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص١٣٢، من المعروف أن ابن ياسين مالكي المذهب، وهذا ما خالف فيه السنة في بداية أمره، حيث لم يرد في أحاديث الجهاد التي وردت في موطأ الإمام مالك ما فعله ابن ياسين، انظر موطأ الإمام مالك، صححه وأخرج أحاديثه، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥١، جـ٢ ص٤٥٠ - ٤٦٠.

١٣- التخميس: من المألوف في المغرب في العهود الأولى للإسلام أن يعامل القائد المنتصر المهزومين كغنيمة وأن يأخذوا خمسهم لاستعمال الدولة، وهي طريقة يشار إليها بالتخميس، ومن المشكوك فيه ما إذا كان هذا الخمس ينبغي اعتباره الخمس كما يفهم عادة، إذ لم يكن المنتصر ملزما بأن يكتفي بالخمس لأن المهزومين تحت تصرفه تماما، ولعل الخمس كان نسبة تمليها اعتبارات عملية محضة، ولكنها تكون بتأثير نظام الخمس، ومن ناحية أخرى لا تذكر المصادر أن الأربعة أخماس الأخرى الباقية كانت تقتسمها الجيوش .. ولا يمكن أن يقبل دون تمحيص القول بأن المرابطين قسموا الغنائم التي أخذوها من المسلمين بمقتضى قواعد الخمس فالمرابطون بذلك عاملوا إخوانهم في الدين وكأنهم من الكفار، ومن المحتمل أن رد عبد الله بن ياسين على ذلك هو أنهم كانوا مارقين خارج حظيرة الإسلام.

انظر: هويكنز: النظم الإسلامية، ص٧١، ٧٣، ٧٤.

١٤- البكري: المصدر السابق، ص١٦٥، ابن عذاري: المصدر السابق، جـ٤ ص١٢ - ١٣، ابن أبي زرع: المصدر السابق، صفحات ١٢٦ - ١٢٨، ١٢٩ - ١٣٣، هويكنز: المرجع السابق، ص٧٤، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص١٣٢.

١٥- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص١٣٩، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص١٣٢ - ١٣٣، وبالنسبة لترك المرابطين لسياسة التخميس راجع فتحهم لمدن حديثة - صفرو - فاس - مكناسة - بني مراسن - طنجه - تلمسان. فلم يرد عند فتح المرابطين تلك البلاد أنهم اتبعوا سياسة التخميس، انظر عن ذلك، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٣٩ - ١٤٢، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦، ص١٨٥ - ١٨٦.

١٦- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٢٦٠، ابن أبي زرع: المصدر السابق، صفحات ١٧٧ - ١٧٨، ١٨٦، ١٩٦، السلاوي: الاستقصا، جـ١، ص١٣٦ - ١٣٧، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص١٣٤ - ١٣٥.

١٧- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ٢ ص٤٥٨ حيث بقيت أملاك عثمان ابن عبد الله السلالجي بجبل فاس يتردد إليها لزراعتها.

١٨- ابن عذاري: البيان، قسم الموحدين، ص٢٤، مجهول: الحلل الموشية، ص١٣٥، هويكنز، المرجع السابق، ص١٠٧ - ١٠٨.

١٩- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ٢ ص٣٩١ - ٣٩٢.

٢٠- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٢٥٥.

٢١- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، جـ٥ ص١٥٥.

٢٢- ابن عبد الله المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول، القسم الأول، ص٨٧ - ٩١.

٢٣- إسماعيل بن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، ص٩، ص٢٥، ص٣٥.

وانظر أيضا عن امتلاك أهل فاس للأراضي، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ٢ ص٣٩١ - ٣٩٢.

٢٤- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٩، الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص٤٥.

٢٥- ابن عربي: الفتوحات المكية، بيروت، دار صادر، بدون تاريخ، جـ٤ ص٧٦.

٢٦- ابن عيشون الشراط: الروض العاطر الأنفاس في أخبار الصالحين من أهل فاس، ورقة ١٧.

٢٧- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، جـ١ ص٢٢١، عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص١٥٣.

٢٨- ابن الزيات التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، ص٣٣٢، اسماعيل بن الأحمر: المصدر السابق، ص٤٩، ابن القاضي المكناسي. المصدر السابق، جـ٢ ص٣٩١ - ٣٩٢، عبد الهادي التازي: جامع القرويين، جـ١ ص١٣٤.
٢٩- الأنيس المطرب: ص٥٩.
٣٠- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٥٩.
٣١- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٥٨.
٣٢- الزهري: كتاب الجغرافيا، ص١١٤، الشريف الإدريسي، المغرب وأرض السودان ومصر، ص٧٥، وصف أفريقيا الشمالية، ص٥١، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٣٣ - ٣٤.
٣٣- مجهول: الاستبصار، ص١٨٠، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٣٥، الجزنائي: جني زهرة الآس، ص٢٥، الحميري: الروض المعطار، ص٤٣٤. ويذكر صاحب الاستبصار الذي يتحدث عن المدينة في عام ٥٨٧هـ/ ١١٩١م أن عيون فاس لا تحصى عددا، انظر ص١٨٠، في حين يذكر صاحب كتاب الجغرافيا أن عيونها على عدد أيام السنة، انظر: ص١١٤.
٣٤- عن ذلك انظر: ابن عذاري، البيان قسم الموحدين، ص١٦.
٣٥- عن ذلك انظر: ابن القطان، نظم الجمان، ص١٨٣، وحدث ذلك عام ٥٢٤هـ/ ١١٢٩ - ١١٣٠م، ابن زرع: المصدر السابق، ص٤٤ وفي عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م.
٣٦- الزهري: المصدر السابق، ص١١٥، مجهول: الاستبصار، ص١٨٤، الحميري: الروض المعطار، ص٤٣٤، ويسمى صاحب كتاب الجغرافيا هذه الجبال بجبال غياثه، في حين يذكر مارمول كرفخال أن نهر سبو ينبع من جبال غياثه. انظر أفريقيا، جـ١ ص٣٦.
٣٧- مارمول: المصدر السابق، جـ١ ص٣٦، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص٥٨.
٣٨- عبد القادر زمامه: وثيقة حضارية عن شبكة توزيع المياه في فاس القديمة، مجلة البحث العلمي، عدد ٣١، أكتوبر عام ١٩٨٠، ص١٤١.
٣٩- عز الدين موسى: المرجع السابق، ص٥٩.
٤٠- المخازن: تعرف طريقة حفظ المياه في المغرب الأقصى باسم الصهاريج أو البرك. انظر: العمري، وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، ص١٤١، القلقشندي، صبح الأعشى، جـ٥، ص١٥٧.

٤١- العمرى: المصدر السابق، ص١٤١، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٥ ص١٥٧.
٤٢- الشريف الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر، ص٧٥، مجهول: الاستبصار ص١٨٠، الجزنائي: المصدر السابق، ص٢٥، ابن القاضى المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٤٣.
٤٣- مارمول: المصدر السابق، جـ٢ ص١٥٩.
٤٤- الإدريسى: المصدر السابق، ص٧٥، مجهول: الاستبصار ص١٨٠، الحميرى: الروض المعطار، ص٤٣٤، عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص٦٢، ويوضح عز الدين موسى أهم وسائل الرى بالمغرب فى تلك الفترة من سواقى أو (سوانى) ونواعير ودواليب وخطارات، فالساقية والناعورة والدولاب أسماء لشئ واحد، وأهم الأشياء فى الساقية هى الدابة التى تحركها - وعادة تكون ثورا - والقواديس التى تحمل الماء من الجلية وهى مجتمع الماء، وقد يرد استعمال كلمة الساقية أو السانية بمعنى النهر الصغير أو الجدول أو الحقل أما الخطارة فهى صنف من الدواليب الخفاف انظر: النشاط الاقتصادى، ص٦٢.
٤٥- مجهول: الاستبصار، ص١٣٧، ص١٨٠، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، صفحات٦٩، ٧٠، ٧٧، ٢٣٣، ٢٧٢، عز الدين موسى المرجع السابق، ص١٨١.
٤٦- ابن حوقل: صورة الأرض، ص٨٩، الإدريسى: المغرب وأرض السودان، ص٧٦، ووصف أفريقيا الشمالية، ص٥١، عبد الواحد المراكشى المعجب، ص٤٤٤، الاستبصار، ص١٨١، الحميرى: الروض المعطار، ص٤٣٤ - ٤٣٥.
٤٧- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٣٤، القلقشندى: المصدر السابق، جـ٥ ص١٥٣، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٤٥.
٤٨- الزهرى: المصدر السابق، ص١١٤، الإدريسى: نفس المصدرين السابقين والصفحات، العمرى: المصدر السابق، ص١٤١ - ١٤٢.
٤٩- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٤٤.
٥٠- مارمول: أفريقيا، جـ٢ ص١٨٠ - ١٨٢.
٥١- أزغار: منطقة من إقليم فاس تنتهى فى اتجاه الشمال على المحيط الأطلنطى وتنتهى غربا عند نهر سبو، وفى الشرق عند جبال غمارة، انظر: ليون الأفريقى: وصف أفريقيا، ص٣٠١.
٥٢- بنى ومود: منطقة أيضا بإقليم فاس لا يفصلها عن مدينة فاس سوى النهر. انظر: مارمول، أفريقيا جـ٢ ص٢٥٦.

٥٣- ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص٣٠١، مارمول: المصدر السابق، جـ٢، ص٨٦، ١٨٤، ١٨٧، ٢٥٦، ٢٥٧.

٥٤- العمري: المصدر السابق، ص ١٣٠، القلقشندي: المصدر السابق، جـ٥ ص١٥٦.

٥٥- الوسق: وحدة كيل في العصر الموحدي، ويسمى أيضا "الصحفة" وهو ستون صاعا بالصاع النبوي، انظر العمري، المصدر السابق ص١٤٢، القلقشندي: المصدر السابق، جـ٥ ص١٧٧.

٥٦- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٢٧٠.

٥٧- ابن الزيات التادلي: التشوف، ص٢٣٢، ٢٣٣.

٥٨- الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر، ص٧٦، وصف أفريقيا الشمالية، ص٥١، الحميري: الروض المعطار، ص٤٣٥.

٥٩- المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٢٩، مجهول: الاستبصار ص١٨٥.

٦٠- محمد المنوني: العلوم والفنون والآداب في عصر الموحدين، بدون تاريخ ومكان، ص٢٤٠.

٦١- البحيرة: تعني في الاصطلاح المغربي البستان، انظر: مجهول، الاستبصار، ص١٨٧، ابن القطان: نظم الجمان، ص١١٩.

٦٢- ابن غازي العثماني: الروض والهتون في أخبار مكناسة الزيتون، الرباط المطبعة الملكية، ١٩٦٤، ص٦ - ٧، حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص٢٤٣.

٦٣- بني مزكلده: منطقة من أقليم فاس، انظر: مارمول: أفريقيا جـ٢ ص٢٥٦.

٦٤- مارمول: المصدر السابق، جـ٢ ص١٨١، ١٨٤، ٢٥٦، ٢٥٧.

٦٥- ابن غازي العثماني: المصدر السابق، ص٧، مارمول: المصدر السابق، جـ١ ص١٦٢، عبد العزيز العلوي: صناعة النسيج في المغرب الوسيط، مجلة كلية الآداب بفاس، جامعة سيدي محمد بن عبد الله العدد رقم ٢ سنة ٨٥ - ١٩٨٦، ص٥٠، ٥٢ - ٥٣.

٦٦- الزهري: كتاب الجغرافيا، ص١١٤، الشريف الإدريسي: المغرب وأرض السودان، ص٧٦، وصف أفريقيا الشمالية، ص٥١.

٦٧- العمري: وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني ص١٤١، القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٥ ص١٥٦.

٦٨- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٤، ابن عيشون الشراط: الروض العاطر الأنفاس، ورقة ١٧.

٦٩- مارمول: المصدر السابق، جـ٢ ص١٥٥، ١٥٨، ١٥٩، ١٨١.
٧٠- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٤٣ - ٤٤.
٧١- المقدسى: المصدر السابق، ص٢٢٩، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٤٤.
٧٢- الزهرى: المصدر السابق، ص١١٥.
٧٣- مارمول: المصدر السابق، جـ٢ ص١٨١، ١٨٤، ١٨٥ - ١٨٦.
٧٤- المقدسى: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن، مطبعة بريل، الطبعة الثانية، ١٩٠٦، ص٢٢٩، ابن أبى زرع: المصدر السابق ص٤٤.
٧٥- مارمول: المصدر السابق، جـ١ ص٣٠.
٧٦- البكرى: المغرب ص١٦٦، ياقوت الحموى، معجم البلدان جـ٤ ص٢٣٠، مجهول: الاستبصار، ص١٨١.
٧٧- مارمول: المصدر السابق، جـ٢ ص١٥٩.
٧٨- ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٤٤.
٧٩- العمرى: وصف المغرب، ص١٤١، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٥ ص١٥٧.
٨٠- مارمول: أفريقيا، جـ٢ ص١٨٤.
٨١- ابن الزبير: صلة الصلة، ص٢١١، ٢١٢، ابن القاضى المكناسى، المصدر السابق، جـ١ ص٤٤.
٨٢- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٣٥ - ٣٦، الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص٣٥، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ١ ص٤٤.
٨٣- مارمول: أفريقيا، جـ٢ ص٢٩، ١٥٤.
٨٤- ليون الأفريقى: وصف أفريقيا، ص٢٦٢، مارمول: المصدر السابق، جـ٢ ص١٥٢، حسن على حسن: المرجع السابق، ص٢٥٢.
٨٥- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٣٥، الجزنائى: جنى زهرة الآس، ص٣٥.
٨٦- مجهول: الاستبصار، ص١٨٤ - ١٨٥، حسن على حسن: المرجع السابق، ص٢٥٣.
٨٧- ابن خلدون: المقدمة، ص٣٠٢.
٨٨- مجهول: قصة البلديين من أهل فاس، ورقة: ٤٦٧ - ٤٦٩.
٨٩- ابن عبدون: رسالة ابن عبدون فى الحسبة، ص٣٩، ٥٣، ٥٧.

٩٠- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص٢١٦، ونود أن ننوه هنا إلى أن عز الدين موسى يشير إلى أنه استقى معلوماته من رسالة ابن عبدون والسقطى فى الحسبة، وبالبحث لم نجد فى تلك المصادر ما أشار إليه عز الدين موسى.

٩١- ابن عبدون: رسالة ابن عبدون فى الحسبة، ص٢٤، ٥٣، الجرسيفى: رسالة الجرسيفى فى الحسبة، ص١٢٥.

٩٢- عبد الواحد المراكشى: المعجب، ص٣٦٢.

٩٣- ابن سعيد المغربى: الجغرافيا، ص١٤٠، بسط الأرض فى الطول والعرض، ص٧٤.

٩٤- عبد العزيز العلوى: صناعة النسيج فى المغرب فى العصر الوسيط، ص٤٩.

٩٥- مجهول: مخطوط، قصة البلديين من أهل فاس، ورقة ٤٦٨.

٩٦- عبد العزيز العلوى: المرجع السابق، ص٥٣.

٩٧- مارمول: أفريقيا، جـ١ ص١٦٢، عبد العزيز العلوى: المرجع السابق، ص٥٠، ٥٢.

٩٨- مجهول: مخطوط ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ٩، مجهول رسالة فى ذكر من أسس فاس، ورقة ٥٧، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص٤٨، الجزنائى: المصدر السابق، ص٤٤.

٩٩- ليفى بروفنسال: أدب الأندلس وتاريخها، ص٩١.

١٠٠- ليون الأفريقى: المصدر السابق، ص١٧١، ١٨٤، مارمول: المصدر السابق، جـ٢ ص١٥٥.

١٠١- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٦٣.

١٠٢- مارمول: المصدر السابق، جـ٤ ص١٤٩ - ١٥٠، عبد القادر زمامة: فاس وصناعتها التقليدية، مجلة كلية الآداب بفاس، جامعة محمد بن عبد الله، العدد الرابع، والخامس، ١٩٨٠ - ١٩٨١، ص٤٧١.

١٠٣- السيوطى: كتاب فى نسب بعض الصحابة والإشراف الإدريسيين وغيرهم من ملوك لمتونة والموحدين، ورقة ٣٠.

١٠٤- السيوطى: المصدر السابق، ورقة ٣٠.

١٠٥- الإدريسى: وصف أفريقيا الشمالية، ص٣٧، ليون الأفريقى: المصدر السابق، ص١٧١، عبد العزيز العلوى: المرجع السابق، ص٥٣.

١٠٦- أحمد مختار العبادى: الحياة الاقتصادية فى المدينة الإسلامية، عالم الفكر المجلد الحادى عشر، العدد الأول، ١٩٨٠ ص١٤٧.

١٠٧- أحمد عبد الرؤوف: رسالته في الحسبة والمحتسب، (ضمن الثلاث رسائل أندلسية التي نشرها ليفي بروفنسال) ص٨٧، أحمد بن القاسم التادلي: المعزى في مناقب سيدي أبو يعزى، ورقة ١٠٢، ابن عيشون الشراط، الروض العاطر الأنفاس، ورقة ٣١٢، الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص٩٦.

١٠٨- ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص١٤٠، الجزنائي: المصدر السابق، ص٩٦، ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص١٨٤، مارمول المصدر السابق، جـ٢ ص١٤٩، ١٧٥، عبد القادر زمامه، المرجع السابق، ص٤٧١.

١٠٩- ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٤ ص٢٣٠، عبد العزيز العلوي: المرجع السابق، ص٥٣.

١١٠- مارمول: المصدر السابق، جـ٢ ص١٥٤.

١١١- البقم: كلمة معربة، وهي العندم، والبقم صبغ معروف، انظر، المعجم الوسيط: جـ١ ص٦٨.

١١٢- ابن عبدون: رسالة ابن عبدون في الحسبة، ص٥٠، ابن عبد الرؤوف: رسالة ابن عبد الرؤوف في الحسبة، ص١٠٤.

١١٣- عبد العزيز العلوي: المرجع السابق، ص٥٤.

١١٤- عز الدين موسى: المرجع السابق، ص٢٢٣.

١١٥- ابن خلدون: المقدمة، ص٣٣٥، أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص١٥٢.

١١٦- محمد المنوني: الوراقة المغربية، مجلة البحث العلمي، عدد ١٦ السنة السابعة، ١٩٧٠، ص٤٠.

١١٧- الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٣٠، ص٣٣٤ - ٣٤٥ - ٣٤٨، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ٢ ص٤٠٨ - ٤٠٩.

١١٨- عبد القادر زمامة: معالم أعلام من فاس القديم، ص٨٩.

١١٩- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص٢٢٤.

١٢٠- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورق ١٠، ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص٤٨، الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص٤٤، محمد المنوني: المرجع السابق، ص٤٤ - ٤٥.

١٢١- الجرسيفي: رسالة الجرسيفي في الحسبة (ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة التي نشرها ليفي بروفنسال) ص١٢٤.

١٢٢- الدمشقي: الإشارة إلى محاسن التجارة، بدون تاريخ ولا مكان، ص٢٤.
١٢٣- عثمان الكعاك: الجامعات المغربية، مجلة البحث العلمي، الرباط، جامعة محمد الخامس، العدد السادس، السنة الثانية، ١٩٦٥ ص٢١٦ - ٢١٧، عبد الهادي التازي: جامع القرويين، جـ١ ص١٤٥.
١٢٤- عباس إبراهيم المراكشي: الإعلام بمن حل مراكش واغمات من الإعلام، جـ١ ص٣٤٣.
١٢٥- عز الدين موسى: المرجع السابق، ص٢٢٥.
١٢٦- مارمول: أفريقيا، جـ٢ ص١٥٠، وعن احتراف أهل فاس لهذه المهنة أنظر: القاضي عياض: المعجم في أصحاب القاضي عياض، ص٢٨٧، ٣٠٧، ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، جـ١ ص٣٣٩، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ١ ص١٩٩، ٢٠٠، جـ٢، ص٤٦٦ - ٤٦٧، ٤٨٠ - ٤٨١.
١٢٧- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص١٦٩، وقد حقق الأستاذ عبد الله كنون هذا الكتاب في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد السابع والثامن، ١٩٥٩، ١٩٦٠.
١٢٨- ابن الزبير: صلة الصلة، جـ٧ ص١٨٢، المقري التلمساني: أزهار الرياض بأخبار القاضي عياض، جـ٢، ص٣٧٩، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص٢٨٣ - ٢٨٤، جـ٢ ص٥٣٣ - ٥٤٢.
١٢٩- المقري: نفح الطيب، جـ٣ ص٥٣٣، ويقول أحد المهاجرين من الأندلس إلى مدينة فاس والذي كان يعيش على مهنة النسخ:

أمسيت بعد الملك في غرفة	ضيقة الساحل والمدخل
تستوحش الأرزاق من وجهها	وما أزال الدهر في معزل
النسخ بالقوت لديها ولا	تقرعها كف أخ مفضل

انظر نفح الطيب، جـ٣ ص٥٣٤.
١٣٠- ابن الزيات التادلي: التشوف، ص٣٩٩ - ٤٠٠، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٢٧٢، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص٢٢٠ - ٢٢١، ٢٨٣ - ٢٨٤، محمد المنوني: العلوم والفنون والآداب ص٢٧٣.
١٣١- الشريف الإدريسي: وصف أفريقيا الشمالية، ص٥٠، عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٤٤٤.

١٣٢- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٤٨، هذا وقد اختلفت آراء المؤرخين فى عدد رحى مدينة فاس فيذكر عبد الواحد المراكشى فى المعجب ص٤٤٤ أنها ٣٠٠ رحى، فى حين يذكر ياقوت الحموى صاحب معجم البلدان أنها ٦٠٠ رحى داخل المدينة كلها، انظر جـ٣ ص٢٣٠، ويقول العمرى أنها تقارب أربعمائة رحى، انظر وصف المغرب أيام السلطان ابن الحسن المرينى، ص١٣٩، ويذكر صاحب الروض المعطار أنها ٣٦٠ رحى وربما وصلت إلى ٤٠٠ رحى، انظر الحميرى: الروض المعطار، ص٤٣٤.

١٣٣- لسان الدين بن الخطيب: مشاهدا تلسان الدين بن الخطيب فى المغرب والأندلس، ص١١١.

١٣٤- ليون الأفريقى: وصف أفريقيا، ص٢٣٨، مارمول: أفريقيا، جـ٢ ص١٤٨.

١٣٥- مجهول: رسالة فى ذكر من أسس فاس، ورقة ٥٨، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٤٨، الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص٤٤، السيوطى: كتاب فى نسب بعض الصحابة، ورقة ٣٠ ويجعلها ١١٧٢ فرنا.

١٣٦- لسان الدين بن الخطيب: المصدر السابق، ص١١١.

١٣٧- التادلى: التشوف، ص١٨١.

١٣٨- العمرى: وصف المغرب أيام السلطان أبى الحسن المرينى، ص١٤٢ - ١٤٣، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٥ ص١٧٥.

١٣٩- الأرقان: أو الهرجان أو الأرجان اسم بربرى لشجر فى السوس وجبال درن يشبه الأجاص، وله ثمر أخضر يصفر إذا نضج، انظر الإدريسى:: نزهة المشتاق، طبعة ليدن، ص٦٥.

١٤٠- حسن على حسن: الحضارة الإسلامية، ص٢٦٣.

١٤١- الطغنرى: مخطةط زهرة البستان، ورقة ٧٧ - ٨٨ نقلا عن عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص٢٣٩.

١٤٢- العمرى: المصدر السابق، ص١٤٢، ١٤٣، القلقشندى: المصدر السابق، جـ٥ ص١٧٥، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص٢٣٩.

١٤٣- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٤٨، الجزنائى: المصدر السابق، ص٤٤.

١٤٤- مارمول: أفريقيا، جـ٢ ص١٥٢.

١٤٥- العمرى: المصدر السابق، ص١٣٩، ابن غازى المكناسى: الروض الهتون، ص٧، مارمول: المصدر السابق، جـ٢، ص١٥٩.

١٤٦- الطغنرى: مخطوط زهرة البستان، ورقة ٦٩ وما بعدها، نقلا عن عز الدين موسى، المرجع السابق، ص٢٤٢.

١٤٧- عبد الواحد: المعجب، ص٤٤٤.

١٤٨- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢٠٠ - ٢٠١، الجزنائى: المصدر السابق، ص٣٧، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٤٥.

١٤٩- الجزنائى: المصدر السابق، ص٣٥، ليون الأفريقي: وصف أفريقيا، ص٢١٦.

١٥٠- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢٠١، عبد الهادى التازى التاريخ الدبلوماسى للمغرب في عهد الموحدين، ص٢٩.

١٥١- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٥، الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص٥٥.

١٥٢- العمرى: وصف المغرب أيام السلطان أبى الحسن المرينى ص١٤١، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٥، ص١٥٧.

١٥٣- مارمول: المصدر السابق، جـ٢ ص١٥٣ - ١٥٤.

١٥٤- البيذق: أخبار المهدى، ص٢٤.

١٥٥- ابن أبى زرع: المصدر المصدر السابق، ص٤٦، الجزنائى: المصدر السابق، ص٣٥.

١٥٦- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص٤٠٦، حسن على حسن الحضارة الإسلامية، ص٢٦٣.

١٥٧- ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص١٧١، مارمول: أفريقيا جـ٢ ص٢٩، ١٥٤، ٢٢٥.

١٥٨- عبد القادر زمامة: فاس وصناعتها التقليدية، ص٤٦٨.

١٥٩- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٤٩، مارمول: المصدر السابق، جـ٢، ص١٥٤، بروفنسال: أدب الأندلس وتاريخها، ص٩٢.

١٦٠- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ١٠، مجهول: رسالة فى ذكر من أسس فاس، ورقة ٥٧، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٤٨ الجزنائى: المصدر السابق، ص٤٤.

١٦١- عبد القادر زمامة: المرجع السابق، ص٢٦٨.

١٦٢- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص٢٣١.

١٦٣- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ١٠، مجهول: رسالة فى ذكر من أسس فاس، ورقة ٣٠، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٤٨، الجزنائى: المصدر السابق، ص٤٤.

١٦٤- مارمول: أفريقيا، جـ٢ ص١٤٨، ١٥١، ١٥٣.

١٦٥- البيذق: أخبار المهدى، ص٢٣ - ٢٤، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص٢٣١.

١٦٦- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٦٢.

١٦٧- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٣٥، الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص٢٥، ابن القاضى المكناسى: جـ١ ص٤٣، ٤٤.

١٦٨- الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص١١٤، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٣٥، الجزنائى: المصدر السابق، ص٣٤.

١٦٩- مجهول: الاستبصار فى عجائب الأمصار، ص١٨١، الحميرى الروض المعطار، ص٤٣٥.

١٧٠- العمرى: المصدر السابق، ص١٤١، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٥ ص١٥٧.

١٧١- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٤٨، الجزنائى: المصدر السابق، ص٤٤.

١٧٢- ليون الأفريقى: وصف أفريقيا، ص١٨٤، عبد القادر زمامة: فاس وصناعتها التقليدية، ص٤٧٠.

١٧٣- البيله عبارة عن صهريج من رخام مستطيل ملاصق للأرض والكلمة أسبانية، انظر عبد الوهاب بن منصور، فى تحقيقه لجنى زهرة الأس، ص٧٠، أما الخصة فهى عبارة عن الأنابيب التى يجتمع فيها الماء فى بيت الوضوء، انظر الأنيس المطرب، ص٦٤.

١٧٤- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٥٨، ٦٤، ٧٠، الجزنائى: جنى زهرة الأس٧٣.

١٧٥- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٦٤، ٦٦، الجزنائى: المصدر السابق، ص٧٢، ٧٣.

١٧٦- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٦٦، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص٢٥٢.

١٧٧- محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الإسلامية فى المغرب والأندلس، بيروت، دار الثقافة، بدون تاريخ، ص١٧٠.

١٧٨- ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، نشره حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد السادس، العدد ١ - ٢ عام ١٩٥٨، ص١١١، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٨، الجزنائي: المصدر السابق، ص٤٤.

179- Harry. W. Hazard: The numismataic History of Late Medieval north Africa, New York, 1952, p. 14.

١٨٠- ابن يوسف الحكيم: المصدر السابق، ص١١١.

١٨١- ابن يوسف الحكيم: المصدر السابق، ص١١٢، ١١٦، بن قربة صالح: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة بني حماد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦، ص٣٠.

١٨٢- ابن يوسف الحكيم: المصدر السابق، ص١١٣، بن قرية صالح: المرجع السابق، ص٣٢.

١٨٣- ابن يوسف الحكيم: المصدر السابق، ص١١٧، بن قرية صالح: المرجع السابق، ص٣٣.

١٨٤- ابن يوسف الحكيم: نفس المصدر السابق، ص١١٥، بن قرية صالح: نفس المرجع، ص٣٤.

١٨٥- ابن خلدون: المقدمة، ص٢١٧، بن قرية صالح، المرجع السابق، ص٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٥.

١٨٦- ابن يوسف الحكيم: المصدر السابق، ص٩٥، بن قرية صالح: المرجع السابق، ص٤٧.

١٨٧- ابن يوسف الحكيم: المصدر السابق، ص٩٧، بن قرية صالح: المرجع السابق، ص٤٨ - ٤٩.

١٨٨- بن قرية صالح: المرجع السابق، ص٥٥.

١٨٩- محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية، ص٩٩.

١٩٠- عبد القادر زمامة: فاس وصناعتها التقليدية، ص٤٧٢.

١٩١- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورق ١٠، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٨، الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص٤٤، عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص٢٥٣، ٢٥٤.

١٩٢- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، ص١٢٥.

١٩٣- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٦٣، الجزنائى: المصدر السابق، ص٦٦ - ٦٧.

١٩٤- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ١٠، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٤٨، الجزنائى: المصدر السابق، ص٤٤.

١٩٥- السيوطى: كتاب فى نسب بعض الصحابة، ورقة ٣٠.

١٩٦- مارمول: أفريقيا، جـ٢ ص١٥٥.

١٩٧- الجزنائى: المصدر السابق، ص٦٨، ٧١.

١٩٨- الوظائف والوزائع: مفردها وظيفة ووزيعة، وهما من أنواع الضرائب التى لم تبيحها الشرعية. انظر، هويكنز: النظم الإسلامية، ص١٠٢.

١٩٩- ابن خلدون: المقدمة، ص٢٣٣.

٢٠٠- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص١٢٨، ١٢٩، الحسن السائح: الحضارة الإسلامية فى المغرب، الدار البيضاء، دار الثقافة للطباعة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦، ص١٩٦.

٢٠١- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٣٧، من المعروف أن مصادر الدخل للدولة الإسلامية وطريقة حرفة تحددهما الشريعة بكل دقة، وهذه المصادر يمكن تقسيمها إلى فئتين: المصدر الذى تحدده الشريعة ويؤديه المسلمون، والمصدر الدنيوى، ويجبى معظمه من غير المسلمين، أما الإيرادات الشرعية فتتكون من الزكاة - وهى فى الواقع ضريبة دخل - والجعل وهو جباية لمواصلة الجهاد. والزكاة نفسها يمكن تقسيمها إلى أربعة أنواع: زكاة السوائم وزكاة عروض التجارة والذهب والفضة، وزكاة المعدن، وزكاة الزروع والثمار - وللأخيرة تسمية خاصة وهى العشر. وأما المورد الدنيوى فيشتمل على الخراج أو ضريبة الأرض والجزية أو ضريبة الرؤوس والضريبة الجمركية على التجار غير المسلمين، وغنائم الحرب وأموال من يتوفى دون أن يترك وارثا أو وصية. وللمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع انظر أبو جعفر أحمد بن نصر الداودى: كتاب الأموال، تحقيق رضا محمد سالم، الرباط، مركز إحياء التراث المغربى ١٩٨٨، وانظر أيضا هويكنز: النظم الإسلامية، ص٦١، أحمد مختار العبادى: الحياة الاقتصادية فى المدينة الإسلامية، ص١٢٩ - ١٣٠.

٢٠٢- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص١٦٧.

٢٠٣- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٢٤١. اختلفت الروايات حول موضوع فرض الخراج على الأراضى فى إفريقية والمغرب، فقيل أن هذه البلاد فتحت صلحا، وقيل أنها عنوه وقيل أسلم عليها أهلها، وينقل صاحب كتاب الأموال عن سحنون قوله: "كشفت عن أمرها فما ثبت عندى أمر": ويذكر صاحب الأموال أن الذى يوجب النظر فيها: أن تجرى على ما تواطأت عليه القرون فى أمرها، وتقر بأيدى مالكيها، إلا ما تواترت عليه الأخبار أنه اغتصب أو أجلى عنه أهله، أى أنها تخضع للتخميس. انظر: أبى جعفر أحمد بن نصر الداودى: كتاب الأموال، ص٧٠.

وجمع صاحب جنى زهرة الأس الثلاث وجهات النظر السابقة مستندا إلى رواية ابن القاسم عن الإمام مالك وهو أن المغرب أرض عنوه لأن المعادن، تخضع فيها للإمام، ولذلك فإن بيع مثل هذه الأراضى غير مشروع، أما القول بأنها أرض صولح عليها أهلها، فإن بيعها مشروع، أما وجهة النظر الثالثة فتعتبر الأراضى مختلطة فقد فر بعض السكان وجلوا عن أراضيهم، إلا أن من بقى منهم احتفظ بملكية أرضه، أى أنهم أسلموا عليها ويرى أبو الحسن القابسى (أحد أعلام مذهب الإمام مالك توفى بالقيروان عام ٤٠٣هـ) أن وجهة النظر الأخيرة هى الصحيحة، انظر الجزنائى: ص٧.

ويقسم هوبكنز الوضع الدقيق لأرض المغرب بمقتضى وجهة النظر المالكية إلى ثلاثة أقسام:

أ - أراضى العشر: أى الأراضى التى أسلم أصحابها عليها وأصبحوا مسلمين ظلوا مالكين لأراضيهم يدفعون العشر بوصفهم مسلمين.

ب- أراضى الخراج المفتوحة عنوه: وهى تؤول إلى الدولة ويظل الخراج الذى يدفعه ساكنوها مسلمين كانوا أم غير مسلمين، وينظر إلى الخراج على أنه إيجار لا يجوز تخفيضه.

جـ- أراضى الخراج المفتوحة صلحا: وفى هذه الحالة ينظر إلى الخراج، على أنه ضريبة لا تدفع إلا إذا كان المالك كافرا. وتكون الأراضى فى الفئتين (ب، جـ) وقفا للدولة لا يجوز نقل ملكيتها، وفى الواقع لا يبدو أن الدولة بدأت أية محاولة لممارسة حقوقها بالنسبة لهاتين الفئتين، بل عاملت ساكنى الأراضى على أنهم مالكوها، على أنه يبدو أن الدولة على سبيل التعويض جبت ضريبة أراضى تعرف بالخراج عن جميع الأراضى دون تمييز.

انظر: هوبكنز: النظم الإسلامية فى المغرب، ص٧٥، ومع مرور الزمن أصبح معظم دافعي الخراج من المسلمين. وتستعمل الكلمة للدلالة على الضرائب التى هى ليست خراجا بمقتضى الشريعة انظر أيضا، ص٨٦.

٢٠٤- قيام دولة المرابطين: ص٤٠٤.

٢٠٥- النشاط الاقتصادى: ص١٦٥.

٢٠٦- ابن القطان: نظم الجمان، ص٣٣.

٢٠٧- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، جـ٤ ص١٠٢.

٢٠٨- ابن القطان: المصدر السابق، ص١٠٩، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص١٦٦.

٢٠٩- المكوس والجباية: نوع من الضرائب على التجارة، ولكن كان له أثره على المزارعين حيث يبيعون سلعهم فى الأسواق، وبذلك تكون المكوس والجباية ضرائب على التجار والفلاحين، حيث تكون نسبة الأرباح على رؤوس الأموال، فتأخذ من اكتساب الحيوان والنبات، وهو غلط عظيم، وإدخال للضرر على الرعايا من وجوه متعددة حيث فيه مضايقة للفلاحين الذين يبيعون سلعهم فى الأسواق، حيث تحصل عوائد الفلاحة من أنواع الغلات، انظر ابن خلدون: المقدمة، ص٢٣٥.

٢١٠- القباله: هو أن يجعل الشخص قبيلا: أى كفيلا بتحصيل الخراج وأخذه لنفسه، مقابل قدر معلوم يدفعه - وهو ما عرف فيما بعد باسم نظام الالتزام - فيستفيد السلطان تعجيل المال، ويستفيد المتقبل الفرق بين ما دفعه وما حصله، انظر محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، القاهرة، دار الأنصار، الطبعة الرابعة، ١٩٧٧، ص٢٦١، وترد القباله أيضا بمعنى كراء الأرض، فقد وردت فى نوازل الفترة الموحدية بهذا المعنى، وربما زاد الملاك كراء زراعيهم فأضر ذلك بالزراع، ضررا شديدا، انظر: عز الدين موسى: المرجع السابق، ص١٦٧ - ١٦٨.

٢١١- المغارم: وردت فى المصادر دون تحديد كنهها، عدا القول بأنه لم تبيحها الشريعة، انظر مجموع رسائل موحديه، ص٢٨، الأنيس المطرب، ص١٢٨، وترد بمعنى آخر غير معنى الضرائب، انظر أيضا هويكنز: النظم الإسلامية فى المغرب، ص١٠١ - ١٠٢.

٢١٢- المعونة أو الوظيفة: وردت أيضا في المصادر دون تحديد كنهها أنظر، الانيس المطرب، ص١٣٧ هويكنز: المرجع السابق، ص١٠١ - ١٠٢ في حين يعرفها عز الدين موسى بأنها ضريبة يفرضها الأمير على رعاياه للقيام بواجب الجهاد إن كان بيت المال خال من الأموال، انظر النشاط الاقتصادي، ص١٦٨.

٢١٣- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص١٧٢.

٢١٤- مجهول: رسائل موحديه، ص٢١ - ٢٢، ابن القطان المصدر السابق، ص١٥٦ - ١٥٧، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص١٧٣.

٢١٥- المهدية: مدينة محدثة البناء بساحل إفريقية بناها عبد الله الشيعي عام ٣٠٠هـ يحيط بها البحر من ثلاث جهات، يدخل إليها من الجانب الغربي، لها ربض يعرف بزويله وبين المهدية ومدينة القيروان ستون ميلا، وكانت المهدية قاعدة البلاد الإفريقية وقطب مملكتها، تغلب عليها صاحب صقلية عام ٥٤٣هـ وكان صاحبها يومئذ الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجي الذي تركها، ثم عمل عبد المؤمن بن علي الموحدي على إنقاذ المهدية من يد العدو فوصل إليها بمجموعة وحاصر العدو الذي صالحه عن الخروج عنها إلى صقلية، انظر: الحميري: الروض المعطار، ص٥٦١ - ٥٦٢.

٢١٦- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٩٩.

٢١٧- هويكنز: المرجع السابق، ص٨١ - ٨٢.

٢١٨- هويكنز: المرجع السابق، ص٨٢.

٢١٩- النشاط الاقتصادي: ص١٧٦.

٢٢٠- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٣٢٨.

٢٢١- ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٨٤ - ٤٥٥ عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ص١٧٣، كانت موقعة العقاب يوم الاثنين ١٥ صفر سنة ٦٠٩هـ حيث انتصرت الجيوش الأسبانية الأوروبية المتحالفة بقيادة ألفونسو الثامن على القوات الموحدية بقيادة محمد الناصر، وذلك في موقع يعرف بحصن العقاب بالأندلس، عن هذه الواقعة انظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٤٠١ - ٤٠٢ ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٢٣٦ - ٢٤٠.

٢٢٢- ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص١٥٨، ٢٤٩، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص١٧٧.

٢٢٣- عز الدين موسى: المرجع السابق، ص١٧٧.

٣٢٤- ابن خلدون: المقدمة، ص٢٠٤.

٢٢٥- الخرائط: يبدو أنها مجموعة الأوراق الخاصة بالمتحصلات الخراجية من الأراضى المزروعة التى كان يقيدها متولى بيوت الأموال فى المدن المغربية فى العصر الموحدى كل عام حيث كانت ترفع مجموعة هذه الأوراق المشهود عليها إلى الخليفة لمراجعتها.

٢٢٦- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٣٢٩، عز الدين موسى: المرجع السابق، ص١٧٩ - ١٨٠.

٢٢٧- أحمد مختار العبادى: الحياة الاقتصادية فى المدينة الإسلامية، ص١٥٧.

٢٢٨- انظر ما أشرنا إليه من تعريف للقيسارية فى الفصل الأول.

٢٢٩- مجهول: قصة البلديين من أهل فاس، ورقة ٤٦٨ - ٤٦٩.

٢٣٠- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص١٤١، الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص٤٢.

٢٣١- ابن القطان: نظم الجمان، ص٢٤٦.

٢٣٢- التربيعة: جمعها ترابيع، وهى سوق صغيرة مربع الشكل يعمل به بعض الصناع ولا تزال هذه الترابيع موجوده بفاس، ومسماه بهذا الاسم إلى اليوم، انظر تحقيق الأنيس المطرب، ص٤٨.

٢٣٣- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٤٣، ٤٨ - ٤٩، ٧٠، الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص٤٤ - ٤٥.

٢٣٤- ليون الأفريقى: وصف أفريقيا، ص٢٤٥، ٢٤٦، أحمد الطوخى القيساريات الإسلامية، ص٧٨ - ٧٩.

٢٣٥- مارمول كرفخال: أفريقيا، جـ٢ ص١٤٨ - ١٤٩. وللمزيد من المعلومات عن أسواق فاس وحوانيتها ومعرفة مواقعها وأنواعها ومدى انتشارها فى المدينة انظر ليون الأفريقى: وصف أفريقيا، صفحات ٢٣٩ - ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٧ - ٢٤٩، ومارمول كرفخال: أفريقيا، جـ٢، ص١٤٩ - ١٥٠، ١٥٢.

٢٣٦- البكرى: المغرب فى ذكر أفريقية والمغرب، ص١١٦.

٢٣٧- ليون الأفريقى: وصف أفريقيا، ص٢٤٠، مارمول: أفريقيا، جـ٢ ص١٤٨، تيتوس بوركهارت، فاس، ص١٧٥.

٢٣٨- فنادق: جمع فندق، وجاءت كلمة فندق من الكلمة الإغريقية Noyoopely التي كانت تطلق على بعض المنشآت التجارية انظر د. أحمد الطوخي: القيساريات الإسلامية، ص٦٧، وما أشار إليه من مصادر.

٢٣٩- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٤٨، الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص٤٤، ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص٢٦٦ - ٢٣٨.

٢٤٠- محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، ص٢٥٩ - ٢٦٠.

٢٤١- خانات: جمع خان وهي كلمة فارسية الأصل تعني الحانوت أو المكان الذي ينزل به التجار، انظر د. أحمد الطوخي: المرجع السابق، حاشية ص٦٨، وما أشار إليه من مصادر.

٢٤٢- تيتوس يوركهارت: المرجع السابق، ص١٧٥.

٢٤٣- مارمول: المصدر السابق، جـ٢ ص١٤٩، ١٥٢.

٢٤٤- الونشريسي: المعيار، جـ٥ ص١٩٧ - ١٩٨.

٢٤٥- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٣٦٢، حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص٢٧٥، ونود أن نشير هنا أنه يبدو أن أمناء الأسواق خضعوا لإشراف المحتسبين. ولكن عبد الرحمن الفاسي يعلق على منصب الحسبة في عهدي المرابطين والموحدين بقوله: أن الظاهرة الماثلة هي غياب منصب المحتسب في عهد المرابطين في المغرب وقيام القاضي عندهم مقام المحتسب .. ويستطرد قائلا، ونظرا لمبدأ الموحدين فلم يكن هناك تفكير عند ابن تومرت في إدخال نظام الحسبة الذي يقوم أساسا على الفروع الفقهية.. ويرى أن الموحدين اكتفوا بأمناء الأسواق. انظر، عبد الرحمن الفاسي: خطة الحسبة بين النظر والتطبيق، الدار البيضاء، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٨٤، ص٨١، ٨٤. كما استبعد من قبل كثير من الدارسين في تاريخ المغرب في عهدي المرابطين والموحدين وجود منصب المحتسب في هذه الفترة.

وعلى الرغم من ذلك تعتقد أن نظام الإدارة في عهدي المرابطين والموحدين لم يكن يخلو من منصب الحسبة كما كان عليه الحال يومئذ في الأندلس، إلا أن المصادر التاريخية لم تشر إلى وجود منصب متولي الحسبة في فاس ومراكش صراحة باستثناء ما ورد في ترجمة مروان بن عبد الملك اللمتوني الفاسي الذي بعث إليه قاضي مراكش ليقدمه على خطة الحسبة هناك. وذلك قبل عام ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م وفي ترجمة ميمون بن علي بن خيازه الخطابي الذي تولى حسبة

الطعام فى مراكش، والذى عاش فى الفترة من ٥٧٠ - ٦٣٧هـ مما يدفعنا إلى الاعتقاد بوجود منصب المحتسب.
انظر التادلى: التشوف ص٢٢٣، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٣٣٤، ٣٤٨. ويذكر الأستاذ ليفى بروفنسال أن هذا المنصب لا يقل أهمية عن عامل المدينة مع خضوعه خضوعا مباشرا لإشراف القاضى، فالمحتسب هو المنظم الحقيقى للحياة الاقتصادية فى المدينة، ويقطع ليفى بروفنسال بأن هذا النظام وجد فى المغرب دون انقطاع خلال العصر الوسيط. انظر، أدب الأندلس وتاريخها ص٨٤، وعن صفات المحتسب ومهامه الكثيرة انظر ثلاث رسائل أندلسية فى أدب الحسبة والمحتسب.
٢٤٦- ابن الزيات التادلى: التشوف، ص١٧٧، ٢٨١، ٢٣٤، ٣٣٢.
٢٤٧- ليون الأفريقى: المصدر السابق، ص١٧١، ١٨٤، مارمول كرفخال: المصدر السابق، جـ٢ ص١٤٨، ١٥٢، ١٥٤، جـ٣ ص١٤٥.
٢٤٨- بن قربة صالح: المسكوكات المغربية، ص٥٢٢.
249- Hary. W. Hazard: The numisnatic History of Late Medieval notrh Africa, p. 60.
250- Zweiter Band: Katalog Der orientalis chen munzen, Berlin, 1902, p. 123.
٢٥١- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص١٣٧ – ١٣٨.
٢٥٢- ابن يوسف الحكيم: الدوحة المشتبكة، ص١١١.
٢٥٣- بن قربة صالح: المسكوكات المغربية، ص٥٢٨ – ٥٢٩،
Harry: Op. Cit, p. 48.
٢٥٤- بن قربة صالح: المرجع السابق، ص٥٥٤.
255- Lavoix. M. Henri: Catalogue Des monnailes muslmanes de la bibliothequenationale de espagne et Afrique Paris, 1891, Vol. 3, pp. 222 - 227.
بن قربة صالح: المرجع السابق، ص٥٦٦ – ٥٧٠.
٢٥٦- بن قربة صالح: المرجع السابق، انظر جدول رقم ٧ ص٥٨٧ – ٥٨٨.
٢٥٧- القراريط: جمع قيراط، وكل درهم يساوى قيراطين. انظر، التادلى: التشوق، ص٣٣٣.

٢٥٨- ابن الزيات التادلي: المصدر السابق، ص١٧٦، ١٧٧، ٤٠٠، بن قرية صالح: المرجع السابق، ص٥٩٣.

259- Harry: op. Cit, p. 48.

٢٦٠- بن قرية صالح: نفس المرجع السابق والصفحة.

261- Harry: op. Cit, p. 48.

262- Ibid: pp. 48 – 49.

٢٦٣- عبد الصمد كنون: جنى زهرة الآس فى شرح نظم عمل فاس، مصر مطبعة الشروق، بدون تاريخ، ص٢٤.

٢٦٤- العمرى: وصف المغرب، ص١٤٢، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٥ ص١٧٨.

٢٦٥- البكرى: المغرب، ص١١٧.

٢٦٦- العمرى: وصف المغرب، ص١٤٢، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص٢٧٠، القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٥ ص١٧٧.

٢٦٧- مجهول: الاستبصار، ص١٨٤، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٦٦، ٦٧.

٢٦٨- العمرى: نفس المصدر والصفحة.

٢٦٩- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٤٨، ص١٧١، الجزنائى جنى زهرة الأس، ص٤٤.

٢٧٠- الإدريسى: المغرب وأرض السودان ومصر، ص٧٩، انظر: الحميرى: الروض المعطار، ص٣٣٤، حسن على حسن: الحضارة الإسلامية، ص٢٧١.

٢٧١- الجزنائى: المصدر السابق، ص٣٩، وانظر حسن على حسن المرجع السابق، ص٢٧١.

٢٧٢- الزهرى: كتاب الجنرافيا، ص١١٥، ليون الأفريقى، وصف أفريقيا، ص٢٢٠.

٢٧٣- ليون الأفريقى: المصدر السابق، ص٦٢،

L. Goluin: Le Magrib Central, p. 37.

٢٧٤- الزهرى: المصدر السابق، ص١١٦.

٢٧٥- مغيله: مدينة من أحواز فاس مسماه باسم القبيلة التى كانت تسكنها، تقع بين فاس ومكناس على يمين الذاهب من الأولى إلى الثانية، كان الطريق القديم يمر بها قبل تعبد الطريق الجديد فى أول هذا القرن، فربها الجند الروم الذين كانوا فى جيش الخليفة السعيد الموحدى فهبطت إلى مستوى قرية لا تزال قائمة

العين ينسب إليها جماعة من الأعلام، انظر دار المنصور في تحقيقها للأنيس المطرب، ص١٥٨.

٢٧٦- الزهري: المصدر السابق، ص١١٥، مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، ص١٩٣.

٢٧٧- ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص١٤١.

٢٧٨- القراطوني: نوع جيد من جلود الماعز أو الضأن المدبوغ: انظر عبد الرحمن حميده في تحقيقه لوصف أفريقيا، ص١٢٨.

٢٧٩- ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص١٢٧، ١٢٨، ١٧١.

٢٨٠- مدينة داي: مدينة بأرض المغرب، تقع في سفح الجبل الخارج من جبل درن، بينها مدينة أغمات مسيرة أربعة أيام، كما أن بين داي وتادلة مرحلة، انظر الحميري: الروض المعطار، ص٢٣١.

٢٨١- البكري: المغرب، ص١٥٤، حسن علي حسن: المرجع السابق، ص٢٧٢، عيسى الديب، التجارة في عصر المرابطين، ص٩٤.

٢٨٢- ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص١٨٤.

٢٨٣- ابن الزيات التادلي: التشوف، ص٢٣٤.

٢٨٤- ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص٣٠١.

٢٨٥- ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص٢١٤.

٢٨٦-الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر، ص٨١.

٢٨٧- الإدريسي: المصدر السابق، ص٧٦.

٢٨٨- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٤٢.

٢٨٩- الزهري: المصدر السابق، ص١١٤.

٢٩٠- مجهول: الاستبصار، ص١٨١، وانظر، الحميري: الروض المعطار، ص٤٣٥.

٢٩١- لسان الدين بن الخطيب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في المغرب والأندلس، ص١١١.

٢٩٢- عيسى الذيب: التجارة في عصر المرابطين، ص١١٧ - ١١٨.

٢٩٣- عز الدين موسى: النشاط الاقتصادي، ٣١٢.

٢٩٤- البكري: المغرب ص١١٤ - ١١٥، عيسى الذيب: المرجع السابق، ص١١٨.

٢٩٥- البكري: المصدر السابق، ص١٠٩، ١١، وانظر وصف البكري للطريق بين طنجة وفاس.

٢٩٦- مارمول كرفخال أفريقيا، جـ٢ ص٢٠٩ عيسى الذيب المرجع السابق ص١٢٢.

٢٩٧- مدينة طليطلة: مركز لجميع بلاد الأندلس لان منها الى كل من قرطبة وبلنسيه والمريه تسع مراحل، وهي مدينة عظيمة القطر كانت دار الملك بالأندلس. حين دخلها طارق بين زياد، وتقع طليطلة على صفة النهر الكبير، حصينته لها أسوار حسنة وقصبة حصينة، انظر الحميرى: الروض المعطار، ص٣٩٣ ٣٩٥.

٢٩٨- ابن الزبير: صلة الصلة، جـ٧ ص٢٠٩.

٢٩٩- ابن عبد الله المراكشي: الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة، القسم الأول من السفر الخامس، ص٢٥ - ٢٦.

٣٠٠- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، جـ١ ص١١٠، ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق،ص٣١٩ - ٣٢٣.

٣٠١- ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، ص٢٥ - ٢٦.

٣٠٢- ليون الأفريقي: المصدر السابق، ص٢١٣ - ٢١٤.

303- L. Goluin: Le Magrib Central, p. 83.

٣٠٤- عبد الهادى التازى: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ص٢٦٠.

٣٠٥- حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص٣٩٩ ٤٠٢، عيسى الذيب: المرجع السابق، ص١١٨.

٣٠٦- مديني جنى: تتاخم مملكة ولاته، بيد أن كل منهما تبعد عن الأخرى مسافة تقارب خمسمائة ميل فى الصحراء، وتمتد جنى على نهر النيجر على امتداد مائتين وخمسين ميلا تقريبا. انظر ليون الأفريقي: وصف أفريقيا، ص٥٣٧.

٣٠٧- مدينة تنبكت: مدينة بصحراء السودان نشأت على أيدى توارق مفشرق فى أواخر القرن الخامس الهجرى، تمتد على مسافة اثنى عشر ميلا من فرع نهر النيجر، انظر: السعدى، تاريخ السودان، أنجى مطبعة بردين، ١٨٩٨، ص٢٠، ٢١.

٣٠٨- السعدى: المصدر السابق، ص١١، ٢١، الأمين عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى، جده، المجمع العلمى بجده ١٩٧٩، ص١٣٦، زاهر رياض: الممالك الإسلامية فى غرب أفريقية القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٦٨. ص١٢، باذل دافدس: أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال محمد أحمد، بدون تاريخ ومكان، ص١٩.

٣٠٩- الإدريسي: وصف أفريقيا الشمالية، ص٧، ٩، ومدينة غانة من أكبر بلاد السودان قطرا وأكثرها خلقا، وأوسعها متجرا وأهلها مسلمون، انظر نفس المصدر، ص٧.

٣١٠- الزهري: كتاب الجغرافيا، ص١١٩.

٣١١- ابن القطان: نظم الجمان، ص١٠٩، عيسى الذيب: المرجع السابق، ص١٣٨.

٣١٢- مارمول كرفخال: أفريقيا، جـ٢ ص١٥٤.

313- Davidson, Basil. The Afrıcans anentry to cultural History. London, 1969, p. 214.

أحمد الياس: الطرق التجارية عبر الصحراء، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الآداب، ١٩٧٧، ص١٥٣ - ١٥٤.

٣١٤- الزهري: المصدر السابق، ص١٢٤، عز الدين موسى: النشاط الاقتصادى، ص٣٢٦.

٣١٥- أحمد الياس: المرجع السابق، ص١٦٧.

٣١٦- البكرى: المغرب، ص١٥٨، أحمد الياس: المرجع السابق، ص١٦٩.

٣١٧- أحمد الياس: المرجع السابق، ص١٦٩، الأمين عوض الله: المرجع السابق، ص١٥١.

٣١٨- انظر الطريق الذى ذكره عبد الواحد المراكشي بين فاس وبجاية على ساحل البحر المتوسط، ومنها إلى المشرق، والذى أشرنا إليه آنفا، ويبدو أن هذا الطريق كان معروفا، فعند عودة ابن تومرت من المشرق عن طريق البحر نزل فى بجاية. ويشير أيضا ابن القاضى المكناسى فى ترجمته لعثمان ابن عبد الله السلالجى أنه رحل من فاس إلى مدينة بجاية عازما على الرحلة منها إلى المشرق عن طريق البحر. انظر جذوة الاقتباس جـ٢ ص٤٥٨.

٣١٩- ابن حوقل النصيبى: صورة الأرض، ص٦٥، عيسى الذيب: المرجع السابق، ص١٥٤.

٣٢٠- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٦٠، عيسى الذيب: المرجع السابق، ص١٥٦.

٣٢١- ابن عذارى: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٨١.

٣٢٢- وثائق الجينزا مجموعة من الوثائق المهمة لدراسة التاريخ الاقتصادى والاجتماعى والثقافى لمنطقة الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، اكتشفت منذ

قرن تقريبا، وكلمة جينزا كلمة عبرية مفترضة من الفارسية وهي بمعنى "خزانة" وفي العصور الوسطى أطلقت كلمة جينزا على تلك الحجرة التي كان اليهود يخزنون فيها أوراقهم الخاصة من خطابات وعقود. انظر حسين محمد ربيع: وثائق الجينزا وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي، بحث منشور في موسوعة دراسات تاريخية للجزيرة العربية، الكتاب الأول، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، جـ٢ طبعة الرياض، ١٩٧٩، ص١٣٢.

٣٢٣- شوقي عبد القوي عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، الكويت، عالم المعرفة، عدد ١٥١، سنة ١٩٩٠، ص٦٤.

٣٢٤- عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٤٤٤.

٣٢٥- مجهول: الاستبصار، ص٢٠٢، حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص٣٧١، محمد الحبيب بن الخوجه، اليهود في المغرب، ص٢٥ - ٢٦، عيسى الذيب، المرجع السابق، ص١٥٨.

326- Goitein: Jews and Arbas: Their contacts through The ages, New York, 1955, pp. 118, 119.

327- Goitein: Studies in islamic History and insitions, Brill, Leiden, 1967, p. 268.

328- Goitein: Amediterranean society, London, 1971, Vol. II, p. 166.

٣٢٩- الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر، ٧٩، ٨٠، الزهري: كتاب الجغرافيا، ص١١٤، الحميري: الروض المعطار، المصدر السابق، ص٤٣٤، ٤٣٥.

٣٣٠- ابن القطان: نظم الجمان، ص١٨٣.

٣٣١- ابن القطان: المصدر السابق، ص٢٤٦.

٣٣٢- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٢٧٧.

٣٣٣- ابن الزيات التادلي: التشوف، ص٢٣٢، ٢٣٣، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٤٠، ٢٧٠.

٣٣٤- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٤٩، ٢٧٠، عبد الهادي التازي: جامع القرويين، جـ١ ص١٠٠، ١٠١.

الفصل الخامس

الحياة الفكرية والعلمية بمدينة فاس فى عصرى المرابطين والموحدين

شهدت مدينة فاس منذ قيام دولة المرابطين وفي عصر الموحدين نهضة علمية، نظرًا لما تضمنته تلك الفترة من القيام بدعوتين دينيتين وما صحبهما من صراع فكرى واتجاهات دينية، ولم يتجه التعليم في هذين العصرين وجهة دينية فحسب، بل ازدهرت الحياة العلمية في شتى الميادين.

وقد ساعد على ثراء هذه النهضة اهتمام الأمراء المرابطين ومن بعدهم الخلفاء الموحدين بتدعيم الحركة الفكرية والعلمية بمدينة فاس وغيرها من مدن المغرب العربى، وقد تعرضت في الفصل الثالث لاهتمام حكام الدولتين بالعلم والعلماء. إلى جانب ذلك كانت هناك عدة عوامل ساعدت على نمو الحياة العلمية بالمدينة منها:

العامل السياسي:

عاشت مدينة فاس قرن ونصف من الاضطرابات السياسية والخمول قبل دخول المرابطين المدينة، حيث تناحر للسيطرة عليها الأمويون والفاطميون وقبائل زناته، وقد تخلصت المدينة من حالة الفوضى التى عاشتها بسيطرة المرابطين على مقاليد الأمور، وتوحيدهم للمدينة في ظل حكومة مركزية واحدة. ثم جاء الموحدون في أعقابهم وقد أحكموا سيطرتهم على المدينة أيضًا، وفي مناخ الاستقرار السياسي الذى شهدته فاس في هذين العصرين نمت الحركة العلمية وازدهرت.

العامل الاقتصادى:

ونتيجة لاستقرار الأوضاع السياسية ازدهرت الحياة الاقتصادية بفاس حيث حرص الأمراء المرابطين والخلفاء الموحدين على النهوض بالأوضاع الاقتصادية بالمدينة فاتجه الأهالى إلى توجيه أبنائهم للتعليم. كما كان لهذا الاستقرار الاقتصادى أثره في دفع الأهالى إلى وقف الأوقاف لتعليم الصبيان، فكان لهذا أثره في نهضة العلوم[1].

الهجرة إلى فاس:

على الرغم من أن الصلات الثقافية لم تنقطع بين المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامى للمنطقة، إلا أن هذه الصلات ازدادت رسوخًا وازدهارًا بعد أن أصبحت الأندلس إقليمًا تابعًا للمغرب الأقصى في عهدى المرابطين والموحدين، فكانت هناك هجرات كثيرة من علماء الأندلس خلال هذه الفترة فرارًا من المعارك الطاحنة التى شهدتها منطقة الأندلس ضد نصارى أسبانيا مما دفع العلماء إلى

الانتقال إلى مدن المغرب، ومنها فاس لينعموا بالاستقرار فضلا عن التكريم والترحيب من ولاة الأمر والشعب المغربى[٢]. وكان لهذا الاحتكاك أثره فى توجيه أنظار أهل البلاد إلى الأخذ بأسباب العلوم .. يقتبسون من علماء الأندلس ويأخذون بأدواتهم، وما لبثوا أن شاركوهم فى جميع العلوم، ونبغ من أهل المدينة أفراد كثيرون كان لهم قيام حسن على فنون من العلم[٣].

كما شهدت مدينة فاس هجرات كثيرة من مختلف المدن المغربية وكان أغلب هذه الهجرات من أجل طلب العلم بالمدينة. حيث صارت فاس نجما يتألق بما فيها من تيارات ثقافية، وبما يموج بداخلها من حركة علمية، دفع عبد الواحد المراكشى أن يصفها "بأنها حاضرة المغرب وموضع العلم منه"[٤].

الرحلة العلمية لأبناء فاس إلى الأندلس والمشرق:

كانت الرحلة فى طلب العلم أمرا شائعا بين طلاب العلم فى العصر الإسلامى، حيث كانت فكرة ضرورة الأخذ عن الشيخ مباشرة والجلوس إليه لها أهمية كبرى فى التعليم فى تلك الفترة، فلم يكتف الطالب بقراءة مصنفات الأستاذ وحده وإنما حرص أن يقرأها عليه أو يسمعها منه حتى يكون قد تفقه فى مادته وصحبه فى علمه[٥]. وشملت الرحلة العلمية تدفق طلاب العلم من مدينة فاس على مراكش بالأندلس وأسهبت المصادر الإسلامية وكتب التراجم فى الحديث عن طلاب العلم الذين وفدوا على الأندلس من مدينة فاس لينهلوا العلم من معاهدها حتى أن الكثيرين من علماء وقضاة فاس كانوا ممن تلقوا تعليمهم فى مراكز العلم الأندلسية[٦].

كما كان طلبة فاس يرحلون إلى المشرق فى رحلات علمية حافلة يقضون فيها الأعوام الكثيرة من أجل نهل العلم ولقاء الشيوخ، فهذا محمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الكريم التميمى الفاسى المتوفى عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م قد رحل إلى المشرق، ولقى هناك أكثر من مائة شيخ أخذ عنهم، وجمع فى ذلك فهرست سماه "النجوم المشرقة فى ذكر من أخذ عنه من كل ثبت وثقة"[٧].

ولا شك أنه كانت لهذه الهجرات العلمية أثرها فى تنشيط الحركة العلمية بمدينة فاس، حيث كان هؤلاء المهاجرون يعودون إلى المدينة بأنواع من العلوم المختلفة، ويقومون بتدريسها فى مدينة فاس.

إنشاء المكتبات العامة والخاصة:

كان مما ساعد على النهضة الفكرية والعلمية أيضا إنشاء المكتبات العامة والخاصة التى كان أصحابها يفتحون أبوابها لطلبة العلم، فتجلت النهضة العلمية فى المكتبات العديدة، حيث عرف عن علماء فاس أنهم يتبارون فى اقتناء الكتب ونسخها .. فكانت المكتبة العلمية بجامع القرويين فى عهدى المرابطين والموحدين على غاية من الكمال، ويكفى أن نعرف أن كلا من الدولتين قام على مذهب، ومن شأن ذلك أن يجعل الدولة تفرض انتشار كتب معينة، بل أن تجمعها وتجعلها فى متناول العموم فى كل لحظة .. ومن المعروف أن فاسا بلغت فى عهدى المرابطين والموحدين مالم تبلغه مدينة من مدن المغرب. لذا كان حظها من الخزانة العلمية للدولة حظا كبيرا .. وقد عرف أسماء الخزائن المنتشرة، وبعض أسماء المقيمين عليها، ودرجة الأهمية التى يولونها لمن تعهد إليهم إدارة تلك الخزائن، حيث كانوا يختارون من علية القوم ومن أكملهم علما وأكثرهم إطلاعا[٨].

وهناك عدد من علماء فاس كانت لهم مكتبات عظيمة ورد ذكرها فى المصادر، فهذا محمد بن أحمد البيرانى التجيبى المتوفى بعد عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٦م كان من المهتمين باقتناء الكتب، فكان صاحب دفاتر ودواوين كتب نفسيه اقتناها من الأندلس[٩] وهذه مكتبة ابن الغرديس التغلبى المتوفى بعد عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م الذى كان قاضيا لفاس وناظرا لجامع القرويين وكان موضعها بزنقة حجامة حيث نزل القاضى عياض[١٠]، ومكتبة القاضى أبى القاسم عبد الرحيم بن الملجوم ٥٢٤ - ٦٠٤هـ ١١٢٩ - ١٢٠٧م والتى كونها من مكتبة والده عيسى الأزدى الزهرانى ومكتبة أستاذه أبى عبد الله محمد بن أحمد الخزرجى الجيانى، ثم أضاف إلى هذه وتلك من النفائس والذخائر[١١].

ومن مكتبات فاس الخاصة مكتبة الأستاذ المؤلف أبى القاسم عبد الرحمن بن الملجوم ٥٣٠ - ٦٠٥هـ/ ١١٣٥ - ١٢٠٨م الذى شيد غرفة ضخمة كان يقصدها كبار البلد وعيونها، جمع لها من الكتب والدواوين الشئ الكثير حتى صارت خزانة جليلة الشأن لم يكن لأحد من أهل العصر مثلها، تركها لأبنته التى باعت أوراق المكتبة الغير مجلده بعد وفاة أبيها بستة آلاف دينار[١٢]. كما كان أبو عبد الله محمد بن يحيى بن تاكوت المسوفى المتوفى عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م والذى ولى أعمال فاس معتنيا بالكتب جمع منها مالم يجمع غيره، وكانت مكتبة المونانى (محمد بن عيسى بن منصر) المتوفى عام ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م عظيمة جدا[١٣]. هذا وكان من أبناء

فاس من يبذل المال الكثير في سبيل اقتناء الكتب، فالقاضي عيسى بن يوسف بن الملجوم، كان جامعا للدواوين العتيقة والدفاتر النفيسة، وقد إبتاع من أبي علي الغساني نسخة من سنن أبي داود دفع فيها خمسة آلاف دينار(١٤).

وتدل المكتبات وما تزدحم به من مؤلفات على مدى ازدهار الحركة العلمية والفكرية بالمدينة .. وبذلك أسهمت المكتبات في دفع تيار الثقافة بفاس وتزويد الحياة الفكرية بما تحتاجه من مدد في مختلف فروع المعرفة.

المعلمون:

يذكر ابن خلدون "أن الحذق في العلم والتفنن فيه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله، وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلا .. ولهذا كان السند في التعليم في كل علم إلى مشاهير المعلمين فيه معتبرا عند كل أهل أفق وجيل"(١٥). لذا اهتم العرب والمسلمون بالمعلمين لخطورة دورهم في المجتمع. فكان من هؤلاء العلماء من يصير من جلساء أصحاب الأمر(١٦). حيث كانوا يختارون أكفأهم لتربية أولادهم، فهذا أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله ابن حرزهم المتوفي عام ٥٥٩هـ/ ١٠٦٦م من أهل مدينة فاس كان فقيها حافظا للفقه استدعاه بعض أمراء المرابطين للقراءة عليه والأخذ عنه(١٧). كما كان محمد بن حماد العجلاني المتوفي عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م من أهل فاس، هو المخصوص بقراءة كتب الحديث وروايته على الأمراء(١٨).

ثانيا: طرق التعليم بمدينة فاس في عهدي المرابطين والموحدين:

لطرق التدريس أهمية خاصة في التعليم بوجه عام، إذ هي الوسائل التعليمية التي تنفذ بها أهداف التعليم وغاياته، وقد كان للتعليم الإسلامي "الطرق الخاصة" التي تميز بها وسار على نهجها وكانت حلقات الدرس التي يلتف فيها الطلاب حول أستاذهم هي الطريقة السائدة في التعليم الإسلامي(١٩). وعرف الطلاب خلالها وسيلتين لتلقي التعليم:

- طريقة التلقين أو التحفيظ، والتي عادة ما كانت تتم في الكتاتيب حيث "يجلس المعلم في الكتاب لتحفيظ القرآن الكريم، وبعض المبادئ لرسم المصحف ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، ولا يخلطون ذلك بسواه في مجالس تعليمهم مثل الحديث والفقه والشعر وكلام العرب(٢٠).

- طريقة السماع والقراءة، وفيها يقوم الأستاذ في مجلسه بإلقاء دروسه على طلبته[٢١]. ووردت العديد من ترجمات الطلبة الذين تلقوا تعليمهم بهذه الطريقة على أيدى الشيوخ، فهذا منصور بن مسلم الزرهونى المتوفى عام ٥٥٦هـ/ ١١٦١م من أهل مدينة فاس، سمع من عباد بن سرحان صحيح مسلم وجامع الترمذى[٢٢]. وعلى بن أحمد بن أبى بكر المقرى المعروف بابن حنين المتوفى عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م سمع من على بن القاسم خلف بن فرتون الموطأ والسير وعلم القرآن[٢٣]. كما كان لبعض العلماء عناية بسماع الحديث وروايته وذكر أسانيده من الطلبة[٢٤].

ثالثا: المؤسسات التعليمية بمدينة فاس:

المساجد

إن تاريخ التربية الإسلامية يرتبط ارتباطا وثيقا بالمسجد، فهو المركز الرئيسى لنشر الثقافة العربية الإسلامية، ولعل السبب فى جعل المسجد مركزا ثقافيا هو أن الدراسات فى سنى الإسلام الأولى كانت دراسات تهدف إلى شرح تعاليم الدين الجديد .. وهى تتصل بالمسجد، فاتخذوه مكانا للعباد، ومعهدا للتعليم[٢٥]. ومركزا تدور حوله الحياة الدينية والعقلية والسياسية فى المدينة[٢٦].

ولما كانت الدولتان المرابطية والموحدية قد قامتا على أساس دينى فقد اهتم ولاة الأمر من المرابطين والموحدين ببناء المساجد فى أماكن متفرقة، وقد شهدت مدينة فاس اهتماما بالغا بإنشاء المساجد فيها والعناية بها فأمير المسلمين يوسف بن تاشفين أمر سكان كل شارع بالمدينة ببناء مسجد وإلا تعرضوا للعقاب وذلك منذ اللحظة الأولى التى دخل فيها المدينة[٢٧]. كذلك أصدر الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على أوامره ببناء المساجد فى جميع أرجاء البلاد[٢٨]. وقد أحصيت مساجد مدينة فاس فى العصر الموحدى فكانت سبعمائة واثنين وثمانين مسجدا[٢٩].

ومن أشهر مساجد فاس التى قامت بدورها كمعهد للتعليم جامع القرويين الذى وضع حجر أساسه عام ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م ليكون دار فقه وعلم[٣٠]. واهتم المرابطون ومن بعدهم الموحدون بهذه المؤسسة الدينية العلمية، فعلى أثر مؤتمر ضم العلماء والفقهاء استقر الرأى فى عام ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م أن يعهد للقاضى محمد بن داود[٣١]. بأمر إصلاح الجامع وتوسعته، فقام القاضى بشراء الأملاك المجاورة للجامع من أجل الزيادة فى مساحته، فبنى فيه الباب الكبير الغربى، وهو باب الشماعين، وجعل للمسجد أبوابا عظيمة، كما تمت الزيادة فى صحنه[٣٢]. وعندما توفى هذا

القاضى، وخلفه الفقيه عبد الحق بن معيشه، حذا واقتفى أثره فزاد فى الجامع ثلاث بلاطات ومحرابا وصنع له منبرا جديدا، وجعلت أبواب الجامع كلها مغشاه بالنحاس الأصفر، ونقش على القبة والمحراب بالذهب واللازود وأصناف الأصبغة، وكان الفراغ من هذه الزيادة عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م(٣٣).

وشهد هذا الجامع اهتماما آخر من خلفاء الدولة الموحدية، حيث صنعوا له الخصة والبيلة فى عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م، كما صنعوا له المستودع والساقية الكبرى فى أيام الفقيه أبى محمد يشكر، أما الثريا الكبرى لهذا الجامع فصنعت أيام الفقيه الصالح عبد الله بن موسى المعلم عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م(٣٤).

هذا واستمرت الدراسة بجامع القرويين منذ إنشائه ولم تغلق أبوابه حتى فى الفترات التى كانت تتم فيها أعمال الإصلاح والزيادة، وحتى عندما اتخذ المرابطون مراكش عاصمة لهم، وبنى بها جامع على بن يوسف، ظلت القرويين مركزا للإشعاع العلمى(٣٥). وظل قضاة "مقر الخلافة بمراكش" من أمثال عيسى بن عمران المتوفى عام ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م يبعثون بأبنائهم للتزود من معين القرويين، وكان مثل هذا أيضا يحدث من الأصقاع الجنوبية ومدن الساحل الشمالى(٣٦).

أما عن بداية التعليم بجامع القرويين فأن أقدم رواية تذكر أن محمد بن جراح الأنصارى كان يعطى درسا له بالجهة الغربية من الجامع المذكور منذ عام ٥١٥هـ/ ١١٢١م(٣٧). كما تذكر النصوص أيضا أن أحمد بن أحمد بن عبيده الأنصارى القرطبى المتوفى عام ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م درس فيه وأخذ عنه جماعة به علم الحديث(٣٨). كما تصدر ابن نموى الفاسى المتوفى عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م للأقراء فى شرق القرويين(٣٩) وكانت العادة المتبعة أن لا ينتصب للتدريس بالقرويين إلا من انتهت إليه المهارة الكافية فى العلم والسلوك تلك الكفاية التى يذيع أمرها عن طريق التدريس فى تلك العلوم(٤٠).

مما تقدم يتضح أن جامع القرويين كان مركزا علميا ذا أهمية عظمى، وكعبة يحج إليها الطلبة من جميع أنحاء المغرب الإسلامى لتلقى العلوم الإسلامية وغيرها من العلوم الأخرى(٤١).

وكان جامع الأندلس من المساجد المعروفة التى يلقى فيها الشيوخ دروسهم فى هذين العهدين، فكثيرا ما عقدت به حلقات علمية، حيث كان جملة من العلماء يدرسون العلم فى مواضع منه، وكانوا أهل شورى ممن يقتدى بهم، ويقصدهم الناس من أقطار البلاد، فمنهم المدرس، والمجود للقرآن، والطالب لما يشاء من

فنون العلم في مجالس شتى، ومن العلماء الذين ألقوا دروسهم بجامع الأندلس الشيخ الفقيه أبو الفضل يوسف بن محمد المتوفى عام ٥١٣هـ/ ١١١٩م[٤٢]، هذا إلى جانب المساجد الأخرى في عهد المرابطين مثل المسجد المنسوب لابن حنين الذي كان يقرئ به أبو الحسن علي بن أحمد بن أبي بكر الكتاني المعروف بابن حنين[٤٣]. ومسجد زقاق الماء الذي كان يدرس فيه أبي بكر عثمان بن مالك من شيوخ أبي الحسن بن حرزهم[٤٤] ومسجد الحوراء الذي قصد للأقراء به أبو بكر محمد بن عبد الله بن مغاور اللخمي الأشبيلي المتوفى ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م[٤٥]. ومسجد طريانه الذي نزل به المهدي بن تومرت مدة إقامته بفاس في السنين الأولى من دعوته[٤٦]. وجامع فاس الذي تلقى فيه الشيخ أبو مدين التعاليم الدينية في بداية دخوله المدينة[٤٧].

واشتهرت كذلك في العصر الموحدي بعض المساجد التي جلس فيها العلماء لإلقاء دروسهم منها مسجد زقاق الرواح الذي جلس فيه للإقراء يوسف بن عبد الصمد بن نموي الفاسي المتوفي عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م[٤٨] ومسجد علي بن أحمد بن أبي بكر الكتاني[٤٩]. وجامع باب السلسلة الذي كان يلقى به علوم الحديث يوسف بن موسى بن أبي عيسى الفساني المتوفي بعد انتهاء الدولة الموحدية بقليل[٥٠].

المكتب أو الكتاب[٥١]:

كان هذا النوع من الكتاتيب أسبق أنواع المعاهد التعليمية - بعد المسجد - وجودا في العالم الإسلامي، وقد اشتق اسم هذا المعهد (الكتاب) من التكتيب وتعليم الكتابة، وهذه المهمة التي كان يطلع بها، فهو في الغالب وجد متصلا بتعليم القراءة والكتابة[٥٢]. ولما أنشئت الكتاتيب تولى حفظة القرآن العمل بها، وأصبح القرآن الكريم نقطة الارتكاز في هذه الدراسة الابتدائية[٥٣]. فمن المعروف أن حفظ القرآن الكريم وختم المصحف كان أول أهم خطوة في تعليم الصبيان والصغار بصورة خاصة، وكان يجب على والد الصبي أو ولي أمره أن يتفق مع المعلم على أجر معين مقابل قيامه بهذه المهمة، وتعهده بإتمامها على أكمل وجه[٥٤]. وورد في كتاب التشوف ما يؤيد ذلك ويؤكده، حيث كان معلم القرآن للصبيان يأخذ الأجر من أبناء الأغنياء ويرده على أبناء الفقراء[٥٥].

وانتشرت الكتاتيب في شوارع فاس وأزقتها في عصري المرابطين والموحدين ووردت ترجمات عديدة نتعرف من خلالها على القائمين على تعليم

الصغار. وتمدنا النصوص التى بين أيدينا بأخبار العديد منهم خاصة أولئك الذين بلغوا شأوا بعيدا وتألق نجمهم فى سماء الشهرة، فهذا أبو عبد الله التاودى المعلم لكتاب الله، والمتوفى عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م من أهل مدينة فاس، كان يقوم بتعليم الصبيان القرآن الكريم فى المكتب[٥٦]. كما قام بالدراسة فى هذه المعاهد العلمية الفقيه موسى المعلم الذى كان يعلم الصبيان فى معهد قنطرة أبى رؤوس بفاس، والذى ارتقى للقيام بالخطبة فى جامع القرويين [٥٧]وكذلك إبراهيم العشاب الأنصارى المتوفى عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م من أشونة[٥٨] كان يعلم القرآن بمدينة فاس[٥٩].

كما كان تاشفين بن محمد من أهل مدينة فاس يقوم على تعليم القرآن وتوفى هذا المحفظ عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م[٦٠]. كذلك كان الفقيه أبو محمد القضاعى المتوفى عام ٦١٥هـ/ ١٢١٨م من أهل مدينة فاس يقوم بتعليم الصبيان لكتاب الله فى المكتب[٦١].

من هنا صار للكتاب أهمية خاصة باعتباره المرحلة الأولى من مراحل التعليم[٦٢] حيث يعكف الصغار أولا على استظهار كتاب الله حتى يتفوقوا فى تجويده وتلاوته على الوجه الحسن، كما كانوا يأخذون بمبادئ الدين وقواعد اللغة العربية، وهذه المعرفة الأولية هى التى تمكنهم من الارتقاء إلى مستوى الطلاب الجديرين بهذا الوصف، ولهذا تتجلى أهمية انتشار الكتاتيب (المسايد) بأزقة فاس[٦٣].

وكان إقبال أهل فاس على إرسال أبنائهم إلى هذه الكتاتيب فى هذين العهدين إقبالا كبيرا، وليس أدل على ذلك من أن الفقيه موسى المعلم المتوفى عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م عندما جاءه الأمر بتولى الخطبة بجامع القرويين أطلق العديد من صبيانه من المكتب[٦٤].

وكان هؤلاء الصبية بعد أن يتقدمون فى العلم، يكنون كل احترام وتقدير لمعلميهم، فعندما استدعى الخليفة محمد الناصر الموحدى أثناء وجوده بقصره بمدينة فاس، عبد الله بن موسى المعلم، الذى كان آنذاك إماما بالقرويين وجاءت صلاة الظهر، قال له الخليفة محمد الناصر: من فى موضعك، قال: تركت فيه من هو خير منى، وهو معلمى الذى قرأت عليه كتاب الله[٦٥].

المدارس:

بعد ثلاث سنوات من تأسيس المدرسة النظامية[٦٦]. عرفت مدينة فاس مدارس احتضنت الطلبة الذين يردون لتلقى العلم من سائر أطراف البلاد .. فنجد

بعض أصحاب كتب التراجم عند حديثهم عن العلامة الهزميرى[٦٧] المتوفى عام ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م بمدينة فاس يذكرون أنه دفن على مقربة من مسجد الصابرين، المعروف الآن بروضة سيدى أبى مدين، وقد كان فى القديم مدرسة، بل يضيفون إلى هذا أن مدرسة أبى مدين، هى التى كانت فى القديم تحمل اسم مدرسة الصابرين والمرابطين اللمتونية، لأن يوسف بن تاشفين هو الذى بناها بعد دخوله مدينة فاس حوالى عام ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م[٦٨].

وقد ظلت المدرسة المذكورة تقوم بمهمتها فى إيواء طلبة العلم وتثقيفهم طيلة أيام المرابطين .. كما أن الوصايا الوقفية القديمة تدل دلالة واضحة على أن هذه المدرسة كانت ملاذا للواردين عليها من سائر الجهات لتلقى العلم بها على نفقة الأحباس، ولا شك أنه كان للمدرسة المرابطية نظائرها هنا وهناك مما اختفى أثره وذهبت معالمه[٦٩].

أما بالنسبة للمدارس فى عهد الموحدين، الذين ازدهرت فى عهدهم المعارف بما انشأوه من معاهد ومدارس فى إفريقية والأندلس .. وكانت مدارس فاس فى عهدهم تأوى الطلبة، ولكن يد الزمن عبثت بمعالمها كما كان الأمر بالنسبة لمدارس المرابطين[٧٠]. ويذكر العمرى[٧١]. وجود مدارس بفاس القديم (موضوع الدراسة).

رابعا: ميادين الحركة الفكرية والعلمية بمدينة فاس:

تبلور الفكر العلمى بفاس فشمل كل مجالات المعرفة، ووازن بين نتاج التجربة العلمية من جهة، ونتاج الفكر النظرى بما ينطوى عليه من عقل ونفس[٧٢]. ولعل العامل الجوهرى فى تبلور المنهجية بفاس أن المدينة أصبحت آنذاك مجمعا لعلم القيروان وقرطبة، حيث رحل علماء المدينتين متخذين من فاس مقرا لهم، تلك المدينة التى أصبحت تسمى "بغداد المغرب"[٧٣]. مما دعى لسان الدين بن الخطيب[٧٤]. أن يصفها بعد ذلك بأنها "مصلى القاصى والدانى .. بلد المدارك والمدارس والفهارس والمشايخ .. ألسنتها باللغات المختلفة لاحنه[٧٥] .. ومكاتبها مائجة[٧٦]". ومعنى ذلك أن معطيات الفكر العلمى التى كيفت مناهج الدراسة والبحث منذ القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى فى إفريقية والأندلس قد تجمعت وتبلورت بفاس لتعطى أروع نتاجها[٧٧].

أما عن أهم العلوم التى ازدهرت فى فاس فى عصر المرابطين والموحدين فيمكن أن نقسمها إلى:

العلوم النقلية:

١- علم القراءات والتجويد:

تداول القراء قراءات القرآن الكريم ورواياته السبع حتى صارت علما منفردا تناقله الناس بالمشرق والأندلس[٧٨]. وكانت العناية به بالغة فى كل عصر حيث تخصص فيه كثير من العلماء الذين كانوا يلقنون مبادئه فى البداية للطلبة الدارسين فى الكتاتيب القرآنية، التى كان لا يتولاها إلا كبار المحفظين المتحققين من تلك العلوم[٧٩]. فبعد أن يقرأ الطالب القرآن الكريم يتعلم تجويده ثم روايته بالقراءات السبع، يقول عبد الواحد المراكشى[٨٠]: "فصلت عن مدينة مراكش وأنا ابن تسعة أعوام إلى مدينة فاس، فلم أزل فيها إلى أن قرأت القرآن وجودته ورويته عن جماعة كانوا هناك مبرزين فى علم القرآن. "حيث كان بفاس بعض العلماء المختصين بالاعتناء بروايات القرآن الكريم[٨١].

ومن أشهر العلماء الذين تصدروا لتدريس هذا العلم بفاس المرابطية والموحدية محمد بن قرقاشش من أهل طليطة، نزل بمدينة فاس قبل عام ٥١٢هـ/ ١١١٨م كان مقرئا ماهرا له تأليف صغير فى اختلاف القراء السبع، وأقرأ هذا العلم بفاس التى اتخذها وطنا له[٨٢]. ومحمد بن محمد بن عبد الله بن معاذ اللخمى من أهل اشبيليه، الذى استوطن مدينة فاس، وكان إماما فى صناعة الإقراء على الرواية، وقد توفى عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م[٨٣]. وعلى بن عبد العزيز بن مسعود من أهل بسطه[٨٤] استوطن أيضا مدينة فاس قبل عام ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م وتصدر لإقراء هذا العلم بها[٨٥].

ومن أهل فاس النابغين فى هذا العلم قاسم بن محمد الزقاق الأموى المتوفى عام ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م والذى كان مقرئا فاضلا، تصدر لإقراء هذا العلم بفاس، وأخذ الناس عنه[٨٦]. وأحمد بن الحطيئة اللخمى المتوفى عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م والذى كان عالما فى القراءات السبع[٨٧].

ومن كبار العلماء فى هذا العلم فى مدينة فاس نذكر كذلك فتح محمد بن فتح الأنصارى من أهل اشبيليه، سكن المدينة وتوفى بها عام ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م كان مقرئا ضابطا أحكامها ذاكرا أصولها، وتقدم بمدينة فاس لتعليم هذا العلم[٨٨]. وأحمد بن موسى بن عبد الله بن أبى بكر بن مزاحم اللخمى من مدينة شلب[٨٩]. الذى نزل مدينة فاس وتوفى بها عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م وكان من المتقدمين فى إتقان علم القراءات، وتصدر بفاس لإقراء هذا العلم[٩٠]. ومحمد بن يوسف الأنصارى القرطبى

الأصل والذى نشأ بمدينة فاس وبها توفى عام ٦١٠هـ/ ١٢١٣م وكان مجودا للقراءات عارفا بوجوهها(٩١).

ومن الملاحظ أن معظم هؤلاء العلماء وفدوا من الأندلس إلى مدينة فاس لتأدية رسالتهم العلمية، حيث قاموا بدورهم الكبير فى تعليم أبناء المدينة. وتذكر كتب التراجم والطبقات الكثيرين من أهل فاس ممن أخذوا هذا العلم على أيدى هؤلاء العلماء(٩٢). فكان لهذه المدرسة الأندلسية أثرها فى تخريج علماء من أهل فاس صارت لبعضهم الشهرة فى هذا العلم، حتى أصبح أبناء المدن الأخرى من المغرب والأندلس يشدون الرحال إليهم لأخذ هذا العلم عنهم، نذكر منهم عبد الله ابن الرمامة الذى شدت إليه الرحال، وأخذ عنه من أبناء جيان، على بن موسى الأنصارى السالمى(٩٣).

أما أهم المؤلفات العلمية التى كان الطلبة يقومون بدراستها فى هذا العلم، فمنها كتاب محمد بن عبد الله اللخمى المسمى "الإيماء إلى مذاهب السبعة القراء"(٩٤) وكتاب "تبين المعانى المبهمات"(٩٥) وكتاب "الإشارة فى قراءة الأئمة السبعة المختارة"(٩٦) وأيضا كتاب "الشمس المنيرة فى القراءات السبع الشهيرة"(٩٧).

ونتيجة لنبوغ العلماء فى علم القراءات وجد من برع فى التجويد فقاسم بن الحاج محمد بن مبارك الأموى المتوفى ٥٠٥هـ/ ١١١١م كان مقرئا مجودا فى صنعة التجويد(٩٨). وعمر بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن حجاج بن أسعد اللخمى المتوفى ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م كان من أهل الإتقان فى تجويد القرآن الكريم(٩٩)، وأحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن مسعود القرشى كان من المجودين المشهورين(١٠٠). وأيضا على بن موسى بن خلف الأنصارى المتوفى عام ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م الذى كان مقرئا مجودا(١٠١).

٢- علم التفسير:

احتاج الناس منذ العصور الأولى للإسلام إلى تفسير القرآن الكريم ويقسم ابن خلدون علم التفسير إلى صنفين: تفسير نقلى مسند إلى الآثار المنقولة عن السلف، وهى معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآيات وكل ذلك يعرف بالنقل عن الصحابة والتابعين، وقد جمع المتقدمون فى ذلك وأوعوا. والصنف الثانى من التفسير، هو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة فى تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب(١٠٢). واهتم أولو الأمر من الأمراء المرابطين

والخلفاء الموحدين بتفسير آيات القرآن الكريم اهتماما كبيرا، فأستدعوا المفسرين من الأندلس ليتعاونوا مع المفسرين المغاربة فى هذا العلم[١٠٣].

ومن العلماء الذين قاموا على ذلك العلم وتدريسه، أحمد بن عبد الصمد ابن عبيده الأنصارى الخزرجى أصله من الأندلس واستوطن مدينة فاس، وتوفى بها عام ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م له كتاب "نفس الصباح فى غريب القرآن وناسخة ومنسوخة"[١٠٤]. وأيضا محمد بن على بن العربى الحاتمى نزيل فاس، والذى أخذ بها عن على بن حرزهم، له فى التفسير "الجمل والتفصيل فى معانى التنزيل" توفى محمد بن على عام ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م[١٠٥].

ومن علماء فاس الذين نبغوا فى علم التفسير أيضا، محمد بن يوسف بن عمران المزدغى المتوفى عام ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م له كتاب "تفسير القرآن" انتهى فيه إلى سورة الفتح[١٠٦]. وأبو العباس أحمد بن فرتون السلمى المتوفى عام ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م ألف فى الأعلام المبهمة فى القرآن، وله كتاب آخر سماه "الاستدراك والإتمام" استدرك فيه على السهيلى فى كتابه التعريف والإعلام بما أبهم فى القرآن من الأسماء والأعلام[١٠٧]. وكذلك نبغ فى علم التفسير أبو عبد الله محمد بن على العابد الأنصارى الفاسى المتوفى عام ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م الذى قام باختصار كتاب "الكشاف" للزمخشرى، وحذف منه مسائل الاعتزال[١٠٨].

٣- علم الحديث:

بدأ المرابطون عصرهم بالتعاون مع الفقهاء، وخاصة الفقهاء المالكية.[١٠٩] "وبدأ الاعتماد على كتب فروع مذهب الإمام مالك، وزاد هذا الاعتماد فى عصر على بن يوسف بن تاشفين الذين لم يكن يقرب إليه ويحظى عنده إلا من علم علم الفروع، فنفقت فى عهده كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها، وكثر ذلك حتى نسى النظر فى كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن أحد من مشاهير ذلك العصر يعتنى بهما كل الاعتناء"[١١٠].

وبالرغم من عدم اهتمام المرابطين بعلم الحديث، إلا أنه ظهر بمدينة فاس فى ذلك العصر محدثون تصدروا لتدريس هذا العلم، ونشره بين أهل المدينة والمغرب الإسلامى، منهم محمد بن على بن الصقيل الأنصارى من أهل مدينة شاطبة، قام بتعليم علم الحديث بفاس، وكان من أهل صناعته، وقد توفى بفاس عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م[١١١]. ويوسف بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عديس الأنصارى الأندلسى الذى سكن مدينة فاس، وكان من أهل العلم، له معانى على علم

الحديث، وقد توفي يوسف بن عبد العزيز بفاس عام ٥٠٥هـ/ ١١١١م[١١٢]. وكذلك أحمد بن محمد بن علي بن سعده العامري الغرناطي نزيل فاس والمتوفى بها عام ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م كان له رواية في علم الحديث[١١٣]. وأيضا محمد بن مسعود الخصال الغافقي الذي سكن مدينة فاس وبها توفي عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م كان من أهل المعارف الجمة والإتقان للحديث والمعرفة برجاله[١١٤]. ومن العلماء الأندلسيين الذي قاموا أيضا بتدريس هذا العلم بفاس عياض بن موسى اليحصبي المتوفى عام ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م الذي كان يجمع من الحديث كثيرا، وله عناية به، حيث كان يجمعه ويقيده، وكان من أهل التفنن فيه، وقد أخذ عنه بفاس جماعة كثيرة[١١٥].

لكن العصر الموحدي شهد ازدهارا كبيرا لعلم الحديث لم يكن له من قبل، وقد استمد نهضته من اهتمام الخلفاء الموحدين به اهتماما كبيرا، وتجلى ذلك في المكانة التي أولوها بالرجوع لكتاب الله، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإحراق كتب الفروع، وأيضا في المكانة التي كانت لطلاب علم الحديث في دولتهم، وبخاصة أيام يعقوب المنصور [١١٦]

وكان من أثر اهتمام الموحدين بعلم الحديث، أن ظهر بمدينة فاس في هذا العصر محدثون كبار، كان من أبرزهم محمد بن عمر الكاتب المالقي الذي استوطن مدينة فاس، وتوفي بها عام ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م، وكان بصيرا بعلم الحديث مقيدا ضابطا[١١٧]. ومحمد بن عبد الله بن طاهر الحسني الشريف من أهل مدينة فاس والمتوفى عام ٦٠٨هـ/ ١٢١١م كان معتنيا بعلم الحديث وأسماءه، ذاكرا لأسانيده ومتونه[١١٨]. وكذلك كان من أبرز علماء الحديث في العصر الموحدي محمد بن حماد العجلاني من أهل فاس، وتوفي عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م، كان من أهل العناية بسماع الحديث وروايته مخصوصا بقراءته على الأمراء[١١٩]. وعبد الرحمن بن يوسف ابن زانيف من أهل فاس، والمتوفى عام ٦١٢هـ/ ١٢١٥م والذي كان له حظ كبير من علم الحديث[١٢٠]، وعلي بن أحمد بن القطان الكتاني الفاسي المتوفى عام ٦٢٨هـ/ ١٢٢٩م والذي كان من أبصر الناس بصناعة الحديث، وأحفظهم لأسماء رجاله وأشدهم عناية بالرواية مع التفنن في المعرفة والدراية، جمع برنامجا قيد فيه أسماء شيوخه، كما أنه رأس طلبة العلم بمراكش[١٢١].

ومن علماء الحديث بفاس إبراهيم بن الكماد المرادي الفاسي المتوفى عام ٦٦٣هـ/ ١٢٦٤م والذي كان أحفظ أهل زمانه لحديث رسول الله ﷺ، وكان

يقوم على كتب الحديث قياما حسنا ويتكلم على أسانيده ومتونه، ويستوفي خلاف الفقهاء ويوعظ الناس كل جمعة، ويتكلم عن الحديث وفهمه كل يوم[١٢٢].

أما عن أهم الكتب التى ألفت فى هذين العصرين وكانت متداولة بين أيدى العلماء والدارسين، فمنها كتاب "آفاق الشموس وأعلاق النفوس" وكتاب "مقاطع الصلبان ومراتع رياض أهل الإيمان" وهما من تأليف أحمد بن عبد الصمد بن عبيده الخزرجى المتوفى عام ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م[١٢٣]. وكتاب "المطالع على الصحيح" الذى كان عظيم الفوائد، تصدر العلامة أبو إسحاق بن قرقول المتوفى عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٣ للإفادة به بفاس[١٢٤]. وكتاب "المفهم" على كتاب صحيح مسلم لأحمد بن إبراهيم بن عمر الأنصارى القرطبى المتوفى قبل عام ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م[١٢٥]. وأيضا كتاب "الأجوبة والطرر على المدونة" لراشد بن راشد الوليدى المتوفى عام ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م[١٢٦].

٤- علم الفقه وأصوله:

علم الفقه وأصوله من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدرا وأكثرها فائدة، وهو معرفة أحكام الله فى أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهية والإباحة وهى أحكام مستقاه من الكتاب والسنة، وما نصبه الشرع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت تلك الأحكام قيل لها فقه. وعندما عظمت أمصار الإسلام، وذهبت الأمية من العرب بدراسة الكتاب، واستنباط الأحكام، كمل الفقه وأصبح علما لذلك انقسم العلماء إلى طريقتين: طريقة أهل الرأى والقياس، وهم أهل العراق، وطريقة أهل الحديث، وهم أهل الحجاز، .. ثم أنكر طائفة من العلماء القياس وأبطلوا العمل به، وهم الظاهرية[١٢٧]، وجعلوا المدارك كلها منحصرة فى النصوص والإجماع وردوا القياس والعلة إلى النص، لأن النص على العلة نص على الحكم[١٢٨].

أما أهل المغرب فقد اختصوا بمذهب الإمام مالك، ولم يتخذوا غيره مذهبا إلا فى القليل، لأن رحلاتهم كانت غالبا إلى الحجاز، لذا اقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة، وشيخهم يومئذ الإمام مالك وشيوخه من قبله، وتلاميذه من بعده. لذا كان المذهب المالكى غضا عندهم[١٢٩]. وقد اتجهت المادة الفقهية، نتيجة لتأثر أهل فاس بالمذهب المالكى اتجاها خاصا، وأصبحت المؤلفات التى دونها رفاق الإمام مالك هى التى تحتل المكانة الأولى فى الدراسة بالقرويين، ومساجد فاس الأخرى، واستمر الفقه المالكى فى ازدهار طيلة أيام المرابطين[١٣٠]. لذلك انتشرت كتب الأصول الفقهية من العلوم الفرعية، وكان النفوذ كله لعلماء الفروع، فلم يكن يقرب

من أمير المسلمين على بن يوسف ويحظى عنه إلا من علم علم الفروع — أى فروع مذهب الإمام مالك [١٣١]– ويقول والونشريسى[١٣٢] عن ذلك العهد: "أن مدينة فاس احتوت من الكتب الغريبة شئ لا يشاركها من بلاد المغرب فيه غيرها، وخاصة ما أختص به مذهب الإمام مالك من التشعب والتفرق، واختصاص كل أفق بما ينقلون عنه دون غيره .. ولا يبعد أن يكون بفاس الكتب التى أمر بعض أمراء الأندلس بجمع ما وقع لمالك من الأقوال". بذلك قام الفاسيون — فى هذا العهد — على مذهب أهل السنة والجماعة مقلدين للجمهور من السلف رضى الله عنهم فى اليمان بالمتشابه وعدم التعرض له بالتأويل[١٣٣] ولعل هذا يفسر لنا انتشار دراسة مدونة سحنون وكتاب ابن يونس، ونوادر ابن زيد وواضحة ابن حبيب وماجانس هذه الكتب وغيرها بفاس فى العصر المرابطى[١٣٤].

وقد رحل من علماء الأندلس لمدينة فاس للقيام بدراسة هذا العلم، محمد ابن أحمد بن إبراهيم بن لواء الأنصارى الذى توفى بفاس عام ٥٤٦هـ/ ١١٥١م كان فقيها حافظا عارفا بأصول الفقه، وصنف مسائل فى الخلاف فى سبعة أسفار، وذكر أنه حين قدم فاس بعث بشئ منها إلى أبى موسى عيسى بن الملجوم، وقام محمد بن أحمد بفاس يدرس الفقه وأصل مسائل الخلاف[١٣٥].

لكن عندما أخذ الموحدون بزمام الأمر، غيروا من المنهج المرابطى الذى كان فى نظرهم إجهازا على الفكر والاجتهاد[١٣٦]. فكان المذهب الظاهرى محببا عند خلفاء الدولة الموحدية، حيث كان المهدى بن تومرت داعية الموحدين له رحلة فى طلب العلم إلى مدينة بغداد، فأخذ بها شيئا من علوم أصول الفقه والدين[١٣٧]، ونبغ فى علم الاعتقاد على مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعرى[١٣٨]. ذلك المذهب الذى يجزم بعقيدة السلف مع تأويل المتشابه من الكتاب والسنة، وبعد عودة ابن تومرت للمغرب أخذ يدعو إلى اتباع هذا المذهب، بعد أن مزجه بشئ من مذاهب الخوارج والشيعة، وهذا ما كان أهل المغرب ينفرون منه، ويعادون من ظهر عليه، لكن حمل ابن تومرت خلال دعوته أهل المغرب على إتباع ذلك المذهب، ورمى من خالفه بالتضليل والكفر[١٣٩] وتبعه فى ذلك خليفته عبد المؤمن بن على الذى قام بحرق بعض كتب الفروع المالكية .. ورد الناس إلى قراءة كتب الحديث، حيث كتب بذلك إلى طلبة المغرب والأندلس[١٤٠]. ودخل المنهج الدراسى لعلم الفقه مرحلة ثالثة بفاس، فظهر المذهب الظاهرى بصفة أخص عندما أعلن الخليفة أبو يعقوب المنصور عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م الحرب على علم الفروع ومحو

مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة، وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث، فأظهر ما قصده أبيه وجده من قبل[١٤١]. ففي أيامه انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء، حيث أمر هذا الخليفة بإحراق كتب المذهب المالكي في سائر البلاد كمدونة سحنون وكتاب ابن يونس نوادر ابن زيد وما جانس هذه الكتب ونحوها بعد أن جرد ما فيها من حديث رسول الله ﷺ وآيات القرآن الكريم، وشاهد عبد الواحد المراكشي وهو يومئذ بمدينة فاس، ما يؤتى من هذه الكتب بالأحمال فتوضع وتطلق فيها النار، وأمر الناس بترك الاشتغال بعلم الرأي، والخوض في شئ منه، متوعدا من يعمل به بالعقوبة الشديدة، كما أنه أمر جماعة من علماء الحديث بجمع أحاديث من المصنفات العشرة[١٤٢]. في الصلاة وما يتعلق بها على نحو الأحاديث التي جمعها ابن تومرت في الطهارة، فجمعوا ما أمرهم بجمعه .. وانتشرت هذه الأحاديث في جميع أنحاء المغرب وحفظها الناس من العامة والخاصة[١٤٣].

هكذا وجد في العصر الموحدي برنامج منهجي جديد يدعو إلى فتح باب الاجتهاد على مصراعيه، ولقد عاد اسم الإمام الغزالي إلى الظهور مرة ثانية[١٤٤]. بعد أن كان المرابطون قد قاموا بإحراق كتبه التي وصلت إلى المغرب والأندلس[١٤٥] وكان لهذا الأمر أثره على الحركة الفكرية والعلمية بمدينة فاس، حيث نبغ العلماء الذين يستنبطون الفقه من الكتاب والسنة، ويفتون ويحكمون بها، وقد انتحل العديد من أهل فاس هذا المذهب، منهم أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن هارون المرادي الفاسي المتوفى عام ٦١٣هـ/ ١٢٧٤م[١٤٦]. وكذلك ظهرت تآليف مهمة في أحاديث الأحكام استدراكا ونقدا وشرحا، فألف ابن القطان كتابا في الوهم والإبهام الواقعين في كتاب الأحكام سماه "شرح الأحكام"[١٤٧].

ولكن بقدر ما كان المذهب الظاهري محببا للخلفاء الموحدين، كان أكثر فقهاء عصرهم من المغاربة وغيرهم ساخطين على هذا المذهب متعصبين للمذهب المالكي، مناصرين له، وللتدليل على ذلك نورد جملة من علماء فاس كانوا مالكي المذهب في العصر الموحدي، منهم محمد يشكر بن موسى الغفجومي المتوفى عام ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م كان فقيها وله حواشي على المدونة[١٤٨]. وعبد الرحمن بن يوسف الفاسي الشهير بابن زانيف المتوفى عام ٦١٢هـ/ ١٢١٥م والذي شدت إليه الرحال لأخذ مذهب الإمام مالك عنه، حيث كان يقوم على المدونة قياما تاما[١٤٩] ومن فقهاء المالكية أيضا اسحق بن إبراهيم بن يعمر الفاسي الذي درس بالمغرب والأندلس، وتولى قضاء فاس وسبته، كان متبحرا في الفقه المالكي حتى قيل أنه كان يحفظ

المدونة، توفى عام ٦٠٩٩هـ/ ١٢١٢م[١٥٠]. وكذلك على بن أحمد بن محمد الخزرجى الفاسى المتوفى عام ٦١٠هـ/ ١٢١٣م الذى علم أصول الفقه، وله تآليف فيه، مثل كتاب "البيان فى تنقيح البرهنان" وكتاب "المدارك" وصل به مقطوع حديث مالك فى الموطأ كما أن له عقيدة فى أصول الدين شرحها فى أربعة أسفار[١٥١]. فهذه جماعة كريمة من الفقهاء الفاسيين الذين كانوا يعتنقون المذهب المالكى ويتعصبون له فى عصر الدولة الموحدية[١٥٢].

٥- علوم اللغة

"يقصد بها علوم اللسان العربى، وتتكون من أربعة أركان هى اللغة والنحو والبيان والأدب، ومعرفتها ضرورية لأهل الشريعة، إذ أن مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهى بلغة العرب فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة، وهى تتفاوت أهميتها فى التوفيه بمقصود الكلام"[١٥٣].

أ- علم اللغة العربية:

يقوم هذا العلم ببيان الموضوعات اللغوية، واستعمال الألفاظ فى مواضعها[١٥٤]. وكانت مدينة فاس رافعة لراية اللغة العربية منذ انبثاق فجر النهضة العلمية فى المغرب على عهد المرابطين، ولقد درس فى جامع القرويين ومساجد فاس الأخرى ومدارسها العديد من علماء اللغة العربية الذين أثروا نهضة هذا العلم. فمن الوافدين على فاس للقيام بتعليم اللغة العربية، محمد بن أغلب بن موسى المرسى المتوفى عام ٥١١هـ/ ١١١٧م والذى كان عالما باللغة العربية[١٥٥] ومحمد بن حكم بن أحمد بن باق السرقسطى المتوفى عام ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م كان إماما فى علم اللغة استوطن فاس، وأخذ الناس بها عنه الكثير من فنون اللغة حيث قام بتدريسها بالمدينة[١٥٦].

أما فى العصر الموحدى فقد اشتهر العديد من علماء اللغة العربية بمدينة فاس، وكان من أبرز هؤلاء، أحمد بن عبد الجليل التدميرى من الوافدين على المدينة، كان عالما باللغة العربية، وله حظ فى قرض الشعر، كما أن له كتاب فى اللغة العربية أسماه "التوطئة فى اللغة العربية" وله شرح على كتاب "الفصيح" وله كتاب فى شرح أبيات الجمل سماه "شفاء الصدور" وتوفى أحمد بن عبد الجليل عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م[١٥٧]. ومصعب بن محمد بن مسعود بن عبد الله بن مسعود الخشنى الجيانى المتوفى عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م الذى سمع علم اللغة العربية من أبى الحسن بن حنين، وأبى عبد الله بن الرمامة بفاس، وأصبح رئيسا فى صناعته، عالما به، قام

بتدريسه طيلة حياته كلها، فوفد إلى فاس العديد من طلبة المدن الأخرى للأخذ عنه، له تأليف صغير في العروض، وقام الخشني يدرس اللغة العربية بفاس، حتى أنه بعد صيته فيها(١٥٨).

ومن النابغين في هذا الميدان كذلك يحيى بن أبي الحجاج، الذي أخذ علم العربية بمدينة فاس عن الأستاذ أبي بكر بن طاهر ومن غيره، فأصبح له شهرة فيه لدرجة جعلت الخليفة المنصور الموحدي يعتني به، فأمر بأن يحضر مجلسه ويدخل ضمن جملة طلبته(١٥٩). وأحمد بن محمد بن سعيد بن معاذ اللخمي أحد قضاة فاس كان عالما باللغة العربية، ألف فيها تآليف مفيده، كما كان له اعتناء وآراء فيها، ومذاهب مخالفة لأهلها، وقد توفي اللخمي عام ٥٩٢هـ/ ١١٩٥م(١٦٠) ومحمد بن يحيى العبدري الفاسي المتوفى عام ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م الذي كان إماما في اللغة العربية، عالما حسن الإقراء، جيد العبارة، قام بتعليمها في فاس(١٦١).

ب- علم النحو:

شاعت دراسة علم النحو بفاس في عصري المرابطين والموحدين وبلغت غاية كبرى(١٦٢). وكان من أشهر الشخصيات التي تصدرت لتدريس هذا العلم، أبو جعفر بن باق الذي كان "لا يشق غباره ولا يخاض تياره"(١٦٣). كما كان خلف بن يوسف بن قرومون النحوي من أهل شنترين(١٦٤)، من أئمة النحاة الأدباء الثقات بالأخيار علم الناس الأدب، والنحو بالأندلس والمغرب، وانتقل إلى فاس وأقام بها مدة يدرس علم النحو، فأخذ بها عنه كثير من الناس(١٦٥) وأحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي المتوفى عام ٥١٩هـ/ ١١٢٥م الذي كان بارزا في علم النحو حافظا للغات(١٦٦). وعلى بن محمد بن خروف الحضرمي النحوي من أهل إشبيليه المتوفى عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م له شرح على كتاب سيبويه سماه "تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب" وله شرح على كتاب الجمل، كما أن له رد في العربية على أبي زيد السهلي وابن مضى، وأخذ ابن خروف يعلم العربية والنحو بفاس مدة كبيرة(١٦٧) وكذلك أبو القاسم عبد الرحمن بن يوسف المغيلي المتوفى عام ٦١٩هـ/ ١٢٢١م، الذي كان من أعيان هذا الشأن(١٦٨).

هذا وكان من أهم المؤلفات العلمية النحوية التي تدرس في مؤسسات فاس التعليمية في هذين العصرين، كتاب سيبويه، ذلك الكتاب الذي أصبح إماما لكل ما كتب في هذا العلم من بعده، وكتاب "الإيضاح" وقام أبو القاسم بن الرماك ومحمد بن طاهر الخدب الذي كان رئيسا للنحويين بالمغرب بتدريس الكتابين

السابقين[١٦٩]. وكتاب "الطرر" وهو تعاليق على كتاب سيبويه لم يسبق إلى مثله ألفه محمد بن أحمد الخدب الأنصارى[١٧٠]. وكذلك تأليف العلامة اللغوى النحوى أبو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشنى مثل مصنفة الكبير "شرح كتاب سيبويه" وكتاب "شرح الإيضاح" وكتاب "شرح الجمل"[١٧١]. وكتاب "الرد على النحاه" و"المشرق فى النحو" لابن مضاء أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن حارث اللخمى المولود عام ٥١٣هـ/ ١١١٨ — ١١١٩م[١٧٢].

جـ- الأدب:

ويقصد به الإجادة فى فنى المنظوم والمنثور، على الأساليب والمناحى العربية، جامعا من خلاله مسائل فى اللغة والنحو، تستقرى منها بعض قوانين اللغة العربية، كذلك ذكر بعض أيام العرب، والمهم من أنسابهم الشهيرة وأخبارهم العامة[١٧٣]. ووصف بعض المؤرخين أهل فاس بأنهم أدباء أذكياء، وأن مدينتهم قلعة لرجال الأدب والمثقفين أكثر من أى مدينة أخرى، حيث أنها مركز عظيم يجتمع فيه عدد كبير من الحكماء والعاملين بالأدب والشعر[١٧٤].

وتهيأت للمغرب الأقصى، وفاس على الخصوص بعض العوامل التى كان من شأنها أن تعمل على تنشيط الحركة الأدبية بها، من هذه العوامل: هجرة أهل القيروان وإفريقية على أثر عيث الأعراب الذين سلطهم الفاطميون على تلك البلاد، فعاشوا فيها وخربوا معاهدها وشردوا رجال العلم والأدب منها، فهاجروا إلى المغرب، وكان حظ فاس منهم عظيما. كما كان لفتنة قرطبة أثر كبير فى هجرة الأندلسيين ونزول كثير منهم بمدينة فاس[١٧٥]. وكان للرقى السياسى والتفوق الاجتماعى والنهوض الثقافى فى هذين العصرين أثره فى نهضة الأدب، وأن كان يغلب عليه فى عهد المرابطين الطابع الأندلسى بحكم الوحدة القوية التى أظلت المغرب والأندلس إلا أنه فى العهد الموحدى تحول مجرى السفينة الأدبية إلى أدباء المغرب فسيطروا عليه مضمونا وعبارة وخيالا[١٧٦]. والفضل الأول فى هذه النهضة يعود لخلفاء الموحدين الذين شجعوا هذه الحركة الأدبية[١٧٧]. فوجد شعراء عباقرة تناولوا كثيرا من فنون الشعر العربى، ونبغ من بينهم أفراد جمعت لهم دواوين ضمت آثارهم، كما ظهرت مؤلفاتهم الأدبية القيمة[١٧٨].

ومن الفنون الأدبية النثر، ومن فنونه التى ظهرت فى هذين العهدين فن الكتابة الإخوانية، ومن تلك الرسائل الرسالة التى كتبها الفقيه القاضى عيسى بن عمران قاضى الجماعة بمراكش إلى ولده بمدينة فاس قبل عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م[١٧٩].

كما اشتهر بهذا الفن أيضا عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الأزدى المتوفى عام ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م من أهل غرناطة، ممن وفد على فاس واستقر بها، حيث كان صاحب خطب وتواليف ورسائل ومقامات، جامعا لمناقب من أدركه من أهل عصره[١٨٠].

وظهر فن المقالة على نطاق واسع بمدينة فاس فى العصر الموحدى على يد محمد بن أحمد بن جبير الذى استوطن فاس، وكانت له أسفار كثيرة فى فضل مناسك الحج منها مقالة سماها "رسالة اعتبار الناسك فى ذكر الآثار الكريمة والمناسك" كتب بها إلى وليه أبى الحسن بن مقصر من فاس بعد عودته للمشرق فى عام ٥٩٣هـ/ ١١٩٦ — ١١٩٧م[١٨١].

وممن برزوا فى هذا المضمار، أبو عبد الله محمد بن محرز الوهرانى الذى ولد بوهران أوائل القرن السادس الهجرى، الثانى عشر الميلادى وتجول فى بلاد المغرب، وأكثر من مناهل العلم والأدب، وبرع فى فن الترسل والإنشاء، وأقام الوهرانى بفاس مدة، واتخذها كما يقول وطنا والدولة الموحدية فى أوج عزتها وعظمتها، ومدينة فاس تقبع بالعلماء والأدباء ورجال الفكر، وفى رحابها الفسيحة وبين بساتينها الفيحاء، أنشأ الوهرانى مقامته التى ارتسمت فى مخيلته مشاهدها[١٨٢].

ولقد قصد الوهرانى من مقامته نقد المجتمع المغربى، فى شخص طائفة العلماء والأدباء ورجال الحكم، ونلمس فى مقامه الوهرانى تحولا ظاهرا فى سياق المقامات المعتادة وأهدافها، فهى درس اجتماعى وبعبارة أدق تمثل اتجاها نقديا .. كما أن بها قيمة تاريخية كبرى فى تصوير الحياة الفكرية والاجتماعية بمدينة فاس فى العصر الموحدى[١٨٣].

الشعـر:

ظهر اسم فاس فى الأعمال والمختارات الأدبية وراج بها سوق الشعر فى العصرين المرابطى والموحدى — أكثر من العصور السابقة — وإن كان عدد الشعراء محدودا لسوء الحظ مقارنة بما شهدته المدينة من تقدم وازدهار[١٨٤].

ومن الشعراء الذين برزوا بفاس فى العصر المرابطى، الشاعر محمد أبو بكر بن الصائغ المتوفى عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م[١٨٥]. ومحمد بن مسعود بن أبى الخصال الغافقى المتوفى عام ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م أصله من شقوره إحدى كور جيان، سكن فاس وكان من أهل المعارف الجمه، وإماما فى الكتابة والنظم وله تآليف مشهورة[١٨٦].

أما شاعر فاس محمد بن حبوس — الذى أطلق عليه شاعر العصرين المرابطى والموحدى — فقد كان من الشعراء المتقدمين فى العصر المرابطى، ولكن نقلت إليهم عنه حماقات، فهرب إلى الأندلس، ولم يزل بها مستخفيا ينتقل من بلد إلى بلد، حتى زالت الدولة المرابطية(١٨٧).

ولكن الذى يؤسف له أن كتب التراجم والطبقات وحتى الكتب التى اهتمت بالشعر والشعراء لم تحفظ لنا شيئا من أشعار هؤلاء.

أما العصر الموحدى فقد ازدهر فيه الشعر بفاس، ووجد شعراء مجيدون أثروا الحياة الأدبية بالمدينة إثراءا لم يكن لن مثيل من قبل، ومن هؤلاء: الشاعر يحيى ابن عبد الجليل بن سهيل اللخمى اليكى الذى كان من فحول الشعراء المجيدين، أصله من يكه وهى حصن فى شمال مرسية بالأندلس، استوطن مدينة فاس، روى الناس شعره واعتنوا به(١٨٨). وكان اليكى شاعرا له إجاده، ولكن معظم شعره فى الهجاء وأفرط اليكى فى هجاء أهل فاس والمرابطين(١٨٩). ويبدو أن هجاء اليكى لأهل فاس قد كثر، مما دعى الشيخ الصالح على بن حرزهم أن يعاتبه على ما خلده من القبائح فى أهلها(١٩٠).

ولا نؤيد ما ذهب إليه هنرى بيرس فى إدعائه أن بلاد المغرب كانت فى ذلك الوقت أكثر فقرا من أسبانيا لا ترحب بالضيوف(١٩١). مستندا على أبيات اليكى التى هجا بها أهل فاس. فليس من المعقول أن يدلل هذا الكاتب على رخاء أو قحط عصرين من الزمان بأبيات شعرية هجا فيها شاعر أهل مدينة. ونرد عليه بأن الأسباب الحقيقة وراء هجاء اليكى لأهل فاس غير معروفة لنا إلى الآن، وربما تكون كما يقول صاحب جذوة الاقتباس حسدا منه(١٩٢). هذا إلى جانب أن هذه الدراسة وغيرها من الدراسات المغربية توضح فى بعض أجزائها ما كانت عليه بلاد المغرب ومدينة فاس على الخصوص من الرخاء الاقتصادى والأمن السياسى.

ولا شك أن الوافدين على فاس أثروا الحياة الشعرية بالمدينة فى هذا العصر، ومن هؤلاء محمد بن غالب الرصافى من رصافة بلنسية والمتوفى عام ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م رحل إلى المغرب، فدخل مدينة فاس وكان شاعر وقته، شهد له بالإجادة(١٩٣). والشاعر أبو بكر بن عبد الله الفهرى المعروف بابن الجنان من أهل مدينة جيان الذى وفد على مدينة فاس وجعلها موطنا له ولقى بها الشاعر محمد الرصافى السالف الذكر(١٩٤)

أما مفخرة فاس الشعرية فتتمثل فى الشاعر أبى عبد الله محمد بن حبوس الفاسي المولود عام ٥٠٠هـ/ ١١٠٦ — ١١٠٧م والمتوفى عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤ — ١١٧٥م. فهو شاعر المغرب الأقصى، ومفخرة فى صناعة الشعر[١٩٥]. واسع القول فخم الكلام متين الأسلوب غزير المعانى بارع الصناعة متنوع الأغراض[١٩٦]. وتكسب ابن حبوس بالشعر فمدح الأمراء والخلفاء الموحدين الذين كثر اتصاله بهم حيث حظى حظوة كبيرة لدى الخليفة عبد المؤمن بن على وابنه يعقوب، وأصبح ابن حبوس يمثل الشاعر الرسمي للأسرة الجديدة وأطلق عليه لقب "شاعر الخلافة المهدية"[١٩٧]. وبعد ذلك اتصل بالخليفة يعقوب المنصور حيث لقيه ابن دحية بمراكش عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٨ — ١١٦٩م فرفع ديوان شعره إلى الخليفة الموحدى[١٩٨].

ومن شعراء هذا العصر أيضا الشاعر أبو الحسن على بن موسى بن محمد بن خلف الأنصارى الجيانى الأندلسى، الذى جعل من مدينة فاس سكنا له، وتولى الخطابة فى جامعها، وكانت وفاته عام ٥٩٣هـ/ ١١٩٦ — ١١٩٧م، وكان أبو الحسن أديبا شاعرا حتى سموه: "شاعر الحكماء وحكيم الشعراء" له شعر فى الكيمياء، قيل فيه إن لم يعلمك صناعة الذهب علمك صناعة الأدب، وينسب إليه كتاب "شذرو الذهب" وهو ديوان شعر فى الكلام على الكيمياء مرتب على الحروف[١٩٩]

ومن شعراء فاس فى هذا العصر أيضا محمد بن عبد الكريم الفندلاوى الكتانى المتوفى عام ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م كان له قريض جيد فى الشعر[٢٠٠]. كذلك الشاعر قاسم بن محمد بن قاسم القيسى الفاسى المتوفى عام ٥٩٨هـ/ ١٢٠١ — ١٢٠٢م الذى كان يصنع الشعر ويجيده[٢٠١].

ومن شعراء فاس النابغين فى العصر الموحدى الشاعر الشهير "ابن الياسمين" أبو محمد بن عبد الله بن حجاج، أصله من بنى حجاج من قلعة فندلاوة، سكن مدينة فاس، بزغ نجمه فى عدة علوم كالمنطق والهندسة والحساب والعدد، وقد خدم ابن الياسمين الخليفة الموحدى يعقوب المنصور ثم ولده الناصر من بعده، وبلغ من خلال اتصاله بهم منزلة عزيمة، وعلى الرغم من ذلك توفى ذبيحا بمراكش عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م، وقد بلغ ولعة بالجبر أن فرغه فى قالب أرجوزته التى قرئت عليه وسمعت منه باشبيليه عام ٥٨٧هـ/ ١١٨٢م فكان هو الذى نشر ذلك العلم بها، ونجد فى هذه الأرجوزه قوانين الجبر وقواعده، وقد صيغت شعرا، وصنعت فى شكل ينم عن أدب رائع وسيطرة عجيبة على فنون الكلام، فهى تدل على أن ثروة ابن الياسمين الأدبية لا يستهان بها[٢٠٢].

وهنا شعر كثير له. حوى مسائل حسابية وهندسية ومعضلات رياضية من الصعب فهمها.[٢٠٣]

وكان للشاعر ابن الياسمين قصائد مدح في الخليفتين المنصور والناصر الموحديين، وأمثل ما وقع له ذلك قصدية منصورية، ذكر فيها قطع المنصور الاشتغال بكتب الفروع، والاقتصار على ما ثبت من الأحاديث النبوية[٢٠٤].

أما الشاعر الأديب: أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوى (الكروائى) نسبة إلى جراوة (كراوه) قبيلة من زناتة، فيبدو أنه درس ببلدة تادلا[٢٠٥] وبمراكش وفاس والأندلس وربما جرت عليه شده أو وقعت له إهانة أيام مقامه بفاس، فكانت سبب هجائه لها ولأهلها خصوصا ذوى العلم منهم[٢٠٦].

وكان الجراوى صاحب المكانة الأدبية الرفيعة في عهد الموحدين ولد فى العقد الثالث من القرن السادس، وتوفى عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م، واتصل بالخليفة عبد المؤمن بن على، فأعجب به الخليفة وقال له: "يا أبا العباس إنا نباهى بك أهل الأندلس". هكذا قال عبد المؤمن للجراوى وقد كان على أبوابه من شعراء المغرب والأندلس آنذاك مئات منهم، وقد أموه بقصائد أمداحهم، وهذه العبارة من عبد المؤمن لها مغزاها وتقديرها[٢٠٧]. فالجراوى شاعر مشهور ولكن شعره الذى وصل إلينا لا يبرر شهرته، فكان كثير التكبر معتدا بنفسه شديد الحسد للشعراء لا يقر لأحد منهم بالتقدم عليه، وشعره مشرقى الديباجه، سهل التراكيب يدور فى معظمه على المدح والهجاء، والحكمة والغزل والوصف، وله هجاء للمدن وللناس، وكان حافظا لكثير من شعر القدماء والمحدثين، جمع منه كتابا عنوانه: "صفوة الأدب وتحية كلام العرب" يعرف باسم "الحماسة المغربية" صنعة على مثال حماسة أبى تمام[٢٠٨].

ومن فنون شعره فى المدح، عدة قصائد مدح بها خلفاء الدولة الموحدية[٢٠٩]. وكان الشاعر أبو العباس الجراوى صاحب نوادر فمن نوادره مع الخليفة أبو يعقوب المنصور يوسف بن عبد المؤمن أنه حضر يوما بباب الخليفة المذكور، وحضر معه الطبيب سعيد الغماروى، فقال الخليفة لبعض خدمته انظر من بالباب من الأصحاب، فخرج الخادم ثم عاد إليه، فقال: يا سيدى به أحمد الجراوى، وسعيد الغماروى، فقال الخليفة: من عجائب الدنيا شاعر من كروان، وطبيب من غمارة، فلما سمع الجراوى ذلك قال: وضرب لنا مثلا وسنى خلقه، أعجب منهما والله خليفة من كومية[٢١٠].

ومن الشعراء الذين أثروا الحياة الأدبية بمدينة فاس، الشاعر الأديب أبو حفص عمر بن عبد الله السلمي المتوفى عام ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م، الذى غلب عليه الأدب وفنونه حتى عرف به واشتهر، وولى قضاء تلمسان ثم فاس، ونال دنيا عريضه، وكان أبو حفص عمر بارعا فى النظم والنثر كما أن له فى الغزل مقطوعات رائعة، وتذكر المصادر "أنه كان على غاية من الظرف إذا أقبل شمت رائحة الطيب منه على بعد، وكان منزله كأنه جنة"[٢١١].

وبرزت شخصية ابى حفص فى المجتمع بحيث عظم بين قومه بمدينة فاس مقداره إلى أن كان من أهل الفتيا، ثم صار من جلساء أصحاب الأمر، ثم ترقى للخطابة والقضاء، وإذا علمنا أن ذلك كان فى صدر عصر الموحدين، والدولة فى منتهى القوة والعظمة، والمغرب وفاس فى أوج الرقى والحضارة، زادت قيمة الرجل فى نظرنا، وعرفنا أنه كان على جانب عظيم من العلم والفضل[٢١٢]. ولهذا الشاعر إنتاج أدبى كثير متنوع بين الشعر والنثر والموشحات[٢١٣].

ومن شعراء فاس الذين بلغوا شأوا عظيما، الشاعر أبو عمر ميمون بن على بن على الخالق الخطابى المعروف بابن خبازه، يرجع أصله إلى قبيلة صنهاجة من أهل مدينة فاس، وكان هذا الشاعر سريع البديهة نظما ونثرا مع الإجادة والتفنن فى أساليب الكلام، كان مولده بفاس عام ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م وكانت وفاته عام ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م[٢١٤]. وكان ابن خبازه شاعرا مكثرا مطيلا سهل القول متين العبارة، أبرز فنونه المدائح النبوية، فقصيدته "حقيق علينا أن نجيب المعاليا" مائة وثمانية وأربعين بيتا، كما كان له شئ من فن الرثاء، والتصوف وله ترسل أيضا[٢١٥].

فمن قصيدته التى مدح بها النبى صلى الله عليه وسلم:

رسول يراه الله من صفو نوره   وألبسه بردا من النور صافيا
وما زال ذاك النور من عهد آدم   ينير به الله العصور الخواليا[٢١٦]

وكانت هذه القصيدة من أهم قصائده التى احتفظت بها الدواوين وهى من أولى القصائد المغربية التى قيلت فى المديح النبوى .. وشعر الخطابى كما يبدو من هذا النموذج شديد الانسجام، حسن التركيب، وهو فى صوفيته يصدر عن إيمان حى وعاطفة صادقة مع الإجادة[٢١٧].

وممن أثروا الحياة الأدبية بفاس الأديب مالك بن عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن بن فرج المالقى، أصله من موالى بنى مخزوم .. كان أديب صقعة وحامل الراية، وقد استوطن مدينة فاس، وجمع بين سهولة اللفظ وسلامة المعنى

والنفاذ فى الأغراض، واستعان فى ذلك بالعلم حيث كانت له مشاركة فى الفقه واللغة وتولى القضاء وكتب للأمراء ومدح .. وقد دون شعره أنواعا مختاره سماها "بالجويدات والصدور المطالع" وأخرى سماها "الوسيلة الكبرى" وله قصيدة طويلة سماها "التدين والتبصرة فى نظم التيسير" وله قصيدة فى الفرائض سماها "الواضحة" وله أرجوزه "اللؤلؤ والمرجان" وكان مستغرق الفكر فى نظم الشعر ليلا ونهارا[٢١٨].

وقد توفى هذا الشاعر عام ٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م ولكن قبل وفاته أمر أن يكتب على قبره بمدينة فاس:

زر غريب المغرب	نازحا ماله ولى
تركوه موسدا	بين ترب وجندل
ولتقل عند قبره	بلسان التذلل
يرحم الله عبده	مالك بن المرحل[٢١٩]

هذا وقد توافد على مدينة فاس فى العصرين المرابطى والموحدى عدد من الوشاحين الأندلسيين، حيث اتصلوا بأهل المغرب، وأقام غير واحد منهم بمدينة فاس وقد ظهر لنا من فن الموشحات الفاسية موشحات الشاعر أبو حفص عمر التى منها:

حسانة رخيمة	عانقت فيها البانه
والتقى الرجاج	وأشواقى لحسانه[٢٢٠]

هكذا ازدهرت الحياة الأدبية بمدينة فاس فى هذين العصرين، وظهر أكثر من شاعر مجيد فى فنى الشعر والنثر، ولعل هذا العرض لبعض شعراء فاس وغيرهم من شعراء الأندلس الذين جعلوا من مدينة فاس مواطنا لهم، وأثروا بدورهم الحياة الأدبية فيها، يكون ردا لما أورده هنرى بيرس فى مقاله الذى عقده للشعر فى مدينة فاس فى عصره المرابطين والموحدين، والذى لم يظهر خلاله سوى شاعرين للمدينة طيلة هذين العصرين، ولعله يكون ردا أيضا لما ذكره المستشرقون فى كتبهم - بناء على فكرة هنرى بيرس - بأن الحياة الأدبية بفاس فى عصرى المرابطين والموحدين لم يكن لها شأن كبير.

٦- علم الكلام:

هو علم يتضمن الحجج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعين المنحرفين فى الاعتقادات .. وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد[٢٢١].

وكان موقف الدولة المرابطية من علم الكلام فى غاية التشدد "فكفروا كل من ظهر منه الخوض فى شئ من علوم الكلام، وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين على ابن يوسف بن تاشفين تقبيح هذا العلم، وكراهية السلف له، وأنه بدعه فى الدين، ربما يؤدى أكثره إلى اختلال فى العقائد، فاستحكم هذا الرأى فى نفس أمير المسلمين، فبغض هذا العلم وأهله، وكتب إلى البلاد بالتشديد فى نبذه متوعدا من وجد عنده شئ من كتبه. ولما دخلت كتب الإمام أبى حامد الغزالى - رحمه الله - إلى المغرب أمر على بن يوسف بإحراقها متوعدا بسفك دم واستئصال مال من وجد عنده شئ منها، واشتد الأمر فى ذلك"[٢٢٢]. لدرجة أدت به إلى أن يكتب إلى مدينة فاس بالتحرج على الناس فى كتاب الإحياء وأن يحلف الناس بالإيمان المغلظة بأن هذا الكتاب ليس عندهم[٢٢٣].

ولكن عندما جاء الموحدون أذاعوا مذهب الأشعرى لأن ابن تومرت كان يقترف من معينة. وقد ألف ابن تومرت فى هذا العلم عقيدة باللسان البربرى هى "المرشدة" كما صنف فى هذا العلم أيضا كتاب سماه "أعز ما يطلب" وعقائد فى أصول الدين، كان فيها على مذهب أبى الحسن الأشعرى فى أكثر المسائل[٢٢٤]. فأصبح لعلم الكلام منزلة فى هذه الدولة نتيجة اهتمام ولاة الأمر بذلك[٢٢٥].

وكان من أعلام هذا العلم فى دولة الموحدين، أبو الحسن على ابن محمد ابن خليد الأندلسى الأشبيلى المتوفى عام ٥٥٧هـ/ ١١٦١ - ١١٦٢م، الذى تصدى لشرح عقيدة ابن تومرت بجامع القرويين بفاس معلما لعلم الأصول والكلام[٢٢٦]. وقد تبعه كثير من العلماء، منهم تلميذه أبو عمر عثمان بن عبد الله القيسى المعروف بالسلالجى، الذى يرجع إليه الفضل الأكبر فى إقناع المغاربة بصحة العقيدة التومرتية، وقد ألف فى هذا كتابه "العقيدة البرهانية" فإلى السلالجى كان مرجع الفاسيين فى هذا العلم، حتى أنه لقب بأنه منقذ أهل فاس من التجسيم، وقد تتلمذ على يد السلالجى الكثير من الطلاب فى هذا العلم، وقد توفى هذا العالم عام ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م[٢٢٧].

ومن نبغاء فاس فى هذا العلم أيضا محمد بن عبد الكريم الفندلاوى الفاسى المعروف بالكتانى المتوفى عام ٥٩٦هـ/ ١١٩٩ - ١٢٠٠م كان إماما فى علم الكلام، حيث عكف على تدريسه طول حياته، فرحل إليه الكثير من طلبة الأمصار ليأخذوا عنه هذا العلم وغيره من العلوم[٢٢٨]. كما تبحر فى هذا العلم على بن محمد الخزرجى الفاسى المعروف بابن الحصار المتوفى عام ٦١١هـ/ ١٢١٤م مؤلف "البيان

فى تنقيح البرهان"[٢٢٩]. وإبراهيم بن دهاق المعروف بابن المرأة الأوسى المتوفى عام ٦١١هـ/ ١٢١٤م كان من الوافدين على فاس، وغلب عليه علم الكلام حتى رأس فيه واشتهر به، وقام بشرح كتاب "الإرشادات" لأبى المعالى وكتاب فى مسائل الإجماع. ودرس فى غير بلد[٢٣٠]. ويوسف بن عبد الصمد الفاسى المتوفى عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م الذى قام بتدريس هذا العلم بمسجد زقاق الرواح بفاس فبلغ صيته فى هذا العلم بالمغرب والأندلس[٢٣١]. كما كان من المتقدمين فى هذا العلم، أبو الفرج بن المهاجر، من أهل مدينة فاس، والمتوفى سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م، بلغت به الدرجة أن قام بتدريس هذا العلم بأشبيليه وتفقه على يده جماعة هناك[٢٣٢].

وتابع علماء فاس دراسة التوحيد والعقائد على المذهب الأشعرى فنظموا وشرحوا كثيرا فى هذا الميدان[٢٣٣]. فنبغ أيضا محمد بن حسين بن محمد بن يوسف الفاسى المولود عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م الذى ارتحل إلى مصر، وقد عرض هناك كتاب "حرز الأمانى" كما عرض "الرائية على الجمال" على ابن أبى بكر الشاطبى، ثم ارتحل إلى حلب، ثم رجع إلى الإسكندرية، وكان مقدم فى علم الكلام، وحفظ أكثر صحيح مسلم فكان إماما متقنا واسع العلم .. أخذ عنه خلق كثير، وقام بشرح "الشاطبية" فى غاية الحسن، وقد توفى بحلب عام ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م[٢٣٤].

٧- علم التاريخ والتراجم:

نتيجة لتقدم الحركة العلمية بمدينة فاس فى عصر المرابطين والموحدين ظهر الكثير من المؤرخين، والمؤلفات التاريخية التى للأسف الشديد ضاع أكثرها، أو هى فى عداد المفقوده إلى الآن، مثل كتاب القاسم بن جنون فى تاريخ فاس. وكتاب عبد الملك بن محمود بن الوراق "المقباس فى أخبار المغرب وتاريخ فاس" الذى يؤرخ للمدينة فى أيام المرابطين والموحدين[٢٣٥].

ومن المؤلفات التاريخية فى السيرة النبوية كتاب "اللمعة فى ذكر أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وأولاده السبعة" من تصنيف أبى عبد الله محمد بن القاسم بن عبد الرحمن التميمى الفاسى المتوفى عام ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م[٢٣٦].

وممن اعتنى بالتاريخ والقيام عليه بمدينة فاس، عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصارى الذى سكن المدينة، وكان من مصنفاته التاريخية "مختصر السير والمغازى" من يسر ابن إسحاق "ومختصر تاريخ أبو جعفر الطبرى" فى سفر متوسط و"منتخب سير المصطفى" لأبى سعيد بن عبد الملك الخرسانى، وقد توفى عبد الرحمن بن الصقر عام ٥٢٣هـ/ ١١٢٩م[٢٣٧]. وكذلك محمد بن عبد الرحيم التجيبى

المتوفى عام ٦١٠هـ/ ١٢١٣م، والذى روى عنه حين قدومه إلى فاس عام ٥٩٣هـ/ ١١٩٦ - ١١٩٧م خلق كثير، وقد ألف هذا المؤرخ معجم فى تلاميذه الذين تلقوا عنه، وكذلك معجم شيوخ شيخه الحافظ السلفى[٢٣٨]. كما كان يوسف بن عبد الصمد بن نموى الفاسى المتوفى عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م ذاكرا لعلم التاريخ[٢٣٩]. وكذلك كان عبد العزيز بن على بن عبد العزيز القرطبى المتوفى عام ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م من أهل التاريخ والأخبار وأسماء الرجال. وقد نزل عبد العزيز هذا مدينة فاس مستوطنا بها[٢٤٠].

أما كتب التراجم فقد نفق سوقها بفاس خلال هذين العصرين ومن هذه الكتب "ذيل الصلة البشكوالية" لأبى العباس أحمد بن يوسف ابن فرتون السلمى الفاسى المتوفى عام ٦٦٠هـ/ ١٢٦١ - ١٢٦٢م، ولقد وقف على هذا الكتاب ابن الزبير صاحب الصلة البشكوالية، ونقل منه الكثير فى كتابه هذا[٢٤١]. وكتاب "المستفاد فى ذكر الصالحين والعباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد" وهو كتاب يقع فى سفرين من تصنيف أبى عبد الله بن عبد الكريم الفندلاوى الكتانى السالف الذكر[٢٤٢].

أما كتب البرامج والفهارس، وهى فى عداد كتب التراجم، فقد ظهرت منها التآليف الكثيرة بفاس فى هذين العصرين، منها برنامج عبد الرحمن بن الملجوم ٥٢٤ - ٦٠٣هـ/ ١١٢٩ - ١٢٠٦م[٢٤٣]. وبرنامج ابن القطان الفاسى المتوفى عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠ - ١٢٣١م[٢٤٤]. وكذلك برنامج القاضى أبو القاسم بن بقى[٢٤٥]. وبرنامج أحمد بن فرتون السلمى[٢٤٦]. ومن فن التراجم كذلك "تقييد" أبى زيد عبد الرحمن بن الملجوم الفاسى، الذى كان من أهل المعرفة بالشعر والأنساب والحفظ للتواريخ، وقد وقع النقل من هذا التقييد فى زوائد التكملة[٢٤٧].

٨- علم التصوف:

وهو من العلوم الشرعية المحدثة، أصله العكوف على العبادة والانقطاع لله تعالى، والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة[٢٤٨]. وعاش فى مجتمع مدينة فاس خلال عصرى المرابطين والموحدين الكثير من الصالحين الذين اتخذوا التصوف منهاجا لحياتهم وتجمع حول هؤلاء الأتباع والمريدون ينهلون من علمهم ومعرفتهم، وكانت الملامح البارزة لهذا التصوف هى الزهد ومجاهدة النفس والإكثار من العبادة والأذكار، ولم يكن تصوفا فلسفيا، وامتازت هذه الفترة بوجود بعض

أقطاب الصوفية، حيث صارت لها فيما بعد تأثيرا فى الحياة السياسية بالمغرب، فضلا عن الحياة الروحية[٢٤٩]. ولم يأخذ التصوف صيغته المتميزة فى العهد المرابطى، حيث لم تتكون الطرق والجماعات إلا مع بداية العصر الموحدى، فكان أقطاب التصوف الذين ظهروا فى العصر المرابطى قد عاشوا قسطا كبيرا أو قليلا من حياتهم فى عهد الموحدين، وتركت أصابعهم بصماتها على صفحة الحياة فى مدينة فاس، حيث التفت الكثير من أبناء المدينة حولهم يعظمونهم وينزلونهم منزلة التقديس[٢٥٠].

ونلمس من خلال العرض لحياة بعض المتصوفة فى العصرين المرابطى والموحدى أثرهم فى أهل مدينة فاس من الوجهة الدينية، وفى حياة الدولتين من الوجهة السياسية.

فالمتصوف أبو يعزى يلنور "آل النور بن عبد الرحمن بن أبى بكر الإيلانى المغربى" ولد عام ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م، وساح فى مختلف أنحاء المغرب، وقضى الجزء الأكبر من حياته بمدينة فاس، حيث تلقى العلم عن أبى بكر بن العربى الذى استوطن فاس، وكان أبو يعزى ملطعا على مبادئ التصوف، وكان أستاذ لأبى مدين الغوث، وانتهت إليه تربية الصادقين والناسكين بالمغرب، وتخرج بصحبته جماعة من أكابر مشايخها وأعلام زهادها، وكان أهل المغرب، وفاس يستسقون به فيسقون[٢٥١]. فعظمة أمراء المغرب وخلفاءه، كما كان الناس يفدون إليه من جميع أنحاء المغرب، يأخذون عنه ويستمعون إليه، ويلتمسون عنده البركات، وقد توفى هذا الشيخ عام ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م وعمره يقارب مائة وثلاثون سنة[٢٥٢].

والشيخ أبو محمد صالح بن حرازم، الذى كان خيرا فاضلا مستجاب الدعوة، وقد رحل إلى المشرق فحج وانقطع بالشام أعواما يؤم الناس بأحد مساجد الشام، كما اجتمع بالإمام أبى حامد الغزالى، فأخذ عنه طريقة التصوف وزاربيت المقدس، وبعد ذلك عاد أبو صالح إلى فاس فجلس بها واعظا مدة، فنفع الله به خلقا كثيرا[٢٥٣].

أما الشيخ أبو الحسن على بن إسماعيل بن حرزهم (ابن أخ أبى محمد صالح) فقد كان من كبار الصوفية فى عهد المرابطين خيرا صالحا ورعا متفقها. وكان الشيخ أبو الحسن متواضعا للفقراء، ذو علم بالفقه والحديث ومعرفة التفسير والتصوف لا يأخذ من الدنيا إلا المهم الضرورى[٢٥٤]. واجتمعت القلوب على محبته، فكان يقصده الناس من البلدان للقراءة عليه[٢٥٥].

وتأثر الشيخ أبو الحسن بن حرزهم بكتب الإمام الغزالي، وخاصة كتاب الإحياء الذى عكف على قراءته فى بيته مدة عام، وكان ممن وافق فى البداية الأمير علي بن يوسف على مصادرته، ولكنه عدل عن ذلك.فحث على العمل به. هذا وقد درس على الشيخ أبى الحسن كبار أصحاب الطرق الصوفية فيما بعد كعبد السلام بن مشيش وأبى مدين وأبى محمد يشكر وأبى عبد الله التاودى وغيرهم، وكان تأثيره عظيما فى أمير المسلمين علي بن يوسف الذى كان يتردد بين فتاوى الفقهاء وإغرائهم، وبين وعظ الصوفية واعتبار موقف العامة منهم، وكانت وفاة ابن حرزهم بفاس عام ٥٥٩هـ/ ١١٦٣ - ١١٦٤م(٢٥٦).

واتخذ التصوف فى العصر الموحدى صيغته المتميزة، حيث يمكن القول أن أقطاب الصوفية فى هذا العصر كانوا نواه طيبة لبداية تكوين الطرق الصوفية المعروفة فيما بعد.

فالشيخ أبو مدين هو شعيب بن الحسن الأندلسي، شيخ المشايخ وسيد العارفين، ولد عام ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م بالأندلس قرب اشبيليه، وكان قد توفى والده وهو حديث السن فانتقل إلى طنجة، ثم إلى سبتة وتوجه بعد ذلك إلى مراكش، ثم رحل إلى فاس من أجل طلب العلم، حيث درس بها على يد الشيخ أبى الحسن بن حرزهم، والعلامة أبا الحسن بن غالب، وبذلك يكون قد تلقى علوم الإمام الغزالى عن طريق ابن حرزهم، وأصبح أبو مدين صدرا من صدور الأولياء، جمع الله له علم الشريعة وعلم الحقيقة، وأصبح له مجلس وعظ يتكلم فيه فاجتمع عليه الناس من كل جهة، وتخرج عليه جماعة كثيرة من العلماء والمحدثين(٢٥٧).

ولجأ فقهاء فاس وأهلها إلى الشيخ أبى مدين فى حل المشكلات الفقهية، حيث كان مشغولا بالتربية والإفادة والتعليم والعبادة والإقبال على الله تعالى، وكان الشيخ أبو مدين قد توجه للشرق، فأخذ عن العلماء واستفاد من الزهاد والأولياء، وتعرف هناك بالشيخ عبد القادر الكيلانى(٢٥٨). فقرأ عليه فى الحرم الشريف كثيرا من كتب الحديث، والبسه خرقة التصوف، فكان أبو مدين يفتخر به وبصحبته، ويعده من مشايخه الكبار وقد توفى الشيخ أبو مدين عام ٥٩٤هـ/ ١١٩٧ - ١١٩٨م(٢٥٩).

ومن كبار المتصوفة الذين ترددوا على مدينة فاس وألقوا بها علوم التصوف، الشيخ محيى الدين بن عربى (أبو بكر محمد على بن عربى) ٥٦٠ - ٦٣٨هـ/ ١١٦٤ - ١٢٤٠م. والذى ولد فى مرسية فى بيت حسب وتقوى وكانت أسرته على ثراء فدرس علوم الدين والأدب دراسة شاملة، وبعد أن قام ابن عربى بسياحات متعددة

فى نواحى المغرب والأندلس، استقر فى فاس عام ٥٩١هـ/ ١١٩٤م حيث انصرف إلى الدراسة والرياضة الصوفية، وذلك فى جامع عين الخليل بفاس وكذلك فى جنان ابن حيون(٢٦٠). ولكن ليس لدينا عن مقام ابن عربى بفاس غير أخبار قليلة جدا، ولعله بدأ يعقد الصلات مع الشيوخ والأخوة فى طريق الله، الذين سوف يترددد عليهم فى السنوات التالية .. فترك ابن عربى فاسا حوالى عاما كاملا، ليعود إليها مرة أخرى فى عام ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م ليعكف على الدراسات والمجاهدة فيها، حيث كان يفضل حضور درس الشيخ محمد بن عبد الكريم الفندلاوى الذى كان يشرح له كتابا عن الصالحين من أهل فاس .. وكان بستان ابن حيون هو المكان المختار لتجمع تلاميذ ابن عربى الذين بدأوا يتكاثرون حول سماع المحاضرات الصوفية التى كان ابن عربى يلقيها(٢٦١).

ومن أقطاب الصوفية أيضا الشيخ أبو الحسن الشاذلى المولود عام ٥٩٣هـ/ ١١٩٦ - ١١٩٧م بقرية شاذلة من قرى غمارة بالقرب من سبتة، والذى تلقى الطريقة الصوفية على يد شيخه أبى عبد الله محمد بن حرزهم، وقد ساح أبو الحسن فى بلاد المغرب وتونس والإسكندرية، ثم رحل إلى المشرق، وعاد أبو الحسن الشاذلى مرة ثانية للمغرب الأقصى حيث وإلى الرحلة والبحث، إلى أن التقى بشيخه وأستاذه الكبير الذى أخذ عنه الطريق وليس على يده خرقة التصوف وهو الشيخ عبد السلام بن مشيش، فلما أصبح أهلا للولاية بعد أن جمع العلم وورث روحانية أشاعها فى جنبات المغرب شيوخ كبار مثل أبو مدين، وأبو يعزى وعبد الله بن حرزهم وعبد السلام بن مشيش، أمره أستاذه أن يرحل عن فاس إلى تونس ثم إلى المشرق،حيث تنبأ له بما سيحدث فى مستقبل أيامه(٢٦٢).

كما كان أبو الحسن على بن محمد المعروف بالعطار المتوفى عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م من كبار الصوفية عارفا بعلوم الاعتقادات، له منظوم محفوظ فى معانى التصوف(٢٦٣). وأيضا الشيخ أبو إسحاق الأندلسى من أهل القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى، الذى استوطن مدينة فاس، وكان من كبار الصوفية، وقد بنى رابطة خارج باب الجيسه من أبواب مدينة فاس، وانقطع فيها، حيث كان يأوى إليه المريدون(٢٦٤).

وكان مشايخ الصوفية فى هذين العصرين هم الملجأ والملاذ حين ينزل بالناس أزمة أو شدة، حيث صاروا رمزا للعدالة يلوذ بهم الناس من ظلم حكامهم(٢٦٥). إلا أن المكانة التى تمتع بها المتصوفة والتفاف الناس حولهم، أثارت حفيظة بعض

الفقهاء، ومن ثم حاولوا النيل منهم والإيقاع بهم عند ولاة الأمر، حيث سعى بعض الناقمين بالمتصوف أبو يعزى عند الخليفة عبد المؤمن بن على الذى تواترت عليه الأخبار أن هذا الشيخ تكثر حوله الجموع فأستدعاه الخليفة وحبسه فى صومعة جامع مراكش، ثم خلى سبيله حين تأكد من براءته(٢٦٦).

كذلك حين سعى بعض العلماء الحاسدين بالشيخ أبى مدين لدى الخليفة المنصور الموحدى الذى أمر بإحضاره إلى العاصمة إلا أن المنية عاجلته(٢٦٧). وكذلك اعترض الفقهاء على اشتغال بعض المتصوفين بمداواة المرضى من النساء، وعدوا ذلك خروجا على أحكام الدين، فنكروا ما يفعله الشيخ أبو يعزى بالنسبة للمرضى من النساء، وبذلك أصبح كبار المتصوفين هدفا لحملات بعض الفقهاء والعلماء محاولين التشكيك فى أخلاقهم وادعاءاتهم بأنهم يشكلون خطرا على البلاد(٢٦٨).

ولعل هذا ما يفسر لنا محاولة الدولة الموحدية القبض على العبيدى الذى قام فى جبل ورغة من أحواز مدينة فاس، حيث تبعه كثير من أهالى وقبائل المغرب، وذلك عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م، فبذلت الدولة الموحدية جهودها فى القبض عليه، حيث أحرق على باب المحرق بفاس في نفس العام المذكور، وكان العبيدى هذا رجلا متشيعا كثير الورع والعبادة(٢٦٩).

العلوم العقلية:

إذا كانت بعض العلوم النقلية تختص بشعب أو دين معين، فأن العلوم العقلية تعتبر طبيعية للإنسان من حيث أنه ذو فكر، فهى غير مختصة بدين، بل يوجه النظر فيها لأهل الأديان كلها، ويؤلفون فى مداركها ومباحثها(٢٧٠). ومن هذه العلوم:

علم الفلك والهيئة:

وهو علم يبحث فى تعين أشكال الأفلاك، وحصر أنواعها وتعددها لكل كوكب من السيارة، والقيام على معرفة ذلك من قبل الحركات السماوية الموجودة لكل واحد منها، ومن رجوعها واستقامتها وإقبالها وأدبارها(٢٧١)

ولم تشر المصادر التى أطلعت عليها إلى اهتمام أهل مدينة فاس فى عصر المرابطين بعلم الفلك، لكن اهتم أهل فاس فى دولة الموحدين بعلم الفلك وأحكام النجوم، وذلك لأن حياتهم الدينية تتوقف إلى حد بعيد إلى النظر فى النجوم، وحساب أوقات الصلاة، وإهلال الأهلة، كما تتوقف الفرائض على معرفة الحساب وإتقانه(٢٧٢). وكان علم النجوم والفلك من العلوم المحببة لدى المغاربة،

فكانوا يشجعون على دراسته أما الخلفاء الموحدون فكان تشجيعهم له بالغا، فالخليفة أبو يعقوب المنصور نقل من الأندلس الكتب الكثيرة التى كانت تختص بعلم أحكام النجوم، وولى بعض أصحابها ولاية ضخمة لم يحدثوا بها أنفسهم من قبل(٢٧٣). كما اهتم الخليفة أبو يوسف يعقوب بن يوسف بعلوم النجوم لما يؤدى معرفتها من أوقات الليل والنهار، وأخذ جهة القبلة، فعمل على نشر كتب النجوم فى سائر بلاده، والعمل بمقتضاها(٢٧٤).

ومن أهل هذا العلم. محمد أبو بكر بن الصائغ المتوفى بمدينة فاس عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م الذى كان له نظر فى تلك العلوم، ففكر فى أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم(٢٧٥). وعلى بن محمد بن القطان الكتامى الفاسى المتوفى عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠ - ١٢٣١م الذى ألف فى هذا العلم كتاب "النظر فى أحكام النظر"(٢٧٦). وأيضا الفقيه محمد بن عبد الرحمن الشلبى المتوفى عام ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م خطيب جامع القرويين كان له معرفة بالأوقات والنجوم(٢٧٧).

٢- علم الحساب والهندسة:

لم تشر المصادر إلى اهتمام أهل مدينة فاس فى عصر المرابطين بعلمى الحساب والهندسة، لكن شهد هذان العلمان نهضة كبيرة بمدينة فاس فى عصر الموحدين وقد ساعد على هذه النهضة تشجيع الخلفاء الموحدين لهذا العلم(٢٧٨). الذى ازدهرت فيه ما يمكن أن نطلق عليه الهندسة الميكانيكية الهوائية والمائية، وقد كانت آثارها راقية بالنسبة لوقتها. ومن مظاهر هذه النهضة ما جاء فى المصادر التاريخية من أن فاس فى داخلها رحى وطواحين تقوم بعملها عن طريق الماء والهواء(٢٧٩).

أما عن الهندسة المعمارية فكان من أهلها أبو عمران موسى بن حسن بن أبى شامية، الذى استعمل الهندسة المعمارية فى البناء، وذلك عندما وضع "البيلة والخصة" بصحن جامع القرويين، وما أضاف من هندسة فى البناء لهذا الجامع(٢٨٠).

أما بالنسبة لعلم الحساب فقد دعت الحاجة طلاب العلم لدراسته وذلك لمباشرة المهام الحسابية(٢٨١). وكان من أعلام الحساب بمدينة فاس أبو الحسن بن فرحون الذى كان يقوم بتعليم هذا العلم بها، وألف فيه كتابه "اللباب فى مسائل الحساب" وقد توفى أبو الحسن عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م(٢٨٢).

وكذلك العالم الرياضى الكبير، ابن الياسمين المتوفى عام ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م صاحب أرجوزه الحساب، وهى أنظومته فى الجبر والمقابلة التى ألفها عام ٥٨٧هـ/

١١٩١م وقد قامت على شهرته البارعة فى علم الحساب والحبر. وهو لذلك يعد من علماء العرب فى هذا العلم، وقد تقدمت الإشارة إلى أرجوزته هذه، التى قرأت عليه بأشبيليه وهى تبدأ بمقدمة فى العدد وأبواب فى الجمع والطرح والقسمة، وحل العدد إلى أصوله، ثم مقدمة فى الكسور وأبواب فى مسائل الجبر، وأخيرا ينتقل إلى علم الجبر والمقابلة، وهو أهم أبواب الأرجوزه، وقد قام بشرحها كثير من علماء هذا الفن كالماردينى[٢٨٣]. وابن الهائم[٢٨٤] وغيرهم، وفى هذه الأرجوزة توجد كثير من القوانين والمعادلات الجبرية التى تتضمنها كتب الجبر الحديثة، وهى تدل على تضلع الناظم وبعد غوره[٢٨٥].

وتجاوزت شهرة أرجوزة ابن الياسمين المغرب، وهى ما زالت مخطوطة إلى الآن، منها نخسة محفوظة بمكتبة جامع القرويين بفاس، وأخرى محفوظة بالخزانة العامة للرباط، كما أن أرجوزته فى الجذور توجد منها نسخة خطية بمكتبة الاسكوريال بأسبانيا، ولابن الياسمين كذلك كتاب "جامع المبادئ والغايات فى الحساب" به مسائل فى الجبر والمقابلة[٢٨٦].

وكما اشتغل رجال هذا العصر بالجبر والمقابلة، كذلك اشتغلوا بفن المعاملات، وممن ألف فى هذا العلم أبو بكر بن خلف الأنصارى المتوفى عام ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م من أهل قرطبة، والذى سكن مدينة فاس وكان له مقالات مفيدة فى المكاييل والأوزان[٢٨٧]. كذلك ألف فى هذا العلم أبو الحسن على بن محمد بن عبد الملك الكتانى الفاسى المعروف بابن القطان المتوفى عام ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠ - ١٢٣١م، والذى كانت له مقاله فى الأوزان[٢٨٨].

٣- علم الطب:

إن عصرى الازدهار المرابطى والموحدى يقترن بالخصوص بتقدم علم الطب بالمغرب والأندلس ويتجلى من كتاب الطب والأطباء بالمغرب[٢٨٩]. العناية التى كان يوليها الأمراء المرابطين والخلفاء الموحدين للدراسات الطبية مع تشجيع القائمين عليها وتأسيس البيمارستانات وتنظيم مهنة الطب والحث على وضع المؤلفات فيه، واتخاذ التدابير الوقائية أيام الأوبئة إلى غير ذلك من النواحى. فلم يسبق للفكر العلمى أن تحرر من المغرب، كما حدث خلال هذين العصرين، وخاصة فى عصر الموحدين، وذلك بفضل العناية التى أولاها الخلفاء للبحث العلمى ولتجارب العلماء[٢٩٠].

واهتم الموحدون بعلم الطب اهتماما فائقا، وخاصة الخليفة يوسف بن يعقوب المنصور كذلك اعتنوا بشؤون الرعية الصحية، فنظموا مهنة الطب[٢٩١]. ومن رجالات الطب والصيدلة في هذين العصرين إبراهيم ابن أبي الفضل بن صواب الحجرى من أهل مدينة شاطبة[٢٩٢]. الذى تعلم الطب وقعد للعلاج بطنجه، ولكنه رحل إلى مدينة فاس، فأستقر بها يمارس مهنته حتى آخر عمره حيث توفى عام ٥٠٦هـ/ ١١١٢م[٢٩٣]. وكذلك أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجه (وهو شيخ ابن رشد) وقد استوزره الأمير أبو بكر يحيى بن تاشفين مدة عشرين عاما، وكان يشارك الأطباء فى علومهم، فحسدوه على ذلك فقتل مسموما بفاس عام ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م[٢٩٤]. ومن الأطباء الذين عاشوا بمدينة فاس الطبيب أحمد بن عبد الله بن موسى القيسى الاشبيلي الذى توفى بها عام ٥٧١هـ/ ١١٧٥م[٢٩٥]. والطبيب على بن عتيق الخزرجى نزيل فاس أيضا، والذى كان ماهرا فى الطب موفق العلاج وله تأليف فيه، وقد توفى ابن عتيق عام ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م[٢٩٦]. وأحمد بن الحسن القضاعى المرسى الأصل الذى ارتحل إلى مدينة فاس فأستوطنها، وكان ماهرا فى الصناعة الطبية، وصنف فى علم الطب مختصرا سماه "الجمل والتفصيل فى تدبير الصحة"، وقد توفى هذا الطبيب عام ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢ - ١٢٠٣م[٢٩٧]. وكذلك الطبيب الشاعر محمد بن قاسم الأنصارى الجيانى الذى سكن مدينة فاس وأخذ من علمائها[٢٩٨] وأبو الحجاج يوسف بن يحيى بن إسحاق الإسرائيلى الفاسى المتوفى علم ٦٢٣هـ/ ١٢٢٥م الذى كان فاضلا فى صناعة الطب[٢٩٩]. ومن العائلات التى توارثت مهنة الطب بفاس بنو أفلاطون أطباء فاس المشهورين[٣٠٠].

ولا شك أن المغرب ومدينة فاس على الخصوص استفادت فى هذين العهدين من أطباء الأندلس، حيث كانت بلاد الأندلس خاضعة لسلطات مراكش، وتكونت جماعة من الأطباء، التفت حول الأمراء المرابطين والخلفاء الموحدين، وسار معظمهم فى ركاب هؤلاء، حيث قضوا بقية حياتهم فى صنع العلاج وتدريس الطب[٣٠١].

٤- علم الكيمياء:

لم تخل مدينة فاس من الاشتغال بهذا العلم فى العصر الموحدى، ولاسيما إذا فرضنا إنها كانت تحتوى على دار لسك العملة وما تحتاجه هذه الدار من العارفين بتحليل المعادن.

وكان من شيوخ هذا العلم أبو الحسن بن علي بن موسى الأنصا
الجياني المعروف بابن الثقرات المتوفى عام ٥٩٣هـ/ ١١٩٦ - ١١٩٧م، والذى ذ
عنه أنه نزل مدينة فاس، وتصدر للإقراء بها، وولى خطابة جامع القرويين، وه
صاحب كتاب "شذور الذهب" فى صناعة الكيمياء، ولم ينظم أحد فى هذا الع
مثله نظمه بلاغه ومعانى وفصاحة ألفاظ وعذوبة تراكيب، حتى قيل فى هذا الكتا
"إن لم يعلمك صناعة الذهب علمك صناعة الأدب" وقيل "هو شاعر الحكم
وحكيم الشعراء" ولقد أبرز ابن الثقرات من خلال قصيدته تراكيب علم الكيمياء[٣٠٢]

هكذا كانت الحياة الفكرية والعلمية قد بلغت أوجها بمدينة فاس فى هذي
العهدين، حتى أصبحت فاس قبلة العلماء والمتعلمين، ولعل دراسة الحياة الفكر
والعلمية بمدينة فاس على هذه الصورة توضح لنا صورة مخالفة لما ذكره اب
خلدون[٣٠٣]. "من أن فاس خلت من حسن التعلم من لدن انقراض تعليم قرطب
والقيروان، ولم يتصل سند التعليم فيها فعسر عليها - أى على طلابها - حصول الملك
والحذق فى العلوم، وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة ف
المسائل العلمية فهو الذى يقرب شأنها ويحصل مرامها، فنجد طالب العلم منهم بع
ذهاب الكثير من أعمارهم فى ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون، وعنايته
بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف فى العل
والتعليم، بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل تجد ملكته قاصرة فى علمه إ
فاوض أو ناظر أو علم".

خامسا: دور مدينة فاس فى نشر الثقافة الإسلامية فى المغرب:

كانت مدينة فاس فى إشعاعها الحضارى وأثرها الثقافى فى عصر المرابطين
والموحدين تمثل حقيقة "المدينة الأم" حيث كان لها أثرها الثقافى فى المنطق
المحيطة بها، وكذلك المناطق الأفريقية والأندلسية والمشرقية التى تتصل بها بصلة م
من الصلات عبر تاريخها فى هذين العهدين[٣٠٤]. فكما كان قيام القيروان هو الخطو
الأولى فى قيام القيروان هو الخطوة الأولى فى قيام أفريقية الإسلامية، كذلك كا
قيام فاس الخطوة الحاسمة فى قيام المغرب الأقصى، فقد أصبحت فاس مركزا رئيسي
للثقافة العربية الإسلامية، وأخذت تثبت مكانتها إلى جانب مراكز العلوم الإسلاميا
الأخرى[٣٠٥]. فتناوبت مع عواصم الشرق الإسلامي حمل راية الحضارة الإسلامية فى
العالم أيام كان الجهل مخيما على أوروبا، كانت فاس مركز للإشعاع الفكرى
الروحى[٣٠٦]. "فقصدها الناس من جميع أقطار البلاد"[٣٠٧] حتى أن أهل مراكش -

عاصمة المرابطين والموحدين - نصحوا بعض الناس بالتوجه إلى مدينة فاس إذا أرادوا أن يتفرغوا لعلوم الدين[٣٠٨]. وإن هذا ليقوم خير دليل على أن مدينة فاس قد بلغت مكانة سامية تهيؤها لنشر الثقافة العلمية.

وتصور لنا كتب التراجم والطبقات هذه العلاقة الوثيقة التى ربطت بين فاس والأندلس والمشرق الإسلامى فى عهدى المرابطين والموحدين فتحدثت عن أهل فاس الذين وفدوا على الأندلس وألموا بمدارسه وجلسوا إلى فقهائه وعلمائه، كما تتحدث عن أولئك الذين رحلوا من فاس إلى الأندلس وقاموا يعلمون فى معاهدها، كما تتحدث عن أعلام الفكر الأندلسيين الذين رحلوا إلى فاس وقاموا فيها يعلمون ويفقهون، وتتحدث أيضا عن أولئك الذين رحلوا إلى فاس لينهلوا من معين علمها على يد شيوخها. فبالرغم من أن جهود علماء الأندلس لا يمكن أن تنكر فى نهضة العلوم بمدينة فاس خلال هذين العصرين، إلا أن الرحلة العلمية لأبناء الأندلس من مختلف مدنها وثغورها إلى مدينة فاس من أجل نهل العلم من علماء أفاضل لم تنقطع خلال هذين العصرين، مما يمكن القول أن علماء فاس قاموا بإسداء دور كبير وخدمة جليلة فى نشر العلوم. وللتدليل على ذلك سوف نورد جملة من تراجم هؤلاء، أو العلماء سواء الوافدين من الأندلس لفاس طالبين العلم بها، أو لعلماء فاس الذين رحلوا إلى الأندلس ونشروا علومهم هناك. فمن مدينة غرناطة، رحل محمد بن سعيد الطراز الأنصارى المتوفى عام ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م إلى مدينة فاس وأخذ بها عن أبى بكر بن زيدان، وأبى البقاء بن يعيش وغيرهم، وحضر مجلس أبى العباس البقال والمصالى وتفقه عندهما فى علمى الكلام والأصول، وانتفع بهما[٣٠٩].

وكذلك رحل من غرناطه محمد بن يوسف بن مهدى المهلبى المتوفى بعد عام ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م والذى روى بفاس عن أبى محمد بن زيدان، وأبى البقاء ابن يعيش، وأخذ أيضا عن بن الياس، والقاسم بن بقى وغيرهم[٣١٠].

ومن مدينة لبله[٣١١]. رحل عبد الحق بن خليل بن إسماعيل السكونى إلى فاس حيث قرأ علم الكلام وأصول الفقه على أبى عمرو السلالجى وأحكم عنه العلمين، كما أخذ بفاس علم اللغة العربية عن أبى بكر بن طاهر الخدب، وقد توفى عبد الحق بن خليل عام ٥٨٠هـ ١١٨٤م[٣١٢]. ويحيى بن القاسم بن ثابت الذى رحل إلى فاس بعد عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م وقرأ بها على الأصولى عبد الله الكتانى، كما أخذ عن غيره[٣١٣]. كما رحل من لبله أيضا يحيى بن يحيى أبى الحجاج المتوفى عام

٥٩٠هـ/ ١١٩٣م إلى فاس، وأخذ علم اللغة العربية عن الأستاذ أبي بكر بن طاهر، كما أخذ عن غيره(٣١٤).

ورحل من مدينة شقر إلى مدينة فاس عبد الله بن باديس اليحصبي الذى أخذ علم الكلام وأصول الفقه عن ابى الحاج بن نموى(٣١٥).

ومن مدينة مالقه(٣١٦) رحل إبراهيم بن دهاق المعروف بابن المرأة المتوفى عام ٦٦١هـ/ ١٢٦٢ - ١٢٦٣م الذى دخل فاس وروى عن أبي الحسن بن حنين وعلى بن إسماعيل بن حرزهم، وحدث بالموطأ عنهما(٣١٧).

ورحل من أشبيليه إلى فاس فتح بن محمد الأنصارى فأخذ عن أبي القاسم بن عبد الرحمن بن الملجوم وعبد الجليل بن موسى، وعمرو بن أحمد بن محمد بن سعيد اللخمي المتوفى عام ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م(٣١٨) وأحمد بن مقدام الرعيني المتوفى عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م أخذ بفاس عن أبي عمر صالح وابن الرماك وأبي الحسن بن مسلم(٣١٩). وكذلك محمد بن عبد الله الأنصارى المتوفى عام ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م الذى رحل إلى مدينة فاس فى طلب العلم فأخذ بها عن أبي عبد الله ابن زرقون(٣٢٠). وعبد الرحمن بن عبد الله بن غفير الأموى المتوفى قبل عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م والذى سمع بفاس عن أبي الحسن بن حبيش وأخذ عنه كتاب الشهاب(٣٢١). ومحمد بن أحمد بن طاهر الأنصارى المتوفى عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م الذى سكن فاس وروى بها عن أبي القاسم بن الرماك، وأخذ عنه كتاب سيبويه(٣٢٢).

ومن مدينة طلي   على بن أحمد الأنصارى الذى سكن فاس، المتوفى بعد عام ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م،   ..ى عن جماعة منهم أبي بكر ابن طاهر القيسي، كما أخذ علم القراءات عن شريح بن محمد(٣٢٣).

ومن مدينة شريش(٣٢٤). رحل إلى فاس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسى المتوفى عام ٥١٩هـ/ ١١٢٥ - ١١٢٦م الذى روى بفاس عن أبي الحسن بن عتيق(٣٢٥) وأبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن عيسى القيس المتوفى ٦١٥هـ/ ١٢١٨م الذى أخذ بفاس بعض العلوم عن أبي الحسن بن الثقرات(٣٢٦).

ومن مدينة بلنسيه على بن محمد بن خيار البلنسي المتوفى بعد سنة ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م، الذى سكن فاس وسمع من أبي عبد الله بن الرمامة وأخذ عنه ولازمه سنين وتفقه عليه وسمع أيضا من أبي الحسن بن حنين(٣٢٧).

ومن مدينة أشونه(٣٢٨). إبراهيم بن العشاب الأنصارى المتوفى عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م الذى نزل فاس وأخذ بها علم القراءات عن أبي القاسم بن رضى، وسمع من

ابن مكى وغيره[٣٢٩]. ومن مدينة شلب[٣٣٠] يعيش بن على بن يعيش بن مسعود الأنصارى الذى استوطن فاس ولقى بها القاضى أبى عبد الله بن الرمامة، وأخذ عن أبى الحسن اللواتى وابن خليل القيسى، وجماعة غير هؤلاء، وقد توفى يعيش هذا عام ٦٢٦هـ/ ١١٢٨ - ١٢٢٩م[٣٣١].

ورحل من مدينة جيان[٣٣٢] إلى فاس على بن موسى بن خلف الأنصارى المتوفى عام ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م الذى روى عن أبى عبد الله بن الرمامة وابن عيسى[٣٣٣]. ومن مدينة ألمرية[٣٣٤]. محمد بن أحمد بن عبد الله المتوفى عام ٦٢١هـ/ ١٢٢٣م الذى رحل إلى فاس ولقى بها أبى الحسن بن حنين، وسمع منه الموطأ، وأجاز له[٣٣٥].

ومن مدينة مرسية[٣٣٦]. رحل إلى فاس يوسف بن على بن يوسف الأنصارى المتوفى عام ٦٢٢هـ/ ١٢٢٤م الذى أخذ بها الكثير من العلوم[٣٣٧] كما رحل من حصن لبسه[٣٣٨] إلى فاس عبد الصمد بن عبد الرحمن بن رجاء البلوى المتوفى عام ٦٢٣هـ/ ١٢٢٥م الذى أخذ بها عن أبى عبد الله بن الرمامة وغيره[٣٣٩].

ومن علماء مدينة فاس الذين قاموا بدورهم التعليمى فى مدن الأندلس أبو الفرج بن المهاجر الفاسى المتوفى عام ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م، الذى كان متقدما فى علوم الأصول والكلام والفقه والنحو، فقام بتدريس هذه العلوم بمدينة أشبيليه، حيث تفقه عليه جماعة هناك[٣٤٠]. وعبد الله بن الياسمين الذى قام بتعليم علم الجبر والرياضيات بأشبيليه بعد عام ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م[٣٤١]. وبدر بن إبراهيم المتوفى قبل عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م دخل الأندلس فسمع الناس منه بأشبيليه[٣٤٢]. وعلى بن حسن الصينى الفاسى المتوفى عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م الذى ولى قضاء غرناطة، وقام بتدريس اللغة العربية وعلم الأصول، وغير ذلك من العلوم بتلك المدينة، وكان عليا بارعا فى علومه[٣٤٣]. وكذلك يوسف بن عبد الصمد بن نموى الفاسى المتوفى عام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م. الذى درس بأشبيليه بعض العلوم وذلك قبل عام ٦١٣هـ/ ١٢١٦م[٣٤٤]. وعبد الرحمن بن القاسم بن يوسف بن محمد المغيلى الفاسى المتوفى عام ٦١٩هـ/ ١٢٢١ - ١٢٢٢م والذى قام بتدريس علوم اللغة العربية بسبته ثم بعد ذلك بغرناطة[٣٤٥].

كذلك استقبلت مدينة فاس أبناء مختلف المدن المغربية خلال هذين العصرين جاءوا إلى هذه المدينة لينهلوا من علومها، وسوف نورد بعضا من تراجم

هؤلاء الوافدين على فاس، ليتضح من خلال ذلك الدور الذى قامت به تلك المدينة فى نشر الثقافة الإسلامية بمدن المغرب الأقصى.

فخلال هذين العصرين وفد العديد من أبناء مدينة سبتة إلى فاس نذكر منهم أيوب (أبو الصبر) بن عبد الله الفهرى المتوفى عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م، الذى أخذ بفاس عن عبد الله بن الرمامة وعن الحاج أبى الحسن بن حسن الموطأ[٣٤٦]. وعياض ابن محمد بن موسى اليحصبى الذى توفى عام ٦٢٠هـ/ ١٢٢٢ - ١٢٢٣م والذى أخذ بفاس عن أبى العباس بن فرتون السلمى[٣٤٧]. وعلى بن محمد بن على الذى لازم بفاس الأصولى الجليل عبد الله بن على بن عبد الكريم الفندلاوى المعروف بالكتانى، تفقه عنده فى علم الكلام، وأصول الفقه، وغير ذلك وقرأ على جماعة من جلة علماء فاس وتفقه عليهم وروى عن القاسم بن عبد الرحيم الملجوم وعن عمه أبى القاسم عبد الرحيم بن رقيه، وأخذ عن النحوى الحسن بن خروف، وقد توفى على بن محمد عام ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م[٣٤٨]، وكذلك على بن محمد الشارى، المتوفى عام ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م أخذ بفاس عن ابى ذر الخشنى وعلى بن خروف علوم اللغة العربية، ولقى بفاس جماعة منهم أبى عبد الله الفندلاوى وأبى الحجاج بن نموى، وأبى القاسم بن الملجوم فأخذ منهم وسمع عنهم[٣٤٩].

كما وفد من أبناء مدينة مراكش العديد من الطلبة الذين أخذوا كثيرا من العلوم بمدينة فاس، نذكر منهم عبد المنعم بن أحمد المراكشى المتوفى بعد عام ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م روى بفاس عن بكر بن ميمون بن قاسم الزقاق[٣٥٠]. وإبراهيم بن جابر بن عمر المخزومة المتوفى عام ٦٤١هـ/ ١٢٤٣ والذى أخذ بفاس عن أبى الحسن بن حرزهم وغيره[٣٥١]. وأيضا عبد الواحد المراكشى المتوفى عام ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م والذى ظل طوال حياته مترددا بين بلده مراكش وبين مدينة فاس ينهل من علومها[٣٥٢].

ومن مدينة سجلماسة أبو عبد الله الدقاق المتوفى قبل عام ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م والذى كان يتردد على مدينة فاس، وكان من أصحاب عبد الله بن الأصم، وأبى عمر التلمسانى[٣٥٣]. ومن مدينة طنجة وفد عبد الله بن محمد الصنهاجى قبل عام ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م فسمع بفاس عن أبى عبد الله الفندلاوى، وعبد العال بن زيدان[٣٥٤]. ومن مدينة تلمسان وفد حسن بن إبراهيم بن سهل المعروف بابن زكون المتوفى عام ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م الذى نزل بمدينة فاس، وكتب بها عن عيسى بن الملجوم[٣٥٥]. ومن مدينة تادلا وفد على مدينة فاس أبو محمد يشكر الغفجومى المتوفى عام

٥٩٨هـ/ ١٢٠١م والذى حصر مجلس أبى الربيع التلمسانى، وصحب على بن حرزهم[٣٥٦].

ومن مدينة بجايه وفد مروان بن عمار بن يحيى المتوفى عام ٦٠١هـ ١٢٠٤م والذى أخذ بفاس عن أبى ذر الحشنى كثيرا من علم اللغة العربية وغيرها، كما أخذ بعض من كتاب سيبويه عن أبى عبد الله بن حميد[٣٥٧].

ومن قلعة بن حماد[٣٥٨]. وفد أبو الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المعروف بابن النحوى المتوفى عام ٥١٣هـ/ ١١١٩م صحب بفاس أبا الحسن اللخمى، وأخذ عن أبى الفضل المعروف بابن الرمامة[٣٥٩].

وتخطى دور مدينة فاس الثقافى المغرب الأقصى والأندلس إلى المشرق الإسلامى فرحل علماءفاس إلى مصر وحلب وغيرهما من مدن المشرق فهذا أحمد ابن الحطيئة اللخمى الفاسى المتوفى عام ٥٦٠هـ/ ١١٦٤ - ١١٦٥م والذى كان من مشاهير الصلحاء وأعيانهم، انتقل إلى مصر وكان لأهلها فيه اعتقاد كبير لما رأوه من صلاحه وعلمه[٣٦٠]. فتصدر بمصر لإقراء العربية والآداب فقرأ عليه جماعة[٣٦١]. ومحمد بن عمر القرطبى المقرئ المولود بفاس عام ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م قدم مصر فأخذ بها عن الشيخ الإمام أبى القاسم الشاطبى وجلس بعد موته للتدريس، وكان أستاذا فى القراءات والتفسير والنحو، حتى صار له القبول التام عند الخاصة والعامة[٣٦٢]. ومحمد بن عمران بن موسى بن عبد العزيز المعروف بابن الدلالات المولود بفاس عام ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م والذى قدم القاهرة، ودرس بمدارسها، كان إماما علامة صاحب فنون، وله معارف جمة بالنحو واللغة[٣٦٣].

كذلك رحل من مدينة فاس محمد بن عمر بن مالك المولود عام ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م إلى مدينة الإسكندرية حيث ألقى بها دروسه[٣٦٤] وأيضا محمد بن عمر المعافرى الفاسى المولود بفاس عام ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م والمتوفى عام ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م قدم الإسكندرية وأقرأ القرآن الكريم بالروايات وكتب الناس عنه[٣٦٥].

كما استقر الشيخ أبو الحسن الشاذلى - أحد تلاميذ مدرسة فاس - بمدينة الإسكندرية حيث بدأ يلقى دروسه، ويعقد الحلقات ويعظ الناس، ويدعو إلى طريقته ومبادئه فجذب إليه جملة علماء الإسكندرية وفقهائها فلازموه ملازمة تامة، وكان له تلاميذه الذين كانوا لهم فيما بعد دور كبير فى قيادة الحركة الفكرية والروحية بالمدينة .. ففى الإسكندرية نشر الشيخ أبو الحسن الشاذلى العلم، وتخرج عليه يديه طبقات من العلماء والزاهدين، وتكونت فى المدينة مدرسة دينية صوفية تمتاز

بطابع خاص، بدأت هذه المدرسة بتلميذه أبي العباس المرسي، ثم خلفه تلاميذ كثيرون نذكر منهم ياقوت العرشي والأباصيري صاحب البرده، وابن عطاء السكندري[٣٦٦]. ولم يقتصر نشاط الشيخ أبو الحسن على مدينة الإسكندرية، بل كانت له مدرسة أخرى متنقلة بين مدن مصر فقد زار دمنهور ودمياط والمنصورة، ومعظم مدن صعيد مصر، وتردد كثيرا على القاهرة[٣٦٧].

كذلك رحل إلى مدينة حلب، محمد بن حسن بن محمد بن يوسف الفاسي المولود في غام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م، والذي كان أستاذا كبيرا وعلامة قدم مصر أولا فقرأ على أبي القاسم بن عبد الرحمن بن سعد الشافعي، وأبي موسى عيسى بن يوسف المقدسي، ثم رحل إلى حلب، حيث كان متقدما في علم الكلام فانتهت إليه بحلب رئاسة الإقراء فأخذ عنه خلق كثير[٣٦٨].

الهوامش

١- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الأول، القسم الأول، ص٢٣٩ - ٢٤٠.

٢- حسن علي حسن: التعليم بالمغرب في عهد دولتي المرابطين والموحدين، ص٦٤ - ٦٥.

٣- عبد الله كنون: التعاشيب، بدون مكان وتاريخ، ص٩٦.

٤- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٤٤٣، حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص٤٤٨.

٥- ابن الزبير: صلة الصلة، جـ٧، ص١٤٨، ابن الآبار: المعجم في أصحاب القاضي، ص١٩٥، التكملة لكتاب الصلة، جـ١ ص١٧٥ جـ٢، ص٧١٣، ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، نشر - برجشتراسر، مصر، مطبعة السعادة، ١٩٢٣، جـ٢ ص٢١٨، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ٢ ص٣٩٧، ص٤٧٠، محمد عادل عبد العزيز: أثر الأندلس الحضاري على المغرب، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ١٩٨٦، ص١٣.

٦- ابن الآبار: المعجم الآبار: المعجم في أصحاب القاضي، ص٢٨٧، الحسن النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، المسمى بكتاب المرقبة العليا فيمن يستحق الفتيا، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة: دار الكتاب المصري، ١٩٤٨، ص١٠٢، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ٢، ص٤١٥ - ٤١٦، ٤٢١ - ٤٢٢، ص٥٣٧.

٧- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، جـ٢ ص٦٨٢، وعن رحلات طلبة فاس للمشرق انظر التادلي: التشوف، ص٧١، ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الخامس، القسم الأول ص١٥٠ - ١٥٣، ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، نشرة محمد الفاسي وأودلف فور، الرباط، المركز الجامعي، مطبعة أكران، ١٩٦٥، ص١٣. ابن الجزري: المصدر السابق، جـ٢ ص١٢٢ - ١٢٣، ٢١٨، المقري: نفح الطيب، جـ٧ ص١٣٨، ابن القاضي المكناسي، المصدر السابق، جـ١ ص٢٦٩، جـ٢ ص٤٢١.

٨- عبد الهادي التازي: جامع القرويين، جـ١ ص١٢٣ - ١٢٤.

٩- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص٢٥٨.

١٠- المقرى: أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض، جـ١ ص٢٣ - ٢٤، عبد الهادى التازى: المرجع السابق، جـ١ ص١٢٤.
١١- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٤١٥ - ٤١٦، المنونى العلوم والفنون والآداب، ص٢٨٣، عبد الهادى التازى: المرجع السابق، جـ١ ص١٢٤.
١٢- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٣٩٦، عباس إبراهيم المراكشى: الإعلام بمن حل مراكش، وأغمات من الإعلام، جـ١ ص٣٤٣، عبد الهادى التازى: المرجع السابق، جـ١ ص١٢٤.
١٣- ابن عسكر: فقهاء مالقة وأدبائها، مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، المجموعة المصورة من الاسكوريال، رقم ٤٢٨ آدب، ورقة ٢٩، محمد المنونى: المرجع السابق، ص٢٨٤.
١٤- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٠٠ - ٥٠١، حسن على حسن: المرجع السابق، ص٢٥٨.
١٥- ابن خلدون: المقدمة، ص٣٥٩.
١٦- ابن سعيد المغربى: الغصون اليانعة فى شعرا المائة السابقة، تحقيق إبراهيم الإبيارى، مصر، دار المعارف، بدون تاريخ، جـ١ ص٩١.
١٧- التادلى: التشوف، ص١٤٧ - ١٤٨.، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ٢ ص٤٦٤.
١٨- ابن الآبار: التكملة للصلة، جـ٢ ص٦٨٤.
١٩- محمد عبد الرحيم غنيمه: تاريخ الجامعات الإسلامية، تطوان، دار الطباعة المغربية، ١٩٥٣، ص١٧٧.
٢٠- ابن خلدون: المقدمة، ص٤٧٣ وقد انتقد ابن خلدون على أهل المغرب هذه الطريقة.
٢١- ابن عبد الملك المراكشى: المصدر السابق، السفر الأول، القسم الأول، ص٢٣٩ - ٢٤٠، ابن فرحون المالكى: الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب، جـ١ ص٢١٥ - ٢١٦.
٢٢- ابن الآبار: المصدر السابق، جـ٢ ص٧١٣، المعجم فى أصحاب القاضى أبى على الصدفى، ص١٩٥.
٢٣- ابن الزبير: صلة الصلة، جـ٧ ص١٠٢ - ١٠٣.
٢٤- ابن الآبار: المصدر السابق، جـ٢ ص٦٨٣ - ٦٨٤.

٢٥- محمد بن تاويت، محمد الصادق، الأدب المغربي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٠، ص٦٠.
٢٦- ليفي بروفنسال: آداب الأندلس وتاريخها، ص٩٧.
٢٧- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٤١، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص١٨٥.
٢٨- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص١٩٥، حسن علي حسن: التعليم بالمغرب، ص٦٩.
٢٩- مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ٨، ابن أبي زرع المصدر السابق، ص٤٧، الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص٤٤، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص٥٢ - ٥٣.
٣٠- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٤٩، ص٥٤، الجزنائي: المصدر السابق، ص٢٦، ص٤٥، محمد جعفر الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، جـ١ ص٣، عبد الهادي التازي: أحد عشر قرنا في جامع القرويين، ص١٤، جامع القرويين، جـ١ ص١١٣، وقد وضعت حجر أساس هذا الجامع إمرأة مباركة تكنى أم البنين (فاطمة) بنت محمد الفهري، وهي من وفد القيروان الذي وفد على الإمام إدريس الثاني، وكان هذا الجامع في البداية صغير الحجم ضئيل البناء، ولكن تمت فيه عدة زيادات في نهاية عهد الأدارسة، وانتقلت الخطبة من جامع الشرفاء إليه في عام ٣٠٥هـ/ ٩١٧م، وفي الفترة التي والت فيها مدينة فاس للأمويين بالأندلس بعث الناصر لدين الله إلى عامل فاس أحمد بن أبي بكر الزناتي بأموال لإصلاح هذا الجامع وتوسعته، فزيد فيه كما بني صومعة له في عام ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م، وظل هذا الجامع على ما هو عليه من هذه الزيادات إلى أن استولى المرابطون على المدينة فزادوا فيه، وهو ما سوف نشير إليه في الصفحات القادمة. عن تلك الزيادات انظر، مجهول: ذكر الملوك الأدارسة، ورقة ١٥ - ١٦، ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٥٦ - ٥٧، الجزنائي: المصدر السابق، ص٤٦ - ٤٧، Terrasse: La mosquee al Qaraauiyin a fes, paris, 1968. I1, 12, Georges Marcais: Maunel d'art Muslman, Pris, 1960, tom I, p. 309.
٣١- هو محمد بن داود بن عطية الجراوي، أصله من إفريقية، استوطن أبوه القلعة (قلعة بني حماد) تولى القضاء بتلمسان واشبيله ثم أخيرا بفاس، وكان من أهل

العلم والمعرفة، توفى العاشر من ذى القعدة عام ٥٢٥هـ ١١٣٠م. انظر ابن بشكوال: كتاب الصلة، جـ٢ ص٥٧٣، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٢٥٥.

٣٢- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٥٩ – ٦٠، ٦١، الجزنائى المصدر السابق، ص٦٥ – ٦٦، انظر كذلك:

- Terrasse: Op. Cit, pp 17, 20, Geogres Marcais: L' architecture Muslman, p. 199.

٣٣- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٦١، الجزنائى: المصدر السابق، ص٦٧.

٣٤- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٦٦، ٦٨، الجزنائى: المصدر السابق، ص٧٠، وانظر كذلك:

Terrasse: Op. Cit., p.p 56 – 57.

٣٥- عبد الهادى التازى: المرجع السابق، جـ١ ص١١٣.

٣٦- ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ٢ ص٥٠٣ – ٥٠٤، عبد الهادى التازى: المرجع السابق، جـ١ ص١١٣.

٣٧- ابن عبد الملك المراكشى: الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الثانى، ص٥٨٢ – ٥٨٤، عبد الهادى التازى: المرجع السابق، جـ١ ص١١٤.

٣٨- ابن عبد الملك المراكشى: المصدر السابق، السفر الأول، القسم الأول، ص٢٣٩ – ٢٤٠، ابن فرحون المالكى: الديباج المذهب، جـ١ ص٢١٦ عبد الهادى التازى: المرجع السابق، جـ١ ص١١٣.

٣٩- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٥٠، عبد الهادى التازى: المرجع السابق، جـ١ ص١١٣.

٤٠- عبد الهادى التازى: جامع القرويين، جـ١ ص١٢٣.

٤١- عبد الله العمرانى: فاس وجامعتها، مجلة البحث العلمى، العدد ١١ – ١٢، سنة ١٩٦٧، ص١٥٩.

٤٢- الجزنائى: جنى زهرة الأس، ص٩٤ – وعن العلماء الذين قاموا بالتدريس فى هذا الجامع انظر نفس المصدر ص٩٥ – ٩٧.

٤٣- ابن الزبير: صلة الصلة، جـ٧ ص١٠٢ – ١٠٣، الحسن السائح: الحضارة الإسلامية، ص١٨٧.

٤٤- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٥٧، الحسن السائح المرجع السابق، ص١٨٨.

٤٥- ابن الآبار: التكملة للكتاب الصلة، جـ٢ ص٤٨٨، الحسن السائح: نفس المرجع السابق والصفحة.

٤٦- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص١٧٣، عباس إبراهيم المراكشى: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الإعلام، جـ٢ ص٣٥٣، الحسن السائح: المرجع السابق، ص١٨٨.

٤٧- التادلى: التشوف، ص٣١٧، ابن قنفذ: أنس الفقير، ص١٢، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٣١، محمد جعفر الكتانى: سلوة الأنفاس، جـ٣ ص١٦٤.

٤٨- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٦٨، جـ٢ ص٥٥٠.

٤٩- ابن الزبير: المصدر السابق، جـ٧ ص١٠٢ - ١٠٣، ابن عبد الملك المراكشى: الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول، ص١٥٠ - ١٥٣.

٥٠- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٥٤.

٥١- يطلق أهل المغرب على هذا النوع من المكاتب اسم المسيد، انظر الأنيس المطرب، ص٧٣، حاشية. ويذكر محمد توفيق بلبع فى مقاله الذى عقده "للمسجد والحياة الدينية فى المدنية" أنه لا يوجد فى المعاجم العربية مصدر اشتقاق هذه الكلمة، ولذلك لم يستبعد أن يكون أصلها كلمة "المسجد" ثم استبدلت الجيم ياء كما هو معروف وشائع فى بعض اللهجات العربية بين سكان شبه الجزيرة العربية، ويعلق على ذلك أيضا بقوله أن علماء اللغة الباحثون يفسرون هذه الظاهرة من ناحيتين:

١- الناحية الصوتية: بأن مخرج الجيم والياء واحد، وهو وسط اللسان فهما قريبان من بعضهما ولا فارق بينهما إلا فى النطق فقط.

٢- الناحية التاريخية والعرقية: فإن لغة أهل تميم وبطونها تقلب حرف الجيم إلى ياء .. ومن المعروف أن بطون تميم دخل من أهلها أعداد كثيرة ضمن جيوش الفتح، وبعد ذلك كان إبراهيم بن الأغلب مؤسس دولة الأغالبة عام ١٨٤هـ/ ٨٠٠م فى إفريقية نسب من تميم وقد امتد نفوذ هذه القبيلة وبطونها الوافدين، لذلك لا يستبعد أن تكون كلمة المسيد التى يطلقها أهل المغرب على الكتاب كانت فى الأصل المسجد.

انظر التحليل الذى أورده هذا الكتاب لهده الكلمة. محلة عالم الفكر. المحلد الحادى عشر. العدد الاول. ١٩٨٠. ص٢٢٢ ٢٢٥

٥٢- أحمد شلبى. ساريخ التربية الإسلامية. القاهرة. دار الكشاف. ١٩٥٤ ص٢٥. حسن على حسن: التعليم بالمغرب، ص٦٦

٥٣- أحمد شلبى: المرجع السابق، ص٣٣.

٥٤- محمد توفيق بلبع: المرجع السابق، ص٢١٢.

٥٥- .لتادلى: التشوف، ص٢٦٣ - ٢٦٤.

٥٦- التادلى: نفس المصدر السابق والصفحة، ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٢٦٩، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ٢ ص٢١٩.

٥٧- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٧٢.

٥٨- أشونة: من كوراستجه بالأندلس بينهما نصف يوم، وهى حصن ممدن كثير السكان. انظر الحميرى: الروض المعطار، ص٦٠.

٥٩- ابن الآبار المصدر السابق، جـ١ ص١٥٨، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ١ ص٨٩ - ٩٠.

٦٠- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ! ص١٧٢.

٦١- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٧٤.

٦٢- حسن على حسن: المرجع السابق، ص٦٦.

٦٣- عبد الهادى التازى: جامع القرويين، جـ١ ص١٢٦.

٦٤- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٧٢.

٦٥- ابن أبى زرع: المصدر السابق، ص٧٢ - ٧٣.

٦٦- المدرسة النظامية: نسبة إلى الوزير السلجوقى نظام الملك الطوسى، وهى أول مدرسة تبنى فى الإسلام، وقد بدأت العمارة بها عام ٤٥٧هـ/ ١١٦١م بمدينة بغداد، وفرغ من بنائها عام ٤٥٩هـ/ ١١٦٣ - ١١٦٤م. انظر ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٨، ص١٠٣، محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى، القاهرة: مكتبة نهضة الشروق، ١٩٨٥، ص٢٥١ - ٢٥٢.

٦٧- الهزميرى: هو عبد الرحمن الهزميرى من أهل مدينة أغمات كان ولى صالح ذو كرامات ظاهرة، كما كان عالما بالحساب وبعض العلوم الأخرى، توفى بمدينة فاس عام ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م ودفن بقرب مسجد الصابرين. انظر: ابن القاضى

المكناسي: المصدر السابق، جـ٢ ص٤١٥، محمد جعفر الكتاني: سلوه الأنفاس، جـ٢ ص٥٢.

٦٨- محمد جعفر الكتاني: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٢، عبد الهادى التازى: جامع القرويين، جـ١ ص١٢١ - ١٢٢، عبد القادر زمامه: معالم وأعلام من فاس القديم، العدد ٧٤ سنة ١٩٧٥، ص١٠٥، وقارن ما ذكره عبد الله كنون في التعاشيب، ص٨٩، وماضى القرويين وحاضرها، مجلة المنهل، عدد ٤٦٧، عام ١٨٩، ص١٠٦.

٦٩- عبد الهادى التازى: المرجع السابق، جـ١ ص١٢٢، عبد القادر زمامه المرجع السابق، ص١٠٤، ويذكر عبد القادر زمامه أن أطلال هذه المدرسة ماثلة إلى الآن قريبا من المنطقة المعروفة في القديم باسم حومة الكغاطين.

٧٠- عبد الهادى التازى: نفس المرجع السابق والصفحة.

٧١- وصف المغرب: ص١٣٩.

٧٢- عبد العزيز عبد الله: الفكر العلمى ومنهجية البحث عند علماء المغرب مجلة الدارة، السنة الخامسة، العدد الثالث، ١٩٨٠، ص٦١.

٧٣- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٤٤٣.

٧٤- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب والأندلس، ص١١١.

٧٥- لاحنة: يأتى اللحن بمعنى الخطأ في الإعراب، كما يأتى بمعنى الطرب والتغريد في القراءة، فهو الحن الناس إذا كان أحسنهم قراءة أو غناء، كما يأتى اللحن بفتح بمعنى الفطنة، وهو ما يقصده المؤلف فى هذه العبارة. انظر الفيروز أبادى، القاموس المحيط مادة لحن، ص١٥٨٧.

٧٦- مائجة: كريمة، الفيروز أبادى، القاموس المحيط، مادة المأج، ص٢٦١.

٧٧- عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص٦٣.

٧٨- ابن خلدون: المقدمة، ص٢٦٥.

٧٩- عبد الله كنون: التعاشيب، ص٩٣ - ٩٤.

٨٠- المعجب: ص٤٤٦.

٨١- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول، ص١٥٣.

٨٢- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، جـ١ ص٤١٤، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٢٧٥.

٨٣- ابن الآبار: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٨٨، ابن الجزرى: غاية النهاية جـ٢ ص٢٤٢، ابن القاضى المكناسى، المصدر السابق، جـ١ ص٢٦٤.

٨٤- بسطه: مدينة بالأندلس من كورجيان بينهما ثلاث مراحل متوسطة حسنة الوضع عامرة حصينة ذات أسوار وبها تجارات وضروب صناعات، تشتهر بكثرة المياه والبساتين. انظر الحميرى: الروض المعطار ص١١٣.

٨٥- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٧٩.

٨٦- المصدر السابق، جـ٢ ص٥١٣.

٨٧- نفس المصدر، جـ١ ص١١٦.

٨٨- ابن عبد الملك المراكشى: المصدر السابق، السفر الخامس، القسم الثانى ص٥٣٢، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٥١١.

٨٩- شلب: مدينة بالأندلس تقع جنوب مدينة باجه، وهى قاعدة كورة أكشونية، وتقع شلب فى بسيط من الأرض عليها سور حصين، لها طبقات وغلات هى مدينة حسنة الهيئة بديعة البناء مرتبة الأسواق، وأهلها وسكان قراها عرب من اليمن وغيرها وكلامهم باللغة العربية الفصيحة، انظر الحميرى: المصدر السابق، ص٣٤٢ - ٣٤٣.

٩٠- ابن عبد الملك المراكشى: المصدر السابق، السفر الأول، القسم الثانى، ص٥٥٢.

٩١- السيوطى: طبقات اللغويين والنحاه، جـ١ ص٢٠١ - ٢٠٢.

٩٢- عن هؤلاء انظر الجزرى: غاية النهاية، جـ٢ ص٤٤٢، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٢٧٥، جـ٢ ص٤٧٩، ٤٨١، ٥١١.

٩٣- ابن الزبير: صلة الصلة، جـ٧ ص١٤ - ١٥، ابن عبد الملك المراكشى: المصدر السابق، السفر الخامس، القسم الأول، ص٤١٢ - ٤١٣.

٩٤- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، جـ٢ ص٤٨٨، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ١ ص٢٦٤.

٩٥- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٧٩.

٩٦- المصدر السابق: جـ١ ص٢٦٣.

٩٧- نفس المصدر السابق: جـ٢ ص٢٦٥.

٩٨- ابن عبد الملك المراكشى: المصدر السابق، السفر الخامس، القسم الثانى ص٥٧٠ - ٥٧١.

٩٩- ابن عبد الملك المراكشي: نفس المصدر السابق، السفر الخامس، القسم الثاني، ص٤٧٥ - ٤٧٦.

١٠٠- ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، القسم الثاني ص٤٦٠ - ٤٦١.

١٠١- المصدر السابق: السفر الخامس، القسم الثاني، ص٤١٢.

١٠٢- ابن خلدون: المقدمة، ص٣٦٦ - ٣٦٧.

١٠٣- محمد المنوفي: العلوم والفنون والآداب، ص٤٤.

١٠٤- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، السفر الأول، القسم الأول، ص٢٣٩ - ٢٤٠، محمد المنوفي: المرجع السابق، ص٤٤.

١٠٥- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٢٨١ - ٢٨٢.

١٠٦- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ! ص٢٢٢، محمد المنوني: المرجع السابق، ص٤٤.

١٠٧- نفس المصدر: جـ١ ص١٨٨، نفس المرجع السابق والصفحة.

١٠٨- نفس المصدر: جـ١ ص٢٣١، نفس المرجع السابق والصفحة.

١٠٩- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٢٣٥، ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص١٢٧ - ١٢٨، محمد المنوني: المرجع السابق، ص٤٧.

١١٠- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٢٣٦. وقد دعى التعاون بين المرابطين والفقهاء المالكية، أبو جعفر أحمد بن محمود المعروف بابن البني من أهل مدينة جيان أن يقول على الفقهاء المالكية في هذا العصر:

أهل الريا لبستموا ناموسكم — كالذئب أولج في الظلام العاتم
ملكتموا الدنيا بمذهب مالك — وقسمتموا الأموال بابن القاسم

١١١- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص٢٥١.

١١٢- أحمد بن يحيي الضبي: بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس، مجريط مطبعة روخس، ١٨٨٤، ص٤٧٦.

١١٣- ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب، جـ١ ص٢٢٥.

١١٤- ابن القاضي المكناسي:المصدر السابق، جـ١ ص٢٥٧ - ٢٥٨.

١١٥- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٩٨ - ٤٩٩.

١١٦- عبد الواحدالمراكشي: المعجب، ص٣٥٤ - ٣٥٦، محمد المنوني: المرجع السابق، ص٤٧.

١١٧- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس جـ١ ص٢٧٤ - ٢٧٥.
١١٨- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، جـ٢ ص٦٨٣.
١١٩- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس جـ٢ ص٣٩٦.
١٢٠- المصدر السابق: جـ٢ ص٤٧٠ - ٤٧١.
١٢١- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص٨٤ - ٨٥.
١٢٢- ابن الآبار: المصدر السابق، جـ١ ص٨٥، ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول القسم الأول، ص٢٣٩ - ٢٤٠، ابن فرحون المالكي: المصدر السابق، ٢١٥ - ٢١٦، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص١٤١.
١٢٤- الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٢ ص٥٢٠ - ٥٢١.
١٢٥- ابن فرحون المالكي: الديباج المذهب، جـ١ ص٢٤٠ - ٢٤١.
١٢٦- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص١٩٦.
١٢٧- الظاهرية: مذهب في الفقه يأخذ الشريعة بظاهر القرآن والسنة، وهو يزيد من فروع الفقه في عدد القواعد المفصلة المتباينة بالإيتان بعده خلافات تختص به وحده. وأهم من هذا أثره في أصول الفقه فقد توسع كثيرا في تنميتها وتوضيحها بإنكاره المتشدد للرأي والقياس والاستصحاب والاستحسان والتقليد، وفي العراق أصبح المذهب الظاهري مذهبا منتظما له أصوله وقواعده. وقد امتد سلطان هذا المذهب إلى فارس وخراسان، أما في الأندلس فقد ظل محصورا بعد أن أدخله ابن حزم الأندلس، ولكن حدث في عهد يعقوب المنصور الموحدي ٥٨٠ - ٥٩٤هـ/ ١١٨٤ - ١١١٩م أن غدا المذهب الظاهري هو المذهب الذي تأخذ به الدولة. انظر دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الخامس عشر، مادة الظاهرية، ص٤٠٩.
١٢٨- ابن خلدون: المقدمة، ص٣٧٢، ٣٧٨.
١٢٩- ابن خلدون: المصدر السابق، ص٣٧٥، محمد الحجوي: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، تونس، مطبعة النهضة، بدون تاريخ، جـ٣ ص٦٤ - ٦٥.
١٣٠- عبد الهادي التازي: جامع القرويين، جـ١ ص١٢٧.
١٣١- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٢٣٦.
١٣٢- المعيار: جـ١ ص٢١١.
١٣٣- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص٢٢٦، السلاوي: الاستقصا، جـ! ص٦٢.

١٣٤- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٣٥٤.

١٣٥- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكلمة، السفر الخامس، القسم الثانى ص٥٨٢.

١٣٦- عبد الهادى التازى: المرجع السابق، جـ١ ص١٢٧.

١٣٧- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٢٤٥.

١٣٨- أبو الحسن الأشعرى: هو أبو الحسن بن إسماعيل الأشعرى ولد عام ٢٦٠ أو ٢٧٠هـ/ ٩٣٥م وهو صاحب الأصول، وإليه ينسب المذهب الأشعرى، انظر البغدادى: تاريخ بغداد، جـ١١، ص٣٤٦ - ٣٤٧، ابن خلكان وفيات الأعيان، جـ٣ ص٢٨٤.

١٣٩- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٢٥١، ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٦ ص٢٢١، السلاوى: المرجع السابق، جـ١ ص٦٢.

١٤٠- ابن أبى زرع: الأنيس المطرب، ص١٩٥.

١٤١- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٣٥٥.

١٤٢- المصنفات العشرة هى صحيح مسلم، صحيح البخارى، جامع الترمذى، الموطأ، سنن أبى داود، سنن النسائى، سنن البيزار، مسند ابن أبى شيبه، سنن الدار قطنى، سنن البيهقى. انظر: عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٣٥٥.

١٤٣- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٣٥٤ - ٣٥٥.

١٤٤- عبد الهادى التازى: أحد عشر قرنا فى القرويين، ص١٥.

١٤٥- ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، جـ٤ ص٥٩.

١٤٦- ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٨٤ - ٨٥.

١٤٧- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ س٤٧١، محمد المنونى: العلوم والفنون والآداب، ص٥٤.

١٤٨- التادلى: التشوف، ص٧٠، ص٣٣٨، ابن القاضى المكناسى المصدر السابق، جـ٢ ص٥٦٢، محمد المنونى: المرجع السابق، ص٥٥.

١٤٩- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢، ص٣٩٦، محمد المنونى، ص٥٥.

١٥٠- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ١ ص١٦٥، عبد الله علام: الدولة الموحدية، ص٣١٣.

١٥١- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٧٠.

١٥٢- محمد المنوني: المرجع السابق، ص٥٦.
١٥٣- ابن خلدون: المقدمة، ص٤٧٩.
١٥٤- نفس المصدر السابق: ص٤٨١.
١٥٥- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٢٥٤.
١٥٦- السيوطي: طبقات اللغويين والنحاه، جـ١ ص٩٦.
١٥٧- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، جـ١ ص٦٥، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص١٣٨.
١٥٨- ابن الآبار: المصدر السابق، جـ٢ ص٧٠٠ - ٧٠١.
١٥٩- ابن الزبير: صلة الصلة، جـ٧ ص١٨٧، ابن القاضي المكناسي المصدر السابق، جـ٢ ص٥٣٧ - ٥٣٨.
١٦٠- ابن الآبار: المصدر السابق، جـ١ ص٨٩، السيوطي: المصدر السابق، جـ١ ص٣٢٣، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق جـ١ ص١٤٢ - ١٤٣.
١٦١- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، جـ٣ ص١٥٤ - ١٥٦، السيوطي: المصدر السابق، جـ١ ص٢٦٦، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص٢٢١.
١٦٢- محمد المنوني: العلوم والفنون والآداب، ص٦١.
١٦٣- ابن دحيه: المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الإبياري وآخرون، القاهرة: المطبعة الأميرية، ١٩٥٤، ص٤١.
١٦٤- شنترين: مدينة بالأندلس من كورباجه، تقع على جبل عال جدا لها سور عظيم، ويقع بأسفلها ربض على طول النهر الذى تقع عليه لها بساتين كثيرة، بينها وبين مدينة بلطيموس أربع مراحل، أنظر: الحميرى: الروض المعطار، ص٣٤٦.
١٦٥- القاضي عياض: الفنية "فهرس شيوخ القاضي عياض" تحقيق محمد ابن عبد الكريم، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٨، ص٢١١.
١٦٦- ابن عبد الملك المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول القسم الأول ص٢٦٨ - ٢٧٠.
١٦٧- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ٢ ص٢٨٤.
١٦٨- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ٢ ص٣٩٧، محمد المنوني المرجع السابق، ص٦٣.

١٦٩- ابن دحيه: المصدر السابق، ص٤٣، ابن عبد الله المراكشي المصدر السابق، السفر الخامس، القسم الثاني ص٦٤٨ - ٦٤٩، ابن الآبار: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٣٢.

١٧٠- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٢٧١.

١٧١- الذهبي: المصدر السابق، جـ٢١، ص٤٧٨.

١٧٢- الضبي: بغية الملتمس في رجال أهل الأندلس، ص١٩٣ ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، جـ١ ص٨٩، ابن الجزري غاية النهاية في طبقات القراء، جـ١ ص٦٦، ابن القاضي المكناسي، المصدر السابق، جـ١ ص١٤٢.

١٧٣- ابن خلدون: المقدمة، ص٤٨٦.

١٧٤- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٣٦، الجزنائي: جنى زهرة الأسى، ص٣٩، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس جـ١ ص٤٨.

Heniriperes: La poesie afes les Almoravides et Almohades, Hesperis, Tome X VIII, 1934, p. 9.

١٧٥- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٤٤٣، محمد بن تاويت، محمد الصادق، الأدب المغربي، ص١٣٧.

١٧٦- محمد بن تاويت الطنجي، محمد الصادق: المرجع السابق، ص١٣٨ - ١٣٩.

١٧٧- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، صفحات: ٢٩٣، ٣٧٠، ٣٧٥.

١٧٨- محمد المنوني: العلوم والفنون والآداب، ص١٣٩ - ١٤٠.

١٧٩- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٢٦٨، ابن القاضي المكناسي المصدر السابق، جـ٢ ص٥٠٣.

١٨٠- لسان الدين بن الخطيب: الإحالة في أخبار غرناطة، جـ٣ ص٤٨٢ - ٤٨٣.

١٨١- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل، والتكملة، السفر الخامس، القسم الثاني، ص٥٩٥.

١٨٢- سعيد إعراب: المقامة الفاسية، مجلة البحث العلمي، العدد السادس، ١٩٦٥، ص١٩٥ - ١٩٦.

١٨٣- نفس المرجع: ص١٩٦ - ١٩٧.

184- Heniriperes: La Poesie a fes les Almorvides et Almohades, p. 10.

١٨٥- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٢٥٦ - ٢٥٧، محمد جعفر الكتاني: سلوة الأنفاس، جـ٣ ص٢٦٢.
١٨٦- الفتح بن خاقان: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، القاهرة، ١٢٨٣هـ، ص١٩٩، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١، ص٢٥٧.
١٨٧- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٢٨٣،

Heniriperes: Op. Cit, p. 17.

١٨٨- الضبي: بغية الملتمس، ص٤٨٨، ابن وحيه: المطرب ص١٢٥، ابن الزبير: صلة الصلة، جـ٧ ص١٧٧ - ١٧٨، ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠، جـ٢ ص٢٦٩، التجيبي: زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٧٠، ص٧٧.
١٨٩- انظر أشعار اليكي، ابن سعيد المغربي: المصدر السابق جـ٢، ص٢٦٧ - ٢٦٨ فمن قوله يهجو أهل فاس:

قصـــدت جلـــة فـــاس اســـترزق الله فيـــهم
فمـــا تيســـر منهـــم دفعتـــه لبنيـــهم

انظر أيضا ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، جـ٢ ص٢٦٩، عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، جـ٥ ص٣٥٧ - ٣٥٨،

Heniripers: Op. Cit., p. 14.

١٩٠- مجهول: الاستبصار، ص١٨٢، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص٨٠، وعن أشعار اليكي انظر ابن سعيد المغربي المصدر السابق، جـ٢ ص٢٦٧ - ٢٧٠.

191- Heniripers: Op. Cit., p.13.

١٩٢- ابن القاضي المكناسي: جـ١ ص٨٠.
١٩٣-ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، جـ٢ ص٥٢٠، عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٢٩١، ابن سعيد المغربي: المصدر السابق جـ٢ ص٣٤٢ - ٣٥٣، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق جـ١ ص٢٦٦.
١٩٤- ابن الآبار: المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، الطبعة الثانية، ١٩٨٢، ص١٢٣، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص٢٦٩.
١٩٥- ابن دحيه: المطرب، ص١٠٩.

١٩٦- عمر فروح: تاريخ الأدب العربى، جـ٥ ص٤٢٣.
197- Heniriperes: Op. Cit., p. 22 – 23.
١٩٨- ابن دحيه: المصدر السابق، ص٢٠٠. وعن أشعار ابن حبوس. انظر عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٢٨٣، ابن القطان: نظم الجمان، ص١٣٤، ابن بحر التجيبى: زاد المسافر، ص٤٦.
١٩٩- ابن شاكر الكتبي: وفيات الوفيات، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السعادة، ١٩٥١، جـ٢ ص١٨١، ابن الجزرى غاية النهاية، جـ١ ص٥٨١ – ٥٨٢، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٨١ – ٤٨٢، الأمير شكيب ارسلان: الحلل السندسيه جـ٢ ص٨٨، أحمد عيسى: معجم الأطباء، ص٣١٥ – ٣١٦، عمر فروخ: المرجع السابق، جـ٥ ص٥١٥.
٢٠٠- التادلى: التشوف، ص١٦٩، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ! ص٢٢٠، الكتانى: سلوة الأنفاس، جـ٣ ص١٧٣ عبد الله كنون: أدب الفقهاء ص٩٤.
٢٠١- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٥١٢ – ٥١٣.
٢٠٢- ابن سعيد المغربى: الغصون اليانعة، ص٤٣، ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، جـ٢ ص٥٣١، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ٢ ص٤٢٣، قدرى طوقان: تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك، القاهرة، دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٩٦٣ ص٣٧٧.
٢٠٣- ومن أبيات هذه الأرجوزه:

على ثلاثة يدور الجبر ... المال والأعداد ثم الجذر
فالمال كل عدد مربع ... وجذره واحد تلك الأضلع
والعدد المطلق مالم ينتسب ... للمال أو للجذر فافهم تصب
والجذر والشئ بمعنى واحد ... كالقول فى لفظ أب وولد

انظر: ابن الياسمين: الأرجوزه اليسمانيه، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١٧٧أ ج/ ١١٢(٤) رياضة، ورقة ٢٨، ٣٢.
٢٠٤- ابن سعيد المغربى: المصدر السابق، ص٤٩، محمد المنونى: العلوم الفنون والآدابن ص١٨٣.
٢٠٥- تادلا: من بلاد المغرب، وهى مدينة قديمة أزلية فيها أثار الأول، بنى المرابطون فيها حصنا منيعا كان معمورا وفيه الأسواق والجامع، والبلد كله كثير

الخيرات والأرزاق، وأحاطت به القبائل من جميع الجهات انظر، الحميرى: الروض المعطار، ص١٢٧.

٢٠٦- عبد الله كنون: ذكر مشاهير رجال المغرب، تطوان، مطبعة كريمادس، بدون تاريخ، ص٧ - ٩.

٢٠٧- ابن بحر التجيبي: زاد المسافر، ص٤٩، محمد بن تاويت، محمد الصادق، الأدب المغربى، ص١٩٣، عبد الله كنون: النبوغ المغربى فى الأدب العربى، تطوان، المطبعة المهدية، بدون تاريخ، جـ١ ص١٠٠.

٢٠٨- ابن بحر التجيبي: المصدر السابق، ص٤٩، عمر فروخ: تاريخ الأدب العربى، جـ٥ ص٥٩٠.

٢٠٩- وعن قصائد الجراوى فى مدح الخلفاء الموحدين انظر: ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٧٠ - ٧٢، ص١٠٧، ٢٤٠ - ٢٤١، ٢٤٩ - ٢٥٠، ومن القصائد التى مدح بها الخليفة عبد المؤمن بن على بعد جوازه للأندلس:

أعليت دين الواحد القهار	بالمشرقية والقنا والخطار
ورأى بك الإسلام قرة عينه	وغدت بك الفراء دار قرار
وسلكت من طرق الهداية لاصبا	طوبى لمن يمشى على الآثار

انظر ابن عذارى: المصدر السابق، ص٧٠ - ٧١.

٢١٠- السلاوى: الاستقصاء جـ١ ص١٦٤.

٢١١- ابن دحيه: المطرب من أشعار أهل المغرب، ص١٠٣، ابن سعيد المغربى: الغصون اليانعة جـ١ ص٩١ - ٩٢، ابن الآبار التكملة لكتاب الصلة، جـ٢ ص٦٥٩، عبد الله كنون: أدب الفقهاء، ص١٠٥، محمد المنونى: العلوم والآداب والفنون، ص١٧٢.

٢١٢- عبد الله كنون: الشاعر الأنيق أبو حفص عمر، مجلة البينة، السنة الأولى، العدد التاسع، ١٩٧٣ ص٤٨.

٢١٣- وعن قصائد أبو حفص عمر: انظر: أبى بحر التجيبى: زاد المسافر، ص١٠١، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ٢ ص٤٩٦، ٤٩٨، المقرى التلمسانى: أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض جـ٢ ص٣٦٢ - ٣٦٤.

٢١٤- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٩٨.

٢١٥- عمر فروخ: المرجع السابق، جـ٥ ص٧١٤.

٢١٦- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٣٤٨، وانظر باقى القصيدة، ص٤٥٣.
٢١٧- محمد بن تاويت، محمد الصادق: الأدب المغربى، ص٢٠٠ - ٢٠٣.
٢١٨- لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة فى أخطار غرناطة، جـ٣، ص٣٠٤ - ٣٠٥.
٢١٩- نفس المصدر السابق: جـ٣ ص٣٢٤.
٢٢٠- ابن سعيد المغربى: الغصون اليانعة، جـ١ ص٩٣.
٢٢١- ابن خلدون: المقدمة، ص٣٨٢.
٢٢٢- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٢٣٦ - ٢٣٧.
٢٢٣- التادلى: التشوف، ص٧٣، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ٢ ص٥٥٢.
٢٢٤- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٢٥١ - ٢٥٤، ابن خلدون تاريخ ابن خلدون، جـ٦ ص٢٢٦، الحسن السائح: الحضارة الإسلامية بالمغرب، ص٢٣١.
٢٢٥- حسن على حسن: الحضارة الإسلامية، ص٤٨٧.
٢٢٦- ابن الزبير: صلة الصلة، جـ٧ ص١٠١.
٢٢٧- ابن الزبير: المصدر السابق، جـ٧ ص٤، ابن قنفذ: كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، بيروت، منشورات المكتب التجارى ١٩٧١، ص٢٨٨، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢، ص٥١٥، حسن على حسن: المرجع السابق، ص٤٨٧، عبد الله علام: الدولة الموحدية، ص٣٠٥.
٢٢٨- ابن الزبير: المصدر السابق، جـ٧ ص١٤٩ - ١٥٠، ابن الآبار: التكملة للصلة، جـ٢ ص٦٨١، ابن أبى زرع: الأنيس المطرب ص٢٧٠ - ٢٧١، ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس جـ٢ ص٤٣٠.
٢٢٩- ابن الآبار: المصدر السابق، جـ٢ ص٦٨٦، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٧٠.
٢٣٠- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ١ ص٩٠.
٢٣١- ابن الآبار: المصدر السابق، جـ٢ ص٧٤٠، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٠٠.
٢٣٢- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ١ ص١٠٨.
٢٣٣- الحسن السائح: المرجع السابق، ص٢٣١.
٢٣٤- ابن الجزرى: غاية النهاية، جـ٢ ص١٢٢ - ١٢٣.

٢٣٥- ابن أبى ررع: المصدر السابق. ص٢٤، ابن القاضى المكناسى حذوة الاقتباس. حـا ص١١. ٢٤. وكان عبد الملك الوراق حيا عام ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م وقد نقل منه ابن أبى ررع فى كتابه الانيس المطرب. كما نقل عنه الجرنانى فى حنى هرة الاس. وابن القاضى المكناسى فى حذوة الاقتباس وذكر عبد السلام بن سوده فى كتابه "دليل مؤرخ المغرب الأقصى،حـا ص٥٩. أن بعض أصدقاءه أخبره أنه رأى المقياس تاما فى مجلد وسيط بيد بعض الطلبة بمكناس.

٢٣٦- محمد المنونى: العلوم والفنون والآداب، ص٦٦.

٢٣٧- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٠٨ - ٤٠٩.

٢٣٨- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـا ص٢٧٦ - ٢٧٧.

٢٣٩- المصدر السابق: جـ٢ ص٥٥٥.

٢٤٠- السيوطى: بغية الوعاه، ص١٠١.

٢٤١- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ! ص١١٧، محمد المنونى المرجع السابق، ص٦٧.

٢٤٢- المصدر السابق: جـا ص٢٥٨، محمد المنونى: المصدر السابق ص٦٧.

٢٤٣- المصدر السابق: جـا ص٢٦٣، محمد المنونى: المصدر السابق ص٦٨.

٢٤٤- ابن القاضى المكناسى: جذوة الاقتباس، جـ٢ ص٤٧١، محمد المنونى العلوم والآداب والفنون، ص٦٨.

٢٤٥- المصدر السابق: جـا ص١٤٠.

٢٤٦- المصدر السابق: المصدر السابق: جـ! ص١١٨، محمد المنونى: المرجع السابق ص٦٩.

٢٤٧- المصدر السابق: جـا ص٣٩٦، المرجع السابق، ص٦٨ - ٦٩.

٢٤٨- ابن خلدون: المقدمة، ص٣٩٠.

٢٤٩- حسن على حسن: الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس، ص٤٧٦.

٢٥٠- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، جـا ص١٩٥ - ٣٢١، حسن على حسن: المرجع السابق، ص٤٧٦.

٢٥١- التادلى: التشوف، ص١٩٥، أحمد بن القاسم الهروى: المعزى فى مناقب سيدى أبو يعزى، ورقة ٥٠٤، ابن القاضى المكناسى جذوة الاقتباس، جـ٢ ص٥٦٤، عبد الوهاب الشعرانى: الطبقات الكبرى، مكتبة محمد على، بدون

تاريخ ومكان، حـ١ ص١١٧ - ١١٨. إبراهيم حركات: المرجع السابق، جـ١ ص١٩٦.

٢٥٢- أحمد بن القاسم الهروى: المصدر السابق، ورقة ٦٦، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٦٤، جمال الدين الشيال: الصلات الثقافية بين المغرب ومدينة الإسكندرية، مجلة كلية الآداب بالإسكندرية، المجلد السادس والسابع، ١٩٥٢ - ١٩٥٣ ص١٥١.

٢٥٣- التادلى: المصدر السابق، ص٧١، أحمد بن القاسم الهروى: المصدر السابق، ورقم ٢١٥، ابن عيشون الشراط: الروض العاطر الأنفاس فى أخبار الصالحين من أهل فاس، ورقة ١١ – ١٣ ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٣٥٨، محمد جعفر الكتانى: سلوة الأنفاس جـ٣ ص٦٩.

٢٥٤- التادلى: المصدر السابق، ص١٤٧ – ١٤٨، ابن عيشون الشراط: المصدر السابق، ورقة ١٣ – ١٤.

٢٥٥- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٤١٤.

٢٥٦- التادلى: المصدر السابق، ص١٤٨، ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، ص١٢، ١٤، ابن القاسم الهروى: المصدر السابق ورقة ٢١٤ – ٢١٦، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٦٦، محمد جعفر الكتانى: المرجع السابق، جـ٣ ص٧١، إبراهيم حركات: المرجع السابق، جـ١ ص١٩٨.

٢٥٧- التادلى: المصدر السابق، ص١٣٥ – ٣١٦، إبراهيم حركات: المرجع السابق، جـ١ ص٣٢١.

٢٥٨- التادلى: المصدر السابق، ص٣١٦ – ٣١٩، ابن قنفذ المصدر السابق، ص١١ – ١٢، المقرى: نفح الطيب، جـ٧ ص١٣٦ – ١٣٧، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٣٠ – ٥٣١ أبو القاسم الهروى: المصدر السابق، ورقة ٦٩ – ٧٠.

٢٥٩- الشيخ عبد القادر الكيلانى: أو الجيلانى هو محى الدين أبو محمد عبد القادر بن أبى صالح جنكى دوست موسى بن أبى عبد الله يحيى الزاهد، ظهر كمعلم ومحدث منذ سنة ٥٢١ - ٦٥١هـ، وكان صاحب رسالة كبيرة ودعوة سياسية، حيث اهتم بالإصلاح وتوجيه العباد، انظر عامر النجار: الطرق الصوفية فى مصر، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٨٦ ص١٠٤ - ١٠٥.

٢٦٠- المقرى: المصدر السابق، جـ٧ ص١٣٨ ١٤٢، ابن مريم التلمسانى: البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ص١٠٨ - ١٠٩.

٢٦١- انخل بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسي: نقله عن الأسبانية د/ حسن مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٥٥، ص٣٧١ - ٣٧٣.
٢٦٢- ابن عربى: الفتوحات المكية، جـ٤ ص٧٦، اسين بلاثيوس: ابن عربى حياته ومذهبه، ترجمة عبد الرحمن بدوى، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٩، ص٤١ - ٤٤.
٢٦٣- أحمد حامد عبد الكريم الاخميمى: المواهب السنية فى المأثر الشاذلية، مصر، مكتبة الجندى، ١٩٦٩، ص١٥، جمال الدين الشيال: المرجع السابق، ص١٥١ - ١٥٢، عامر النجار: الطرق الصوفية فى مصر، ص١٧٦.
٢٦٤- التادلى: التشوف، ص٤٥٧، ٣٠٦.
٢٦٥- أبو القاسم الهروى: المصدر السابق، ورقة ٤٧، حسن على حسن: الحضارة الإسلامية، ص٤٧٦ - ٤٧٧.
٢٦٦- التادلى: المصدر السابق، ص١٩٦ - ١٩٧، أبو القاسم الهروى: المصدر السابق، ورق ٦، وورقة ٤٩، حسن على حسن: المرجع السابق، ص٤٧٨ - ٤٧٩.
٢٦٧- المقرى: نفح الطيب، جـ٧ ص١٤٢، ابن مريم التلمسانى المصدر السابق، ص١٠٩، حسن على حسن: المرجع السابق، ص٤٧٨ - ٤٧٩.
٢٦٨- التادلى: المصدر السابق، ص١٩٥، ابن القاضى المكناسى جذوة الاقتباس، جـ٢ ص٥٦٤، حسن على حسن: المرجع السابق ص٤٧٩.
٢٦٩- المقرى: المصدر السابق، جـ٥ ص١٥٦، السلاوى الاستقصا، جـ١ ص١٩١، عبد العزيز بن عبد الله: الفكر الصوفى والاتحالية بالمغرب، مجملة البيئة، العدد السادس، ١٩٦٢، ص٦٠ - ٦١.
٢٧٠- ابن خلدون: المقدمة، ص٣٩٩، محمد على أبو ريان: تصنيف العلوم بين الفارابى وابن خلدون، مجلة عالم الفكر، المجلد التاسع، العدد الأول، ١٩٧٨، ص١١٨.
٢٧١- ابن خلدون: المقدمة، ص٤٠٧، محمد على أبو ريان: المرجع السابق، ص١١٩.
٢٧٢- عبد الله العمرانى: فاس وجامعتها، مجلة البحث العلمى، عدد ١١ - ١٢، عام ١٩٦٧، ص١٦٨، محمد عادل عبد العزيز: أثر الأندلس الحضارى على المغرب فى عهدى المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، عام ١٩٨٦، ص١٢٥.

٢٧٣- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٣١٠ - ٣١١.
٢٧٤- نفس المصدر السابق: ص٣٨٥.
٢٧٥- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٢٥٦.
٢٧٦- نفس المصدر السابق: جـ٢ ص٤٧١.
٢٧٧- ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٧٥، علي الجزنائي: جنى زهرة الأس، ص٥٩.
٢٧٨- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص٣٨٥.
٢٧٩- الشريف الإدريسي: وصف أفريقيا الشمالية، ص٥٠، العمري: وصف المغرب أيام السلطان ابن الحسن المريني، ص١٣٩، الحميري: الروض المعطار، ص٤٣٤، ليون الأفريقي: وصف أفريقيا، ص٢٣٨.
٢٨٠- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٦٤، الجزنائي: المصدر السابق، ص٧٢، عبد العزيز بن عبد الله: الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب، ص٧١.
٢٨١- إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، جـ١ ص٣٨٥.
٣٨٢- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، السفر الخامس، القسم الأول ص٣٧٥ - ٣٧٦، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٨٣، الحسن السائح: الحضارة الإسلامية، ص٢٧٧.
٢٨٣- يوجد بدار الكتب المصرية نسختين لسبط المارديني يشرح فيهما أرجوزة ابن الياسمين وهما بعنوان: "اللمعة الماردينية فلا شرح البسمانية" رقم ١٧٧، أ، ج/ ٥٢، ٥٣، رياضة.
٢٨٤- ابن الهائم: هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن شمس بن الهائم، توجد له بدار الكتب المصرية مخطوطة يشرح فيها أرجوزة ابن الياسمين بعنوان: "الدر الثمين في شرح أرجوزه ابن الياسمين"، رقم ١٧٧، أ ج/ ١ رياضة.
كما توجد نسخة أخرى لشرح الأرجوزة اليسمانية مجهولة المؤلف رقمها ١٧٧ أ ج/ ٥٥ رياضة.
٢٨٥- ابن سعيد المغربي: الغصون اليانعة، جـ١ ص٤٣، ابن الآبار: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٣١، ابن القاضي المكناسي: جـذوة الاقتباس، جـ٢ ص٤٢٣، قدري طوقان: تراث العرب العلمي، ص١٤٢، حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية، ص٥٠٦، محمد المنوني: ابن الياسمين، ص١٨٥، ١٨٦.

٢٨٦- محمد المنوني: العلوم والفنون والآداب، ص١٠٤، عبد الله علام: الدولة الموحدية، ص٣٧٠.
٢٨٧- ابن الآبار: المصدر السابق، جـ١ ص٢٢١.
٢٨٨- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص٤٧١، محمد المنوني: نفس المرجع السابق، ص١٠٤.
٢٨٩- من تأليف عبد العزيز عبد الله، الرباط، ١٩٦٠.
٢٩٠- عبد العزيز عبد الله: الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب، ص٥٩.
٢٩١- ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص٢١٧ - ٢١٨، محمد المنوني: المرجع السابق، ص١٢٣.
٢٩٢- مدينة شاطبة: مدينة جليلة بالأندلس، محصنة كريمة البقعة كثيرة الثمر طيبة الهواء تفرعت فيها علوم جمه، وكان أهلها أهل دراية وفهم ونباهة. عنها انظر، الزهري: كتاب الجغرافيا، ص١٠٣، الحميري: الروض المعطار، ص٣٣٧.
٢٩٣- ابن الآبار: المصدر السابق، جـ١ ص١٤٠، ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس جـ١ ص٨٨، أحمد عيسى: معجم الأطباء، ص٥٣.
٢٩٤- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص٢٥٦، محمد جعفر الكتاني: سلوة الأنفاس، جـ٣ ص٢٦٢، عبد العزيز بن عبد الله: الطب والأطباء بالمغرب، ص٣٠ - ٣١.
٢٩٥- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، السفر الأول، القسم الأول ص١٨٥، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص١٤٠ - ١٤١، عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص٣٧، محمد المنوني: المرجع السابق، ص١٢٤.
٢٩٦- ابن عبد الملك السراكشي: المصدر السابق، السفر الخامس، القسم الأولى، ص٢٥٦، عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص٣٧.
٢٩٧- ابن عبد الله المراكشي: المصدر السابق، السفر الأول، القسم الأول ص٨٧ - ٩١.
٢٩٨- أحمد عيسى: معجم الأطباء، ص٤١٧ - ٤١٨، عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص٣٨.
٢٩٩- ابن العبري: مختصر تاريخ الدول، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٨٩٠، ص٤٢٣، أحمد عيسى: معجم الأطباء/ ص٥٥٦ - ٥٥٧، المنوني: المرجع السابق، ص١٢٤، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، جـ١ ص٣٨٧.

٣٠٠- التادلي: التشوف، ص٢٥٩ – ٢٦٠، عبد العزيز ابن عبد الله: المرجع السابق، ص٣٨.

٣٠١- عبد العزيز بن عبد الله: المرجع السابق، ص٢١ – ٢٢.

٣٠٢- ابن شاكر الكتبي: وفيات الأعيان، جـ٢ ص١٨١، ابن الجزرى غاية النهاية، جـ١ ص٥٨١ – ٥٨٢، ابن القاضي المكناسي: المصدر جـ٢ ص٤٨١ – ٤٨٢ – الأمير شكيف اسلان: الحلل السندسية، جـ٢ ص٨٨، أحمد عيسى: معجم الأطباء، ص٣١٥ – ٣١٦، محمد المنوني: المرجع السابق، ص١٢١.

٣٠٣- المقدمة: ص٣٦٠.

٣٠٤- عبد القادر زمامة: فاس وصناعتها التقليدية، ص٤٦٥.

٣٠٥- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص١١٧.

٣٠٦- عبد العزيز عبد الله: مظاهر الحضارة المغربية، ص٣٦، محمد ابن تاويت، محمد الصادق: الأدب المغربي، ص٥٧.

٣٠٧- الجزنائي: جني زهرة الأس، ص٩٤.

٣٠٨- التادلي: التشوف، ص٣١٧، ابن قنفذ: أنس الفقير، ص١٢.

٣٠٩- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ١ ص٢٨٣ – ٢٨٤.

٣١٠- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص٢٨٦.

٣١١- مدينة لبله: مدينة قديمة تقع في غرب الأندلس، بينها وبين مدينة قرطبة على طريق أشبيلية ما يقرب من مسيرة خمسة أيام أو أربعة وأربعون فرسخا، وهي مدينة برية بحرية حسنة متوسطة القدر لها سور منيع، ولها نهرياتي من ناحية الجبل، بها أسواق وتجارات وبينها وبين البحر المحيط سته أميال، وتعرف ليلة بالحمراء، انظر ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٥، ص١٠، الحميري: الروض المعطار، ص٥٠٧ – ٥٠٨.

٣١٢- ابن الزبير: صلة الصلة، جـ٧ ص٤.

٣١٣- المصدر السابق: جـ٧ ص١٩٠.

٣١٤- نفس المصدر السابق: جـ٧ ص١٨٧، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٣٧ – ٥٣٨.

٣١٥- ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، السفر الرابع، ص١٨٤ – ١٨٥، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق جـ٢ ص٤٢٩.

٣١٦- مدينة مالقة: بالأندلس على شاطئ البحر تقع بين الجزيرة الخضراء ومدينة المرية وهى مدينة عامرة أهله كثيرة الديار، وهى من المدن القديمة التى عمرت حيث كثر قصد المراكب والتجار إليها فتضاعفت عماراتها. انظر ياقوت الحموى: معجم البلدان جـ٥ ص٤٣، الحميرى: المصدر السابق، ص٥١٧ – ٥١٨.

٣١٧- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ١ ص٩٠.

٣١٨- ابن عبد الله المراكشى: المصدر السابق، السفر الخامس، ص٥٣٢، السفر الخامس، القسم الثانى، ص٤٧٥.

٣١٩- عباس إبراهيم المراكشى: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، جـ١ ص٣٤٠.

٣٢٠- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، جـ٢ ص٥٧٧، جـ٢، ص٦٣٠.

٣٢١- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٠٩.

٣٢٢- ابن عبد الملك المراكشى: المصدر السابق، السفر الخامس، القسم الأول ص١٤٨.

٣٢٣- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٨١.

٣٢٤- مدينة شريش: من كور شذونه بالأندلس على مقربة من البحر المحيط، يجود زرعها ويكثر ريعها وهى مدينة حصينة متوسطة حسنة الجهات، أطافت بها الكروم الكثيرة وشجر الزيتون والتين.
انظر الحميرى: الروض المعطار، ص٣٤٠.

٣٢٥- ابن عبد الملك المراكشى: المصدر السابق، السفر الأول، القسم الأول، ص٢٦٨ – ٢٧٠.

٣٢٦- الرعينى: برنامج شيوخ الرعينى، ص٩٠ – ٩١.

٣٢٧- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٨٣.

٣٢٨- أشونة: كورة من استجه بالأندلس، بينها نصف يوم وحصن أشونة ممدن كثير السكان. الحميرى، الروض المعطار، ص٦٠.

٣٢٩- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ١ ص٨٩ – ٩٠.

٣٣٠- مدينة شلب: مدينة بالأندس تقع جنوب مدينة باجه، كما أن بينها وبين مدينة بطليموس ثلاث مراحل، وهى مدينة ذات بسائط فسيحة تقع فى سهل من الأرض وعليها سور حصين، انظر الحميرى: المصدر السابق، ص٣٤٢.

٣٣١- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٦٤ – ٥٦٥.

٣٣٢- مدينة حيان: مدينة بالأندلس، تقع فى سفح جبل عال، بينها وبين مدينة يابسة عشرون ميلا، وهى مدينة توصف بكثرة الخصب، ورخص الأسعار، كما أنها تحتوى على قصبة توصف بالحصانة. انظر: الحميرى: المصدر السابق، ص١٨٣.

٣٣٣- ابن عبد الله المراكشى: المصدر السابق، السفر الخامس، القسم الأول ص٤١٢ - ٤١٣.

٣٣٤- مدينة ألمرية: مدينة ساحلية بجنوب شرق الأندلس بناها الخليفة الأموى عبد الرحمن بن محمد الناصر عام ٣٤٤هـ/ ٩٥٥ - ٩٥٦م لتكون مرقبا للساحل الجنوبى الشرقى للأندلس وقاعدة بحرية للأسطول الأموى، فهى مرسى الأندلس وقيسارته ودار صناعته، وتصل إليها المراكب من الشرق ومن الإسكندرية. انظر: الزهرى: كتاب الجغرافيا، ص١٠١ - ١٠٢، الحميرى: المصدر السابق، ص١٨٣ - ١٨٤، محمد أبو الفضل: تاريخ مدينة ألمرية، الإسكندرية: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨١، ص٢٦.

٣٣٥- ابن الآبار: المصدر السابق، جـ٢ ص٦١٣ - ٦١٤.

٣٣٦- مدينة مرسيه: بالأندلس، وهى قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم وذلك عام ٢١٦هـ/ ٨٣١ - ٨٣٢م، واتخذت دارا للعمال وقرارا للقواد، وتقع مرسيه على نهر كبير يسقى جميعها مثل النيل فى مصر، ولها جامع جليل وحمامات وأسواق عامرة، كما توجد بها معادن للفضة، ولها ربض عامر أهل وعليها وعلى ربضها أسوار متقنة والماء يشق ربضها. انظر الحميرى: الروض المعطار، ص٥٣٩ - ٥٤٠.

٣٣٧- ابن الزبير: المصدر السابق، جـ٧ ص٢٢١.

٣٣٨- حصن لبسه Labas تتوسط بين مدينة غرناطة ومدينة وادى آش، انظر ابن صاحب الصلاة المن بالإمامة، ص٢٤٦.

٣٣٩- ابن الزبير: المصدر السابق، جـ٧ ص٢٢١.

٣٤٠- السيوطى: بغية الوعاه، جـ٢ ص٢٤٤.

٣٤١- ابن الآبار: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٣١، ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٢٣.

٣٤٢- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٦٣.

٣٤٣- ابن الزبير: المصدر السابق، جـ٧ ص١٤٨ - ١٤٩.

٣٤٤- ابن القاضى المكناسى: المصدر السابق، جـ٢ ص٥٥٠.

٣٤٥- السيوطي: المصدر السابق، ص٨٥.
٣٤٦- ابن القاضي المكناسي: جذوة الاقتباس، جـ١ ص١٦٨.
٣٤٧- ابن الزبير: صلة الصلة، جـ٧ ص١٦٥ - ١٦٦.
٣٤٨- ابن الزبير: المصدر السابق جـ٧ ص١٤٩ - ١٥٠.
٣٤٩- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٨٥ - ٤٨٦.
٣٥٠- نفس المصدر السابق: جـ٢ ص٤٤٤.
٣٥١- ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، جـ١ ص٢٦٩ - ٢٧٠، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ٢ ص١٨٣ - ١٨٤.
٣٥٢- عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٤٤٦.
٣٥٣- التادلي: التشوف، ص١٣٥.
٣٥٤- ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ٢ ص٤٣٠.
٣٥٥- ابن الآبار: المصدر السابق، جـ١ ص٢٦٩ - ٢٧٠، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ٢ ص١٨٣ - ١٨٤.
٣٥٦- التادلي: المصدر السابق، ص٧٠، ص٣٣٨.
٣٥٧- ابن الآبار: المصدر السابق، جـ٢ ص٦٩٨ - ٦٩٩.
٣٥٨- قلعة بني حماد: وتسمى قلعة أبي طويل أيضا، وبينها وبين مدينة المسيلة اثنى عشر ميلا، يصفها الحميري بأنها كبيرة القطر كثيرة الخلق غزيرة الخير واسعة الأموال حسنة القصور والمساكن تقع في جبل صعب المرتقى، يدار عليها سور، وأعلى الجبل بسيط من الأرض، وبين هذه القلعة وبين مدينة بجاية مسيرة أربعة أيام، وتحضرت قلعة بني حماد عندما خربت القيروان حيث انتقل إليها كثير من أهل أفريقية حيث كانت القلعة مقصد التجار من العراق والحجاز والشام ومصر وسائر بلاد المغرب، انظر الحميري: الروض المعطار ص٤٦٩ - ٤٧٠.
٣٥٩- التادلي: التشوف، ص٧٢، ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة، جـ٢ ص٧٠٠ - ٧٠١.
٣٦٠- الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٢ ص٣٤٤، ابن القاضي المكناسي: المصدر السابق، جـ١ ص١١٦.
٣٦١- تقي الدين المقريزي: المقفى الكبير، تحقيق محمد البعلاوي: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢، جـ١ ص٥١١.
٣٦٢- نفس المصدر السابق: جـ٦ ص٤١٧ - ٤١٨.

٣٦٣- نفس المصدر: جـ٦ ص٤٠٤.
٣٦٤- ابن عبد الله محمد بن رشيد الفهرى: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة فى الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكه وطيبه، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٨١، جـ٣، ص١١، ابن الجزرى: غاية النهاية، جـ١ ص٢١٨.
٣٦٥- المقريزى: المصدر السابق، جـ٦ ص٤٢٣.
٣٦٦- جمال الدين الشيال: الصلات الثقافية بين الإسكندرية والمغرب، ص١٥١ - ١٥٣، عامر النجار: الطرق الصوفية فى مصر، ص١٨٠ - ١٨١.
٣٦٧- ابتسام مرعى: العلاقة بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامى ص٣٥٧ - ٣٥٨.
٣٦٨- ابن الجزرى: المصدر السابق، جـ٢ ص١٢٢ - ١٢٣، المقريزى: المصدر السابق، جـ٥ ص٥٦٥.

الخـــاتمــة

تمخضت الدراسة عن عرض لتاريخ مدينة فاس السياسي والحضاري في عصري المرابطين والموحدين، ونعتقد أنه بفضل المادة التاريخية التي توافرت للبحث أمكن دراسة الموضوع وجميع شتاته.

وقد تناولت هذا الموضوع في ضوء اعتبارين أساسيين، أحدهما يتعلق بالتطور السياسي الذي شهدته المدينة خلال هذين العصرين والثاني، التطور الحضاري الذي شهدته المدينة على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

فمن الناحية السياسية أدرك المرابطون أن مستقبل دولتهم يتوقف على السيطرة على شمال بلاد المغرب الأقصى، التي تمثل فاس مركز الثقل فيها، حيث أنها من المعاقل الحصينة بسبب قبضة القبائل الزناتية عليها، كما أنها تقع في أقليم، إذا استطاع أن يسيطر عليه فاتح استطاع أن يسيطر على أقاليم المغرب الأقصى كله دون عناء، لذا مثلت فاس العقبة الكؤود في تحقيق الأمل المرابطي، لذلك قرر المرابطون الاستيلاء عليها مهما كلفهم ذلك من تضحيات.

وباستيلاء المرابطين على فاس انتهى الصراع القبلي الذي كان يخيم على المدينة قرابة قرن ونصف من الزمان، وأصبحت إحدى مدن المرابطين الرئيسية، حيث عمل يوسف بن تاشفين على تحويلها إلى قاعدة عسكرية رئيسية لعمليات المرابطين سواء تعلق الأمر بالزحف إلى الشرق نحو تازا وتلمسان وحتى الجزائر. أو أراد يوسف بن تاشفين إخضاع قبائل الريف، أو ذهب لفتح الأندلس، حيث قامت مدينة فاس بدورها الجهادي في العمليات العسكرية التي خاضها المرابطون بالأندلس، لذلك اهتم المرابطون بفاس.

ولما قامت الدولة الموحدية أدرك الخليفة عبد المؤمن بن علي، أن مدينة فاس من المواقع الحصينة والمعاقل المهمة التي تمثل قاعدة لانطلاق القوات المرابطية في حربها ضد الموحدين، لذا عمل الموحدون على السيطرة عليها واتخاذها قاعدة تنطلق منها الجيوش الموحدية للدفاع أو للهجوم على المغرب الأقصى والأندلس. فأدركوا أهمية الإسراع للسيطرة على فاس لضرب المؤسسة العسكرية الرئيسية للدولة المحتضرة، ليتسنى لهم فتح ما بقي من مدن المغرب، والتمكن من السيطرة على العاصمة المرابطية مراكش. فكان سقوط فاس في يد الموحدين الضربة القاسمة لقوى الدولة المرابطية، فقد توالى بعدها سقوط باقي المدن المغربية، كما سقطت عاصمتهم عام ٥٤١هـ/ ١١٤٦م والتي بسقوطها زالت الدولة المرابطية.

وأدرك الموحدون أهمية فاس في جعلها إحدى قواعدهم الرئيسية للعمليات العسكرية، لاسيما لأعمالهم الحربية في أفريقية والأندلس، فاهتم الموحدون بها اهتمامًا كبيرًا. وبلغ من أهمية فاس في هذا العصر أنه من الممكن أن ينوط إلى واليها الاستخلاف في غياب الخليفة عن مراكش، كما كانت من الأهمية بمكان بحيث تعمد الخلفاء الموحدون الإعراج إليها والإقامة بها لاستنفار قبائلها للجهاد معهم سواء بالأندلس أو أفريقية، حيث قدم أهالي المدينة خير ما عندهم من مؤن لجيوش الموحدين، كما تابع الخلفاء بأنفسهم تفقد أحوال الرعية ومهمة القضاء على المفسدين من عمالها وولاتها الذين كانوا يستغلون مناصبهم في إرهاق الرعية. كما كانت فاس من الأهمية بمكان حيث شهدت السفارات القادمة من الدول الأخرى، ورؤساء القبائل إلى الخلفاء الموحدين.

وكان لاستقرار الحياة السياسية بمدينة فاس في هذين العصرين أثره على حياة سكان المدينة الذين كانوا يتكونون من عناصر مختلفة أوضحها البحث كما أوضح القبائل البربرية والعربية التي كانت تعيش بالمدينة في هذين العصرين، ومدى اختلاط هذه القبائل ببعضها البعض، وأيضا التنوع في طبقات المجتمع الفاسي وطوائفه، حيث انقسم المجتمع إلى أربع طبقات رئيسية هي الطبقة الحاكمة التي مثلتها قبيلة لمتونة في العهد المرابطي وكومية في العصر الموحدي، وطبقة الفقهاء والعلماء والقضاة والطلبة، وطبقة العامة وطبقة أهل الذمة من النصارى واليهود موضحا أوضاعهم الاجتماعية كما أوضح البحث مكانة المرأة في المجتمع الفاسي حيث شاركت في الحياة العامة، وخرجت للتعليم والأخذ عن العلماء.

وقد أوضح البحث أيضا الفوائد التي عادت على المجتمع الفاسي من اهتمام الأمراء المرابطين والخلفاء الموحدين بإنشاء المؤسسات الاجتماعية من فنادق وحمامات وبيمارستانات، ومدى العناية والرعاية التي تلقاها الفقراء بفاس من الصلحاء والعلماء والأغنياء في هذين العهدين. كما أوضح البحث بعض الاحتفالات والعادات التي شهدتها مدينة فاس في هذين العصرين، وطعام أهل المدينة وزيهم، وبعض مظاهر التسلية ووصف دور مدينة فاس.

ومع فترة الاستقرار السياسي والاجتماعي التي شهدتها فاس في عهدي المرابطين والموحدين ازدهر النشاط الاقتصادي بها حيث حرص الأمراء المرابطون ثم الخلفاء الموحدون على نشر الأمن والنهوض بالمدينة في شتى المجالات، وانصرف الأهالي إلى العمل والإنتاج، فعم الرخاء ففي مجال الزراعة

كانت الدولة المرابطية هى المالكة لكثير من الأراضى بفاس، وورث الموحدون هذه الملكية، ولكنهم احترموا الملكيات الخاصة أيضًا. وقد نظمت الأراضى فى هذين العهدين حيث كان هناك ديوان لإدارة الأراضى بفاس له نظمه ومساعديه.

وعمل المرابطون والموحدون على توفير المياه التى تتطلبها العمليات الزراعية وذلك بعده وسائل منها جلب مياه الأنهار والعيون أو حفر الآبار وعمل الخزانات وتوصيلها إلى البسائط بوسائل متعددة. ونتيجة الاهتمام بالرى توفرت المحاصيل الزراعية من قمح وشعير وبقول لدرجة دفعت الدولتين المرابطية والموحدية إلى تنظيم عملية الاستفادة من هذه المحاصيل الزراعية بعمل مخازن لحفظها، حيث قامت هذه المخازن بدورها الفعال عندما تعرضت المدينة للمجاعات. وإلى جانب توافر المحاصيل الزراعية انتشرت زراعة الزيتون والقطن والكتان والحدائق والبساتين، حيث عملت الدولة الموحدية على التوسع فى مثل هذه الزراعات.ونتيجة للاهتمام بالزراعة توفرت الثروة الحيوانية بفاس فى هذين العصرين.

واهتم المرابطون والموحدون بالصناعة فى فاس حيث كان على رأس كل حرفة من الحرف المختلفة رئيسيًا يسمى الأمين كانت واجباته حل المشكلات بين أهل صنعته، ومساعدة الدولة فى كشف أساليب مكر الصناع وغشهم، ومراقبة الإنتاج وجودته، فصارت فاس فى هذين العهدين من المراكز الصناعية الهامة، حيث شهدت تقدمًا صناعيًا نتيجة لتوفر المواد الخام سواء كانت معدنية أو نباتية أو حيوانية وتوفر الأيدى العاملة المدربة على الصناعات المختلفة، وقد مثلت الحرف القاعدة الإنتاجية للمدينة، فقام الحرفيون بدور بارز فى تنشيط حياة المدينة الاقتصادية، وذلك بتحويل المواد الأولية الفلاحية والمعدنية والحيوانية إلى بضائع استهلاكية قابلة للتسويق.

وقد اشتهرت فاس بالصناعات النسيجية حيث بلغت هذه الصناعة أوج ازدهارها فى عهد الموحدين لدرجة بلغت مواضع الأطرزه المعدة للحياكة ٣٠٦٤ موضعًا، كما بلغ عدد الدور الخاصة بالغزل ١٤١دارًا، وتنوعت الملابس بين الكتانى والقطنى والصوفى والحريرى. وبذلك كان للمدينة حظًا كبيرًا من صناعة النسيج فى المغرب الأقصى، ولا شك أن ذلك شارك بفاعلية فى تحريك وازدهار اقتصادها.

كما اشتهرت فاس بصناعة الورق، حيث كانت مركزًا لصناعته، وكان بها معامل كثيرة تنتج ورقًا جيدًا، فكانت هذه الصناعة المادة الأصلية الفعالة فى نشر

الثقافة، كما فتحت هذه الصناعة لأهل فاس مهن أخرى مثل حرفة التسفير أو التجليد وحرفة النسخ التى كان لها أثر كبير فى الاحتفاظ بالعلوم الكثيرة المنسوخة. وشهدت المدينة تطورا فى صناعة طحن الغلال حيث أنشأ الأهالى الإرحاء المائية والهوائية بإعداد كبيرة، وبلغت هذه الصناعة ذروتها فى العصر الموحدى، حيث قامت عليها صناعة الخبز. كما ازدهرت صناعة الزيوت وأدت كمية الإنتاج الوفيرة من الزيت إلى ازدهار صناعة الصابون، حيث كان بفاس ٤٧ دارا لصناعته.

كما شهدت فاس تقدما فى الصناعات الخشبية وصناعة دبغ الجلود التى ارتبطت بها صناعة الصباغة، كما لوحظ التطور الكبير فى الصناعات المعدنية فى هذين العصرين، حيث تم كشف بعض المناطق التى تتوفر بها المعادن، والعمل على استخراجها والاستفادة منها، فقد استخدم الحديد والنحاس والرصاص فى شتى المجالات المعمارية بالمدينة، كما تقدمت المدينة فى الصناعات الزجاجية. وقد ساعد توفر المعادن بالمدينة إلى اتخاذها مقرا لسك العملة.

ولما كانت للصناعات الفخارية أهميتها لحاجة الناس إليها، خصص بالمدينة مكان خاص لهذه الصناعة، حتى أصبحت فاس فى العصرين المرابطى والموحدى منطقة كبرى لإنتاج الفخار، حيث كان بها ١٨٨ معملا لصناعته، وقد أسهمت هذه الصناعة بدورها فى حركة العمران التى شهدتها المدينة فى هذين العصرين.

ومثلت الأسواق مركزا للنشاط التجارى بصوره ومراحله المختلفة، وقد اهتم المرابطون والموحدون بأسواق فاس وإصلاحها والزيادة فى خاناتها، كما اهتموا بتسهيل حركة المرور وتأمينها داخل هذه الأسواق. وقد أوضح البحث أنواع التعامل التجارى من البيع نقدا والبيع بالتقسيط والأجل، كما أبرز العملات المرابطية والموحدية التى كانت تتم بها عمليات التبادل التجارى وكذلك المكاييل والموازين.

وكان للاستقرار السياسى الذى شهدته فاس فى هذين العصرين أثره فى تنشيط حركة التجارة بها، ومع اكتفاء سكان فاس بالسلع الأساسية المتوفرة، فإن الأسواق كانت تمتلئ بأنواع المتاجر التى تأتى بها القوافل القادمة من مدن المغرب المختلفة، فازدهرت تجارتها مع مكناسة وسجلماسة ومراكش وصفرو ومفيلة القاط ومنطقة السوس الأقصى ومدينة دى وأغمات، فأرتبطت مع هذه المدن بعلاقات تجارية أوضحنا خلالها أهم الصادرات والواردات، والطرق التى ربطت بين فاس وهذه المدن. وقد كان لهذا أثره فى تنشيط حركة التجارة الخارجية فأصبحت

أسواق المدينة مقصدا للقوافل والتجار من مختلف الأقطار، فارتبطت بعلاقات تجارية مع الأندلس التى توافد تجارها للاحتراف بالتجارة فى هذه المدينة حيث كان يتم تصدير الأقمشة والألبسة الصوفية وأيضا الزيتون والزعفران والخوخ المجفف وقطع الجلود ونشطت أيضا الحركة التجارية بين فاس وبلاد السودان - جنوب الصحراء - وتنوعت السلع المتبادلة بينهما حيث كان يتم استيراد الذهب والرقيق من بلاد السودان، فى حين يتم تصدير الثياب الحريرية والكتانية والمنسوجات والقمح وأدوات الزينة من عطور وأصداف وخرز وفخار وأدوات زخرفية وتحف معدنية وكتب من فاس إلى بلاد السودان، كما ارتبطت فاس بعلاقاتها التجارية مع بلاد المشرق. وكان لهذه الحركة التجارية أثرها فى انتعاش الحياة الاقتصادية بمدينة فاس خلال هذين العصرين.

كما أوضح البحث أن الاستقرار السياسى والنهوض الاقتصادى كانا من أهم العوامل التى شجعت على نمو الحياة الفكرية والعلمية بمدينة فاس فى هذين العصرين، مما أثر بدوره فى أن تذخر المدينة بالمؤسسات التعليمية من مساجد وكتاتيب ومدارس درست فيها مختلف العلوم النقلية والعقلية، وكان من أهم العلوم النقلية فى هذين العصرين علم القراءات والتجويد والتفسير، فأوضحت تطورها وأبرز العلماء الذين تصدوا لتدريسها، والكتب التى صنفت من قبل علماء فاس فى هذه العلوم. وعلم الحديث الذى أوضحت من خلاله كيف أن المرابطين اقتصروا على كتب فروع مذهب الإمام مالك، ولم يعطوا العلم الحديث الاهتمام الذى كان يجب أن يناله، ولكن بالرغم من هذا ظهر بفاس فى العصر المرابطى من تصدر لتدريس هذا العلم ونشره بين أهل فاس وأوضحت كيف أن علم الحديث ازدهر وعلا شأنه فى العصر الموحدى حيث استمد نهضته من اهتمام الخلفاء الموحدين به لاسيما للمكانة التى أعطوها لطلاب علم الحديث فى دولتهم. فأظهرت ألمع الشخصيات التى تصدرت لتدريس هذا العلم، والكتب التى ألفت فيه، والكتب التى كانت متداولة بين أيدى العلماء والدارسين متوصلا إلى أن مدينة فاس كانت مركزا هاما لتدريس علم الحديث فى العصر الموحدى.

ثم تحدثت عن علم أصول الفقه، وبحثت من خلال المذهب الفقهى المرابطى، والمذهب الفقهى الموحدى، وبينت اختلاف المذهبين، حيث أصبحت المؤلفات التى دونها رفاق الإمام مالك تحتل المكانة الأولى فى الدراسة بالقرويين ومساجد فاس الأخرى طيلة العهد المرابطى، فانتشرت بفاس كتب الأصول الفقهية

من العلوم الفرعية، وكان النفوذ كله لعلماء الفروع. أما الموحدون فقد كان المذهب الظاهرى محببا إليهم فبينت كيف أن ابن تومرت دعى إلى اتباع هذا المذهب لدرجة قام فيها الخلفاء الموحدون بحرق كتب الفروع المالكية، ومحو مذهب مالك وإزالته من المغرب، وحمل الناس على المذهب الظاهرى. ومن خلال ذلك درست أشهر علماء الفقه المرابطى والموحدين بمدينة فاس، وأشهر الكتب التى ألفت فى هذا العلم، وأثر المذهبين على الحركة الفكرية والعلمية بالمدينة.

وتحدثت عن علم اللغة العربية والنحو، وأهم الشخصيات التى تصدرت لتدريسهما، وأشهر كتب اللغة العربية والنحو التى كانت تدريس فى مؤسسات فاس التعليمية، كذلك أشهر كتب العلمين المذكورين التى صنفت من قبل علماء المدينة. وتحدثت أيضا عن الحياة الأدبية التى أقبل عليها الفاسيون بشكل واضح خلال العصر الموحدى، فنفق سوق الشعر بفاس الموحدية، ودرست من خلال ذلك أثر الحركة الأدبية بفاس الموحدية، ودرست من خلال ذلك أثر الحركة الأدبية بفاس المرابطية والموحدية على نمو الحركة الفكرية والعلمية بالمدينة.

ودرست كذلك علم الكلام بمدينة فاس خلال هذين العصرين وموقف الدولتين وأهالى فاس من العلم المذكور، فوضحت كيف كان المرابطون غاية فى التشدد تجاه هذا العلم لدرجة أنهم أحرقوا كتب الإمام الغزالى، كما وضحت كيف كان الموحدون يشجعون هذا العلم ويعملون على نشره، دارسا لأهم الشخصيات التى قامت بتدريس هذا العلم بفاس فى العصر الموحدى وأهم الكتب التى ألفت فيه من قبل علماء المدينة.

كما درست علم التاريخ والتراجم والفهارس والوثائق والشروط، وأوضحت اهتمام أهل فاس بهذه العلوم، وأهم مؤلفاتهم فيها، وما وصل إلينا منها. وعلم التصوف، وأبرز علمائه الذين عاشوا بالمدينة وموقف حكام الدولتين المرابطية والموحدية من متصوفى فاس.

أما العلوم العقلية فدرست فيها علم الفلك والنجوم، وأبرزت من خلال ذلك موقف الحكام من العلم المذكور، والإنجازات العلمية التى قدمها العلماء فى هذا العلم، وترجمت لأشهرهم. وعلم الحساب والهندسة، واستنتجت أن الدولة الموحدية شجعت العلوم الحسابية، وتصديت لأشهر علماء الحساب فى مدينة فاس فى ذلك العهد.

كما درست علم الطب، وتحدثت عن مدى اهتمام أولى الأمر من المرابطين والموحدين بالطب والأطباء، وترجمت لأشهر الأطباء الذين كانت لهم شهرة طيبة بالمدينة، وأهم الكتب التى صنفت فى هذا العلم. ثم تحدثت عن علم الكيمياء وكيف أن من بين أهالى فاس من نبغ فيه، ونقله إلى الأندلس لدراسته هناك وختمت دراستى بالحديث عن الدور الذى قامت به مدينة فاس فى نشر الثقافة الإسلامية فى بلاد المغرب والأندلس والمشرق.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولا: المخطوطات

- التادلى:

(أحمد بن القاسم الهروى) المتوفى ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م.

- المعزى فى أخبار ومناقب سيدى أبو يعزى.

مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١٢٤٩ تاريخ تيمور.

ميكروفيلم رقم ٢٧٧٠٣.

- السيوطى:

(جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى) المتوفى ٩١١هـ/ ١٥٠٥م.

- نسب بعض الصحابة والأشراف الإدريسيين وغيرهم من ملوك لمتونة والموحدين.

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، ميكروفيلم رقم ٥٥١.

- الشطبى:

محمد الشطبى المغربى.

- الجمان فى أخبار الزمان.

مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٤١٦ تاريخ، ميكروفيلم رقم ١٤١٩٧.

- ابن عسكر:

- فقهاء مالقة وأدبائها.

مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، من المجموعة المصورة من الاسكوريال رقم ١٣١٢ أدب.

- ابن عيشون الشراط:

(محمد بن محمد بن عيشون الشراط) ت ١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م.

- الروض العاطر الأنفاس فى أخبار الصالحين من أهل فاس.

مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٨٥٢ تاريخ تيمور، ميكروفيلم رقم ١٣٣٦٦.

- العينى:
(بدر الدين أبو محمد بن أحمد بن موسى العينى) المتوفى ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م
- عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان.
الجزء الثانى عشر، المتضمن أحداث ٥٢١ - ٥٧٨هـ.
مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم ٣٣٤/ ل.
- مجهول:
- ذكر الملوك الأدارسة.
مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم ١٠٥٥
تنتهى أحداث هذا المخطوط بعام ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م
- مجهول:
- رسالة فى ذكر من أسس فاس.
مخطوط بدار الكتب المصرية، ح ٩٧٣٢ ميكروفيلم رقم ١٠٩٨٨
قام بنسخ هذا المخطوط عبد السلام الغرابلى الجيلانى.
- مجهول:
قصة البلدين من أهل فاس.
مخطوط بمعهد المخطوطات العربية، رقم ١٨٩٣ تاريخ.
ابن الياسمين:
(أبو محمد بن عبد الله بن حجاج) ت ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م
- الأرجوزة اليسمانية
مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١٧٧ أ ج/ ١١٢ (٤) رياضة

ثانيا: المصادر المطبوعة:

- ابن الآبار:
(أبو عبد الله محمد بن أبى بكر القضاعى) ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م
- التكملة لكتاب الصلة.
ثلاثة أجزاء، نشر وتحقيق عزت العطار الحسينى، القاهرة مطبعة الخانجى، ١٩٥٦.
- الحلة السيراء، جزءان، تحقيق د/ حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٨٥.

- المقتضب من كتاب تحفة القادم، تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، الطبعة الثانية، ١٩٨٢.
- المعجم في أصحاب الإمام أبي على الصدفي، مجريط، مطبعة روخس، ١٨٨٥م.
- ابن الأثير:
(أبو الحسن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني)
ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م.
- الكامل في التاريخ، الجزء الثامن، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨.
- الإدريسي:
(أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس) ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م.
- المغرب وأرض السودان ومصر الأندلس.
مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ليدن مطبعة بريل، ١٨٦٦م.
- وصف أفريقيا الشمالية، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق، نشر هنري بيرسي، الجزائر، ١٩٥٧.
- ابن إدريس التجيبي:
(أبو بحر صفوان) ٥٦١ - ٥٩٨هـ/ ١١٦٥ - ١٢٠١م
- زاد المسافر وغرة محيا الأدب المسافر.
تعليق عبد القادر محداد، بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٧٠
- إسماعيل بن الأحمر: ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م
- بيوتات فاس الكبرى، أو ذكر بعض مشاهير فاس في القديم، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٢.
- ابن بشكوال:
(أبو القاسم خلف بن عبد الملك) ٤٩٤ - ٥٧٨هـ/ ١١٠٠ - ١١٨٢م
- كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، جزءان. نشر عزت العطار الحسيني، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٥٥.

- البغدادى:
(صفى الدين عبد المؤمن بن الحق البغدادى) ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م.
- مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع.
تحقيق على محمد البجاوى، دار الكتب العربية، ١٩٥٥.
- البكرى:
(أبو عبد الله البكرى) ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م
- المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب.
نشر دى سلان، الجزائر، ١٩١١.
- البيذق:
(أبو بكر على الصنهاجى) توفى فى منتصف القرن السادس الهجرى.
- المقتبس من كتاب الأنساب فى معرفة الأصحاب.
تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧١.
- أخبار المهدى بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، الرباط،دار المنصور للطباعة، ١٩٧١.
- التجيبى:
(القاسم بن يوسف السبتى) ت ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م
- برنامج التجيبى
تحقيق عبد الحفيظ منصور، تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨١.
- الجرسفى:
(عمر بن عثمان بن العباس)
- رسالة فى الحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية، نشرها ليفى بروفنسال، القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، ١٩٥٥.
- الجزرى:
(شمس الدين محمدين محمد الجزرى) ت
- غاية النهاية فى طبقات القراء، الجزء الأول، نشر برجشترايز مصر، مطبعة السعادة، ١٩٢٣.
- الجزنائى:
(على الجزنائى) من أهل القرن الثامن الهجرى.
- جنى زهرة الآس فى بناء مدينة فاس.

تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، المطبعة الملكية ١٩٦٧.
- ابن الحـاج:
(أبو عبد الله محمد بن العبدرى الفاسى) ت: ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م
- المدخل، ٤ أجزاء فى مجلدين، القاهرة، دار الحديث ١٩٨١.
- الحميرى:
(محمد بن عبد المنعم الحميرى) توفى فى أواخر القرن التاسع الهجرى.
- الروض المعطار فى خير الأقطار، تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، مطابع هيد ليرغ، الطبعة الثانية، ١٩٨٤.
- ابن حوقل النصيبى:
(أبو القاسم محمد بن علي البغدادى النصيبى) ت: ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م.
- صورة الأرض، بيروت، منشورات مكتبة الحياة، بدون تاريخ.
- ابن حيان:
(أبو مروان خلف بن حسين بن حيان القرطبى) ٣٧٧ - ٤٦٩هـ/ ٩٨٧ - ١٠٧٦م.
- المقتبس فى أخبار بلد الأندلس.
تحقيق عبد الرحمن على الحجى، بيروت، دار الثقافة، ١٩٨٣.
- ابن الخطيب:
(لسان الدين بن الخطيب) ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م
- الإحاطة فى أخبار غرناطة
٤ أجزاء تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجى جـ١ الطبعة الثانية ١٩٧٣.
جـ٢ ١٩٧٤.
جـ٣ ١٩٧٥.
جـ٤ ١٩٧٧.
- أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام (تاريخ المغرب فى العصر الوسيط) القسم الثالث، تحقيق دكتور أحمد مختار العبادى، ومحمد إبراهيم الكتانى، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٦٤.

- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى المغرب والأندلس (مجموعة من رسائله).
نشرها دكتور أحمد مختار العبادى، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٣.
- ابن الخطيب البغدادى:
(الحافظ أبى بكر أحمد بن على البغدادى) ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م.
- تاريخ بغداد
المدينة المنورة، المكتبة السلفية، بدون تاريخ.
- ابن خلدون:
(أبو زيد عبد الرحمن بن محمد) ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م.
- تاريخ ابن خلدون.
٧ أجزاء، القاهرة، مطبعة بولاق، ١٢٨٢هـ
- ابن خلكان:
(شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد) ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.
بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٨ - ١٩٦٩م
- ابن دحيه:
(أبو الخطاب عمر بن حسن ت: ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م)
- المطرب من أشعار أهل المغرب.
تحقيق إبراهيم الإبيارى وآخرون، القاهرة، المطبعة الأميرية ١٩٥٤.
- الدمشقى:
(أبو الفضل جعفر بن على)
- الإشارة إلى محاسن التجارة ومعرفة الإعراض ورديها وغشوش المدلسين فيها.
مطبعة المؤيد، ١٣١٨هـ.
- ابن أبى دينار القيروانى:
(أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الرعينى) كان حيا ١١١٠هـ
- المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس.

تحقيق محمد شمام، تونس المكتبة العتيقة، مطبعة ٢٠ مارس الطبعة الثالثة، ١٩٦٧.
- الذهبي:
(الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م
- سير أعلام النبلاء - ٢٣ جزء، تحقيق شعيب الأرنوؤط، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤.
- ابن رشيد الفهري:
(ابو عبد الله محمد بن عمر السبتي) ت ٧٢١هـ/ ١٣٢١م
- ملء العيبة بما جمع بطول العتبه في الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة وطيبة،
الجزء الثالث، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٨١.
- الرعيني:
(أبو الحسن علي بن محمد الرعيني الاشبيلي) ت ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م.
- برنامج شيوخ الرعيني.
تحقيق إبراهيم شيوخ، دمشق، مديرية إحياء التراث، ١٩٦٢.
- ابن الزبير:
(أبو جعفر أحمد بن الزبير) ت ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م
- صلة الصلة (ذيل للصلة البشكوالية في تراجم علماء الأندلس)
الجزء السابع، تعليق ليفي بروفنسال، مطبوعات معهد الدراسات العليا المغربية، المطبعة الاقتصادية، ١٩٣٧.
- ابن أبي زرع:
(أبو الحسن علي بن الله) ت (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م
- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٢.
- الزركشي:
(أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي)
- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية.
تحقيق محمد ماضور، تونس، المكتبة العتيقة، الطبعة الثالثة ١٩٦٦.

- الزهرى:
(أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الزهرى) ت ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م.
- كتاب الجغرافيا.
تحقيق محمد الحاج صادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الإسلامية، بدون تاريخ.
- ابن الزيات التادلى:
(أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى التادلى) ت ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م
- التشوف إلى رجال التصوف.
نشر أودلف فور، الرباط، مطبوعات معهد الأبحاث العليا، ١٩٥٨
- السعـدى:
(الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران السعدى) ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م
- تاريخ السودان.
مدينة أنجى، مطبعة بردين ١٨٩٨م.
- ابن سعيد المغربى:
(أبو الحسن على بن موسى) ٦١٠هـ ٦٨٥هـ/ ١٢١٣ - ١٢٨٦م
- الغصون اليانعة فى شعراء المائة السابعة.
تحقيق إبراهيم الإبيارى، مصر، دار المعارف، بدون تاريخ.
- اختصار القدح المعلى فى التاريخ المحلى.
القاهرة، دار الكتاب المصرى، الطبعة الثانية، ١٩٨٥.
- كتاب الجغرافيا
تحقيق إسماعيل العربى، بيروت، منشورات المكتب التجارى ١٩٧٠.
- بسط الأرض فى الطول والعرض
تحقق خوان قرنيط خينيس، تطوان، معهد مولاى الحسن ١٩٥٨
- المغرب فى حلى المغرب
جزءان، تحقيق شوقى ضيف، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٠.
-السلفى: ت ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م
- أخبار وتراجم أندلسية (مستخرجة من معجم السلفى)
تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٣.

- السيوطى:
(جلال الدين السيوطى) ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م.
- طبقات المفسرين
طبعة طهران، ١٩٦٠.
- بغية الوعاه فى طبقات اللغويين والنحاة.
تحقيق محمد أبو الفضل، مطبعة عيسى البابى الحلبى، ١٩٦٤
- ابن شاكر الكتبى:
(محمد بن شاكر بن أحمد الكتبى) ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م.
-وفيات الوفيات جـ٢
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مصر مطبعة السعادة، ١٩٥١.
- الشعرانى:
(عبد الوهاب الشعرانى)
- الطبقات الكبرى.
جزءان فى مجلد، مكتبة محمد على صبح، بدون تاريخ.
- ابن صاحب الصلاة:
(عبد الملك محمد بن أحمد بن إبراهيم) كان حيا ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م
- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين
السفر الثانى، تحقيق عبد الهادى التازى، بيروت، دار الأندلس للطباعة، ١٩٦٤.
-الضبى:
(أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميره الضبى) ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م
- بغية الملتمس فى رجال أهل الأندلس.
مجريط، مطبعة روخسى، ١٨٨٤م.
-الطبرى:
(أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى) ٣١٠هـ/ ٩٢٢م
-تاريخ الرسل والملوك جـ٨
تحقيق محمد أبو الفضل، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٩.
-أبو العباس الغبرينى:
(أحمد بن أحمد بن عبد الله) ٧١٤هـ/ ١٣١٤م

-عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء من المائة السابعة ببجاية
بيروت، منشورات لجنة التأليف، ١٩٦٩.
-ابن عبد الرؤوف:
(أحمد بن عبد الله) من أهل القرن السادس الهجرى.
-رسالة فى الحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية فى الحسبة والمحتسب، نشرها ليفى بروفنسال، القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، ١٩٥٥.
-أبو عبد الله محمد الأندلسى:
(المعروف بالوزير السراج) ت ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م
-الحلل السندسية فى الأخبار التونسية، تونس ١٢٨٧هـ.
-ابن عبدون: من أهل القرن السادس الهجرى.
(محمد بن أحمد بين عبدون التجيبى)
-رسالة ابن عبدون فى الحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية نشرها ليفى بروفنسال: القاهرة، مطبعة العهد الفرنسى للآثار الشرقية، ١٩٥٥.
-ابن العبرى:
(غريغرريوس أبى الفرح بن هارون) ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م - مختصر تاريخ الدول، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٨٩٠م
-ابن عذارى المراكشى: ت٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م
-البيان المغرب فى ذكر أخبار الأندلس والمغرب.
الأجزاء ١ - ٤ تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة الطبعة الثانية، ١٩٨٠.
الجزء الخامس - قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتانى ومحمد بن تاويت وآخرون، الدار البيضاء، دار الثقافة ١٩٨٥.
-ابن عربى:
(محى الدين بن عربى) ت٦٣٨هـ/ ١٣٤٠م
-الفتوحات المكية فى معرفة الأسرار الملكية، بيروت، دار صادر، بدون تاريخ.
-العمرى:
(ابن فضل الله العمرى) ٧٠٠هـ ٧٤٩هـ/ ١٣٠١ - ١٣٤٩م

-وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني، مقتبس من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، نشر محمد المنوني، الرباط، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، العدد الأول، السنة الأولى، ١٩٦٤.
-مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين) دراسة وتحقيق دوريتا كرافرلسكي، بيروت، المركز الإسلامي للبحوث، ١٩٨٥.

- ابن غازي العثماني:

(أبو عبد الله محمد) ٨٤١ - ٩١٩هـ/ ١٤٣٧ - ١٥١٣م

-الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون. الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٦٤.

- الفتح بن خاقان:

(أبو نصر الفتح بن محمد القيس) ت: ٥٣٥هـ/ ١١٣٤م

-قلائد العقبات في محاسن الأعيان.

القاهرة، ١٢٨٣هـ.

-أبو الفداء:

(عماد الدين اسماعيل بن الملك الأفضل)

-تقويم البلدان

باريس، دار الطباعة السلطانية، ١٨٥٠.

- ابن فرحون المالكي:

(إبراهيم بن علي اليعمري) ت٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م

-الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب.

جزءان، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث للطباعة، ١٩٧٢.

- الفيروزأبادي:

القاموس المحيط، بيروت، دار صادر.

- ابن القاسم:

(محمد الأنصاري السبتي)

- اختصار الأخبار عما يثغر سبتة من سني الأخبار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، الطبعة الثانية، ١٩٨٣.

- القاضي عياض:
(أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي) ت٥٤٤هـ/ ١١٤٩م
-ترتيب المدارك وتقريب المسالك. جزءان.
تحقيق دكتور أحمد بكير محمود، بيروت، منشورات مكتبة الحياة ١٩٦٧، المجلد الثاني، جـ٤، منشورات مكتبة الحياة، بدون تاريخ.
-ابن القاضي المكناسي:
(أبو العباس أحمد بن محمد) ت ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م.
-جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام بمدينة فاس.
جزءان، الرباط، دار المنصور للطباعة، ١٩٧٣.
-ابن القطان:
(أبو الحسن علي بن محمد الكتامي الفاسي) ت٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م
-جزء من كتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان.
تحقيق دكتور محمود علي مكي، الرباط، منشورات مكتبة كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، بدون تاريخ.
-القلقشندي:
(أحمد بن علي) ت٨٢٠هـ/ ١٤١٧م.
-صبح الأعشى في صناعة الأنشا.
الجزء الخامس، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩١٥م.
-مآثر الأناقة في معالم الخلافة.
تحقيق عبد الستار أحمد فراج، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٩٨٠.
-قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان.
تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٣
-ابن القنفد:
(أبو العباس أحمد بن الخطيب القسنطيني) ت٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م
-أنس الفقير وعز الحقير، نشره محمد الفاسي، أودلف فور، الرباط، المركز الجامعي للبحث العلمي، مطبوعة أكوان، ١٩٦٥م
-كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، بيروت، منشورات المكتب التجاري، ١٩٧١.

-ليفى بروفنسال:
مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، الرباط، مطبوعات معهد العلوم العليا، ١٩٤١.
-ليون الأفريقى:
(الحسن بن محمد الوزان) ٩٤٤هـ/ ١٥٣٧م.
-وصف أفريقيا.
ترجمة الدكتور/ عبد الرحمن حميده/ الرياض، ١٩٧٨ - ١٩٧٩.
-مارمول كرفخال:
توفى آخر القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى.
-أفريقيا.
ثلاثة أجزاء، ترجمة عن الفرنسية، محمد حجى، محمد زنيبر وآخرون، الرباط، الجمعية المغربية للتأليف، مكتبة المعارف ١٩٨٤.
-مالك:
(الإمام مالك بن أنس) ت ١٦٢هـ/ ٧٧٨م.
-الموطأ.
صححه وأخرج أحاديثه، محمود فؤاد عبد الباقى، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥١.
-مجهول:
-نبذ تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى. منتخبه من كتاب مفاخر البربر. لمؤرخ مجهول، ألفه ٧١٢هـ، تحقيق ليفى بروفنسال، رباط الفتح، المطبعة الجديدة، ١٩٣٤.
-مجهول:
-كتاب الطبيخ فى المغرب والأندلس فى عصر الموحدين.
تحقيق أويثنى ميراندا، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد التاسع والعاشر، ١٩٦١ - ١٩٦٢.
-مجهول:
-الاستبصار فى عجائب الأمصار.

لمؤلف مجهول من كتاب القرن السادس الهجرى، نشر وتعليق د/ سعيد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية، مطبعة جامعة الإسكندرية ١٩٥٨م.

-مجهول:

-جمع تواريخ فاس.طبع بمدينة بالروم،مطابع برنارد وبرزى، بدون تاريخ.

-مجهول:

-الحلل الموشية فى الأخبار المراكشية. لمؤلف مجهول من أهل القرن الثامن الهجرى. حققه د/ سهيل ذكار، عبد القادر زمامه، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة، ١٩٧٩.

-محمد بن أبى بكر الرازى:

مختار الصحاح، القاهرة، دار المعارف.

-المراكشي:

(أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصارى) ٦٣٤هـ ٧٠٣هـ/ ١٢٣٦ - ١٣٠٣م.

-الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة. السفر الأول تحقيق محمد بن شريفه، بيروت دار الثقافة. السفر الرابع والخامس، تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، بدون تاريخ.

-المراكشي:

(عبد الواحد المراكشى) ت٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م

-المعجب فى تلخيص أخبار المغرب. تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٩٦٣.

-ابن مريم:

(أبو عبد الله محمد بن محمد الملقب بابن مريم) ت

-البستان فى ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. الجزائر، مطبعة الثعالبة، ١٩٠٨.

-المقدسى:

(شمس الدين أبى عبد الله بن أحمد) ت حوالى ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م

-أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم. ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٦.

-المقريزى:
(تقى الدين أبو العباس أحمد بن على) ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م
-المقفى الكبير ٨ أجزاء تحقيق على البجاوى، القاهرة، ١٩٩٢.
-المقرى:
(شهاب الدين أحمد المقرى التلمسانى) ت: ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م
-أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض. خمسة أجزاء ١ - ٣ تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٣٩.
-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. ثمانية أجزاء. تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ١٩٦٨.
-المعجم الوسيط:
إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار المعارف، ١٩٧٣.
-النباهى:
(أبو الحسن بن عبد الله النباهى المالقى) كان حيا عام ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠ - ١٣٩١م.
-تاريخ قضاة الأندلس، المسمى بكتاب "المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا".
نشر وتحقيق ليفى بروفنسال، القاهرة، دار الكتاب المصرى ١٩٤٨.
-النويرى:
(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب) ت٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م
-نهاية الأرب فى فنون الأدب. الجزء الرابع والعشرون، تحقيق حسين نصار، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٣.
- الونشريس:
(أحمد بن يحيى الونشريسى) ت٩١٤هـ/ ١٥٠٨م
-المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والمغرب. ١٣ جزء، أخرجه جماعة من العلماء بإشراف د/ محمد حجى، بيروت، دار الغرب الإسلامى، ١٩٨١.
-ياقوت الحموى: ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩
-معجم البلدان، ثمانية أجزاء
طبعة بيروت، دار صادر، بدون تاريخ.

- ابن يوسف الحكيم:

(أبى الحسن على) من أهل القرن الثامن الهجرى، الرابع عشر الميلادى.

-الدوحة المشتبكة فى ضبط دار السكة.

تحقيق د. حسين مؤنس، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية ١٩٦٠.

ثالثا: المراجع العربية الحديثة والمعربة:

-الأمين عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي، جده، المجمع العلمي، ١٩٧٩.

-ابتسام مرعى (دكتور): العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي دار المعارف، ١٩٨٥.

-إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، جزءان، الدار البيضاء دار السلمي للنشر، ١٩٦٠.

-أحمد حامد الاخميمي: المواهب السنية فى المآثر الشاذلية، مصر، مكتبة الجندى، ١٩٦٩.

-أحمد شلبي (دكتور): تاريخ التربية الإسلامية، القاهرة، دار الكشاف للنشر، ١٩٥٤م.

-أحمد عيسى: معجم الأطباء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.

-أحمد محمد الطوخي (دكتور): القيساريات الإسلامية في مصر والمغرب والأندلس، فصله من مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد ٢٨، عام ١٩٨١م.

-مصر والأندلس، الإسكندرية، مركز الدلتا للطباعة، ١٩٨٨.

-أحمد مختار العبادى (دكتور): دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس إسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، بدون تاريخ.

-إسماعيل العربي: دولة الأدارسة، بيروت، دار المغرب الإسلامي ١٩٨٣.

-أسين بلاثيوس: ابن عربى حياته ومذهبه، ترجمة عبد الرحمن بدوى، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٩.

-أنخل بالنثيا: تاريخ الفكر الأندلسى، نقله عن الأسبانية د. حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٥م.

-باذل دافدسن: أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال محمد أحمد، بدون تاريخ ومكان.

-بدرى محمد فهد: العامة ببغداد فى القرن الخامس الهجرى، بغداد مطبعة الرشاد، ١٩٦٧.

-حسان عوض: جغرافية المدن المغربية، مطبوعات المركز الجامعي للبحث العلمي، بدون تاريخ.

-حسن أحمد محمود (دكتور): قيام دولة المرابطين، القاهرة، دار الفكر العربى، بدون تاريخ.
-الحسن السائح: الحضارة الإسلامية بالمغرب، الدار البيضاء، دار الثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.
-حسن علي حسن (دكتور):- الحضارة الإسلامية فى المغرب والأندلس فى عصرى المرابطين والموحدين، القاهرة، مكتبة الخانجى، ١٩٨٠.
-التعليم بالمغرب فى عهدى المرابطين والموحدين مستخرج من حوليات كلية دار العلوم، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٧٤.
-حسنين محمد ربيع (دكتور): وثائق الجنيزا وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادى، نشر ضمن مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول، جـ٢ الرياض، ١٩٧٩.
-حمدى عبد المنعم محمد (دكتور): تاريخ المغرب والأندلس فى عصر المرابطين (دولة على بن يوسف) الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٦.
-رضوان البارودى (دكتور): أضواء على المسيحية والمسيحيين فى المغرب فى العصر الإسلامى، القاهرة، دار الفكر العربى ١٩٩٠.
-روجيه لوطورنو: فاس قبل الحماية، جزءان، ترجمة دكتور محمد صبحى ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامى ١٩٨٦.
- فاس فى عصر بنى مرين، ترجمة الدكتور/ نقولا زياده، بيروت، مؤسسة مرتكلين للطباعة، ١٩٦٧م.
-زاهر رياض (دكتور): الممالك الإسلامية فى غرب أفريقيا وأثرها فى تجارة الصحراء، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٨.
-سعد زغلول عبد الحميد (دكتور): تاريخ المغرب العربى، الجزء الثانى، الإسكندرية، منشأة المعارف، بدون تاريخ.
-محمد بن تومرت وحركة التجديد فى المغرب والأندلس، بيروت، دار الأحد، ١٩٧٣.
-سعدون عباس نصر الله: دولة المرابطين فى المغرب والأندلس عهد يوسف بن تاشفين، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٥.

-سلامة محمد سليمان: دولة المرابطين فى عهد على بن يوسف، بيروت، دار الندوة الجديدة، ١٩٨٥.
-السلاوى: (أحمد بن خالد الناصرى)، الاستقصاء فى أخبار المغرب الأقصى، القاهرة، ١٩٥٠.
-السيد عبد العزيز سالم (دكتور): تاريخ المغرب العربى فى العصر الإسلامى، الإسكندرية، منشة المعارف، بدون تاريخ.
-السيد محمد بن على السنوسى: الدرر السنية فى أخبار السلاسة الإدريسية، ليبيا، مطبعة جامعة محمد السيد بن على السنوسى الطبعة الرابعة، ١٩٦٦.
-عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، بيروت، منشورات المكتب التجارى للطباعة، ١٩٧١.
-عامر النجار (دكتور): الطرق الصوفية فى مصر، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٨٦.
-عباس إبراهيم المراكشى: الإعلام فمن حل مراكش وأغمات من الإعلام، فاس المطبعة الجديدة، ١٩٣٦.
-عبد الرحمن بدوى (دكتور): مذهب الإسلاميين، جـ١، بيروت، دار العلم ١٩٧٨.
-عبد الرحمن بن زيدان: اتحلاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، الرباط المطبعة الوطنية، ١٩٣٩م.
-عبد الرحمن الفاسى: خطة الحسبة فى النظر والتطبيق والتدوين، الدار البيضاء، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة ١٩٨٤.
-عبد السلام بن سوده: دليل مؤرخ المغرب الأقصى، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٦٥.
-عبد الصمد كنون: جنى زهرة الآس فى شرح نظم عمل فاس، مصر، مطبعة الشروق، بدون تاريخ.
-عبد العزيز بن عبد الله: مظاهر الحضارة المغربية، دار السلمى للطباعة ١٩٥٧، الطب والأطباء بالمغرب، الرباط، ١٩٦٠.
-عبد القادر الصحراوى: جولات فى تاريخ المغرب، الدار البيضاء، دار الكتب، بدون تاريخ.

-عبد الله على علام (دكتور): الدولة الموحدية بالمغرب فى عهد عبد المؤمن بن على، مصر، دار المعارف، ١٩٧١.
-عبد الله كنون: مدخل إلى تاريخ المغرب، تطوان، مطبعة الوحدة المغربية، ١٩٤٤.
- النبوغ المغربى فى الأدبى العربى، الجزء الأول، تطوان، المطبعة المهدية، بدون تاريخ.
- التعاشيب، بدون تاريخ ومكان.
- ذكر مشاهير رجال المغرب، تطوان، مطبعة كريمادس، بدون تاريخ.
- أدب الفقهاء، بيروت، دار الكتاب اللبنانى، بدون تاريخ.
-عبد الهادى التازى (دكتور): - أحد عشر قرنا فى جامعة القرويين، مطبعة فضالة، المحمدية، ١٩٦٠.
- التاريخ الدبلوماسى للمغرب، المجلد الخامس عهد المرابطين، المجلد السادس، عهد الموحدين مطابع فضالة، المحمدية، ١٩٨٧.
-جامع القرويين، جزءان، المجلد الأول، بيروت دار الكتاب اللبنانى، ١٩٧٢.
-عبد الواحد الإمبابى: الإسلام فى أفريقيا، من مجموعة الكتب الإسلامية، التى أصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، العدد ١٣، السنة الثانية، ١٩٦٢.
-عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، الجزء الأول، الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٦٨.
-عثمان الكعاك: مراكز الثقافة فى المغرب، القاهرة، ١٩٥٨.
-عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى خلال القرن السادس الهجرى، القاهرة، دار الشروق ١٩٨٣.
-عمر فروخ: تاريخ الأدب العربى. الجزء الخامس (الأدب فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين والموحدين) بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٢.
-قدرى حافظ طوقان: تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك، القاهرة، دار القلم، الطبعة الثالثة، ١٩٦٣.

-قرية صالح: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي حتى سقوط دولة بني حماد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦.
-ليفي بروفنسال: أدب الأندلس وتاريخها، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٥١.
-الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة الدكتور: السيد عبد العزيز سالم والأستاذ/ محمد صلاح الدين حلمي، القاهرة، مطبعة نهضة مصر، بدون تاريخ.
-محمد البشير الفاسي: قبيلة بني زروال، الرباط، مطبوعات المركز الجامعي للبحث العلمي، ١٩٦٢.
-محمد بن تاويت: تاريخ سبته، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٨٢.
- محمد بن تاويت، محمد الصادق: الأدب المغربي، بيروت دار الكتاب اللبناني للطباعة ١٩٦٠.
-محمد بن جعفر الكتاني: الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر خطب المغرب وتاريخ مدينة فاس، فاس، المطبعة الحجرية، ١٣١٤هـ.
-سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ثلاثة أجزاء، فاس، المطبعة الحجرية، ١٣١٥هـ.
-محمد الحبيب بن الخوجه: يهود المغرب العربي، القاهرة، مطبعة الجبلاوى، ١٩٧٣.
-محمد بن الحسن الحجرى: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، ٤ أجزاء تونس، مطبعة النهضة، بدون تاريخ.
-محمد ضياء الدين الريس (دكتور): الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، القاهرة، دار الأنصار، الطبعة الرابعة ١٩٧٧.
-محمد عبد الرحيم غنمية: تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى، تطوان معهد مولاى الحسن، دار الطباعة المغربية، ١٩٥٣.
-محمد بن عبد السلام: تاريخ المغرب، الجزء الأول، تطوان، دار الطباعة المغربية، الطبعة الثانية، ١٩٥٧.
-محمد عبد العزيز مرزوق (دكتور): الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، دار الثقافة، بدون تاريخ.

-محمد عبد الهادى شعيرة (دكتور): المرابطون وتاريخهم السياسى، القاهرة مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٩.
-محمد على أبو ريان: تصنيف العلوم بين الفارابى وابن خلدون، مجلة عالم الفكر، المجلد التاسع، العدد الأول، ١٩٧٨.
-محمد الفاسى: التعريف بالمغرب، مطبعة لجنة البيان المغربى، ١٩٦١.
-محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول، جامعة القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٥.
-محمد منتصر الكنانى: فاس عاصمة الأدارسة، بيروت، دار إدريس للطباعة والنشر، بدون تاريخ.
-محمد المنونى: -العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين بدون مكان وتاريخ.
-ركب الحاج المغربى، تطوان، مطبعة المخزن، ١٩٥٣.
-محمود إسماعيل (دكتور): مغربيات، فاس ١٩٧٧.
-مصطفى أبو ضيف (دكتور): أثر العرب فى تاريخ المغرب فى عصرى الموحدين وبنى مرين، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٢.
-هوبكنز: النظم الإسلامية فى المغرب فى القرون الوسطى، نقل عن الإنجليزية د/ أمين توفيق، تونس، الدار العربية للكتاب، بدون تاريخ.
-ولسيلى هايج: جداول مقارنة السنوات الهجرية بالسنين الميلادية، نشره بالعربية عبد العزيز مصطفى المراغى، مطبعة الشروق، بدون تاريخ.
-يسرى الجوهرى: شمال أفريقية، الإسكندرية، الهيئة العامة للتأليف، بدون تاريخ.
-يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين، الجزء الأول، ترجمة محمد عبد الله عنان، القاهرة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٤٠.

رابعا: الدوريات العلمية العربية:

-أحمد مختار العبادى (دكتور): الحياة الاقتصادية فى المدينة الإسلامية، عالم الفكر، المجلد الحادى عشر، العدد الأول، ١٩٨٠.
-تيتوس يوركهارت: فاس، مقال منشور بكتاب المدينة الإسلامية، ترجمة محمد ثعلب، نشر هيئة اليونسكو، ١٩٨٣.

-جمال الدين الشيال (دكتور): الصلات الثقافية بين المغرب ومدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، المجلد الخامس عشر، ١٩٦١.
-دائرة المعارف الإسلامية: المجلد الخامس عشر.
-سامي الصقار: كتاب وصف أفريقيا، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد الثامن ١٩٨١.
-سعد زغلول عبد الحميد (دكتور): العلاقة بين صلاح الدين وأبي يوسف يعقوب المنصور بن يوسف الموحدي، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد السادس والسابع، ١٩٥٢ - ١٩٥٣.
-سعيد إعراب: المقامة الفاسية، مجلة البحث العلمي، الرباط جامعة محمد الخامس، العدد السادس، السنة الثانية، ١٩٦٥.
-سيد عبد الفتاح عاشور (دكتور): الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، عالم الفكر، المجلد الحادي عشر، العدد الأول، ١٩٨٠.
-شوقي عبد القوي عثمان: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية الكويت، عالم المعرفة، عدد ١٥١، ١٩٩٠م.
-صباح إبراهيم: العناصر السكانية في مدينة فاس من خلال كتاب بيوتات فاس الكبرى، مجلة آداب المستنصرية، العدد الثامن، ١٩٨٤.
-عبد السلام بن سودع: بيوتات مدينة فاس قديما وحديثا، مجلة البحث العلمي، الرباط، جامعة محمد الخامس، السنة الحادية عشر، العدد ٢٢ يناير أبريل ١٩٧٤، والعدد ٢٣ سنة ١٩٧٤.
-عبد العزيز بن عبد الله:-المرأة المراكشية في الحقل الفكري، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد السادس، العدد ١ - ٢، سنة ١٩٥٨.
-معجم أعلام النساء بالمغرب الأقصى، مجلة اللسان العربي، المجلد السابع، الجزء الأول، يناير ١٩٧٠.
-الفكر الصوفي والانتحالية بالمغرب، مجلة البينة المغرب، السنة الأولى، العدد السادس، أكتوبر، ١٩٦٢.
-الفكر العلمي ومنهجية البحث عند علماء المغرب، مجلة الدار، العدد الثالث، السنة الخامسة، مارس ١٩٨٠.

-عبد العزيز العلوى: صناعة النسيج فى المغرب فى العصر الوسيط، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة سيدى محمد بن عبد الله، العدد الثانى، سنة ١٩٨٥ - ١٩٨٦.
-عبد القادر زمامة: فاس وصناعتها التقليدية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة محمد بن عبد الله، العدد الرابع والخامس ١٩٨٠ - ١٩٨١.
-معالم وأعلام من فاس القديمة، مجلة البحث العلمى الرباط، السنة الخامسة، العدد ١٣، ١٩٦٨، السنة الرابعة، العدد ١٦، ١٩٧٠، والسنة الثانية عشر، العدد ٢٤ لسنة ١٩٧٥.
-اكتشاف نص جديد يتعلق بتاريخ الموحدين مجلة كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، العدد الرابع والخامس، ١٩٨٠ - ١٩٨١.
-وثيقة حضارية عن شبكة توزيع المياه بفاس، القديمة، مجلة البحث العلمى، العدد ٣١ أكتوبر ١٩٨٠.
-عبد الله العمرانى: فاس وجامعتها، مجلة البحث العلمى، الرباط العدد الثامن، السنة الثالثة، ١٩٦٦، والعدد ١١ - ١٢، السنة الرابعة، ١٩٦٧.
-عبد الله كنون: الشاعر الأنيق أبو حفص بن عمر، مجلة البينة، السنة الأولى، العدد التاسع، يناير ١٩٦٣.
-ابن الياسمين، مجلة البحث العلمى، العدد الأول، يناير ١٩٨٤.
-عثمان الكعاك: الجامعات المغربية وأثرها فى جامعات أوروبا، مجلة البحث العلمى، الرباط، جامعة محمد الخامس العدد السادس، السنة الثانية، ١٩٦٥.
-فنان عبد القادر: أسوار مدينة فاس أصالة أم حاجز، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة محمد ابن عبد الله، العدد رقم ١ سنة ١٩٨٥.
-محمد بن تاويت: سبتة الأسيرة، مجلة البحث العلمى، السنة الثالثة عشر، العدد ٢٥، يناير، يونيو ١٩٧٦.

-محمد توفيق بلبع (دكتور): المسجد والحياة الدينية فى المدينة، مجلة عالم الفكر، المجلد الحادى عشر، العدد الأول، ١٩٨٠.
-محمد عبد الستار عثمان (دكتور): المدينة الإسلامية، الكويت، عالم المعرفة، عدد ١٣، سنة ١٩٨٨.
-محمد الفاسى: أصول الأعلام الجغرافية، مجلة البينة، السنة الأولى، العدد الأول، ١٩٦٢.
-محمد المنونى: تاريخ الموسيقى الأندلسية بالمغرب، مجلة البحث العلمى، السنة السادسة، العدد ١٤ - ١٥، يناير ١٩٦٩.
-الوراقة المغربية، مجلة البحث العلمى، العدد ١٦ السنة السابعة، يناير ١٩٧٠.
-محمود على مكى (دكتور): وثائق تاريخية جديدة من عهد المرابطين صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد السابع والثامن، ١٩٥٩ - ١٩٦٠.

خامسا: الرسائل العلمية:

-أحمد إلياس حسن: الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٧.
-سنوسى إبراهيم (دكتور): دور زناته بالمغرب من خروج الفاطميين حتى دخول دولة المرابطين، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٥.
-عيسى الذيب: التجارة فى عصر المرابطين، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٠.
-محمد عادل عبد العزيز (دكتور): أثر الأندلس الحضارى على المغرب فى عهد دولتى المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٦.
-محمد محمد إبراهيم: الجيش فى عهدى المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٨٢.
-منى حسن أحمد محمود (دكتورة): الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى مراكش خلال عصر المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراة، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٨٤.

سادسا: المراجع الأجنبية:

- Abun Nasr (Gamal): History of The Magrib, Combridge, Secand edition, 1977.
- Davidson, Basil: The Africans anentry to cultural History, London, 1969.
- Georges Marcais: Mauel d'art Musulman, TomeI, Paris 1976.
- Georges Marcais: L' architecture Musulman D' accident, Paris, 1954.
- Goitein: Amediterranean Society, Voll III, London, 1971.
- Goitein: Jews and Arbas: Their contacts Through The ages, New York, 1955.
- Goitein: Stuidies in islmic History and Stutions, Brill, Leiden, 1968.
- Goluin., L.: Le Magrib Central al' epoque Desztrides, Paris, 1957.
- Harry, W. Hazard: The numismatic History of Late medieval north Agrica, New York, 1952.
- Henri Bassat et Levi Provecal: Cheua, une nécrapole Marenide, Paris, 1922.
- Heniri Peres: La Poesie afes Les Almoravides et Almohades, Hesperis, Tome XVIII, 1934.
- Heniri Terrasse: Histoire du Maroc des origintnes a' L' etbissement du Protectoret Francais, Case blanca, 1949.
- T. Spencer: History of islam in west Africa, Oxfrd University, Prees paper book, 1978.
- Lavoix: Catallogue des monnailes Muslmanes de la bibliotheque notionale Espagne et Abrique, Vol. 3, paris, 1891.

- Levi Provencal: Unrecuell De Lettres Officielles Almohdes etude Diplomatique et Histarique Hesperis, Annee 1941.
- Zweiter Band: Katalog Der Oreintalischen munzen, Berlin, 1902.

المحتويـــات

الموضـــوع	الصفحة
مقدمة -------------------	١١
دراسة لأهم المصادر -------------------	١٩
الفصل الأول	
مدينة فاس منذ التأسيس حتى دخولها فى طاعة المرابطين	
(١٩٢ – ٤٥٥هـ/ ٨٠٨ – ١٠٦٣م) -------------	٤٣
أولا: تأسيس فاس على يد الإمام إدريس بن إدريس -------------	٤٥
ثانيًا: تخطيط المدينة -------------------	٤٦
ثالثًا: تاريخ مدينة فاس منذ إنشائها حتى محاولات المرابطين الاستيلاء عليها	
فاس فى عصر الأدارسة -------------------	٥٥
الصراع بين الدولة الأموية فى الأندلس والدولة الفاطمية فى المغرب حول فاس -------------------	٥٦
صراع القوى الداخلية للسيطرة على فاس -------------	٦٠
الفصل الثانى	
الحياة السياسية بمدينة فاس فى عصرى المرابطين والموحدين	
(٤٥٥ – ٦٦٨هـ/ ١٠٦٣ – ١٢٦٩م) -------------	٨١
أولاً: الحياة السياسية بمدينة فى عصر المرابطين -------------	٨٣
محاولات المرابطين لفتح فاس -------------------	٨٥
توحيد فاس وتنظيمها فى عهد المرابطين -------------	٩٠
الفتن والاضطرابات فى فاس فى عصر المرابطين ----------	٩٢
ثانيًا: الحياة السياسية بمدينة فاس فى عصر الموحدين	
بداية الدولة الموحدية وصراعها مع المرابطين ----------	٩٥

فتح الموحدين لمدينة فاس ٥٤٠هـ/ ١٤٤٦م ٩٨
فاس فى عصر الموحدين ١٠٤
محاولات بنى مرين للسيطرة على فاس ١١٤

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية بمدينة فاس فى عصرى
المرابطين والموحدين ١٥١
أولا: السكان: ١٥٣
البربـــر ١٥٣
العــرب ١٥٧
الأندلسيــون ١٦١
العنصر السودانى ١٦٢
ثانيا: طبقات المجتمع فى مدينة فاس ١٦٢
الطبقة الحاكمة ١٦٢
طبقة الفقهاء والعلماء والقضاة والطلبة ١٦٣
طبقة العامة (أصحاب المهن) ١٦٦
طبقة أهل الذمة ١٦٨
أ – النصارى ١٦٨
ب– اليهود ١٧٠
ثالثا: مكانة المرأة فى المجتمع الفاسى ١٧١
رابعا: المؤسسات الاجتماعية بمدينة فاس ١٧٣
خامسا: الاحتفالات وطعام أهل المدينة وزيهم ١٧٥
طعام أهل فاس ١٧٧
زى أهل فاس ١٧٨
مظاهر التسلية ١٧٨
سادسا: أخلاق أهل المدينة ووصف دورهم ١٧٩

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية بمدينة فاس في مصر المرابطين والموحدين

المرابطين والموحدين ---------------------- ١٩٩

أولا: الزراعة --- ٢٠٢

الملكية الخاصة ------------------------------------ ٢٠٣

الأحباس (الأوقاف) ----------------------------- ٢٠٤

الري -- ٢٠٤

الحاصلات الزراعية بمدينة فاس ----------------------- ٢٠٥

– الحبوب الزراعية ------------------------------- ٢٠٥

– الزيتون --- ٢٠٦

– القطن والكتان ---------------------------------- ٢٠٧

– البساتين والحدائق ---------------------------- ٢٠٧

الثروة الحيوانية --------------------------------- ٢٠٩

ثانيا: الصناعة -- ٢٠٩

صناعة النسيج ----------------------------------- ٢١٠

صناعة الورق -------------------------------------- ٢١٢

طحن الغلال -------------------------------------- ٢١٤

صناعة الزيوت والصابون -------------------------- ٢١٤

صناعة ماء الورد ---------------------------------- ٢١٥

الصناعات الخشبية ------------------------------ ٢١٥

صناعة دبغ الجلود ------------------------------- ٢١٦

الصناعات المعدنية ------------------------------ ٢١٧

صناعة السكة ------------------------------------- ٢١٨

الصناعات الفخارية ------------------------------ ٢٢٠

الصناعات الزجاجية ------------------------------ ٢٢٠

ثالثا: التجارة: -- ٢٢٠

سياسة الدولتين المرابطية والموحدية الضريبية ---------- ٢٢٠

الأسواق -- ٢٢٤
تنظيم الأسواق وإدارتها ---------------------------------- ٢٢٦
طرق التعامل فى الأسواق ------------------------------- ٢٢٧
أ - العملة --- ٢٢٧
ب- المكاييل والموازين ------------------------------- ٢٣٤
تجارة فاس الداخلية والخارجية ---------------------------- ٢٣٤
أ - تجارة المدينة الداخلية ------------------------------ ٢٣٤
ب- تجارة المدينة الخارجية ------------------------------ ٢٣٦
العلاقات التجارية بين فاس والأندلس ----------------------- ٢٣٦
العلاقات التجارية بين فاس والسودان (جنوب الصحراء) --- ٢٣٧
العلاقات التجارية بين فاس والمشرق ----------------------- ٢٣٨

الفصل الخامس

الحياة الفكرية والعلمية بمدينة فاس فى

عصرى المرابطين والموحدين ------------------------ ٢٦٧
أولا: عوامل نمو الحياة الفكرية والعلمية بمدينة فاس ------------ ٢٦٩
العامل السياسى -------------------------------------- ٢٦٩
العامل الاقتصادى ------------------------------------ ٢٦٩
الهجرة إلى فاس -------------------------------------- ٢٦٩
الرحلة العلمية لأبناء فاس إلى الأندلس والمشرق --------- ٢٧٠
إنشاء المكتبات العامة والخاصة ---------------------------- ٢٧١
المعلمون -- ٢٧٢
ثانيا: طرق التعليم بمدينة فاس فى عهدى المرابطين والموحدين -- ٢٧٢
طريقة التلقين أو التحفيظ -------------------------------- ٢٧٢
طريقة السماع والقراءة ----------------------------------- ٢٧٣
ثالثا: المؤسسات العلمية بمدينة فاس ------------------------ ٢٧٣
المساجد --- ٢٧٣
المكتب أو الكتاب ------------------------------------- ٢٧٥

المدارس ---------- ٢٧٦
رابعًا: ميادين الحركة الفكرية والعلمية بمدينة فاس ---------- ٢٧٧
العلوم النقلية ---------- ٢٧٨
١- علم القراءات والتجويد ---------- ٢٧٨
٢- علم التفسير ---------- ٢٧٩
٣- علم الحديث ---------- ٢٨٠
٤- علم الفقه وأصوله ---------- ٢٨٢
٥- علوم اللغة ---------- ٢٨٥
أ- علم اللغة العربية ---------- ٢٨٥
علم النحو ---------- ٢٨٦
الأدب ---------- ٢٨٧
الشعر ---------- ٢٨٨
٦- علم الكلام ---------- ٢٩٣
٧- علم التاريخ والتراجم ---------- ٢٩٥
٨- علم التصوف ---------- ٢٩٦
العلوم العقلية ---------- ٣٠٠
١- علم الفلك والهيئة ---------- ٣٠٠
٢- علم الحساب والهندسة ---------- ٣٠١
٣- علم الطب ---------- ٣٠٢
٤- علم الكيمياء ---------- ٣٠٣
خامساً: دور مدينة فاس في نشر الثقافة الإسلامية في المغرب ---------- ٣٠٤
الخاتمة: ---------- ٣٣٩
المصادر والمراجع: ---------- ٣٤٩